المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد السادس

- الفوائد المنثورة على كتاب أعلام السنة المنشورة.
- الفضل المبين من رب العالمين بالتعليق على أصل السنة واعتقاد الدين (للرازيين).
- التعليقات العقدية على كتاب تحريم النظر في كتب الكلام (لابن قدامة).

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد السادس

- الفوائد المنثورة على كتاب أعلام السنة المنشورة.
- الفضل المبين من رب العالمين بالتعليق على أصل السنة واعتقاد الدين (للرازيين).
- التعليقات العقدية على كتاب تحريم النظر في كتب الكلام (لابن قدامة).

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م



العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه
ما خلف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه



رقم الإيداع القانوني: سبتمبر-2023

ردمك: 3-235-48-9947-978

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 550471594 (00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

@mirathennabawi

الفوائد المنثورة
على كتاب أعلام السُّنَّة المنشورة

لصاحبها العلاَّمة الجليل

حافظ بن أحمد بن محمَّد الحكمي (١٣٧٧هـ) رحمه الله تعالى

تعليق وشرح

فضيلة الشَّيخ العلاَّمة

أحمد بن يحيى النَّجمي رحمه الله

مُقدِّمةُ النّاشر

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا، وَمِن سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعدُ:

فإنَّ أَصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بدْعةٍ ضلالَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

وبعدُ:

فنضعُ بين يدَيك أيُّها القارئ الكريم شرحًا لكتاب مختصر جامع في العقيدة، تصنيف العلَّامة حافظ بن أحمد الحكميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، علىٰ أُسلوب السُّؤال والجواب؛ وهو كما وصفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مُخْتَصَرٌ جَلِيلٌ نَافِعٌ، عَظِيمُ الفَائِدَةِ، جَمُّ المَنافِعِ، يَشْتَمِلُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الدِّين، وَيَتَضَمَّنُ أُصُولَ التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الكُتُبُ... شَرَحْتُ فيه أُمُورَ الإيمانِ وَخِصَالَهُ، وما يُزِيلُ

جميعَه أو يُنَافِي كمالَهُ، وَذَكَرْتُ فيه كُلَّ مَسْألةٍ مَصْحُوبةً بدليلها؛ ليتَّضح أَمْرُها، وتتجلَّىٰ حَقِيقَتُها، ويَبِينَ سَبِيلُهَا.

وَاقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ والاتِّباع، وَأَهْمَلْتُ أَقْوَالَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ والابْتِدَاعِ... وَرَتَّبْتُهُ علىٰ طَرِيقَةِ السُّؤَالِ؛ لِيَسْتَيقِظَ الطَّالبُ وَيَنْتَبِهَ، ثُمَّ أُرْدِفهُ بالجَوَابِ الَّذِي يَتَّضِحُ الأَمْرُ بِهِ وَلَا يَشْتَبِهُ، وَسَمَّيْتُهُ: (**أَعْلَام السُّنَّة المَنْشُورَة لاعْتِقَادِ الطَّائفَة النَّاجِيَة المَنْصُورَة**)».

وقد تولَّىٰ شرحه والتَّعليق عليه صاحبُه وتلميذُه فضيلةُ الشَّيخ العلَّامة أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجالسه الَّتي كان يعقدها لطلَّاب العلم، فجاء شرحُه مقرِّرًا لمحتواه، ومُقرِّبًا لمعانيه، ومُجليًا لأَهَمِّ مَسَائلِهِ، باسطًا لها، مع زيادة في التَّدليل والتَّعليل والتَّمثيل؛ فكان الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقرأ عليه السُّؤال والجواب ودليلُه؛ فيشرح الدَّليل ويُبيِّن وجهَ الاستدلال منه، وقد يُضيفُ أدلَّةً أخرىٰ، وأحيانًا يشرح عبارات المصنِّف ويبيِّن مقاصدها، وأحيانًا قليلة يدعُ التَّعليق علىٰ الجواب الواضح الَّذي لا يحتاج إلىٰ بيانٍ.

وحرصًا منَّا علىٰ نشر العلم النَّافع، وإخراج تُراث الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، رأينا أن تحوَّل تلك الدُّروس الصَّوتيَّة إلىٰ كتاب مطبوع؛ فإنَّه أيسر علىٰ القارئ والمتعلِّم وأعمُّ فائدةً، وقد اتَّبعنا في ذلك المَنْهج الآتِي:

- مراجعة المسموعِ لُغةً وصياغةً؛ مع حذف العباراتِ المُكرَّرةِ.
- تصحيحُ الأخطاء الواقعة في طبعتِنا السَّابقة، مع بعضِ التَّنقيحات والزِّيادات مِن المسموع.
- تخريج الآيات القرآنيَّة.

- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، مع الحرص على ذكر أحكام العلَّامة المحدِّث الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن وُجدت.

- عَزو الأقوال إلى أصحابها، مع بيان مصادرها.

- إثباتُ تعليقات الشَّيْخ النَّجميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن النُّسخة الَّتي قرأها عليه أبو العبَّاس الشِّحريّ.

- إضافة بعض التَّعليقات مِن كلام الشَّيخ النَّجميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن كتُبه وشروحه على كتُبٍ أخرى.

- إضافة بعض الأقوال والنُّقولات مِن كلام أهل العلمِ تَدعمُ كلام الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتُوضِّحُه.

- شرح بعض الكلمات الغريبة من الكتب المعتمدة.

- وضع فهارس للمواضيع الواردة في الكتاب.

- التَّرجمة لصاحب المتن العلَّامة حَافظ الحَكَمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- وضع مُقدِّمة فِيهَا بيان طريقة عملِنا في هذا الكتاب.

وختامًا نسأل الله تعالى أن يجعله عملًا مقبولًا خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ ينفع به النَّفع الحسن العميم، وأنْ يجزي الشَّيخين المؤلِّفَ والشَّارحَ جزاء العُلماء العاملين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



ترجمة الشَّيخ حافظ بن أحمدَ الحكمي،

بقلم/ابنه أحمد

مولدُه ونشأتُه:

هو حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي الحكمي، والحكميُّ نسبة إلىٰ الحكم بن سعد العشيرة من مذحج أشهر وأعظم قبيلة من شعب كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان(١).

ولد الشَّيخ حافظُ الحَكَمِيُّ لأربعٍ وعشرِينَ ليلةً خَلَت مِن شهرِ رَمَضَانَ المبَاركِ من سنة (١٣٤٢هـ)، بقرية السَّلام التَّابعة لمدينةِ المضَايَا، الواقِعَة في الجنُوب الشَّرقيِّ من مَدِينة جازان حاضِرَة المنطقة علىٰ السَّاحِلِ، قريبةً منها، حيث قبيلتُهُ الَّتي إليهَا يَنتسب، ثمَّ انتقَلَ مع والدِهِ أحمد إلىٰ قرية الجاضع، التَّابعة لمدينةِ صامطة في نفسِ المنطقة، وهو ما يزالُ صغيرًا؛ لأنَّ أكثرَ مصالِحِ والده - من أراضٍ زراعيَّةٍ ومواشٍ ونحوهما - كانت هناك، وإن بقِيَت أسرتُهُ الصَّغيرة تَنتَقِلُ بينَ قَريتَي السَّلام والجاضِع؛ لظُرُوفِهَا المَعِيشِيَّة.

ونشَأَ حافظٌ في كنفِ والِدَيهِ نشأةً صالحةً طيِّبةً، ترَبَّىٰ فيها علىٰ العفافِ والطَّهارة وحسن الخُلُق، وكان قبل بلوغِهِ يقُومُ برَعيِ غَنَمِ وَالِدَيه الَّتي كانَت أهمَّ

---

(١) انظر ترجمةَ الشَّيخ حافظ في كتاب: «النَّهضة الإصلاحيَّة في جنوب المملكة العربيَّة السعوديَّة» للشَّيخ عُمر جردي مدخلي.

ثروةٍ لَدَيهم آنذَاكَ، جَرْيًا علىٰ عادَةِ المُجتَمَعِ في ذلك الوَقتِ، إلَّا أنَّ حَافظًا لم يكن كغيره من فتيانِ مجتمعه؛ فقد كان آيةً في الذَّكاء وسرعة الحفظِ والفهمِ، فلقد خَتَمَ القرآنَ وحفظَ الكثيرَ منه، وعمره لم يتجاوَزِ الثَّانية عشرة بعد، وكذلك تعلَّم الخطَّ، وأحسَنَ الكِتَابة منذ الصِّغر.

طلبُه للعلم:

عندما بلغ الشَّيخ حافظ مِنَ العُمُرِ سبعَ سَنَواتٍ، أدخلَهُ والدُهُ مَعَ شقيقِهِ الأكبر محمَّد مدرسةً لتعليمِ القرآن الكريم بقريةِ الجاضع، فَقَرأَ علىٰ مدرِّسِهِ بها جُزأَي «عمَّ وتبارك»؛ ثمَّ واصَلَ قراءَتَه مَعَ أخِيهِ، حتَّىٰ أتمَّ قراءةَ القرآنِ مُجَوَّدة خلَال أشهُرٍ معدُودةٍ، ثمَّ أكمَلَ حفظَه حِفظًا تامًّا بُعَيد ذلك.

اشتَغَلَ بعدَئذٍ بتَحسينِ الخطِّ، فأَولَاه أكبرَ جهودِهِ حتَّىٰ أتقَنَه، وكان ينسخُ من مصحفٍ مكتوبٍ بخطٍّ ممتازٍ إلىٰ جانبِ اشتغالِهِ مع أخيه بِقراءةِ بعضِ كتبِ الفقهِ، والفرائض، والحديث، والتَّفسير، والتَّوحيد، مطالعةً وحفظًا بمنزلِ والدِهِ إذ لم يكن بالقريةِ عالمٌ يوثقُ بعلمِهِ فيتَتَلمَذ علىٰ يَدَيهِ.

وفي مطلعِ سنة (١٣٥٨هـ) قدِمَ من نجد الشَّيخ الدَّاعية المصلح عبد الله بن محمَّد بن حمدٍ القَرعَاوي إلىٰ منطقةِ تهامة في جنوبِ المملكةِ، بعد أن سَمِعَ عمَّا كان فيها من الجهلِ والبِدَعِ شأن كلِّ مَنطِقةٍ يقلُّ فيها الدُّعاة والمُصلِحُون أو ينعدِمُون، ونَذَرَ نفسَه مُخلِصًا علىٰ أن يقومَ بالدَّعوة إلىٰ الدِّين القويم، وتصحيح العقيدة الإسلاميَّة في النُّفوس، وإلىٰ إصلاح المُجتمع، وإزاحة ما كان عالقًا في أذهان الجهَّال من اعتِقَادَاتٍ فاسدةٍ، وخُرَافَاتٍ مُضِلَّةٍ.

وفي سنة (١٣٥٩هـ) قَدِمَ شقيقُ حافظ عمّي محمَّد بن أحمدَ برسالةٍ منه ومن

أخيه حافظ يطلبَان فيها من الشَّيخ القرعَاويِّ كُتُبًا في التَّوحيدِ، ويعتذِرَان عن عدم القُدرةِ علىٰ المَجِيءِ إليه لانشِغَالِهما بخدمةِ وَالدَيْهما، والعناية بشُؤُونهما، كما يطلبَان منه - إن كانَ في استطاعَتِهِ - أن يتوجَّه إليهما بقَريتهما ليَسمَعَا مِن بعض ما يُلقىٰ من دروسٍ، وفعلًا لبَّىٰ الشَّيخ طلبهما، وذهب إلىٰ قريتهما، وهناكَ التَقىٰ بحافظ، وعرفه عن كثبٍ، وتوسَّم فيه النَّجابة والذَّكاء، وقد صدقت فيه فراسته.

ومكثَ الشَّيخ عدَّة أيَّامٍ في الجاضع، ألقىٰ فِيهَا بعضَ دُرُوسِهِ العلميَّة الَّتي حضرها مجموعةٌ مِن شيوخِ القريةِ وشبابِها، ومِن بينِهم الشَّيخ حافِظ الَّذي كانَ أصغرَهم سِنًّا، لكنَّه كان أسرعَهم فهمًا، وأكثرَهم حفظًا واستيعابًا لما يُلقِي الشَّيخُ من معلوماتٍ، يقولُ عنه الشَّيخ عبد الله القرعَاوِي: وهكذا جَلَستُ عدَّة أيَّامٍ في الجاضِعِ، وحافظٌ يأخذ الدُّروس، وإنْ فاتَه شيءٌ نقله من زُملائِه، فهو علىٰ اسمِه حافظ، يحفظُ بقلبِهِ وخطِّه، والطَّلبة الكبار كانُوا يراجعُونه في كلِّ ما يشكلُ عليهِم في المعنَىٰ والكِتَابة؛ لأنِّي كنتُ أُملِي عليهم إملاءً، ثمَّ أشرحه لهم.

وعندما أرادَ الشَّيخ العودة إلىٰ مدينة صامطة الَّتي جعلها مقرًّا له، ومركزًا لدعوتِهِ، طلب مِن والدَي حافظٍ أن يُرسِلَاه معه ليطلبَ العلمَ علىٰ يَدَيهِ في صامطة علىٰ أن يجعلَ لهُمَا من يَرعَىٰ غنَمَهما بدلًا عنه، ولكنَّهما رَفَضَا طلبَ الشَّيخ أوَّل الأمر، وأصرَّا علىٰ أن يَبقَىٰ ابنُهما الصَّغير في خدمَتِهما لحاجتِهما الكبيرةِ إليه، وشاء الله ألَّا تطولُ حياة والدتِه بعد ذلك؛ إذ تُوفِّيَتْ في شهرِ رجب سنة (١٣٦٠هـ)، فيسمحُ والدُه له ولِأخيهِ محمَّدٍ بأن يَذهبَا إلىٰ الشَّيخ للدِّراسة لمدَّة يومين أو ثلاثة أيَّامٍ في الأسبوع، ثمَّ يعودَا إليه، فكانَ حافظٌ لذلك يذهبُ إلىٰ الشَّيخ في صامطة، فيُملي عليه الدُّروس، ثمَّ يعودُ إلىٰ قريته، وكان مُلهَمًا،

يفهم ويَعِي كلَّ ما يَقرأ أو يسمَعُ من مَعلُومَاتٍ.

ولم يُعمّرْ والدُهُ بعدَ ذَلِكَ؛ إذِ انتَقَلَ إلىٰ جوارِ ربِّهِ، وهُو عائدٌ من حجِّ سنة (١٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتفرَّغَ حافظٌ للدِّراسةِ والتَّحصيل، وذهبَ إلىٰ شيخِه، ولازمَهُ مُلازمةً دائمةً، يقرأُ عليه، ويستفيدُ منه.

وكان حافظٌ في كلِّ دراساتِه علىٰ شيخِه مبرزًا ونابغةً، فأثمَرَ في العلمِ بسرعةٍ فائقةٍ، وأجادَ قولَ الشِّعر والنَّثر معًا، وألَّف مؤلَّفاتٍ عديدةً في كثيرٍ من العلوم والفنون الإسلاميَّة، ولقد كان كما قال عنه شيخُه: لم يكنْ له نظيرٌ في التَّحصيل، والتَّأليفِ، والتَّعليم، والإدارة في وقتٍ قصيرٍ.

علمُه:

مكثَ حافظٌ يطلبُ العلمَ علىٰ يدِ شيخِه الجليلِ عبدِ الله القَرعَاويِّ، ويعمل علىٰ تحصيلِهِ، ويقتَنِي الكُتُبَ القيِّمة والنَّادرة من أمَّهات المصادرِ الدِّينيَّة، واللُّغويَّة، والتَّاريخيَّة، وغيرها؛ يستَوعبُها قِرَاءَةً وفهْمًا.

وعندَمَا بَلَغَ التَّاسعةَ عشرَةَ من عُمُره - ومع صِغَرِ سنِّه - طَلَب منه شيخه أن يؤلِّف كِتَابًا في توحيدِ اللهِ، يشتَمِلُ علىٰ عقيدةِ السَّلَف الصَّالِح، ويكُون نظمًا لِيسهلَ حفظه علىٰ الطُّلَّاب، [وهذا] يعدُّ بمثَابةِ اختِبَار له يدلُّ علىٰ القدرِ الَّذي استفادَ مِن قِراءاتِه وتحصيلِه العِلمِيِّ؛ فصنَّف منظُومتَه «سُلَّم الوُصول إلىٰ عِلْم الأُصول» في التَّوحيد الَّتي انتهىٰ مِن تَسويدِها في سنةِ (١٣٦٢هـ)، وقد أجادَ فيها، ولَاقَتِ استحسانَ شيخِه، والعلماء المُعاصرينَ له.

ثمَّ تابَعَ تصنيفَ الكُتُبِ بعدَ ذلكَ، فألَّفَ في التَّوحيدِ، وفي مُصطَلَحِ الحدِيثِ، وفي الفقهِ وأصولِهِ، وفي الفَرَائِضِ، وفي السِّيرَةِ النَّبويَّة، وفي الوصايا والآداب

العلميَّة، وغير ذلك نظمًا ونثرًا، وقد طُبعت جميعها طبعتها الأُولىٰ علىٰ نفقةِ المغفُورِ له جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

ويتَّضح لنا من آثاره العلميَّة: أنَّ أبرزَ مقرُوءاتِهِ ذَات الأثر في منهجِه العلميِّ ومؤلَّفاتِهِ هي تلك الكُتُب الَّتي ألَّفها علماءُ السَّلَف الصَّالِح مِن أهلِ السُّنَّة في العلوم الإسلاميَّة من تفسيرٍ، وحديثٍ، وفقهٍ، وأصوله.

أمَّا في مجالِ العقيدةِ فقَد بَدَا شديد التَّأثُّر بشيخِ الإسلامِ ابن تيمِية وتلميذه ابن القيِّم، كثيرَ الاستِفَادة مِن مؤلَّفاتهما، والأخذ عنها، هذا إلىٰ جانبِ استيعابِه لكثيرٍ من مصادرِ التَّاريخِ، والأدب، واللُّغَة، والنَّحو، والبيان، المؤلَّفة في مختلف العصور الإسلاميَّة.

ولقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عميقَ الفهم، سَرِيعَ الحفظِ لما يَقرأ، وقد مرَّ بنا قولُ لشيخِهِ يشيدُ فيه بتلميذِهِ حافظ الَّذي كان يحفظُ بقلبِهِ وخطِّهِ - علىٰ حدِّ تعبيرِ الشَّيخ - وكان زملاؤُهُ الكبار يراجِعُونه في كلِّ ما يشكلُ عليهِم منذُ مراحِلِ تعليمِهِ الأُولىٰ.

أدبُه:

يُعَدُّ الشَّيخ حافظٌ من أجلِّ علماء منطقة تهامةَ، وأَقْدَرهمْ عَلَىٰ قولِ الشِّعر، فقد كان يعشق الشِّعر منذ صغرِهِ، ويحفظُهُ ويقولُهُ سليقةً دون تكلُّفٍ، فلا غرابةَ إذ رَأَيناه يُخرج أكثر مؤلَّفاته نظمًا.

ولقد كان أكثر ما يقول الشِّعر - في غير ما كَتبه من منظوماتٍ - إمَّا نصيحةً، أو مساجلةً لصديقٍ، أو وصفًا، أو خاطرةً، إلَّا أنَّه لم يدوِّن جُلَّ ما قالَ، إن لم يكن كلَّه، وما بأيدينا منه الآن نزرٌ يسيرٌ جدًّا حفظه عنه بعض تَلاميذِهِ.

ومن أهمِّ قَصَائدِ شَعْره: تلك الميميَّة الَّتي أنشأها في الوصايا والآداب العلميَّة، وهي طويلةٌ جدًّا، نختار منها هذه الأبيات الَّتي يصفُ فيها العلمَ ومنزلته:

العِلْمُ أَغلىٰ وأَحْلىٰ ما لَه اسْتَمعتْ ... أُذْنٌ، وأَعْرَبَ عَنْه ناطقٌ بفَمِ
العِلْمُ غايَتُهُ القُصْوىٰ ورُتْبته الـ ... ـعَلْياء فَاسْعَوا إِلَيه يا أُولِي الهِمَمِ
العِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وطَالِبُهُ ... لله أَكْرَم مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمِ
العِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتضِيءُ بِهِ ... أَهْلُ السَّعادَةِ والجُهَّالُ في الظُّلَمِ
العِلْمُ أَعْلَىٰ حياةٌ للعِبَادِ، كَمَا ... أهلُ الجَهالَةِ أَمْوَاتٌ بجَهْلِهِم

ثمَّ يقول مرغِّبًا في العلم، وحاضًّا طالبه علىٰ الحرصِ عليه، والسَّعي قدر المُستطاع لنيلِ أكبر قسطٍ منه، وعدم الرِّضا بغيره عوضًا عنه، فمن حصل عليه فقد ظَفرَ. ويوصِّي طلبة العلم بمساعدة غيرهم في تحصيله، وتقريب مباحثه، ويشير عليهم قبل ذلك كلِّه بأن يخلصوا نيَّاتهم - في طلبه - لوجه اللهِ الكريم:

يَا طالبَ العِلْم لا تَبْغي به بدلًا ... فقَدْ ظفرتَ وربِّ اللَّوح والقلمِ
وقَدِّسِ العلمَ وَاعرف قَدْرَ حُرْمتِه ... في القَوْل والفِعْل، والآدابَ فَالْتزمِ
وَاجْهَد بعَزْمٍ قويٍّ لا انثناءَ له ... لو يَعْلم المرءُ قَدْرَ العلم لم يَنَمِ
والنُّصحَ فَابْذله للطُّلَّاب مُحْتَسِبًا ... في السِّرِّ والجَهْرِ والأُسْتاذ فَاحْترمِ
ومَرْحبًا قُلْ لمَنْ يَأْتِيكَ يَطْلُبُهُ ... وفيهمُ احْفظ وَصَايا المُصْطفىٰ بهمِ
والنيَّة اجْعَل لوجهِ الله خالصةً ... إنَّ البناءَ بدُون الأصل لَمْ يقُمِ

وهناك أيضًا قصيدتُهُ الهمزيَّة الَّتي قالها في تشجيعِ الإسلام وأهله، والدَّعوة إلىٰ التَّمسُّك بأساسه وأصلِهِ، وهي لا تزال مخطوطةً لم تنشر من قبل، وتقع في أكثر من مئتي بيتٍ، من بحر الكامل علىٰ رَوِيِّ الهمزة؛ استعرض فيها ماضيَ المسلمين وحاضرَهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كل ذلك بأسلوبٍ قويٍّ رصينٍ، وتعبيرٍ جزلٍ، بالإضافةِ إلىٰ ما تفجَّر في جوانب أبياتِها من شعورٍ فيَّاضٍ، ومعانٍ ساميةٍ، وأهدافٍ نبيلةٍ، وروحٍ عاليةٍ؛ تحدَّث في أوَّلها عن الرَّسول الكريم محمَّد بن عبد الله صلواتُ الله وسلامه عليه، وقيامه بالدَّعوة إلىٰ الله، فقال:

وَيعـزُّ رَبِّـي رُسْـلَه والمُؤْمِنِيـ ... ـنَ جَمـيعَهم بالنَّصـر والإنجـاءِ

حتَّـىٰ اسـتتمَّ بِنَـاؤُهم بمُحمَّـدٍ ... أَكْـرِمْ بـه للرُّسـل خَـتْم بِنَـاءِ

فهْـوَ الرَّسُـولُ إِلَـىٰ الخَلَائِـقِ كُلِّهِـمْ ... مِمَّـنْ تُقِـلُّ بسـيطةُ الغَبْـرَاءِ

مَـا لامْـرِئٍ أَبْـدًا خُـرُوجٌ عَـنْ شَرِيـ ... ـعتِهِ ونَهْـج طريقِـهِ البَيْضَـاءِ

لَـمْ يَقْـبِضِ المَـوْلىٰ تَعَـالىٰ رُوحَـه ... حتَّـىٰ أَشَـادَ الـدِّينَ بـالإِعْلَاءِ

وَأَتَـمَّ نِعْمتَـهُ وَأَكْمَـلَ دِينَـهُ ... وَلِخَلْقِـهِ أَدَّاه أَيَّ أَدَاءِ

ومَضَـىٰ وأُمَّتـه بـأَقْوَم مَـنْهَجٍ ... عَلَـىٰ مَحَجَّـةِ هَدْيـهِ البَيْضَـاءِ

ثمَّ تحدَّث عن الخلفاء الرَّاشدين ومناهجهم في الحكمِ، وانتقل بعدهم يصفُ واقع المسلمين في العصور الَّتي تلت عصر الخلفاء الرَّاشدين، وعندما وصلَ إلىٰ القرن السَّابع الهجريِّ (عصرِ شيخ الإسلام ابن تيمية) وجدناه يقول:

وأَتَـىٰ بقَـرنٍ سـابعٍ مـن هِجْـرةٍ ... عَلَـمٌ بِـهِ يُـؤْتَمُّ في الظَّلْمـاءِ

أَعْني بذاك الحبرَ أَحْمَد مَنْ إلَىٰ | عَبْد الحليم نَمَىٰ بلا اسْتثناءِ
كَمْ هاجمَ البدعَ الضّلال وأَهْلها | بدَلائل الوَحْيَيْنِ خَيْر ضِيَاءِ
وقَواعدَ التَّحْريف هدَّ أُصُولَهَا | أعظِمْ بِهِ هدْمًا لِشَرِّ بِنَاءِ
ولَهُ جهادٌ ليس يُعْهدُ مِثْلُهُ | إلَّا بعَهْد السَّادة الخُلَفَاءِ

وبعد أن ذَكَرَ ما قام به ابنُ تيمية من قمعٍ للفتنِ، وإبادةٍ للطُّغيان، تابع المسيرَة إلىٰ العصور الإسلاميَّة التَّالية، مُصوِّرًا طبيعةَ الحياةِ الَّتي كان يعيشُهَا المسلِمُون في تلك الأزمنةِ، مُشِيرًا إلىٰ بعض المُصلِحين الَّذين سَعَوا لتَصحيح الأوضاع في بلادِهم؛ كالشَّيخ محمَّد بن عبدِ الوهَّاب في القرن الثَّاني عشر الهجريِّ، وغيره.

ثمَّ ذهب يوجِّهُ الخطابَ إلىٰ العُلماءِ وطلَّاب العلمِ في عصرِه، مُستَنهِضًا هِمَمَهم للدَّعوة إلىٰ الله، والإخلاصِ في العملِ، والقيامِ بالواجِبِ المُلقَىٰ علىٰ عَواتقِهم نحوَ إخوانِهم المسلِمين في كلِّ مكانٍ، قائلًا:

هَلْ تَسْمعون معاشرَ العُلَما، ألَا | تُصْغون نَحْو مَقَالتي ونِدَائِي؟
يَا طَالِبِي عِلْم الشَّريعة فَانْهَضُوا | وَادْعُوا عِبَادَ الله باسْتِهْدَاءِ
انْحُوا بهم نَحْو الصِّراط المُسْتقيـ | ـم ورَفْض كُلِّ طَرِيقَةٍ عَوْجَاءِ
كَيْف انْتصَارُ المُسْلمينَ وجُلُّهُمْ | عَنْ دِينِهِمْ في غَفْلَةٍ عَمْيَاءِ

وقد أطال في ذلك، وبهذا نكتفي، ولعلَّ في هذه المقتطَفَات من هاتين القصيدتين كفايةً كنَمَاذِجَ حيَّةٍ من شعر الشَّيخ حافظ الحَكَمِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والَّتي تدلُّ علىٰ تدفُّقِ شاعريَّتِهِ، وجودةِ شعرِهِ الإسلاميِّ، وسموِّ غاياتِهِ.

أعمالُه:

عندما لمسَ الشَّيخ عبد الله القرعاويُّ تفوُّقَ تلميذِهِ حافظٍ، ونبوغَه العلميَّ، أقامه مدرِّسًا لزُملائه، والمستجدِّين من التَّلاميذ، فألقَىٰ عليهم دروسًا نافعةً، استفادوا منها فائدةً كُبرىٰ.

ثمَّ عيَّنه شيخُه في سنة (١٣٦٣هـ) مديرًا لمدرسة صامطة السَّلَفية (أوَّل مدرسةٍ افتتحها الشَّيخ في المنطقةِ لطلَّاب العلم) وأسندَ إليهِ أمرَ الإشرافِ علىٰ مدارسِ القُرىٰ المُجاورة.

واتَّسعتْ بعد ذلك مدارسُ الشَّيخ في منطِقَتَي تهامة وعسير، فما مِن مدينةٍ أو قريةٍ إلَّا وأسَّس بها مدرسةً أو أكثر تدرِّس العلوم الإسلاميَّة، وجعَل بها من تلاميذه مَنْ يقوم بالتَّدريس فيها، ويتولَّىٰ شؤون إدارتها.

ولمَّا كان الشَّيخ يقوم في فتراتٍ متعدِّدةٍ بجولاتٍ علىٰ مئاتِ المدارس الَّتي كان قد أسَّسها في المنطقة، جعل تلميذَه الأوَّل الشَّيخ حافظًا الحَكَمِيَّ مساعدًا له، يتولَّىٰ الإشراف علىٰ سير التَّعليم وأمور الإدارة أثناء تجوالِ الشَّيخ علىٰ مدارسه، فنهض حافظٌ بالعبء المُلقىٰ علىٰ عاتقه، وأدَّىٰ الأمانة خير الأداء.

ثم تنقَّل الشَّيخ حافظٌ - للقيام بواجبه مع شيخه - في عدَّة أماكن، منها: قرية السَّلامة العليا، ومدينة بيش أمّ الخشب في الجزء الشَّماليِّ من منطقة جازان وغيرهما.

عاد بعدها إلىٰ مدينة صامطة مرَّة أخرىٰ يُديرُ مدارسَها، ويساعدُ شيخَه في تحمُّل المسؤوليَّة، والإشراف علىٰ سير التَّعليم، ومواصلة تدعيم مهامِّ الدَّعوة والإصلاح.

وهكذا مضىٰ الشَّيخ حافظٌ يُؤدِّي واجباته في سبيل النُّهوض بأبناء منطقتِه، وليرفعَ من مستواهم الثَّقافيِّ والاجتماعيِّ، وليفيدَهم من علمِه قدْرَ ما يستطيعُ،

فقد كان يجتمعُ إليه طَلَبَةُ العِلْمِ من كلِّ مكانٍ للتَّتلمُذ علىٰ يديه، فيستفيدُون منه فائدةً عُظمىٰ، ومن طلبتِهِ الآن علماء أفاضِل، يتولَّون مناصِبَ القضاءِ، والتَّدريس، والوعظِ، والإرشادِ في جميعِ أنحاءِ المنطقةِ الجنوبيَّة، وغيرها.

وفي سنة (١٣٧٣هـ) افتَتَحت وزارة المعارِف السّعوديَّة مدرسة ثانويَّة بجازان عاصمة المنطقة، فعُيِّنَ الشَّيخ حافظٌ أوَّل مديرٍ لها في ذلك العامِ.

ثمَّ افتتح معهد علميٌّ تابعٌ للإدارةِ العامَّة للكلِّيَّات والمعاهد العلميَّة آنذاك جامعة الإمام محمَّد بن سعودٍ الإسلاميَّة حاليًا بمدينة صامطة في عام (١٣٧٤هـ)، فعُيِّنَ الشَّيخُ حافظٌ مُديرًا له؛ فقام بعملِه هذا خيرَ قِيامٍ، وكانَ يُلقي فيه بعض المحاضرات، ويُملي علىٰ تلاميذِه الكثيرَ من المعلوماتِ الشَّرعيَّة واللُّغويَّة المفيدة، ويضع لهم المذكِّرات الدِّراسيَّة للفُنون الَّتي لم تُقرَّر لها كتبٌ علميَّةٌ وفق المناهجِ المحدَّدة، كان يُملِيها أحيانًا بنفسه، وقد يُمليها عن طريق المدرِّسين بالمعهد أحيانًا أخرىٰ.

صفاتُه:

كان الشَّيخ حافظ الحَكَمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثالًا يُحتذىٰ لكلِّ طالب علمٍ يريد التَّحصيل والعلم النَّافع، ومثالًا لكلِّ عالمٍ جليلٍ متواضعٍ يحبُّ لتلاميذه وزملائه كلَّ خيرٍ وصلاحٍ.

ويكفِي أن أُورِدَ هنا ما قاله عنه شقيقُهُ الأكبرُ الشَّيخُ مُحمَّد بن أحمد الحكميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالةٍ كتبها إليَّ، إجابةً لِطلبِي:

«كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الورع، والكرم، والعفَّة، والتَّقوىٰ، قويَّ الإيمان، شديد التَّمسُّك، صدَّاعًا بالحقِّ، يأمر بالمعروف ويأتيه، وينهىٰ عن

المنكرِ ويبتعد عنه، لا تأخذه في الله لومة لائمٍ.

كانت مجالسُه دائمًا عامرةً بالدَّرس، والمذاكرة، وتحصيل العلم، تغصُّ بطلَّابه في البيت، والمسجد، والمدرسة، لا يُملُّ حديثُهُ، ولا يسأمُ جليسُهُ».

«كان جلّ أوقاتِه مُلَازِمًا لتِلَاوةِ القرآن الكريم، ومطالعة الكتب العلمية، بالإضافة إلىٰ التَّدريس، والتَّأليف، والمذاكرة».

«وكان خفيفَ النَّفس يحبُّ الرِّياضة، والدُّعابة، والمزاح مع زملائه، وطلَّابه، وزوَّاره، ممَّا يجذب قلوب النَّاس إليه، ويحبِّب إليهم مجالستَه، والاستفادة منه».

وفاته:

لم يزلِ الشَّيخ حافظٌ مديرًا لمعهد صامطة العلميِّ، حتَّىٰ حجَّ في سنة (١٣٧٧هـ)، وبعد انتهائه مِن أداء مناسك الحجِّ، لبَّىٰ نداءَ ربِّه في يوم السَّبت الثَّامن عشر من شهر ذي الحجَّة سنة (١٣٧٧هـ) بمكَّة المكرَّمة علىٰ إثر مرَضٍ ألَمَّ به، وهو في ريعان شبابِه؛ إذ كان عُمرُه آنذاك خمسًا وثلاثين سنةٍ ونحوَ ثلاثةِ أشهُرٍ، ودُفِنَ بمكَّة المكرَّمة، رحمه الله تعالىٰ رحمةً واسعةً، وأسكنَه فسيحَ جنَّاته.

وقد كان وقع خبر وفاته علىٰ شيخه وعلىٰ أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديدًا، والمصيبةُ به فادحةً، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاءً حارًّا، يعكس مدىٰ الفاجعة الَّتي أصابتهم بموتِهِ، من ذلك قصيدةٌ للشَّيخ الدُّكتور زاهر بن عوَّاضٍ الألمعيِّ، يقولُ في أوَّلها:

لقدْ دوَّىٰ علىٰ المِخْلافِ صوتٌ ... نَعَىٰ النِّحريرَ عَالمَها الهُمَامَا

تفَجَّعتِ الجنُوبُ وَسَاكنُوها ... علىٰ بَدْرٍ بها يَمْحو الظَّلامَا

وَذَاعَتْ فِي الدُّنا صيحاتُ خطْبٍ ... فهزَّتْ مِن فَجَائعِهَا الأَنَامَا
فكَفْكَفَتِ الدُّمُوع علىٰ فَقِيدٍ ... عَلَىٰ الإِسْلَام شَمَّرَ وَاسْتَقامَا
وَأَحْيَا فِي الرُّبُوع بُيُوتَ عِلْمٍ ... ووَاسَىٰ مُقْعدًا ورَعَىٰ يتَامَىٰ
أَحَافظُ كُنْتَ لِلْعَلْياءِ قُطبًا ... وللإِسْلَام طَوْدًا لا يُسَامَىٰ
وبحرًا في العُلُوم بعيدَ غَوْرٍ ... كثيرَ النَّفْع قوَّامًا إمَامَا
ومَا مُتُّم فمَنْهجكُمْ مَنارٌ ... يُضيءُ دُرُوبنَا وبها أَقَامَا

وقد خلَّف الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد رحيله مكتبةً علميَّةً كبيرةً عامرةً بكلِّ علمٍ وفنٍّ، أوصىٰ بأن تكُون وقفًا علىٰ طلَّاب العلمِ، وروَّاد المعرفة، فضمَّت إلىٰ معهد صامطة العلميِّ، لينتفعَ بها المدرِّسون والطلَّاب، ولتبقىٰ تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خلَّف من تأليفه آثارًا علميَّةً نافعةً في كثيرٍ من الفُنُون الإسلاميَّة، لا يستغني عنها كلُّ طالب علمٍ.

وله من الأبناء أربعةٌ: هم أحمد - كاتب هذه الأسطر - وعبد الله، ومحمَّد، وعبد الرَّحمن، وفَّقهم اللهُ جميعًا، وسدَّد خُطَاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

مؤلَّفاته:

في التَّوحيد:

- «سلم الوصول إلىٰ علم الأصول في توحيد الله واتِّباع الرسول ﷺ».
- «أرجوزة في أصول الدِّين»: انتهىٰ من تسويدِها في سنة (١٣٦٢هـ)، وهي أوَّل ما ألَّف، طُبعت طبعتها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة سنة (١٣٧٣هـ)، في (١٦) صفحة.

• «معارج القَبول بشرح سلَّم الوصول إلىٰ علم الأصول»: في التَّوحيد، وهو شرحٌ مطوَّلٌ لأرجوزة: «سلّم الوصول» المتقدِّم ذِكرُها، انتهىٰ من تسويده في سنة (١٣٦٦هـ)، ويقع في مجلَّدين كبيرَين تزيد صفحاتهما في طبعته الأُولىٰ عن ألفٍ ومئة صفحةٍ.

• «أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطَّائفة النَّاجية المنصورة»: كتابٌ مؤلَّفٌ علىٰ طريقة السُّؤال والجواب، انتهىٰ من تسويدِهِ في غرَّة شهر شعبانَ سنة (١٣٦٥هـ)، وطُبعَ طبعتهُ الأُولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (٦٧) صفحة.

• «الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة»: منظومةٌ داليَّةٌ، طُبعت طبعتها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة سنة (١٣٧٣هـ)، في (١٩) صفحة.

في المصطلح:

• «دليل أرباب الفلاحِ لتحقيق فنِّ الاصطلاح»: كتابٌ جليلٌ حافلٌ في مُصطلَحِ الحديثِ، طُبعَ طبعتهُ الأُولىٰ بمكَّة المكرَّمة سنة (١٣٧٤هـ)، في (١٧٤) صفحة.

• «اللُّؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون»: منظومةٌ، انتهىٰ مِن نظمِها في سنة (١٣٦٦هـ)، وطُبعت طبعتها الأُولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (١٨) صفحة.

في الفقه:

• «السُّبل السَّويَّة لفقه السُّنن المرويَّة»: منظومةٌ طويلةٌ في الفقه، وفق أبوابه المعرُوفة، طُبعَت طبعتها الأُولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (١٣٤) صفحة.

في أصول الفقه:

• «وسيلة الحصول إلىٰ مهمَّات الأصول»: منظومةٌ في أصول الفقه، انتهىٰ

من كتابتها في سنة (١٣٧٣هـ)، وتقعُ في (٦٤٠) بيتًا، طُبعت طبعتها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (٣٥) صفحة.

• «متن لاميَّة المنسوخ»: منظومةٌ لاميَّةُ الرَّويِّ في النّسخ وما يدخلُه من الكتب الفقهيَّة، طُبعت طبعتُها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (١٠) صفحات.

في الفرائض:

• «النُّور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض»: رسالةٌ منثورةٌ في علم الفرائض، انتهىٰ من كتابتها في (١٥ - ٨ - ١٣٦٥هـ)، وطُبعت طبعتُها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة سنة (١٣٧٣هـ)، في (٤٦) صفحة.

في التَّاريخ والسِّيرة النَّبويَّة:

• «نيل السُّول من تاريخ الأمم وسيرة الرَّسول ﷺ»: منظومةٌ تاريخيَّةٌ، تزيد أبياتُها عن (٩٥٠) بيتًا، طُبعت طبعتُها الأُولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (٥٢) صفحة.

في النَّصائح والوصايا والآداب العلمية:

• نصيحة الإخوان المشهورة بالقاتية، وعنوانها: «هذا سؤال بشأن القات والدُّخان والشَّمَّة»: وهي قصيدةٌ تائيَّةٌ، وقد طُبع معها ردٌّ عليها لأحدِ أهل اليمن، ثمَّ جواب الشَّيخ عليه، وفي الجواب الأخير فوائدُ جليلةٌ، وقد طُبعت طبعتها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة سنة (١٣٧٤هـ)، في (١٥) صفحة.

• «المنظومة الميميَّة في الوصايا والآداب العلميَّة»: قصيدةٌ ميميَّةٌ رائعةٌ في الحثِّ علىٰ العلم وطلبِه، والتَّمسُّك بما جاء في كتاب الله، وسنَّة رسوله ﷺ، طُبعَت طبعتها الأولىٰ بمكَّة المكرَّمة في (١٤) صفحة.

وقد طُبعَت جميع هذه الكتبِ من مؤلَّفات الوالد الشَّيخ حافظ

الحَكَمِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ طبعتها الأولىٰ؛ ما أُرِّخ منها وما لم يُؤَرَّخ، في سنتي (١٣٧٣هـ - ١٣٧٤هـ) علىٰ نفقة جلالة المغفور له الملك سُعود بن عبد العزيزِ بمطابعِ البلاد السُّعوديَّة بمكَّة المكرَّمة، عدا كتاب «معارج القبول» الَّذي طُبع طبعته الأُولىٰ نحو سنة (١٣٧٧هـ)، في المطبعة السَّلَفية بمصر.

وللوالد الشَّيخ - من بعد - بعض الرَّسائل والمنظومات المخطوطة الَّتي لم تُطبع بعدُ، أهمُّها:

١ - «مفتاح دار السَّلام بتحقيق شهادتي الإسلام».

٢ - «شرح الورقات في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني».

٣ - «همزيَّة الإصلاح»، في تشجيع الإسلام وأهله، والتَّمسُّك كلَّ التَّمسُّك بأساسه وأصله.

٤ - «مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدِّينيَّة»: وكلُّ مؤلَّفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعطِيك الدَّليل الواضح علىٰ مكانته العلميَّة، وعلىٰ تعمُّقه في كثيرٍ من جوانب المعرفة، وهي كتبٌ قيِّمةٌ، يكفِي للدِّلالة علىٰ جودتها وقيمتها أنَّ بعضَها عُرِضَ علىٰ فضيلةِ العلَّامة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفتي الدِّيار السُّعوديَّة آنذاك، فاستحسَنَها واستجادَها وأشَار إلىٰ الحكُومةِ بطبعِها وتوزيعِها حتَّىٰ يستفيدَ منها الخاصَّة والعامَّة علىٰ السَّواء؛ لما فيها من فوائدَ جمَّةٍ، ونصائح عامَّةٍ نافعةٍ لجميع المُسلِمين في دينِهم ودنياهُم؛ ولأنَّها تحضُّهم علىٰ التَّمسُّك بكتاب الله، وسنَّة رسولِهِ الأمين ﷺ، وعلىٰ اتِّباع السَّلَف الصَّالِح، والأئمَّة المبرّزين من علماءِ المسلِمين.

رحمَ اللهُ الشَّيخَ حافظًا الحكميَّ رحمةً واسعةً، وأسكنَه فسيحَ جنَّاته، وجزاه عمَّا قدَّم خيرَ الجزاءِ، وغفرَ له، ولوالدَيْه، ولشيخِهِ، ولجميعِ المُسلمين.

نبذة عن الشَّيخ العلاَّمة: حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أملاها الشَّيخ العلَّامة أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشَّيْخُ حَافِظُ بنُ أَحْمَدَ بن علي الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَرَفْتُهُ أَوَّلَ مَا دَخَلْتُ المَدْرَسَةَ السَّلَفِيَّةَ، فِي أَوَّلِ عام (١٣٦٠هـ)، وَجِئْتُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَتَدَاوَىٰ مِنَ الخِتَانِ، وكنَّا مُتَقَارِبَيْنِ فِي السِّنِّ وإن كان بيننا فترة، وَكنَّا مُتقاربين أيضًا فِي الخِلْقَةِ يعني كان من يرانا يقول عنَّا لِدَات، لَكِنْ هُوَ وُلِدَ فِي عَامِ (١٣٤٢هـ)، وَأَنَا وُلِدْتُ فِي عَامِ (١٣٤٦هـ)، وَقَدْ أَعْطَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الذَّكَاءِ الخَارِقِ والفَهْمِ العَظِيمِ شَيْئًا لا يُوصَفُ.

وَأَذْكُرُ أَنَّهُ مَرَّةً فِي عَامِ (١٣٦١هـ)، كَلَّفَنَا الشَّيْخُ عَبْدُ الله القَرْعَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَا وَإِيَّاهُ أَن نَحْفَظَ القرآن؛ فَأَنَا حَفِظْتُ في اليَوْمِ الأَوَّلِ ثُمنَ جُزءٍ، وَهُوَ حفظَ جُزءًا كَامِلًا، وفي اليَوْمِ الثَّانِي صَباحًا، عَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَعَرَضَ عَلَيَّ القُرْآنَ؛ بِمَعْنَىٰ أَنِّي حرسْتُ لَهُ، وَهُوَ حرسَ لِي، وَحَفظْتُ ثُمنًا، وَهُوَ حَفظَ الجُزْءَ الثَّاني، وحرست له أيضًا، وهو حرس لي، وكذلك في اليوم الثَّالث هكذا، ثمَّ بعد ذلك تفرَّقْنَا[1].

وَأَذْكُرُ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ عبد اللهِ القَرْعَاوِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عَامِ (١٣٦٠هـ)، كَانَ يَشْرَحُ لَنَا «بُلُوغ المرام»، وكان أَكْثَرُ الطَّلَبَةِ كِبَارًا وَمُلَازِمين له؛ مثل الشَّيخ

---

(١) أي: في مواصلَةِ الحفظِ اليَوميِّ مِنَ القُرآنِ.

منصور بهلول، ومحمّد جابر، ومرعي القحطاني، وعَمَّيَّ حسن وحسين، وعثمان وحسن ومحسن حملي، ومحمّد عثمان نجّار والشَّيخ ناصر خلوفة، وَغَيْرهم كثيرٌ يبْلُغُونَ أربعين طَالِبًا.

وَكُنْتُ أَصْغَرَهم سِنًّا، وكان الشَّيخ حَافِظٌ يَكْتُبُ، وَكَانَتْ كِتَابَتُهُ عَظِيمةً، وَفِي شَهْرِ رجب تُوُفِّيَتْ وَالِدَتُهُ، وَبَقِيَ والدُه، وكان يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَيَجِيءُ، وَفِي آخِرِ السَّنَةِ عَزَمَ عَلَىٰ الحجِّ هُوَ وَأَخُوهُ وَأَبُوهُ، وَسَافَرُوا، وَعِنْدَ رُجُوعِهم تُوُفِّيَ وَالِدُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هو وأخوه مُحَمَّدٌ وهو في ذاك الوقت لَمْ يَتزَوَّجْ، وَانْتَقَلَتِ المَدْرَسَةُ السَّلَفِيَّةُ مِنْ صامطة إلىٰ مسجد النّجاميّة عام (١٣٦١هـ)، وَجَلَسْنَا فِيهَا حَوَالي ثلاثة أشهر أو أربعة، وبعدَ ذلك انْتَقَلَتِ المدرسةُ إلىٰ الجرادية، ثُمَّ بَعْدَ ذلك عادت إلىٰ صامطة.

وفي عام (١٣٦٢هـ) كَلَّفَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الله بِأَنْ يَنْظمَ في التَّوْحِيدِ؛ فَنَظَمَ «سُلَّمَ الوُصُولِ»، وَنَظَمَ «القاتية»، وَبَعْدَهَا اشْتَغَلَ فِي التَّأْلِيفِ، وكان الشَّيْخُ عَبْدُ الله إذا انتهىٰ من الشَّرْحِ يَأْمُرُ الشَّيْخَ حافظًا أن يُعِيدَ الدَّرْسَ، فيعيده كما شرحه الشَّيْخُ عبدُ الله رحمهما الله.

وَفِي عَامِ (١٣٦٦هـ) سَافَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ الله القَرْعَاوِيُّ للحَجِّ، وَقَابَلَهُ مِنْ هُنَاك عَمُّهُ بِابْنِهِ وابْنَتِهِ الصِّغَار، وبعْدَ الحجِّ طلبَ الشَّيخُ عبد الله الشيخ حافظًا وزوَّجه، وعقَد له علىٰ ابنته الصَّغيرة، شقيقة محمَّد بن عبد الله القرعاويِّ، وكانت ضعيفةَ النَّظَرِ، وبعدَ رجوعهم من الحجِّ مُتأخِّرين، جلسُوا حوالي أربعة أشهر، وفي أثناء الطَّريق كان الشيخ عبد الله يريدُ منه أنْ يجلس في بَيش (أمّ الخشَب)، وأراد الله لهم أنَّهم لمَّا وَصلُوا إلىٰ قرية السَّلامة تَعطَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّيَّارَةُ وفيها كتبٌ وفيها

عفشهم، فَأَمَرَهُ الشَّيْخُ بِأَنْ يَفْتَحَ مَدْرَسَةً في السَّلامة، فَفَتَحَهَا واجتمع عليه الطُّلاب بعد ذلك، وفي آخِرِ العام كَلَّفَهُ الشَّيْخُ أن يَنْتَقِلَ إلىٰ بيش، فَانْتَقَلَ إلىٰ بيش (أم الخشب).

واسْتَمَرَّ فيها يدرّس وَيُؤَلِّفُ، وَفِي أَوَّلِ عام (١٣٧٣هـ) عُيِّنَ الشَّيخُ عبدُ الله القرعاوي مديرًا للتَّعليم بمنطقة جازان، وعُيِّن الشَّيخُ حافظٌ مساعدًا له، وكان يُدَرِّسُ في الثَّانَوِيَّةِ، وفي أثناء عام (١٣٧٣هـ) كان الشَّيْخُ عبدُ الله يَتَرَدَّدُ علىٰ الرِّيَاضِ، يُطَالِبُ فِيهَا بِفَتْحِ مَعْهَدٍ عِلْمِيٍّ في صامطة، وَفِعْلًا فُتِحَ المَعْهَدُ، وَعُيِّنَ الشَّيْخُ عَبْدُ الله مديرًا للمعهد، وعُيِّنَ مَعَهُ مُدَرِّسُون مثل الشَّيخ ناصر خلوفة، والشَّيخ محمد عثمان نجّار - رحمهما الله -، وَبَعْدَ ذَلِكَ انْتَقَلَ الشَّيْخُ حافظٌ إلىٰ صامطة، وَبَقِيَ فِيهَا إِلَىٰ أَنْ تَوَفَّاهُ الله عَزَّوَجَلَّ في آخر عام (١٣٧٧هـ)، وعُمْرُه (٣٥) سنة وأشهر.

أحمد بن يحيى النَّجمي



مقدِّمة المؤلِّف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: ١-٣].

وَأَشهد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك له، أَحَدٌ صَمَدٌ، لم يَلِدْ ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَأَشْهَدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه؛ أرسله بالهدىٰ ودين الحقِّ؛ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣]، صَلَّىٰ اللهُ عَليه وَسلَّم وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ قَضَوا بالحقِّ، وبِهِ كانُوا يَعْدِلُون، وَعَلَىٰ التَّابِعِينَ لَهُم بإحسانٍ، الَّذين لا يَنْحَرِفُون عن السُّنَّةِ وَلَا يَعْدِلُون، بل إيَّاها يَقْتَفُون، وَبِهَا يَتَمَسَّكُون، وَعَلَيْهَا يُوَالُون وَيُعَادُون، وَعِنْدَها يَقِفُون، وَعَنْهَا يَذُبُّون وَيُنَاضِلُون، وَعَلَىٰ جَمِيعِ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُم، وَقَفَا أَثَرَهُم إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُون.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جَلِيلٌ نَافِعٌ، عَظِيمُ الفَائِدَةِ، جَمُّ المَنَافِعِ، يَشْتَمِلُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الدِّين، وَيَتَضَمَّنُ أُصُولَ التَّوْحِيدِ، الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الكُتُبُ، ولا نَجَاةَ لِمَنْ بِغَيْرِهِ يَدِينُ، وَيَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلىٰ سُلُوكِ المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ وَمَنْهَجِ الحَقِّ المُسْتَبِين، شَرَحْتُ فيه أُمُورَ الإيمان وَخِصَالَهُ، وما يُزِيلُ جَمِيعَه أو يُنَافِي كَمَالَهُ، وَذَكَرْتُ فيه كُلَّ مسألة مَصْحُوبَةً بدليلِها؛ ليتَّضح أَمْرُها، وتتجلَّىٰ حقيقتُها، ويَبِينَ سَبِيلُها.

وَاقْتَصَرْتُ فيه علىٰ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ والاتِّباع، وأَهملْتُ أقوالَ أَهلِ الأَهواءِ والابتداع؛ إِذْ هِيَ لا تُذْكَرُ إِلَّا للرَّدِّ عليها، وَإِرْسَالِ سِهَامِ السُّنَّةِ عَلَيْهَا.

وَقَدْ تَصَدَّىٰ لِكَشْفِ عَوَارِهَا الأَئِمَّةُ الأَجِلَّةُ، وَصَنَّفُوا في ردِّها وإبعادها المصنَّفات المستقلَّة، مع أَنَّ الضِّدَّ يُعْرَفُ بِضِدِّهِ، ويخرج بتعريف ضابطه وَحَدِّهِ، فإذا طلعت الشَّمْسُ لم يَفْتَقِرِ النَّهارُ إِلىٰ استدلال، وإذا استبان الحقُّ واتَّضَحَ فما بعده إِلَّا الضَّلال.

وَرَتَّبْتُهُ علىٰ طَرِيقَةِ السُّؤَالِ؛ لِيَسْتَيْقِظَ الطَّالبُ وَيَنْتَبِهَ، ثُمَّ أُرْدِفُهُ بالجَوَابِ الَّذِي يَتَّضِحُ الأَمْرُ به ولا يَشْتَبِهُ، وَسَمَّيْتُهُ: **«أعلام السُّنَّة المنشورَة لاعتقادِ الطَّائفة النَّاجية المنصورَة»**.

واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهُ ابتغاءَ وَجْهِهِ الأعلىٰ، وَأَنْ يَنْفَعَنا بِمَا عَلَّمَنَا، وَيُعَلِّمَنا ما يَنْفَعُنَا؛ نِعْمَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِعِبَادِهِ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، وَإِلَيْهِ المَرْجِعُ والمَصِيرُ، وَهُوَ مَوْلانا، فَنِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.



س١: ما أوَّلُ ما يَجبُ على العِبَادِ؟

ج: أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَىٰ العِبَادِ مَعْرِفَةُ الأَمْرِ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللهُ لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ المِيثَاقَ به(١)، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِم، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِم، وَلِأَجْلِهِ خُلِقَتِ الدُّنيا والآخرة، والجنَّةُ والنَّار، وَبِهِ حقَّتِ الحاقَّةُ، وَوَقَعَتِ الوَاقِعَةُ، وَفِي شَأْنِهِ تُنْصَبُ المَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ والسَّعَادَةُ، وَعَلَىٰ حَسَبِهِ تُقْسَمُ الأَنْوَارُ؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: ٤٠].

الشرح:

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين:

رُبَّما فكَّرَ الإنسانُ، ما الهَدَفُ مِنْ خَلْقِ هَذِهِ الخَلِيقَةِ؟ وَمَا الهَدَفُ مِنْ خَلْقِهِ هُوَ؟ وإذا فكَّر هذا التَّفكُّر، فأين يجدُ الإجابة؟

لا يجد الإجابةَ الصَّحيحةَ عليه إلَّا في كُتب الله المُنَزَّلَةِ، وعلىٰ أَلْسِنَةِ رسله المُرْسَلَةِ - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -؛ فهُم الَّذين دَعَوْا إلىٰ عبادةِ الله وحده، وما مِن رسولٍ مُرْسَلٍ ونبيٍّ يُبْعَثُ إلَّا وهو يأمر بعبادة الله وحدَه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦](٢).

أمَّا ما تتوجَّسُهُ العُقُولُ وَمَا تتصوَّرُهُ الأذْهَانُ عَنْ أَصْلِ الخَلْقِ والحِكْمَةِ فيه،

---

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٢) وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

مِن دُونِ رُجوعٍ إلىٰ الوحْيِ، فكُلُّ ذلك باطلٌ، وَتَصوُّرَاتٌ في غَيرِ مَحلِّهَا.

فَالعَبْدُ مَخْلُوقٌ للعبادة، وهذه العبادةُ مِن أجْلِها خلق الله الخليقة وأوْجَدَ اللهُ الدُّنيا والآخرةَ، وَأَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ، وَمِنْ أَجْلِهَا أَنْزَلَ اللهُ الكُتُبَ، وَمِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ والنَّارَ، ومِن أَجْلِها حقَّتِ الحَاقَّةُ، ووَقَعَتِ الواقِعةُ والقارعةُ[1]، والمُرادُ به: القيامَةُ، وَعُبِّرَ عنه بالماضي؛ لِتحقُّقِ وُقوعِه، حتَّىٰ كأنَّه قَدْ حصَلَ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ [النحل: ١].

وَمِنْ أَجْلِ ذلك تُنْصَبُ المَوازِينُ؛ لِوَزْنِ السَّيِّئَاتِ والحَسَنَاتِ[2]، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَتَطَايَرُ الصُّحُفُ[3]، فَهَذَا يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَهَذَا يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ[4]، وَمِن أَجْلِ العِبادَةِ وَقَعَتِ الشَّقَاوَةُ والسَّعادَةُ، عَلَىٰ حَسَبِ الأَخْذِ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ واتِّباعِه، أَوْ تَرْكِهِ واجْتِنَابِهِ؛ فَلَا نَجاةَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّارِ إلَّا باتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُم فِي الدُّنْيَا فَلَا نَجَاةَ لَهُ فِي البَرْزَخِ، ولا في يَوْمِ القِيامَةِ؛ لأنَّه ما بَعْدَ الدُّنْيا

---

(١) هذه مِن أسماءِ يومِ القيامَةِ؛ قال الله سُبحانَهُ وتعالَىٰ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقة: ١ - ٤]، وقال عزّوجلّ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

(٢) قال الله سُبحانَهُ وتعالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(٣) قال الله سُبحانَهُ وتعالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

(٤) قال الله سُبحانَهُ وتعالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ١٨ - ٢٩].

مِنْ دارٍ إلَّا الجَنَّة والنَّار.

فالسُّعَداءُ بَعْدَ مَوْتِهم يَنالُون مِنَ السَّعادَةِ ما لا يُوصَفُ، وَتكونُ أَرْواحُهُم فِي حَواصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَهْوِي إلىٰ قَناديل مُعلَّقَةٍ بِالعَرْشِ، وَتَسْرَحُ في الجَنَّةِ[(١)].

وأَمَّا أَهْلُ الشَّقاوَةِ في سِجِّين - والعِياذُ بالله -، وَسِجِّين أَسْفَل الأَرْضِ السُّفْلَىٰ، وَعِلِّيِّين فَوْق السَّماءِ السَّابِعَةِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ؛ بَيْنَ مَنْ يَكُونُ فِي عِلِّيِّين، وَمَنْ يَكُونُ في سِجِّين، والعِيَاذُ بالله.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَخْبَرَنَا في سورة (المطفِّفين)، أَنَّ السُّعداءَ يَكونُون في عِلِّيِّين، والأَشقياءَ يَكُونون في سِجِّين، وأَنَّهم عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجوبون[(٢)].

فَمَنِ اقْتَبَسَ نُورًا مِن الوَحْيِ فِي هذهِ الدُّنْيَا، وَهُوَ نُورٌ مَعْنَوِيٌّ، كان له نورًا حِسِّيًّا يَوْمَ القِيامَةِ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) أخرج مسلمٌ (١٨٨٧): عن مسروقٍ، قال: «سألْنَا عبدَ الله -أي: ابنَ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال: «أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

(٢) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: ٧ - ٢١].

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣].

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ لم يَكُنْ له نورٌ يومَ القِيامَةِ[1]؛ لأنَّ الاسْتِنارَةَ بِالوَحْيِ مَعْنوِيًّا، يَنْقَلِبُ يَوْمَ القِيامَةِ نُورًا حِسِّيًّا، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النُّور: ٤٠].



س٢: مَا هُوَ ذَلِكَ الأَمْرُ الَّذِي خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ لِأَجْلِهِ؟

ج: قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

الشرح:

إذًا مَا الحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ والجِنَّ والإِنْسَ والملائكةَ وكلَّ المَخْلُوقاتِ؟

---

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٢ - ١٣].

الحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ هَؤُلاءِ جَمِيعًا، وَهَذَا الكَوْنَ بِأَسْرِهِ: هِيَ العِبَادَةُ، والِابْتِلَاء بها؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ١، ٢].

وقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ١، ٢].

فاللهُ خَلَقَنَا أَصْلًا للعبادة، وابْتَلَانا بالمُضادِّ، مِنْ أَجلِ أَنْ يَتبيَّنَ مَنْ هُوَ الَّذي يَتَّبعُ أَمْرَ الله عَزَّوَجَلَّ وَأَمْرَ رُسلِه، وَمَنْ هُوَ الَّذي يَتَّبعُ المُضادَّ مِن أُمُورِ الدُّنْيا؟

فالشَّيْطَانُ الَّذِي أَخْرَجَ أَبَانَا آدَمَ مِنَ الجَنَّةِ، يُرِيدُ أَنْ يَصْرِفَنَا عَنِ العِبَادَةِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ نَكُونَ مَعَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ[1]. والشَّيْطَانُ يَأْتِينا مِنْ قِبَلِ الهَوَىٰ تَارَةً، وَمِنْ قِبَلِ الشَّهْوَةِ تَارَةً، وَمِنْ جِهَةِ الأَطْمَاعِ تَارَةً، وَمِنْ جِهَةِ الشُّبُهَاتِ أُخْرَىٰ[2]، وَيَسْتَعِينُ بِحِزْبِهِ مِنَ الجنِّ وإخوانه مِن الإِنْسِ الَّذين يَمْشُون في طَاعَتِهِ، وَيَأْتَمِرُون بِأَمْرِهِ، وَيَسْعَون فِيمَا يَأْمُرُهم به، فَمَنْ أَطَاعَهُم أَضَلُّوه؛ قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ

---

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝٦٣﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٣].

(٢) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الشَّيطان الرَّجيم: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصِّلت: ٢٥][(١)].

فَقُرَنَاءُ السُّوءِ، والشَّيَاطِينُ، والشَّهَوَاتُ، والشُّبهات، والأَطْمَاعُ، والأَهْوَاءُ، والدُّنْيَا بزِينَتِهَا ولَذَّتها، كلُّها صَوارِفُ تَصرِفُنَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثمَّ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ الرُّسُلُ، والكُتُبُ، وقُرَنَاءُ الخَيْرِ، والنَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ، ودُعَاةُ الخَيْرِ، هؤلاء هُمُ الَّذِين يُقَابِلُون أُولَئِكَ، وتَتِمُّ المُزَاحَمَةُ والمُصَاوَلَةُ للاستيلاء علىٰ القُلُوبِ؛ فَمَنِ اسْتَوْلَىٰ علىٰ قَلْبِهِ الشَّيْطَانُ، واسْتَحْكَمَتْ فِيهِ الشَّهَوَات، والشُّبُهَات، والأَهْوَاء، والأَطْمَاع، عِنْدَئِذٍ يَكُونُ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ، ومَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خيرًا فاتَّبَعَ كِتَابَ اللهِ، وسُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، واتَّبَعَ دُعَاةَ الخَيْرِ وأَهْلَ الخَيْرِ، ومَنْ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الصَّلَاحِ؛ فَأَمَّ المَسَاجِدَ، وقَرَأَ القُرْآنَ، واسْتَمَعَ إِلَىٰ الذِّكْرِ والمَوَاعِظِ، ونَهَىٰ نَفْسَهُ عَنِ الهَوَىٰ، وحَجَزَ نَفْسَه عنِ الشُّبُهاتِ؛ عِنْدَئِذٍ يَكُونُ مِنَ النَّاجِينَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فاللهُ مَا خَلَقَ هَذَا الكَوْنَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، تِلْكُمُ الحِكْمَةُ هِيَ الابْتِلَاءُ بالعبادَةِ، والابتلاءُ بِمُضَادِّهَا؛ حتَّىٰ يَتَبَيَّنَ الَّذِي يُرِيدُ اللهُ به الخيْرَ، والَّذِي يُرِيدُ به الشَّرَّ.

والنَّاسُ يَنْقَسِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ سُعَداء وأَشْقِيَاء، والسُّعَدَاءُ فِي الأَشْقِيَاءِ قَلِيلٌ؛ يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«يَقُولُ الله تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ**

---

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ؟ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أُرَاهُ قَالَ: تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ -، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ»(١).

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»(٢).

وَالمُهِمُّ: أَنَّ السَّعَادَةَ تَنْبَنِي عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَاتِّبَاعِ كُتُبِهِ، وَالشَّقَاوَةُ تَكُونُ بِضِدِّ ذلك لِمَنْ كَذَّبَ بِالرُّسُلِ، وَكَذَّبَ الكُتُبَ، وَاسْتَخَفَّ بِهَا، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جَاءَ فِيهَا؛ فَهَذَا يَكُونُ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ(٣).



---

(١) أخرجها البخاريُّ (٤٧٤١).

(٢) أخرجهُ البُخاريُّ (٣٣٤٨)، ومسلمٌ بنحوه (٢٢٢)، من حديثِ أبي سعيدِ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٢٧﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

س٣: ما مَعْنَى العَبْدِ؟

ج: العَبْدُ إنْ أُرِيدَ بِهِ المُعَبَّد أي المُذَلَّل المُسَخَّر، فَهُوَ بِهَذَا المَعْنَى شَامِلٌ لِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ مِنَ العَوالِمِ العُلْوِيَّةِ والسُّفْلِيَّةِ؛ مِنْ عَاقِلٍ وَغَيْرِهِ، وَرَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَمُتَحَرِّكٍ وَسَاكِنٍ، وَظَاهِرٍ وَكَامِنٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الكُلُّ مَخْلُوقٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ، مَرْبُوبٌ لَهُ، مُسَخَّرٌ بِتَسْخِيرِهِ، مُدَبَّرٌ بِتَدْبِيرِه، وَلِكُلٍّ مِنْهَا[1] رَسْمٌ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَحَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى لا يتجاوزه مِثقالَ ذَرَّةٍ، ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَتَدْبِيرُ العَدْلِ الحَكِيمِ.

وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ العَابِدُ المُحِبُّ المُتَذَلِّلُ، خُصَّ ذَلِكَ بِالمُؤْمِنِين، الَّذين هُم عِبادُهُ المُكْرَمُون، وَأَوْلِيَاؤُهُ المُتَّقُون، الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُون.

الشرح:

العُبُودِيَّةُ: عُبُودِيَّةٌ عامَّةٌ وخاصَّةٌ؛

فَالعُبُودِيَّةُ العَامَّةُ: الشَّامِلَةُ لِكُلِّ مَنْ فِي هَذَا الكَوْنِ ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرَّعد: ١٥]، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فَهَذِهِ الآيَاتُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا فِي هَذَا الكَوْنِ، فَهُوَ عَبْدٌ مُسَخَّرٌ للهِ، مَقْهُورٌ بِقَهْرِهِ، مَحْكُومٌ بِقَدَرِهِ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا؛ لا ضرًّا، ولا نَفْعًا، إِلَّا بِقَدَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ سواءً كان عاقلًا أَمْ غَيْرَ عَاقِلٍ، وَسَوَاءً كَانَ حَيًّا مُتَحَرِّكًا أو جامدًا.

كُلُّ هؤلاء عبيدٌ للهِ؛ حتَّى السَّمواتُ والأرضون دَاخِلَةٌ فِي هَذِهِ العُبُودِيَّةِ، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ

(١) في نسخةٍ: «منهم»، وفي أخرى: «منهما».

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١١ - ١٢].

أمَّا العبوديَّة الخاصَّة؛ فهي عبوديَّة المؤمنين الَّذين يَتَعَبَّدُون لله مُخْتَارِين طَائِعين؛ فهؤلاء هم أصحابُ العُبوديَّة الخاصَّة لله رَبِّ العَالمين؛ وهم أهل النَّجاة الَّذين قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤][1].



س٤: ما هي العبادة؟

ج: العِبَادةُ: هي اسمٌ جَامِعٌ لكلِّ ما يُحِبُّه اللهُ ويَرْضَاه؛ مِن الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، والبَرَاءة مِمَّا يُنَافي ذلك ويُضَادُّه[2].

---

(١) وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

(٢) قال الشَّيخُ أحمدُ النَّجْمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعلِّقًا: «الله سبحانه أوجبَ الإيمانَ به، والكُفر بالطَّاغوت: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فمَن آمَنَ باللهِ، ولكِن لَم يَكفُر بالطَّاغوتِ، لم يكُن إيمانُهُ صَحِيحًا؛ حتَّىٰ يكفرَ بالطَّاغُوتِ؛ إذ إنَّ الطَّاغوت هو: كلُّ ما تَجاوَزَ به العَبدُ حدَّه مِن معبُود، أو مَتبُوع، أو مُطَاع، كمَا قالَ ابنُ القيِّم.

فمَعنَىٰ العُبُوديَّة والعِبَادَة: أن يكُونَ فِعلُ العَبدِ عبوديَّة للهِ سواءً كان اعتِقَادًا كالإقرارِ بالتَّوحيدِ، والعملِ به، واعتِقَادِ الصَّلَاة، وأدائِها، والاعتِقَاد بفَرضِيَّة الزَّكاة، وأدائِها، وكذلك الصَّوم، والحجِّ، ومَا أشبَه ذلك.

وكذلك التُّروك كاعتِقَاد تحريمِ الشِّرك باللهِ، والعَمَل علىٰ ذلك بتَركِ الشِّركِ ومُعَادَاة أهلِهِ، وكذلك سَائِر التُّروك: كترك الزِّنَىٰ، ومقدِّماته، وتَحريم السَّرقَة، والغشِّ، وأَخذ الأموَال بغيرِ حقٍّ، وترك السِّحر، والكَهَانَة، وبُغض أصحابِها، ومَا إلىٰ ذَلِكَ مِن الأُمُورِ التَّركيَّة الَّتي حرَّمها اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

فالعِبَادةُ هي: اعتقادٌ، وفعلٌ، وتروكٌ».

الشرح:

العِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، مِنَ الأَقْوَالِ، والأَعْمَالِ، الظَّاهِرَةِ، والبَاطِنَةِ، وَهَذَا أَحْسَنُ مَا عُرِّفَتْ بِهِ العِبَادَةُ(١)؛ فالتَّلَفُّظُ بالشَّهَادَتَيْنِ عِبَادَةٌ، والصَّلاةُ عِبَادَةٌ، والزَّكَاةُ عِبَادَةٌ، والصَّوْمُ عِبَادَةٌ، والحَجُّ عِبَادَةٌ، وَبِرُّ الوَالِدَيْنِ عِبَادَةٌ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ عِبَادَةٌ، وَتَرْكُ الزِّنَا عِبَادَةٌ، وَتَرْكُ شُرْبِ الخَمْرِ عِبَادَةٌ، وَتَرْكُ قَتْلِ النَّفْسِ الحَرَامِ عِبَادَةٌ، وَتَرْكُ البَغْيِ عِبَادَةٌ، وَتَرْكُ الاعْتِداءِ علَىٰ النَّاسِ عِبادَةٌ، وَاحْتِرَامُ أَمْوَالِ الغَيْرِ عِبَادَةٌ، وتَرْكُ السَّرِقَةِ، وَتَرْكُ الغِشِّ، وَتَرْكُ الخِيَانَةِ، وَتَرْكُ الخِدَاعِ، وَتَرْكُ المَكْرِ، وَتَرْكُ الكَيْدِ، وَتَرْكُ الكَذِبِ، كلُّ ذلكَ عِبادَةٌ.

وَهُنَاكَ عِبادَةٌ تتعَلَّقُ بِالعَيْنِ؛ وَهِيَ البَصَرُ، وَعِبَادَةٌ تتعَلَّقُ بالأُذُنِ؛ وَهِيَ السَّمْعُ، وَعِبَادَةٌ تَتعلَّقُ بِاليدِ، وَعِبادةٌ تتعَلَّقُ بِالرِّجْلِ، وَعِبادةٌ تتعَلَّقُ باللِّسان، وعبادةٌ تتعلَّق بالفم؛ بألَّا تأكلَ فيه إلَّا شيئًا حلالًا، وألَّا تشربَ فيه إلَّا شَيْئًا حلالًا، وَعِبَادَةٌ تَتعَلَّقُ بِالجَوْفِ وَالفَرْجِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنِ لِي مَا بَيْنَ لحيَيْهِ**(٢)**، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(٣)، وَمُعَامَلَةُ الكُفَّار وَدعْوَتُهُم إِلَىٰ عِبَادَةِ الله عِبَادَةٌ، وهكذا.



(١) وهذا التَّعريفُ اشتَهَرَ عن شيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة، طَيَّبَ اللهُ ثَرَاه. انظر: «العبوديَّة» (ص٤٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩).

(٢) «ما بين اللَّحيَيْنِ»: المُرادُ به: اللِّسانُ، واللَّحْيَان: العَظْمَان اللَّذان بِجَانِبِ الفَم. انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير»، للمنَاوِي (١/ ٨٥٣)، الطَّبعة الثَّالثة، مكتبة الإمَام الشَّافِعِي - الرِّياض (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

(٣) أخرجَهُ البخاريُّ (٦٤٧٤) من حديثِ سَهْلِ بن سعدٍ رضي الله عنه.

وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ فرقةَ الخوارج يمرقون من الدِّين مُرُوقَ السَّهم من الرَّميَّة، وأنَّهم شرُّ الخَلْق والخليقة، وأنَّهم كلابُ النَّار، وما ذلك إلَّا لأنَّهم تركوا السُّنَّة الَّتي حَمَلها أصحابُ رسول الله ﷺ؛ فلم تنفعهم قراءتهم للقرآن، ولا كثرة صلاتهم وعبادتهم، بل كانوا كلاب النَّار.

وقال عنهم النَّبيُّ ﷺ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(١)].

وفي روايةٍ: «قَتْلَ ثَمُود[(٢)]...» الحديث[(٣)].

ما هو السَّبب الَّذي جعل الخوارج يضلُّون؟

السَّبب الَّذي جعلهم يضلُّون: أنَّهم تركوا المصدر الثَّاني من مصادر الشَّريعة وكفَّروا حملته، وأنكروا فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وحَكَمُوا عليهم بالرِّدَّة والخلود في النَّار، ورأوا الخروج على الوُلَاة، فخرجوا على عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقاتلهم حتَّى قتل فيهم مقتلةً عظيمةً.

وعلى هذا؛ فمن ابتغى الهُدى من غير مصادره، أضلَّه اللهُ، ومصادر الشَّريعة: كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، لا يُغني أحدهما عن الآخر؛ فالقُرآن لا يُعرَف معناه ومقاصده إلَّا بالسُّنَّة وبعمل الصَّحابةِ رضوان الله عليهم.

وَقَدْ أنكر عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مَنْ قال له: «لا تتحدَّثوا إلَّا بما في القُرْآنِ»، فقالَ لهُ عِمرانُ بنُ حُصينٍ: «إنَّكَ لَأَحمَقُ، أَوَجَدْتَ في القُرْآنِ: صَلَاةَ الظُّهرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَالعَصرَ أَرْبَعًا لَا تَجْهَرُ في شَيءٍ مِنْهَا، وَالمغرِبَ ثَلَاثًا تَجْهَرُ بِالقِرَاءَةِ في

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٣٤٤)، ومسلمٌ (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: أستأصلهم بالقتل كما استؤصلتْ ثمودُ.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٤٣٥١)، ومسلمٌ (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَكْعَتَينِ وَلَا تَجْهَرُ بالقِرَاءَةِ في رَكْعَةٍ، وَالْعِشَاءَ أَرْبعَ رَكَعَاتٍ تَجْهَرُ بالقِرَاءَةِ فِي رَكْعَتَينِ وَلَا تَجْهَرُ بالقِرَاءَةِ فِي رَكْعَتَينِ، وَالْفَجْرَ رَكْعَتَينِ تَجْهَرُ فِيهِمَا بِالقِرَاءَةِ؟!»[(١)].

يعني: أنَّ السُّنَّة مُبيِّنةٌ للقُرآن، والَّذين بلَّغوا السُّنَّة هم أصحابُ رسولِ الله ﷺ؛ فعليهم مدارُ السُّنَّة، وبهم الاقتداءُ، وفيهم القُدوةُ، وعلينا الاتِّباع لطريقتهم ونهجهم وما كانوا عليه، ومَنْ لم يَفعَلْ ذلك فَقَدْ ضلَّ وابتدعَ.

قال الإمامُ البربهاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَكُلُّ بدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

أي: كلُّ ما ابتدع في الدِّين فهو ضلالةٌ؛ لأنَّ المبتدع يلزمه بابتداعه أمران:

١- إمَّا أن يقول: إنَّ الإسلام قَدْ كمل، وليس بحاجةٍ إلىٰ زيادةٍ ولا إلىٰ تكميلٍ؛ وحينئذٍ يُعتبَر قَدْ شهد علىٰ نفسه بالضَّلالة؛ لأنَّه أدخل في الدِّين ما ليس منه.

٢- وإمَّا أن يقول: إنَّ الدِّين ليس بكاملٍ، وهذا يلزم كلَّ مبتدعٍ، فكأنَّه يقول بلسان حاله: إنَّ الدِّين ناقصٌ، فهو يحتاج إلىٰ إكمالٍ، وهذا فيه استدراكٌ علىٰ القُرآن، واتِّهامٌ لمُبلِّغ الشَّريعة - صلوات الله وسلامُه عليه - بأنَّه قَدِ انتقص من الشَّرع، أو جهل شيئًا منه، وهذا المبتدع يدَّعي أنَّه علم ما لم يعلمْه رسولُ الله ﷺ.

ولهذا قال مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنِ ابْتَدَعَ في الإِسْلَام بدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا فَلَا يَكُونُ الْيَومَ دِينًا»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (١/ ٢٣٢ - ٢٣٣) (٦٥)، والبيهقيُّ في «الكُبرىٰ» (٣٠٦٩)، وفي سندِه عليُّ بن جُدعان، قال أبو زُرعةَ وأبو حاتمٍ: «ليس بِقويٍّ»، وقال البُخاريُّ: «لا يُحتجُّ به». «السِّير» (٥/ ٢٠٧ الرسالة).

(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٦/ ٢٢٥)، وانظر: «الاعتصام» للشَّاطبي (١/ ٦٥، ٦٦).

ومن هنا يتبيَّن أنَّ كلَّ بدعةٍ في الإسلام فهي تُسمَّى ضَلالةً؛ لاستلزامها هذه الأمور، وَقَدْ جاء في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١)، وفي بعض الرِّوايات: «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(٢)، ولهذا قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والضَّلال وأهله في النَّار.

قول المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً، فَقَدْ بُيِّنَتْ الأُمُورُ، وَثَبَتَتْ الحُجَّةُ، وانْقَطَعَ العُذْرُ»(٣).

هذا كلامٌ عظيمٌ، خرج من رجلٍ عظيمٍ، ذلكم الرَّجل هو الخليفة الثَّاني عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا يستلزم أنَّ مَنْ ركب ضلالةً حَسِبَها هُدًى، أو ترك هُدًى حَسِبه ضلالةً، فإنَّه لا عُذر له عند الله؛ لأنَّه لا يفعلُ ذلك إلَّا مَنْ قصَّر في البحث عن الحقِّ في الكتاب والسُّنَّة، فلذلك لا عُذْرَ له.

ولهذا قال: «فقد بُيِّنت الأمور» أي: وضحت مِنْ كتاب الله ومِنْ سُنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومِنْ عملِ الصَّحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، و«ثبتتْ الحُجَّة» أي: علىٰ النَّاس؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، و«انقطع العذرُ»، أي: لا عذرَ لمَنِ ابتدعَ في الدِّين، أو ضلَّ وجهِل أحكامًا بعد أن بيَّنها الله

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه النَّسائيُّ (١٥٧٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إصلاح المساجد» (ص١١)، و«إرواء الغليل» (٣/ ٧٣) تحت رقم (٦٠٨).

(٣) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطَّة (١/ ٣٢٠) (١٦٢).

وأوضحها علىٰ لسان رسوله ﷺ بما أوحاه إليه من كتابٍ وسُنَّةٍ.

قول عمر ﷺ: «وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلِّه، وتَبَيَّنَ للنَّاسِ، فَعَلَىٰ النَّاسِ الاتِّبَاعُ».

أقولُ: عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة بَيِّنةٌ في مصادرها، ومرتبطةٌ بالسُّنَّة وأهلها، فمَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُوفِّقه لتلك المصادر، ويُيسِّر له صُحْبةَ حَمَلةِ هذه العقيدةِ، وأقصدُ به حَمَلةَ مذهبِ أهل السُّنَّة والجماعة.

ومَنْ أراد الله به شرًّا، فإنَّه سَيُيسَّر لِمَا خُلق له؛ فمَنْ نشأ علىٰ أيدي أهل الصُّوفيَّة والتَّصوُّف حسِبَ أنَّ ذلك هو الهدىٰ، فَضَلَّ وأضلَّ.

ومَنْ نشأ علىٰ أيدي أصحاب العقيدة الجهميَّة، وعاش عليها، وصحب أهلها، حسِبَ أنَّ تلك هي السُّنَّة، فَضَلَّ وأضلَّ.

ومَنْ نشأ علىٰ أيدي أصحاب الفكر الاعتزاليِّ، حسِبَ أنَّ ذلك هو السُّنَّة، فضلَّ وأضلَّ.

ومَنْ نشأ علىٰ أيدي أصحاب العقيدة الأشعريَّة، حَسِبَ أنَّ تلك هي السُّنَّة، فضلَّ وأضلَّ.

ومَنْ نشأ علىٰ أيدي أهل الرَّفض والتَّشيُّع الشَّتَّامين لأصحاب النَّبيِّ ﷺ والمنتقصين لهم، حَسِبَ أنَّ هذا هو الحقُّ، فضلَّ وأضلَّ.

ومَنْ نشأ علىٰ أيدي الخوارج التَّكفيريِّين حَسِبَ أنَّ ذلك هو الحقُّ، فَضَلَّ وأضلَّ.

لكن أهل هذه الأهواء لابدَّ أن يجدوا ثغراتٍ في عقيدتهم تُبيِّن لهم خلَل المنهج الَّذي هم عليه في الاعتقاد، وهكذا أصحاب الإرجاء، وهكذا أصحاب الدَّعوات المعاصرة الَّتي تعتني بالفضائل، وتستهين بالعقائد، حتَّىٰ يحسب

النَّاس أنَّهم علىٰ حقٍّ لما يرون مِن التَّمسُّك الظَّاهر عليهم، وهم مع ذلك قَدْ زهدُوا في أصل العقيدة، وزَهَّدُوا في توحيد الأُلوهيَّة، واستهانوا بما يقدح فيه وينقصه.

والمهمُّ أنَّ مَنْ يريد النَّجاة؛ فعليه بكتاب الله، ثمَّ بكتب السُّنَّة المعروفة، وهي: (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسُّنن الأربع، ومسند الإمام أحمد)، وما يتبع ذلك مِن كُتب الحديث، وما يجمع آثار السَّلف؛ كمصنّف ابن أبي شيبة، ومصنّف عبد الرَّزَّاق، ومصنّف سعيد بن منصور.

وكتب العقائد؛ كـ«توحيد ابن خُزيمة»، و«الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة» للإمام أحمد، وكتاب «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد، و«الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة» لعُثمان بن سعيد الدَّارمي، و«شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» للَّالكائي، وكتاب «الإبانة الكُبرىٰ» لابن بطَّة، وكُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيِّم، ومحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وغير ذلك من الكتب، فهذه هي الكتب الَّتي تُبيِّن الحقَّ.

وإيَّاك أنْ تنزلق مع الحزبيِّين، فتأخذ كتبُهم، وتسلك طريقهم الضَّيِّق، وتمشي علىٰ نَهْجهم المُعوجِّ.

احذر يا أخي المسلم أنْ تأخذَ كتُب هؤلاء؛ فإنَّ حقَّها مخلوطٌ بالباطل، وسُنَّتها مَشُوبةٌ بالبدعة، فإذا أردتَ المشرَبَ الصَّافي الَّذي لا كَدَر فيه؛ فعليك بكتاب الله، وكتب السُّنَّة والآثار، واسلُك طريقة أهل الأثر الَّذين يأخذون العلم بالسَّند عن أصحاب رسول الله ﷺ عن نَبيِّهم - صلوات الله وسلامُه عليه -، وما قالوه، فإنَّه لا يخالف الحقَّ الَّذي هم عليه.

ومِنْ هنا تعلمُ أنَّ قولَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ

الدِّينِ كُلِّهِ وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ، فَعَلَى النَّاسِ الاتِّبَاعُ» كلامٌ في محلِّه.

ويلزمك أيضًا تركُ كتُب أهل البدع إنْ أردتَ النَّجاةَ لنفسِك، وَفَّقني اللهُ وإيَّاك إلى الأخذ بالحقِّ، ونبذ كُلِّ باطلٍ، وبالله التَّوفيق.



السَّوادُ الأعظمُ: الحقُّ وأهلُه

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أنَّ الدِّينَ إنَّمَا جاء مِنْ قِبَلِ الله - تبارَكَ وتعَالَىٰ -، لَمْ يُوضَعْ عَلَىٰ عُقُولِ الرِّجَالِ وآرائِهِم، وعِلْمُهُ عندَ اللهِ وعِنْدَ رسُولِهِ، فلا تَتَّبِعْ شَيئًا بِهَوَاكَ، فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ الإسْلامِ؛ فَإِنَّهُ لا حُجَّةَ لَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الجَمَاعَةُ، وَهُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الأَعْظَمُ: الحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في شَيءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ.

الشرح:

أقولُ: تَتردَّد مثل هذه العبارة في كلام المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ومثلُ هذا يُحمَل علىٰ واحدٍ من ثلاثةِ أمورٍ:**

١- إمَّا أنْ يُحمَلَ علىٰ أنَّه يُريد: مَنْ جحد شيئًا من عقائد الدِّين الأساسيَّة؛ فقد كَفَر.

٢- وإمَّا أنْ يُريدَ بأنَّ عملَه ربَّما أدَّىٰ إلىٰ الكفر.

٣- وإمَّا أن يريد أنَّ المقصودَ به كفرٌ دون كفرٍ، أي: كفر النِّعمة، وليس كلُّ مَنْ خالف شيئًا ممَّا عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ يكفرُ كُفرًا يُخرجُ مِن الإسلام، فهذا ليس مِن عَقيدةِ أهل السُّنَّة والجماعة.

فقد قال أنسُ بنُ مَالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما قَدِمَ المدينة في آخر عُمُره: «لَا أَعْرفُ

شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَدْ ضُيِّعَتْ»(١)، وفي رواية: «أَلَيْسَ ضَيَّعْتُمْ مَا ضَيَّعْتُمْ فِيهَا»(٢) يعني: أخرجتموها عن أوقاتِها، ولم يُكفِّرْهم، ولم يحملْ قوله هذا أحدٌ مِن أهل السُّنَّة على كُفرِ مَنْ كانوا في زمنِه.

إذًا، فَقولُه: «مَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شَيءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ فَقَدْ كَفَرَ» يُحمَل على المحامل الَّتي سبق أن قُلناها؛ لأنَّ مِن عقيدةِ أهل السُّنَّة والجماعة أنَّهم لا يُكفِّرون أحدًا من المسلمين بذنبٍ إلَّا أنْ يكون شركًا أكبر، أو يجحد حكمًا مُجمَعًا عليه، أو يستهزئ بالدِّين وأهله، وما أشبه ذلك ممَّا هو مذكورٌ في نواقض الإسلام، وأنَّهم لا يُكفِّرون أحدًا بذنبٍ، وإنْ كان مِن الكبائر، وإن أصرَّ عليه ومات عليه؛ لأنَّ نصوص الكتاب والسُّنَّة تدلُّ على هذه العقيدة.

أمَّا قوله: «اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ الدِّينَ إِنَّما جَاءَ مِنْ قِبَلِ الله - تَبارَك وتَعالَى - لم يُوضَعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وآرائِهِمْ»، فهذا بيِّنٌ واضحٌ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٣٠)، عن أنس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجها البخاري (٥٢٩)، عن أنس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥].

إذًا، ما هو حبل الله، وما هو الصِّراط المستقيم الَّذي أمرنا اللهُ باتِّباعه؟ إنَّه ما جاء عن الله مُبلَّغًا من رسول الله ﷺ من الكتاب والسُّنَّة.

ولنعلم أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يجعل الحقَّ على عقول الرِّجال، ولا على أهواء النَّاس؛ لأنَّ عقولَ الرِّجال مختلفةٌ، وأهواءهم متضادَّةٌ ومتباينةٌ، فلو كان الحقُّ على أهواء النَّاس لكان مختلفًا كاختلاف ألوانهم ووجوههم وطبائعهم، ولكنَّ الحقَّ هو ما جاء من الله على لسان رسوله ﷺ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقولُ: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

إذا عقلت ذلك أيُّها الطَّالب، فعليك أن تبحث عن الحقِّ في كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ، لا في زبالة الأذهان، ولا في حُثالات العقول، فالحقُّ غيرُ ذلك كلِّه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقولُ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فيا مَنْ يريد الإنصاف، ويا مَنْ يريدُ السَّلامة لنفسه، عليك بما جاء من الله، فقد ضَمِنَ الله حِفْظَه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فحفظَ اللهُ القرآن من إفك المنجِّمين والعرَّافين والكهنة، ومنع الشَّياطين من استراق السَّمع حين إنزاله، لئلَّا تختطف شيئًا منه فتُلقيه على ألسنة بعض الكُهَّان، فيأتي بعضهم بشيءٍ منه، فيَلتبس الحقُّ مع الباطل، ولكنَّ الله صفَّاه من ذلك حين إنزاله، وحَفِظَه فيما بعد من زَيْغ الزَّائغين، وكيد الكائدين، وإفك المؤتفكين، حتَّى وصل إلينا حقًّا واضحًا سليمًا من الدَّخائل.

وحَفِظَ اللهُ السُّنَّةَ برجالٍ هَيَّأهم اللهُ لحِفْظِها، فميَّزوها مِن كلِّ دخيلٍ، وصانوها مِن كلِّ ما أدخلَه الزَّائغون فيها، حتَّى أصبحتْ واضحةً كوضوحِ الشَّمس، بيِّنةً كفَلَقِ الفجرِ، وهكذا هيَّأ اللهُ علماءَ الحديث في كلِّ زمنٍ ليُميِّزوه مِن كلِّ ضعيفٍ، ومِن كلِّ موضوعٍ ومكذوبٍ.

وبهذا تعلمُ أنَّ الحُجَّةَ قدْ قامتْ، وما عليكَ إلَّا أنْ تتَّبعَ الحقَّ وتبحثَ عنه في مصادرِه لِتتَعَلَّمَه وتَعملَ به، وتَدلَّ عليه مَنِ استرشدك.

ثمَّ اعلمْ أنَّ الحقَّ ما جاء مِن عند اللهِ، ومن عند رسوله ﷺ، مِن كتابٍ وسُنَّةٍ، وإنْ قَلَّ أهلُهُ ومُعتنِقُوه.

فما جاء مِن الشَّرعِ فهو الحقُّ المأمورُ باتِّباعه، وإنْ خالفَهُ أكثرُ النَّاسِ، وقلَّ مُتَّبِعوه؛ فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

فاحرصْ يا عبدَ الله على اتِّباعِ الحقِّ، وسلوكِ الصِّراطِ المستقيم، والاقتداءِ بالسَّلفِ الأوَّلِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، ولا تستوحشْ من قلَّةِ السَّالكين، وكثرةِ المخالفين، فقد كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمَّةً وحْدَه، وباللهِ التَّوفيق.



التحذير مِن ترْك السُّنن

وإحداث البدع

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّىٰ تَرَكُوا مِنَ السُّنَّة مِثْلَهَا، فَاحْذَرِ الْمُحرَّمَاتِ مِنَ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّار.

الشرح:

أقولُ: قصَد المؤلِّف أنَّ مَنْ ترَك السُّنَّة وابتدَع البدعة؛ فإنَّه قَدْ أتىٰ بأمرَين محذورَين؛ أحدهما: ترك السُّنَّة. والآخر: ابتداع البدعة؛ فإحداث البدع مُلَازِمٌ لترك السُّنن؛ فمَا ابتدعَ عبدٌ بدعةً إلَّا وَقَدْ ترَك سُنَّةً.

فإيَّاك أنْ تدخلَ في هذا المحذور الَّذي خالفتَ به المأمور، وإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُثيب إلَّا علىٰ اتِّباع سُنَّة رسوله ﷺ، ومَنْ ترك شيئًا من السُّنن فقد ترك شيئًا مِن القُرآن؛ لأنَّ الله قَدْ أمَر في كتابه باتِّباع رسوله ﷺ في آياتٍ كثيرةٍ:

منها: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥]، فأخبر أنَّ ترْك الاستجابة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولرسوله ﷺ موجبٌ للفتنة الَّتي لا تصيب الظَّالم خاصَّةً، بل إنَّها تعمُّ.

وقال في آية (٣١) مِن (آل عِمران): ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فالوعيد علىٰ مَنْ ترك السُّنن وأحدث البدع وعيدٌ عظيمٌ قَدْ رصدته آياتٌ من القُرآن، كما في آيات (الأنفال) الَّتي سَبَق ذِكْرُها، وكما في آياتِ سُورةِ (النُّور): ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وكما في قول النَّبيِّ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والأحاديث في اتِّباع سُنَّة النَّبيِّ ﷺ كثيرةٌ، وإليك بعضَها، زادَكَ اللهُ حرصًا لاتِّباع سُنَّة رسولِنا محمَّدٍ ﷺ.

فمِن الأدلَّة الَّتي حثَّ فيها المصطفىٰ ﷺ علىٰ وُجوب مُتابعتِه في العِبادة، وتقديم طاعته ﷺ علىٰ طاعة كلِّ أحد: ما جاء في صحيح الإمام مسلمٍ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل، والذي بَيَّن فيه صفة حجَّة النَّبيِّ ﷺ، وقد ذكر فيه قوله ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كتَابَ الله، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بإصْبعه السَّبَّابَة يَرْفَعُهَا إلىٰ السَّماءِ، وَينكُتُها إلىٰ النَّاس: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

وعند أصحاب السُّنن بسندٍ صحيح من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لموعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَينَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثيرًا، فَعَلَيْكُمْ بمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ».

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، والدارمي بسندٍ حسنٍ حديثَ المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال =

وإنَّ المبتدعَ عاصٍ لله ولرسوله، متّبعٌ لهواه، معظِّمٌ لنفسه، مدَّعٍ بلسانِ حالِه أنَّ رأيَه وهواه خيرٌ ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ؛ فاحذَرْ أنْ تكون مِن أولئك، فتكون متوعَّدًا بالنَّار والعياذ بالله، وبالله التَّوفيق.



=

رسولُ الله ﷺ: «أَلَا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ».

وفي الحديث المتَّفق عليه عند البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوم، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بعَينِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجوا - يعني: ساروا في آخر اللَّيل -، فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ - أي: استأصلهم بالقتل والأسر -؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بسندٍ حسنٍ قال: خطَّ لنا رَسُولُ اللهِ ﷺ يومًا خطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيهِ» ثمَّ تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

التحذير من البدع؛ صغارها وكبارها

وَاحْذَرْ صِغَارَ الْمُحْدَثَاتِ مِنَ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ صِغَارَ الْبِدَعِ تَعُودُ حَتَّىٰ تَصِيرَ كِبَارًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشْبِهُ الحَقَّ، فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعْ الخُرُوجَ مِنْهَا، فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهَا، فَخَالَفَ الصِّرَاطَ المسْتَقِيمَ، فَخَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ، فَانْظُر - رَحِمَكَ اللهُ - كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِن أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً، فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَحَدٌ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنهُم -، أَوْ أَحَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ؟ فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَثَرًا عَنْهُم فَتَمَسَّكْ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ، وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ المؤلِّف قال هنا قولَ مُجرِّبٍ في هذا: في كون صغار المحدثات تنقلب كبارًا، وَقَدْ يغترُّ بها الإنسان؛ لأنَّ فيها شَبَهًا مِن الحقِّ.

فمثلًا عقيدة الخوارج، ما هو أوَّلها؟ أوَّلها أنَّه في موقعة النَّهروان كاد أصحابُ عليٍّ أنْ يَتغلَّبُوا علىٰ أهل الشَّام أصحاب مُعاوية، وذلك بعدما قُتِل عمَّار بن ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقَدْ روىٰ كثيرٌ من الصَّحابة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«وَيْحَ عمَّار، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ»**(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٦) عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال لعمَّار: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ».

فرأىٰ أصحابُ معاويةَ أنْ يَرفعُوا المصاحف علىٰ الرِّماح، ويقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فعند ذلك توقَّف أصحاب عليٍّ، وقالوا: لا نقاتل قومًا يدعوننا إلىٰ كتاب الله. فقال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل، استمِرُّوا في القتال، فأبَوْا، وعند ذلك سعىٰ السَّاعونَ، وذهبوا وجاؤوا بين عليٍّ ومعاوية.

واتَّفق رأي الصَّحابيَّين الجليلين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ أن يُحكِّما بينهما حَكمَين، وخرجَتْ فئةٌ من أصحاب عليٍّ، وقالوا: لا حُكمَ إلَّا لله، فناظرهم عليُّ بن أبي طالبٍ، وقال لهم: إنَّ اللهَ قَدْ أمَر بالحَكَمَين فيما بين امرأةٍ وزوجِها، وأمَر بالحَكَمَين في شيءٍ مِن الصَّيْد، فأبَوْا أن يَقبلُوا، فلمَّا رجعوا خرجوا إلىٰ موضعٍ يُقال له: حروراء، فكان مبدأُ نِحْلة الخوارج قولهم: لا حُكمَ إلَّا لله.

وهذا كلامٌ ظهَر منه لأوَّل مَرَّةٍ أنَّه حقٌّ، ولكنَّهم بعد ذلك قالوا: إنَّ عليًّا حكَّم الرِّجال في دين الله، وبنَوْا علىٰ ذلك أنَّه قَدْ كفَر، ثمَّ كفَّروا سائر الصَّحابة ما عدا أبا بكرٍ وعمر[(١)].

فهذا مثالٌ لما ذكره المؤلِّف: أنَّ البدعة تظهر صغيرةً، وتكون في أوَّل أمرها شبيهةً بالحقِّ، ثمَّ لا يزال الشَّيطانُ بصاحب البدعة يُرغِّبه فيها حتَّىٰ تكبر، ولهذا قال: «**ثُمَّ لَمْ يستطِعِ المخرج منْهَا، وَعَظُمَتْ، وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهِ مُخالِفًا للصِّرَاطِ المستَقِيم**» أي: تَركَه يستحسنُ هذه البدعة.

---

(١) لمزيدٍ من الاستقصاء حول هذا المثال الذي ذكره شيخنا النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول نشأة نحلة الخوارج؛ راجع أخي طالب العلم والهدىٰ حوادث سنة (٣٧) في «تاريخ الطبري» (٣/ ١٠٩ - ١٢٥) (طبعة دار الباز)، و«البداية والنهاية» لابن كثير في نفس السَّنة (٧/ ٢٥٨ - ٢٩٤)، أفاد بذلك أخونا السَّلفي أحمد بن عبد الله الحكمي، جزاه الله خيرًا.

أمَّا قولُه: «فَخَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ»، فهذا أيضًا مثل ما سبق في قوله: «فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ»، فهذا لا نُوافقه عليه، ولا يُوافِقه عليه أهل السُّنَّة والجماعة إلَّا أن يكون ذلك لتأويلٍ، ولو قال: فخرج مِنَ الإيمان إلىٰ الإسلام؛ لكان أفضل.

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُبالغ في كثيرٍ مِن الأحيان بمثل هذه المبالغة[١] الَّتي تَستلزمُ تكفيرَ المسلم ببدعةٍ قَدْ لا تُخرج من الإسلام لأوَّل مرَّةٍ، فالبدع منها مُكفِّرةٌ ومُفسِّقةٌ، وإطلاقُ الكلام بالكفر في كلِّ بدعة خطأٌ يجب أن يَحْذر طالب العلم منه.

قوله: «فانْظُرْ - رَحمكَ اللهُ - كلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَه مِن أَهْلِ زَمَانِكَ خاصَّةً؛ فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ أَحَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ...» إلىٰ آخر ما قال في هذا المقطع.

وأقولُ: رحم اللهُ المُؤلِّفَ، فقد دلَّ علىٰ الخير بهذا الكلام، وأمَر بالتَّأنِّي في دُخول شيءٍ مِن الأمور المُستجدَّة، فإنْ سمعتَ أحدًا يدعُو إلىٰ منهج الإخوان المسلمين، فلا تتعجَّل بالمُوافقة، ولا تأخذْ بثنائه علىٰ هذا المنهج.

وإذا سمعتَ أحدًا يدعو إلىٰ السُّروريَّة، أو القطبيَّة، أو إلىٰ جماعة التَّبليغ؛ فلا تتعجَّل بالموافقة، ولا تُلْقِي بنفسك في هذا الميدان قبل أن تسأل وتنظر وتبحث وتُفكِّر؛ تبحث مع مَنْ يعرفون هذا المنهج ممَّن لم يدخلوا فيه، أو مع مَنْ دخلوا فيه وتركوه، أو مع مَنْ قرؤوا عنه؛ حتَّىٰ تَتبيَّن لك الحقيقة.

فإنَّك بالتَّعجُّل تقع في ورطةٍ، تقع في شبكة الحزبيَّة الَّتي تُريدُ أن تستوليَ عليك، وتُريدُ أنْ تَضمَّك إلىٰ صُفوفها، فتكون مُبتدعًا ومدافعًا عن المبتدعين،

(١) كما سيأتي بيان ذلك.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فكم مِن ضحايا لهذه المناهج بالتَّعجُّل إليها! كم مِن ضحايا وقعوا في فِخَاخِها قبل أن يَتعرَّفوا علىٰ عُيُوبها! ولهذا وقعوا فيها.

ولذلك؛ فإنِّي أُحذِّرك كما حذَّرك صاحب هذا المتن - أي صاحب كتاب شرح السُّنَّة - أُحذِّرك من التَّعجُّل إلىٰ هذه الحزبيَّات، وأدعوك إلىٰ التَّأنِّي والبحث، فخُذْ مِن الكتُب المؤلَّفَة في نَقْد هذه الحزبيَّات، خُذْ منها - أي: مِن هذه الكتُب -، واقرأ عن هذه الحزبيَّات قبْل أنْ تدخل فيها، فإذا وجدْتَ الحقَّ فلا تختَرْ عليه شيئًا، فإنَّك لا تُسأل إذا وُضِعْتَ في قبرك إلَّا عن رسول الله ﷺ الَّذي لا يصحُّ أَذَانُك، وقبل ذلك لا يصحُّ إسلامك إلَّا بالشَّهادة له بالرِّسالة؛ مضافةً إلىٰ الشَّهادة لله بالوَحْدانيَّة.

ولست مسؤولًا عن فُلانٍ ولا فُلانٍ، فاتَّقِ الله في نفسِك، واحذَرْ مِن الوُقوع في مَغبَّة الحِزبيَّات؛ فإنَّك ستندمُ إنْ وقعتَ فيها؛ إمَّا عاجلًا وإمَّا آجلًا، وليس لنفسك عِوضٌ تعتاض عنها إنْ هلكتَ وخسرْتَ، لا والله، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، وبالله التَّوفيق.



وجها الخروج عن طريق الحق

وَاعْلَمْ أَنَّ الخُرُوجَ عَنِ الطَّرِيقِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَجُلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ لا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ، فَلَا يُقْتَدَىٰ بِزَلَلِهِ فَإِنَّهُ هَالِكٌ، وَرَجُلٌ عَانَدَ الْحَقَّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؛ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِصَّتَهُ؛ لِئَلَّا يَقَعَ فِي بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ.

الشرح:

أقولُ: لو قَيَّد المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الهَلَكة والحُكم بها، فقال: فإنَّه هالكٌ إنْ مات ولم يتُب، لكان أولىٰ. وأقولُ أيضًا: إنَّ إرادةَ الخير لا تنفعُ الإنسانَ إذا كان يُريدُ الخيرَ، ولكنَّه لم يلتزمْ بالطَّريق المستقيم الَّذي جاء عن اللهِ ورسولِه ﷺ.

مثالُ ذلك: ما أخبر به عمرو بن يحيىٰ قال: سمعتُ أبي يُحدِّث عن أبيه، قال: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَىٰ بَاب عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاة الغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلىٰ المسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الأَشْعريُّ، فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحمن بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي المسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُه، وَلَمْ أَرَ - والحمد لله - إِلَّا خَيرًا.

قال: فما هو؟ فقال: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيتُ فِي المسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيدِيهِمْ حَصًىٰ، فَيَقُولُ: كَبِّروا مِئَةً،

فَيُكَبِّرُونَ مِئَةً؛ فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِئَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِئَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِئَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لهم شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ، وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ.

قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟

ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، حَصًىٰ نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ! يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هلكتكم! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لم تَبْلُ، وَآنِيَتُهُ لم تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ.

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ! إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللهِ، مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الخَوَارِجِ. رواه الدَّارميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

فدلَّ هذا علىٰ أنَّه لا يكفي إرادة الخير؛ لأنَّ كلَّ عملٍ لابدَّ أن يُشترط له شرطان:

الشَّرط الأوَّل: أن يكون خالصًا لله.

الشَّرط الثَّاني: أن يكون صوابًا علىٰ ما شرع رسول الله ﷺ.

وأصحاب البدع دائمًا هم يقصدون التَّقرُّب إلىٰ الله، ولكنَّهم لم يعرفوا الطَّريق الَّتي يتقرَّبون بها إلىٰ الله، وليس عندهم من العلم ما يمنعُهم مِن الدُّخول

(١) أخرجه الدَّارميُّ (٢١٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٠٠٥).

في البدع، فإنْ كان هذا الَّذي يُريدُ الخيرَ يسَّر اللهُ له مَنْ يدعوه ويُبيِّن له، وصرَف عنه شرَّ أصحاب البدع الَّذين يُحذِّرونه من طاعة النَّاصحين، فإنْ تابَ تابَ اللهُ عليه، وإن بَقِيَ على بدعته حتَّىٰ يَلْقىٰ الله بها، كان ذلك نَقْصًا في إسلامه، وأَمْرُهُ إلىٰ الله، إنْ شاء عفا عنه، وإنْ شاء عذَّبه.

ثمَّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَرَجُلٌ عَانَدَ الحَقَّ، وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَه مِنَ المُتَّقِينَ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضلٌّ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ في هذه الأُمَّةِ، حَقيقٌ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَه أَنْ يُحذِّر النَّاسَ منْه، وَيُبيِّنَ لهُم قِصَّتَهُ؛ لئَلَّا يقَعَ في بِدْعَتِهِ أَحَدٌ فيهْلِك».

وأَقُولُ: إنَّ الواجب علىٰ كُلِّ مَنْ عرف الحقَّ أن ينصره، ومَنْ عرف الحقَّ مِن المبتدعة، وبيَّنْت له تلك البدعة لكنَّه أبىٰ أنْ يتركَها، وتمسَّك بها ودافع عنها؛ فهو ضالٌّ مضلٌّ شيطانٌ مريدٌ في هذه الأمَّة، كما قال المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وينبغي بيانُ حاله لمَنْ يجهله، وأنْ يحذَّر منه؛ لأنَّه سيغُرُّ أقوامًا مِن طُلَّاب العلم، فيدعوهم إلىٰ بدعته، ويُغْرِيهم بها، ويُضلُّهم، ولا عُذرَ لمَنْ عرَف حالَه أن يُبيِّنه للنَّاس حتَّىٰ تَبْرأ ذِمَّته، وأن يُحذِّر منه حتَّىٰ يجتنبه الآخرون الَّذين لم يعلمُوا بدعته.

ومَنْ زعم أنَّ الإنكار علىٰ أصحاب البدع تفريقٌ للأُمَّة، وتشتيتٌ لها، فهو ضالٌّ أيضًا؛ لأنَّه يريد اجتماع الأُمَّة علىٰ باطلٍ، وهذا أمرٌ لا يُقرُّه الإسلام، فالإسلام لا يُقِرُّ مثل هذا الأمر.

فإنَّ تَرْك البيان إبطالٌ للجهاد الَّذي أمر الله به سبحانه في قوله - جلَّ وعلا -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وفي الحديث: «لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاس أَنْ يَقُولَ بحَقٍّ إِنْ رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ».

سنده صحيحٌ عن أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، و«مسند أحمد» (ج٣/ ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٨٤)[١]،

(١) وأخرجه أيضًا الترمذي في «سننه»: (٢١٩١)، وقد أشار الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلىٰ صحَّة إسناده في «السِّلسلة الصَّحيحة» بلفظ: «لا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ، أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ» انظر (ج١/ القسم الأوَّل ص٣٢٢) برقم الحديث (١٦٨)، وانظر «الرَّوض النَّضير» برقم (١٠٠١).

ومن لازم البيان والتَّوضيح لما في هذا الحديث الشَّريف عن النَّبيِّ ﷺ أنْ نقول: إنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر واجبٌ كفائيٌّ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمة، ولكنَّ ذلك يقيَّد بضوابط شرعيَّة، منها:

١ - أن يكون الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر مخلصًا فيه لله تعالىٰ، لا يقصد مِن وراء ذلك مدحًا من النَّاس، ولا شيئًا من أمور الدُّنيا الزَّائلة.

٢ - أن يكون الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر عَالِمًا بما يأمُر به، وما ينهىٰ عنه بدليل واضح من الكتاب والسُّنَّة؛ فلا يأمر بشيءٍ وينهىٰ عن آخر مِن عند نفسه وهواه، أو بشيءٍ مخالف لما جاء ذكره في النُّصوص الشَّرعيَّة.

٣ - ألَّا يترتَّب علىٰ الإنكار باليد أو اللِّسان علىٰ شخصٍ ما أو جماعةٍ من النَّاس جلبُ ضررٍ أعظم أو مفسدةٌ كبرىٰ؛ فالشريعة دعت إلىٰ جلب المصالح وتكثيرها، وإلىٰ درء المفاسد وتقليلها.

فمثلًا: ما يقوم به بعض الجَهَلة بأصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التَّشهير الواضح لبعض وُلَاة أمور المسلمين في بلدٍ مَا بذِكْر الخطأ الَّذي وقع فيه أمام النَّاس وفي مجامعهم؛ بأنَّ الوالي الفلاني صنَع كذا، أو قال كذا؛ من المنكرات، فهذا خلاف هدي السَّلف - رحمهم الله تعالىٰ - في النَّصيحة لوُلاة الأمور؛ مما يُسبِّب إثارةَ النُّفوس الضَّعيفة للوقوف والخروج علىٰ هذا الوالي؛ فتحصَّل من وراء ذلك المفاسد الَّتي كان المسلمون في غنًىٰ عنها.

وإنَّ المتتبِّع للنُّصوص النَّبويَّة - علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام - ليرىٰ فيها بوضوح أنَّ الشَّريعة المحمديَّة قيَّدت النَّصيحة المذكورة في حديث: «لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِنْ رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ» بأنْ تكون النَّصيحة لولاة الأمر علىٰ سبيل السِّرِّيَّة والكتمان، وعلىٰ ذلك يحمل معنىٰ هذا الحديث.

ودلَّ علىٰ ما قلته ما جاء في الحديث: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّىٰ الَّذِي عَلَيهِ لَهُ» رواه أحمد.

ولما جاء في «الصحيحَين» عن أسامة بن زيد قال: قيل له: ألَا تدخلُ علىٰ عُثمان فتكلِّمه؟ فقال: أترون أنِّي لا أكلِّمه إلَّا أسمعكم، والله لقد كلَّمتُه فيما بيني وبينه ما دون أنْ أفتتِحَ أمرًا لا أحبُّ أنْ أكون أوَّل مَن فتحه، ولا أقولُ لأحدٍ يكون عليَّ أميرًا: «إنَّه خَيرُ النَّاس» بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «يُؤْتَىٰ =

وبالله التَّوفيق.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ: فإنَّ هذا الصَّنيعَ يُشجِّع أهل البدع ويجعلُهم يَسْرحون ويَمْرحون، ويفعلون ما يشاؤون من الضَّلال، ويَدْعُون إليه الشَّباب، ويُغْرون به طلَّاب العلم؛ فيستفحل أمرُهُم، ويَصعبُ عِلاجُهم بسبب التَّقصير في الواجب، وعدم الإنكار عليهم، والتَّحذير منهم.

فكأنَّ مَنْ يقول هذا القول يقصد تشجيعَ المبتدعين ونَصْرَهم، ومَنْ فعَل ذلك، فقد شجَّع البدعة، وأعانَ علىٰ تَرْك السُّنَّة، وسعىٰ في وَأْدِ الحقِّ وإبطاله، فكان بذلك مُستحقًّا لغضب الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه آوىٰ المحدثين، وَقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا**»(١).

فيجب عدم السَّماع لمَنْ يقول مثل هذا القول، بل ويجبُ إسكاته؛ لأنَّه أعان علىٰ فُشُوِّ المنكر، وعلىٰ انتشار البدع، وَوَأْد السُّنَن، وخالف أمر الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين حين أمرَهم أن يأمرُوا بالمعروف، ويَنهوا عن المنكر، وأنْ يُجاهدوا في الله حقَّ جهادِه، وما أكثرَ هؤلاء في مجتمعنا! وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وباللهِ التَّوفيق.



=

بالرَّجُل يوم القِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُور بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بالرَّحَىٰ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمعَرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنْ المنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ؛ قَدْ كُنْتُ آمُرُ بالمعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَىٰ عَنِ المنكَرِ وَآتِيهِ». واللهُ أعلمُ بالحقِّ والصَّواب.

(١) الحديث أخرجه مسلم (١٩٧٨) عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**». أي: حدودها.

ليس في السُّنة قياسٌ

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ لا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسَلِّمًا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الإِسْلَامِ لَمْ يَكْفِنَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكَفَىٰ بِهَذَا فُرْقَةً وَطَعْنًا عَلَيْهِمْ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، مُحْدِثٌ فِي الإِسْلامِ مَا لَيْسَ مِنْهُ(١).

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الأَمْثَالُ، وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الأَهْوَاءُ، بَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ بِآثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَلَا كَيْفَ؟ فَالكَلَامُ وَالْخُصُومَةُ وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ مُحْدَثٌ، يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي القَلْبِ، وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ.

الشرح:

وأقول: إنَّ مِنْ لوازم الإيمان أنْ يعتقدَ المسلمُ: أنَّ الدِّينَ كاملٌ لم يبقَ فيه

---

(١) إنَّ ما قاله المؤلِّف هنا مِن أنَّ مَن زعم أنَّه قد بقيَ شيءٌ مِن أمر الإسلام لم يكفناه أصحابُ رسول الله ﷺ فقد كذَّبهم، وكفىٰ بهذا فُرْقةً، وطعنًا عليهم.. إلخ، فيه بيان أنَّ الصَّحابة - رضوان الله عليهم - هم الواسطة بيننا وبين نقل وحي الله عَزَّوَجَلَّ إلينا مِن خلال ما جاء في كتاب الله، وسُنَّة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ؛ فالطَّعن فيهم وتنقصُّهم طعنٌ فيما جاؤوا به مِن هذه الشَّريعة الغرَّاء علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام.

وإنَّ هذه لفريةٌ عظيمةٌ تسبب الفُرقةَ والتَّحزُّب بين المسلمين، وقد ذمَّ الله مَنْ فعَل ذلك في كتابه بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فلْيُحذر كلّ الحذر مِن التَّكلُّم بسوءٍ في أحدٍ مِن صحابة رسول الله ﷺ، مع عِلمِنا بأنَّهم ليسوا بمعصومين من الخطإ والمعصية، ولكن حسبُنا أن نقولَ: إنَّ الله زكَّاهم في كتابه، وعلىٰ لسانِ رسوله ﷺ، وكفىٰ بذلك شرفًا وفخْرًا.

نقصٌ؛ فإنِ اعتقد فيه نقصًا، فقد كذَّب اللهَ في خبره حيث يقول - جلَّ وعلا -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمَنِ اعتقد فيه النَّقص، فقد كذَّب الله في الإخبار بكماله، وادَّعىٰ خلاف ما دلَّت عليه هذه الآية، وهذا لا شكَّ أنَّه ضلالٌ وطعنٌ في الرِّسالة، وتكذيبٌ لخبر الله عَزَّوَجَلَّ، وإحداثٌ في الإسلام، فليحذر المسلم من الوقوع في هذه الطَّائلة، وبالله التَّوفيق.

أقول: إنَّ هذا الكلام ينطبق علىٰ السُّنن الواردة في العقائد، أمَّا غير العقائد من الأحكام الفرعيَّة، فهذه قَدْ حصل فيها الاختلافُ، وبُنِيَتْ عليها الأقيسة، وهذا مُدوَّنٌ في كتب الفقه وأصول الفقه، ولكنَّ المراد بهذا الكلام ما ورد في العقائد من آيات الصِّفات وأحاديثها الصَّحيحة، فهذه يجب الأخذ بها، وإمرارها كما جاءت، مع اعتقاد معناها الَّذي تقتضيه في اللُّغة العربيَّة، ولايقال: لِمَ كان كذا وكذا؟ وكيف كان كذا وكذا؟

وَقَدْ أنكرَ الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مَنْ قال: أَرَأَيْتَ قولَ الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، كيف استوىٰ؟ فأطرقَ الإمامُ مالكٌ، وعَلَتْهُ الرّحضاءُ - أي: العرق -، ثُمَّ رفَع رأسَه، فقال: «الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ، وأنت رجلُ سوءٍ، أَخْرِجوه»، فَأَمَر به فأُخْرِج[1].

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين).

وورواه البيهقي أيضًا في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ برقم ٨٦٦) عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك فدخل رجل فقال، فذكر نحوه. وصحَّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابت عن مالك». وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد». وصحَّحه =

إنَّ الكلام في الأصول والعقائد، والجدال فيها؛ محدَثٌ، لم يأتِ إلَّا مِن أصحاب البدع، أمَّا أصحاب النَّبيِّ ﷺ والتَّابعون وأتباعُهم، بل وأهلُ السُّنَّة والجماعة جميعًا، فإنَّه لم يأتِ منهم جدالٌ في العقيدة، وإنَّما جاء الجدال من حين نبَتَتْ فِرَق الضَّلال؛ كالجهميَّة والمعتزلة وغيرهم مِن فِرَقِ الضَّلال الَّذين استعملوا الكلام، وأخذُوا بمُقدِّمات المنطق، وتركوا الآثار.

فكان عاقبةُ بعضهم أنَّه يندم عند موتِهِ، وَقَدْ مات بعضُهم وعلىٰ صدره صحيحُ البخاريِّ[1]؛ ذلك لأنَّ مُقدِّمات المنطق وإلزامات الكلام لا ينشأ عنها =

= الألبانيِّ في «مختصر العلوِّ»: ص (١٤١ - ١٤٢). وانظر للتَّوسّع كتاب: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» للشيخ عبد الرَّزَّاق العبَّاد حفظه الله.

(١) وهو الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك ندم في تعلُّم علم الكلام والخوض فيه، وترك تدبُّر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والعمل بما فيهما من الآيات والحِكمة.

قال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر الرَّازي في كتابه الذي صنَّفه في أقسام اللَّذات:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَغَايَةُ سَعْيِ العَالمينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًىٰ وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَىٰ أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتُهَا ... رِجَالٌ فَزَالُوا وَالجِبَالُ جِبَالُ

ثمَّ يقولُ: «لقد تأمَّلتُ الطرُق الكلاميَّة، والمناهج الفلسفيَّة، فما رأيتها تُشفي عليلًا، ولا تُروي غليلًا، ورأيتُ أقرب الطرُق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ثمَّ قال: ومَنْ جرَّب مثل تجربتي، عرَف مثل معرفتي».

وكذلك قال أبو المعالي الجوينيُّ: «يا أصحابَنا، لا تَشتغلُوا بالكلام، فلو عرفتُ أنَّ الكلام يبلغُ بي إلىٰ ما =

إلَّا شكٌّ والعياذ بالله، فاسأل الله ربَّك أن يُجنِّبك طريق هؤلاء، وأنْ يجعلك من أصحاب الأثر المُتَّبعين لما جاء عن الله ورسوله من دون الْتِوَاءٍ ولا إحداثٍ، وبالله التَّوفيق.



= بلَغ ما اشتغلتُ به»، وقال عندَ موتِه: «لقدْ خُضتُ البحر الخضمَّ، وخلَّيتُ أهلَ الإسلام وعلومَهم، ودخلتُ في الَّذي نَهوني عنه، والآن فإنْ لم يَتداركني ربِّي برحمتِه؛ فالويل لابن الجويني، وهأنا أموت علىٰ عقيدة أمِّي - أو قال: علىٰ عقيدة عجائز نيسابور». انتهىٰ من «شرح العقيدة الطَّحاوية» للإمام القاضي علي بن علي بن محمّد بن أبي العز الدمشقي: (ص٢٤٣) وما بعدها، بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي وشعيب الأرنؤوط.

وإن شئت فارجع - أخي القارئ الكريم - إلىٰ كتاب «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٥٩ - ١٦٢)، و«الفتاوىٰ» (٤/ ٧١)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢/ ٨٢)، و«تلبيس إبليس» (٩٠)، و«صون المنطق» (١٨٣)، و«فتح الباري» (١٣/ ٣٥٠).

كما أشير إلىٰ ذلك في مقدمة كتاب «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد»، للشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين، بتحقيق الشيخ سُليمان بن عبد الله أبي الخيل، والشيخ خالد بن علي المشيقح حفظهما الله.

ربُّنا أوَّل بلا متى، وآخرُ بلا مُنتهى

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ الكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَىٰ مُحْدَثٌ، وَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي القُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، فَهُوَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - وَاحِدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

رَبُّنَا أَوَّلٌ بِلَا مَتَىٰ، وَآخِرٌ بِلَا مُنْتَهَىٰ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ اسْتَوَىٰ، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ: كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ إِلَّا شَاكٌّ فِي اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -، وَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا؛ لِأَنَّ القُرْآنَ مِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُمُ اللهُ - وَمِنْ قَبْلَهُمَا مِنَ الفُقَهَاءِ وَمَنْ بَعْدَهُمَا، وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ العقولَ عاجزةٌ أنْ تصفَ الرَّبَّ - جلَّ وعلا - أو تَتصوَّره، أو تعرف كنهه وذاته، وإذا كان الأمرُ كذلك، فإنَّه لا يجوز أن نخوض في هذا الباب، ولا أنْ نَتكلَّمَ فيه إلَّا بما أُذِن لنا فيه، وهو ما جاءتْ به الرُّسل؛ لأنَّ الكلامَ في ذات الله بالظُّنون والأقيسة والآراء كلّه ضلالٌ وهلكةٌ.

ولا ينجو في هذا الباب إلَّا مَنْ أخذ بما جاءتْ به الرُّسل، وما جاء به رسولُنا

الكريم خاتم الرُّسل، وأعلاهم عند الله منزلةً، وأعظمهم عنده جاهًا، وأكرمهم عليه ﷺ الَّذي أمره الله بالبَلاغ في قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة: ٦٧].

فقد بلَّغ الرَّسول ﷺ القُرآن الَّذي أنزله الله عليه، وجعلَه مُهيمنًا علىٰ سائر الكتب، وبلَّغ السُّنَّة الَّتي أُوتيها كما جاء في الحديث: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**» رواه أحمد وغيره(١).

فإذا وصفنا الرَّبَّ تعالىٰ بما وصف به نَفْسَه لم يكن في ذلك تشبيهٌ له بِخَلْقِهِ، بل إنَّ ما ورد له من الصِّفات واجبٌ الإيمان بها، وحمل تلك الصِّفات والأسماء علىٰ ما له من الكمال المطلق، وإنِ اتَّفقَتْ مع صفات المخلوقين في الأسماءِ.

فإذا وصَفْنا الله بأنَّ له وجهًا، فمعنىٰ ذلك أنَّ له وجهًا لا يُشبهُ الوجوهَ، وكذلك سائر الصِّفات، فنحن نحكم بهذه الآية: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١] علىٰ سائر صفاتِه تعالىٰ، فنُثبتُ له ما أَثبتَ لنفسِه علىٰ الوجهِ اللَّائق بجلالِه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فنثبت أنَّه الأوَّل بلا ابتداءٍ، والآخرُ بلا انتهاءٍ، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، وكما قال النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ**». رواه مسلمٌ وغيره(٢).

---

(١) أخرجه أحمدُ في «مسنده» (٤/ ١٣٠) (١٧٢١٣)، وأبو داود (٤٦٠٤)، من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهو مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خَلْقه، وعلمُهُ بكلِّ مكانٍ، ولا يخلو من علمِهِ مكانٌ، مطَّلعٌ علىٰ عباده، ومسيطرٌ عليهم بقُدرته وهيمنته وعلمه واطِّلاعه، يتصرَّف فيهم بما يشاء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكُن، ومشيئتُه هي النَّافذةُ فيهم، يخلقُ العبد إذا شاء، ومتىٰ شاء، ليس للعبد دَخْلٌ في خَلْق نفسِه، ويُمْرِضه إذا شاء، ويُصِحُّه إذا شاء، ويُغْنيه إذا شاء، ويُفْقِره إذا شاء، ويُمِيته إذا أراد.

فالعبدُ خاضعٌ لعظمةِ ربِّه، ولقُدرته عليه، ولاطِّلاعه عليه، وحُكمه فيه، فله جلَّ جلالُه القدرةُ الكاملةُ، والمشيئة النَّافذة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فنحن إذا اعتقدنا هذه العقيدةَ، وأثبتنا لله هذه الصِّفات، فقد خرجنا مِن عقيدة الجهميَّة والمعتزلة الَّذين يُعطِّلون صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وخرجنا مِن عقيدة أصحاب وحدة الوُجود وأصحاب الحُلُول الَّذين يقولون: إنَّ اللهَ مُتَّحدٌ بخلقِهِ، حالٌّ فيهم - لعنة الله علىٰ مَنِ اعتقد ذلك -، وخرجنا من عقيدة المُشبِّهة الَّذين يُشبِّهون الله بخَلْقه، تعالىٰ الله عن قولهم عُلوًّا كبيرًا.

أيُّها الأخ الكريم، والطَّالب اللَّبيب الَّذي يريد الحقَّ، ويبحث عنه مِن مصادره، عليك بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وعقيدة السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم، وَفَّقني اللهُ وإيَّاك للصَّواب، وجنَّبني وإيَّاك مُوجبات الشَّكِّ والارتياب.

قولُه: «وَلا يَقُولُ في صفات الرَّبِّ تعالىٰ: لِمَ؟ إلَّا شَاكٌّ في اللهِ تبارَكَ وتَعَالَىٰ».

أقولُ: إنَّ صفات الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَجري عليها حُكم ذاته تبارك وتعالىٰ، فإذا اعتقدْنا أنَّ له ذاتًا لا تُشبِه الذَّوات؛ فإنَّه يجبُ أنْ نعتقدَ أنَّ له صفاتٍ لا تُشبِه الصِّفات، فمَنْ قال في صفات الرَّبِّ تعالىٰ أنَّها تُشبهُ صفاتِ المخلوقين؛ فإنَّه ضالٌّ يجبُ أن يُعلَّمَ، ويُوجَّه، ويُنصَحَ، فإنْ أبىٰ فينبغي أن يُهجَر.

ولا شكَّ أنَّ كلام المبتدعة ربَّما انطلىٰ علىٰ مَنْ لا يعلم، فإذا قالوا: إنَّنا لو أثبتنا لله عينين - مثلًا - فقد شبَّهناه بخَلْقه، وإذا أثبتنا له يَدين فقد شبَّهناه بخَلْقه، ربَّما ينخدع بهذا بعض النَّاس، فإذا بُيِّن له ولم يرجع عن قوله، ويثبت لله ما أثبته لنفسِه؛ فهو مخطئٌ جاهلٌ، ومعاندٌ ضالٌّ.

والَّذي ينبغي أن نتصوَّره في صفات الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ له صفاتٍ تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي وإن اتَّفقَتْ مع صفات المخلوقين في الأسماء، فإنَّها تختلفُ عنها في الحقائق، وبذلك نُميِّزُ بين صفةِ الخالق والمخلوق، وإذا كانت المخلوقات تتفاضل صفاتُها، ويعترفُ جميعُ النَّاس بالفَرْق بين صفةِ مخلوقٍ ومخلوقٍ، ففي صفة الخالق من باب أَوْلَىٰ.

فمثلًا، لو قلتَ لواحدٍ مِمَّن يُعطِّلون صفات الله عَزَّوَجَلَّ بدعوىٰ أنَّ إثباتَها تشبيهٌ، لو قلتَ لأحدٍ منهم: إنَّ عينَك عينُ كلبٍ، ورِجْلَك رِجْلُ قردٍ، ووَجْهَك وجهُ خنزيرٍ، فإنَّه سيغضب عليك، وربَّما أنَّه قاتلك؛ لأنَّك شبَّهته بأوضع المخلوقات.

إذًا، فلنفكِّر ما هو مُوجبُ غضبه؟ إنَّ موجب غضبه أنَّه يرىٰ أنَّ للإنسان امتيازًا علىٰ هذه الأشياء، - أي: علىٰ هذه المخلوقات -، فإذا اعترف بالفرق بين صفاته وصفات الكلاب والقردة والخنازير، أفلا يكون الفرق بين صفة الخالق والمخلوق أعظم؟ !

نقول: بلىٰ؛ فالفرقُ بين صفة الخالق والمخلوق متفاوتةٌ، وليس هناك نسبةٌ بين صفة الخالق والمخلوق، وفي هذا إلزامٌ لهم، (أي: إلزامٌ للقائلين بلزوم الشَّبَه بين صفة الخالق والمخلوق إذا أُثبِتَتْ باتِّفاق الاسم فيها)، وبهذا يَتبيَّن أنَّ الفرقَ بين صفة الخالق والمخلوق فرقٌ عظيمٌ لا نسبةَ فيه أبدًا.

فيجبُ علينا أنْ نحكم بهذه الآية(١) على صفات الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا من النَّاحية العقليَّة.

ومن النَّاحية الشَّرعيَّة أيضًا نُفرِّقُ بما فرَّق الله عَزَّوَجَلَّ في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإذا أردنا أنْ نعلمَ الفرْقَ البعيدَ بين صفةِ الخالق والمخلوق، وأنَّ اتِّحادها في الاسم لا يلزم منه المشابهة، فمثلًا: الله - جلَّ وعلا - أثبت لنفسِه اسمَ (الحيِّ)، وأثبت للمخلوق اسم (الحيِّ)؛ فقال جلَّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]، فهل يلزم من إثبات اسم الحيِّ لله عَزَّوَجَلَّ وللمخلوق اتِّحادُ الحياتَين أو تشابههما؟

الجواب: لا يلزم من ذلك اتِّحاد الحياتين ولا تشابههما؛ فحياة الله عَزَّوَجَلَّ قديمةٌ بلا ابتداءٍ، وباقيةٌ بلا انتهاءٍ، واللهُ تعالىٰ غنيٌّ عن غيره، لا تقوم حياتُه بمؤثِّرٍ فيها، أمَّا المخلوق فحياتُه وُجِدَتْ بعد أنْ لم تكُنْ.

فمثلًا: نحن (هذه المجموعة) هل كان أحدٌ منَّا معروفًا قبل مئة سنةٍ؟

الجواب: لا، ثمَّ بعد أن نموت جميعًا، هل يبقىٰ لأحدٍ جسمٌ علىٰ الدُّنيا؟

الجواب: لا، كلٌّ منَّا سيفْنىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ثمَّ إنَّ حياتنا مفتقرةٌ إلىٰ مُحيٍ؛ أي: إلىٰ مُؤثِّرٍ فيها، ومُوجِدٍ لها، وهو الله عَزَّوَجَلَّ. أمَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فحياتُهُ لا تستلزم مُؤثِّرًا فيها، وغناه كذلك، ومن هذا نعلمُ الفرْقَ بين صفةِ الخالق وصفة المخلوق، والإنسانُ في حياتِه مفتقرٌ إلىٰ الله

---

(١) وهي قوله الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

في إيجادِه، وفي حِفظ وُجُودِهِ.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلَق المخلوقات مُتنوِّعةً، والعوالم الثَّلاثة الَّتي هي الجنُّ والإنس والملائكة، وهي أيضًا مُتنوِّعةٌ، فالملائكةُ لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، خَلَقهم الله علىٰ ذلك، فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ فناء الدُّنيا إذا نفخ في الصُّور، مات الملائكة جميعًا.

والمهمُّ؛ أنَّا بالتَّأمُّل نعرف ذلك، والله هو المُتصرِّف في هذا الكون، ومن هنا نعلم أنَّا إذا أثبتنا لله اسم (الحيّ) وصفة الحياة، فإنَّه لا يلزم من ذلك مشابهة حياة المخلوق الَّذي وُجِدَ بعْدَ أَنْ لم يكُن، وسيَفْنىٰ، ثمَّ يُحييه الله خلقًا جديدًا، وهو في زمنِ حياتِهِ لا يحيا إلَّا علىٰ الطَّعام والشَّراب والنَّوم.

وقَولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَتَنْزِيلُه، وَنُورُه، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا؛ لأَنَّ القُرْآنَ مِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللهِ لَيْسَ بمَخْلُوقٍ».

أي: إنَّ القرآن كلام الله، وكلام الله صفةٌ مِن صفاته، وصفاتُه تعالىٰ ليستْ بمخلوقةٍ، فمَنْ زعَم أنَّ القُرآن مخلوقٌ، فقد كَفَر، هكذا قرَّر السَّلفُ رحمهم الله تعالىٰ.

الدَّليلُ علىٰ ذلك: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فالكلام صفةٌ مِن صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ قرَّر السَّلفُ أنَّ الكلامَ صفةٌ من صفات الله قديمُ النَّوع، حادثُ الآحاد.

ما معنىٰ قديم النَّوع؟ يعني: أنَّ صفةَ الكلام صفةٌ لله قديمةٌ بِقِدَمِه، ويتكلَّم

متىٰ شاء، وبما شاء من الأوامر الَّتي يُرسل الله عَزَّوَجَلَّ بها ملائكته من إحداث ما يُريد: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وفي حديث عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**». أخرجاه(١).

والشَّاهد منه قوله ﷺ في عيسىٰ: «**وَكَلِمَتُه أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**»، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

إذًا، في هذه الآيات إثبات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه قديم النَّوع، حادثُ الآحاد، ويُحْدِثُه الله عند الحاجة إليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وبهذا نعلمُ خطأ مَنْ يقول: «إنَّ الله خلَق الكلام في الشَّجرة الَّتي كلَّم الله موسىٰ منها»، فزعمهم هذا زعمٌ باطلٌ، والَّذي يدمغهم أن يقال: هل يصحُّ أن تقول الشَّجرة لموسىٰ: إنِّي أنا ربُّك؟

فتبيَّن من هذا أنَّ الكلامَ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ مع العلم أنَّ مَنْ لا يستطيع علىٰ الكلام، ولا يستطيع علىٰ التَّصرُّف، لا يصلح أنْ يكون إلهًا، فالإله الحقُّ هو الَّذي يتكلَّم، ويَرزق، ويهدي ويضِلُّ، ويعزُّ ويذلُّ، ويُغني ويُفقر، ويُصِحُّ ويُمرضُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

ويُحيي ويُميت، ومَنْ لا يكون قادرًا علىٰ هذه الأمور؛ فإنَّه لا يصلح أن يكون إلهًا، فمَنْ زعم أنَّ كلام الله مخلوقٌ؛ كالمعتزلة والزَّيديَّة، أو بتأويلٍ كالأشعريَّة، فإنَّ زَعْمَه هذا باطلٌ.

وأمَّا حادثُ الآحاد: فلأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُحْدِثُ آحادَه متىٰ شاء.

والآحادُ: هو الكلام في الأمُور الَّتي يُريدُها الله، ويَأمرُ بها ملائكتَه مِن إحياءٍ وإماتةٍ، وصحَّةٍ وسقمٍ، وعزٍّ وذلٍّ، وغنًىٰ وفقرٍ، وإكرامٍ وإهانةٍ، إلىٰ غير ذلك، وهذا لا يخفىٰ، وبالله التَّوفيق.



الإيمانُ برؤية الله يوم القيامة

وَالإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَرَوْنَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِأَعْيُنِ رُؤُوسِهِم، وَهُوَ يُحَاسِبُهُم بِلَا حَاجِبٍ وَلَا تَرْجُمَانٍ.

الشرح:

أقول: تنقسم الرُّؤية إلىٰ قسمين؛ عامَّةٍ وخاصَّةٍ:

فالرُّؤية العامَّة: في عَرَصات القيامة حينما يُحاسِب الله العبد يُوقِفه بين يديه، ويُحاسبه علىٰ أعماله، ويُبكِّته بما كان يعتقدُ إن كان كافرًا أو مُنافقًا.

وَقَدْ جاء في الحديث من حديث أبي هريرة، قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَة رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا». قَالَ: فَيَلْقَىٰ العَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلُ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَيْ فُلُ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ[1]؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ

---

(١) قال شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معنىٰ فل) ترخيمٌ، ونُقلت الضَّمة في قول القائل: يا فلان، نُقلتْ علىٰ =

أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وبكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيرٍ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَيقُول: هَاهُنَا إِذًا. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدنَا عَلَيكَ، وَيَتفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَم عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِه وَلَحمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِق فَخِذُهُ وَلَحمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيهِ». رواه مسلمٌ وغيره(١).

وَقَدْ جاء في الحديث أيضًا عَنْ عدِّي بن حاتمٍ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

زاد ابن حُجْر: قال الأعمش: وحدَّثني عمرو بن مرَّة عن خيثمة مثله، وزاد فيه: «وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». مُتَّفقٌ عليه، واللَّفظُ لمسلمٍ(٢).

فهذه أدلَّةٌ علىٰ الرُّؤيةِ العامَّةِ.

أمَّا الرُّؤية الخاصَّة: فهي رؤية أهل الجنَّة في الجنَّة، وهي رؤية تنعُّمٍ وتلذُّذٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وفي حديث جرير بن عبد الله البجلي ﵁ أنَّه قال: كُنَّا جلوسًا عند رسول الله ﷺ؛

=

الحرف الَّذي بقي، وهو وسطُ الكلمة، وهذا قد جاء في الحديث هكذا معنىٰ: يا فل يا فلان. ترأَسْ: تصير رأسًا. وتربَّع: تأخذ المرباع وهو الرُّبع من الغنيمة. اهـ.

(١) أخرجه مسلم - بهذا اللفظ - (٢٩٦٨)، وأخرجه بنحوه البخاري (٨٠٦ و٦٥٧٣ و٧٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

إذْ نظر إلىٰ القمر ليلةَ البدر، فقال: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، يعني: العصر والفجر»، ثمَّ قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]. مُتَّفقٌ عليه[١].

وفي «الصَّحيحين» من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطَّويل، واللَّفظ لمسلمٍ، قال: قلنا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قالوا: لَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»[٢].

فرؤية المؤمنين لربِّهم في الجنَّة رؤية نعيمٍ، إذا تجلَّىٰ لهم، يَذْهلون عن كلِّ ما هم فيه من النَّعيم، ويَرَوْن أنَّهم لم يُؤتوا شيئًا أفضل ممَّا أُوتوا، أي: أفضل من الرُّؤية، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

وجوبُ الإيمان بالميزان يوم القيامة

وَالإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ: يُوزَنُ فِيهِ الْخَيرُ وَالشَّرُّ، لَهُ كِفَّتَانِ وَلَهُ لِسَانٌ.

الشرح:

أقولُ: أمَّا الكِفَّتان: فكفَّةٌ للحسنات، وكفَّةٌ للسَّيِّئات، وأمَّا اللِّسانُ: فهو الشَّوكة الَّتي يُعرف بها ميلُ الميزان إلىٰ أيِّ جهةٍ كانت، والوزنُ حقٌّ تُوزَن به أعمالُ العبادِ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

لماذا قال في الشَّخْصِ: موازين؟ لأنَّ أعمالَه تُوزَنُ؛ الصَّلاة تُوزَن، هل أُدِّيت جميعًا أم لا أَمْ كان فيها نقصٌ؟ وهكذا الزَّكاة، والصَّوم، وسائر الأعمال.

قال تعالىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١ - ١١].

وهل تكون الأعمال أجسامًا فتُوزَن، أو أنَّ الدَّواوين الَّتي فيها كتابة الخير والشَّرِّ هي الَّتي تُوزَن؟

حديثُ البطاقة يدلُّ علىٰ أنَّ الدَّواوين هي الَّتي تُوزَن كما في حديث عبد الله بن

عمرو، يقول: قال رسول الله ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ.

ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا.

ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ؟ أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لا.

فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ !

فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ؛ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ».

قال مُحمَّد بن يحيىٰ: البطاقة: الرُّقعة، وأهل مصر يقولون للرُّقعة: بطاقة. رواه ابن ماجه[(١)].

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الدَّواوين هي الَّتي توزَن.

وَقَدِ اختلف أيضًا في وزن الأشخاص، هل يُوزَن الأشخاص أم لا؟ والصَّحيح: أنَّهم يُوزَنون.

والدَّليل علىٰ ذلك: ما رواه أحمد في «مسنده» أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأصحابه خرجوا يومًا إلىٰ البادية، فارتقىٰ عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٣٥).

نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[١].

وجاء في الحديثِ أيضًا عن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رَسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**، وقال: **اقْرَؤُوا**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]». مُتَّفَقٌ عليه[٢].

إذًا، فهذان النَّصَّان دليلان علىٰ أنَّ الأجسام تُوزَن كما تُوزَن الأعمال، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٢٠) (٣٩٩١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٣١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

وجوبُ الإيمان بعذاب القبر

وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبْرِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

الشرح:

سؤالُ منكرٍ ونكيرٍ قَدْ ورد في عدَّة أحاديث، منها: حديثُ البراء بن عازبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، وَكَأَنَّ عَلَىٰ رُؤُوسِنَا الطَّيرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَينِ أَوْ ثَلَاثًا.

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ المؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّماءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ.

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموْتِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ.

قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي: بهَا - عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الملَائِكَةِ إِلَّا

قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوح الطَّيِّب؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ.

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ.

فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.

قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي، وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ.

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ

السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ.

فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ.

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي.

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ.

وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ». رواه أحمد وغيره[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٤) (١٢٠٥٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على «المشكاة» (١٦٣٠).

والأحاديثُ في عذاب القبر كثيرةٌ، وأهل السُّنَّة والجماعة يُؤمنونَ بعذاب القَبْر، وبسُؤَال مُنكرٍ ونكيرٍ، أمَّا المعتزلةُ فهُم يُنكرون عذاب القبر، والعياذُ بالله.





وجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ

وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، إِلَّا صَالِحًا عليه السلام؛ فَإِنَّ حَوْضَهُ ضَرْعُ نَاقَتِهِ.

الشرح:

وأقول: حوضُ النبيِّ ﷺ حوضٌ عظيمٌ، كما بينَ صنعاء وأيلة[1]، أباريقهُ عددُ النُّجوم، تَرِدُ عليه أمَّتُهُ.

وَقَدْ جاء في حديث أبي هريرة ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ أتَى المقبرة، فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**».

قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**».

فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ،**

(١) أخرج البخاريُّ (٦٥٨٠) عن أنس بن مالك ﵁ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»، ومسلم (٢٣٠٥) عن جابر بن سمُرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ».

أُنَادِيهِم: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا». رواه الإمام مسلمٌ وغيرُه، واللَّفظُ لمسلمٍ[(١)].

وهل لكلِّ نبيٍّ حوضٌ؟

هذا محلُّ نظرٍ، ويحتاج إلى دليلٍ يُثبتُه[(٢)].

قوله: «إلَّا صالحًا عليه السلام، فإنَّ حوضَه ضرع ناقتِه»، يقول المُحقِّق[(٣)]: «لم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، وأحمد (٢/ ٣٠٠) (٧٩٨٠)، وابن ماجه (٤٣٠٦).

(٢) قال الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموعة فتاواه ورسائله» في (٨/ ٥١٧) وعلى «شرحه للعقيدة الواسطية» عند قول المؤلِّف: (وفي عرصات يوم القيامة الحوض المورود لمحمَّد ﷺ، ماؤه أشدُّ بياضًا مِن اللَّبن...) إلخ، قال:

«عاشرًا: هل للأنبياء الآخرين أحواض؟

فالجواب: نعم؛ فإنَّه جاء في حديث رواه التِّرمذيُّ وإن كان فيه مقالٌ: «إنَّ لكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وإنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النَّبيِّ ﷺ مُرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصحُّ.

ثمَّ ذكر المحقِّق عمر بن محمود أبو عمر الَّذي حقَّق كتاب «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول» تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في (ج٢/ ٨٨٠) بأنَّ الحديث أخرجه التِّرمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض، والبخاريّ في «التَّاريخ الكبير» (١/ ١/ ٤٤)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٢/ ٣٢٧ - ٣٢٨/ح ٧٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٢/ح ٦٨٨١)، وفي «مسند الشَّاميِّين» (ح٢٦٤٦)، والحديث صحيح لشواهده، وقد صحَّح هذا الحديث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» برقم (١٥٨٩).

ثمَّ قال ابن عثيمين بعد ذكره للحديث السَّابق: «لكن هذا يؤيِّده المعنى، وهو أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بحكمته وعدله، كما جعل للنَّبيِّ ﷺ حوضًا يرِدُه المؤمنون من أمَّته؛ كذلك يجعل لكلِّ نبيٍّ حوضًا حتَّى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السَّابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوضُ النَّبيِّ ﷺ». اهـ.

(٣) المحقِّق هو الدكتور/ محمد بن سعيد القحطاني، في طبعة دار ابن القيم.

أجدْ دليلًا علىٰ هذه المسألة، فأرجو من أخي القارئ الكريم إنْ وجد شيئًا حول هذا أنْ يرشدني إليه، فالعلم رحمٌ بين أهله».

وأقول: لا أعرف في هذا شيئًا، أي: بالنِّسبة أنَّ حوضَ صالحٍ ضرعُ ناقتِه، واللهُ تعالىٰ أعلم[1].

أمَّا حوضُ رسول الله ﷺ فقد ثبت بالتَّواتر، وَقَدْ جاء في حديث أنس بن مالكٍ رَضِوَلِيَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ، واللَّفظ لمسلمٍ[2].

وفي روايةٍ: «فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»[3]، وبالله التَّوفيق.



---

(١) ذكر محقق هذا الكتاب المبارك الشيخ أبو ياسر خالد بن قاسم الردادي في طبعة مكتبة الغرباء الأثرية عند قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (إلَّا صالحًا عليه السلام فإنَّ حوضه ضرع ناقته) بأنَّ هذا جاء في حديثٍ موضوعٍ أخرجه العُقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٦٤، ٦٥)، وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٤٤)؛ من طريق عبد الكريم بن كيسان، عن سويد بن عمير به مرفوعًا، قال ابنُ الجوزيّ: «حديثٌ موضوعٌ لا أصلَ له». قال العُقيليُّ: «عبدُ الكريم مجهولٌ بالنَّقل، وحديثُه غيرُ محفوظٍ». وقال الذَّهبيُّ في ترجمة عبد الكريم هذا في «الميزان» (٢/ ٦٤٥): «من المجاهيل، وحديثه منكر»، ثمَّ أورد له الحديث المتقدم، وقال عقبه: «هو موضوع»، والله أعلم.

وأخرجه حميد بن زنجويه وعنه ابن عساكر في «تاريخه» كما في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٤٤٤، ٤٤٥) من طريقٍ آخر عن كثير بن مُرَّة به مرسلًا، بيْد أنَّه لا يُفرحُ بمثله، فإسناده تالفٌ مسلسلٌ بالمجاهيل مع إرساله. اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩)، عن أبي هريرة رَضِوَلِيَّهُ عَنْهُ.

وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ

وَالإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ الله ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهنَّمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ شَفَاعَةٌ، وَكَذَٰلِكَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ والصَّالِحُونَ، وَللهِ بَعْدَ ذَٰلِكَ تَفضُّلٌ كَثِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، والْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا.

الشرح:

وأقولُ: شفاعاتُ رسولِ الله ﷺ كثيرةٌ، فله شفاعاتٌ اختصَّ بها، وله شفاعاتٌ يُشاركُ فيها غيرَه.

فالَّتي اختصَّ بها ثلاثٌ:

١- وهي المقام المحمود، أي: الشَّفاعة في فصل القضاءِ.

٢- الشَّفاعة في استفتاح باب الجنَّة، أو شفاعتُه لأهل الجنَّة أنْ يدخلُوها.

٣- الشَّفاعةُ لأبي طالبٍ، وإخراجُهُ من غَمْرة النَّار إلىٰ ضَحْضاحٍ منها.

وهناك شفاعاتٌ أُخرىٰ يُشاركُه فيها غيرُه:

١- وهي الشَّفاعة في قومٍ استحقُّوا دخولَ النَّار، فيشفع فيهم أن يُعْفَوْا من دخول النَّار.

٢- الشَّفاعة في أقوامٍ دخلوا النَّار وعُذِّبوا فيها، فيشفع فيهم أن يخرجوا من النَّار، فيُخرَجون منها.

٣- الشَّفاعة في أقوامٍ اسْتَوتْ حسناتُهم وسَيِّئاتهم (أصحاب الأعراف)؛ فيشفَعُ فيهم أنْ يدخلُوا الجنَّة، والشَّفاعة هذه عامَّةٌ.

والشَّفاعات الَّتي ذكرت وهي سبعٌ أو ثمانٍ[1]، فأمَّا الثَّلاث الأولىٰ فيختصُّ بها النبيُّ ﷺ باتِّفاقٍ، والباقي يشترَكُ فيها معه غيرُه مِن الملائكةِ، والمرسلين، والنَّبيِّين، وسائر المؤمنين.

وحقيقة الشَّفاعة: هي إكرام الله للشَّافع، ورحمته بالمشفوع له، ثمَّ هي لا تكون إلَّا للمُوحِّدين؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قيل: يا رَسولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتِكَ يوم القِيامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَني عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». رواه البخاريُّ[2].

فنسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يُشفِّع نَبيَّه فينا، وبالله التَّوفيق.



(١) من الشَّفاعات العامَّة أيضًا: الشَّفاعة في قومٍ من أهل الجنَّة أن ترفع درجاتهم فيها.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٩٩).

وجوب الإيمان بالصِّراط

وَالإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَىٰ قَدْرِ إِيمَانِهِمْ.

الشرح:

أقول وبالله التَّوفيق: الصِّراط: هو جسرٌ ممدودٌ علىٰ متن النَّار، يمرُّ عليه المُوحِّدون المسلمون الَّذين ماتُوا علىٰ الإسلام، ولم يُشركُوا بالله شركًا أكبر يستوجب الخلودَ في النَّار.

أمَّا الكفَّار بجميع أنواعهم (مشركون، وَثنيُّون، ومُلْحدون، وأهل الكتاب اليهود والنَّصارىٰ، وغيرهم من أنواع الكفَّار)، فهؤلاء يُساقون إلىٰ النَّار سوقًا، وتُفتَّح لهم أبوابها السَّبْعة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وقال في سورة (الحجر): ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

فالَّذين كُتِبتْ عليهم الشَّقاوة الأبديَّة والخلود في النَّار - نستجير بالله من ذلك - هؤلاء يُساقون إلىٰ النَّار سوقًا، تَسُوقهم خَزَنةُ جهنَّم سَوْقًا، فتَسُوقهم الملائكة، ويدخلون فيها من أبوابها، كلُّ أهلِ ملَّةٍ وعقيدةٍ يدخلون في النَّار من بابٍ واحدٍ.

أمَّا المسلمون، فهؤلاء يُضرَب لهم الصِّراط علىٰ متنِ جهنَّم، فيَمرُّون عليه علىٰ قَدْر إيمانهم، وأوَّل مَنْ يمرُّ عليه: رسولُ الله ﷺ، ثمَّ يكون واقفًا عند

الصِّراط، يقول: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ». رواه مسلمٌ[(١)].

فيمرُّ بَعْضُهم كلمحِ البصرِ، وكالبرقِ الخاطفِ، وكالرِّيحِ، وكأجاويدِ الخيلِ، وكسَعْيِ الرِّجال، ومنهم مَنْ يُهرْوِل، ومنهم مَنْ يَمشِي، ومنهم مَنْ يزحف علىٰ بطنه، وعلىٰ الصِّراط كلاليب كَشَوْكِ السَّعدان، وهو شجرٌ له شوكةٌ معقوفةٌ يُقَال لها: العقيفاء، تضرب مَنْ أُمِرَتْ به، وتُلْقِيه في جهنَّم، وَقَدْ ورَد: «أَنَّهَا تشبّكُ بَيْنَ النَّاصِيَةِ وَالقَدَمِ»[(٢)].

قال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرَّحمن: ٤١]، وهذا لا يكون إلَّا بكسر الظَّهر، نسأل الله السَّلامة.

فالَّذين يَمرُّون علىٰ الصِّراط ويسقطون منه، هؤلاء يخرجون من النَّار بشفاعةِ الشَّافعين، وبرحمةِ أرحم الرَّاحمين، ويُطرَحون علىٰ نهر الحياة - أو نهر الحيا - بعد أنْ صارُوا حممًا، وتأخذُ النَّار كلَّ جسم الإنسان المُصَلِّي ما عدا مواضعَ السُّجود، فيأتي الشَّافعون، فيَعْرِفونهم بمواضع السُّجود منهم.

وحرامٌ علىٰ النَّار أنْ تأكلَ مواضع السُّجود من المسلمين أصحاب الكبائر، فإذا طُرِحوا علىٰ ذلك النَّهر، نَبتُوا فيه كما تنبتُ الحبَّة في حَمِيلِ السَّيْل؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» رواه البخاريُّ[(٣)].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «أَلا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الْحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) لم أجد حديثًا في هذا، وإنَّما ذكر أئمَّة التَّفسير وعلىٰ رأسهم الإمام ابنُ كثيرٍ: أنَّ معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾: أي: يجمع الزَّبانية ناصية الكافر مع قدميه في سلسلةٍ من وراء ظهره، ثمَّ يلقىٰ في جهنَّم، فيهوي فيها سنين حتَّىٰ يصل إلىٰ قعرها. اهـ. انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٩٩ سلامة).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالبَادِيَةِ.

قال: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»(١).

ثمَّ يدخلون الجنَّة، ويتبوَّؤون منازلهم منها بعد أن طُهِّروا ونُقُّوا من دَنَس الذُّنوب، ويكون لهم علامةٌ تبقىٰ عليهم زمنًا طويلًا، فيعرفهم أهل الجنَّة، ويقولون: هؤلاء الجهنَّميُّون.

وَقَدْ ورد أنَّهم فيما بعدُ يسألون اللهَ أنْ يُزِيلَ عنهم تلك العلامةَ؛ فتزُول عنهم، وقبل أن يصلوا إلىٰ الصِّراط يقتسمون النُّور؛ فمنهم مَنْ يكون له نورٌ يسعىٰ بين يديه كالجبل، ومنهم مَنْ يكون نوره كالنَّخلة بين يديه، ومنهم مَنْ يكون نوره مثل الرَّجل القائم، وأدناهم مَنْ يكون نوره شمعةً علىٰ ظُفُر إبهام رِجْله اليُمنىٰ تَشِعُّ له مرَّةً، فيتقدَّم وتنطفئ عليه مرَّةً، فيقف(٢).

أمَّا المنافقون النِّفاقَ الاعتقاديَّ، فهؤلاء يُعْطَون نورًا مع المسلمين، ثمَّ ينطفئ نُورُهُمْ، فيقولون للمسلمين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد: ١٣]، وفي قراءةٍ: ﴿أنظِرونا﴾(٣). وبهذا النُّور يمرُّ المؤمنون علىٰ الصِّراط.

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) نقل ابن كثير (١/ ١٩١ - ١٩٢ سلامة) ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الحديد: ١٢]، وأشار إلىٰ أنَّ ذلك ورد عن ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٠٠ هجر).

وهذا النُّور الَّذي يقتسمونه نورٌ حِسِّيٌّ، وهو بدلٌ عن النُّور المعنويِّ الَّذي استضاؤوا به في الدُّنيا، والَّذي تشير له الآية في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

فمَنِ استضاء بنور الكتاب والسُّنَّة في الدُّنيا فاتَّبعه وعمل به، أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ نورًا حسِّيًّا يوم القيامة حتَّىٰ يمرَّ علىٰ الصِّراط، ويدخل الجنَّة، وينبغي للمُسلم أن يكون له حظٌّ من نور الهداية الَّذي جاء به مُحمَّدٌ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مِن كتابٍ وسُنَّةٍ، وبالله التَّوفيق.



وجوبُ الإيمان بالأنبياء والملائكة

وَالإِيمَانُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ.

الشرح:

أقول: هاتان الفقرتان وهما الإيمان بالأنبياء، وكذلك الإيمان بالملائكة، هما ركنان من أركان الإيمان، فلا يُقبَل إيمانُ عبدٍ حتَّىٰ يُؤمن برُسُل الله عَزَّوَجَلَّ، وبملائكته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيجب علينا أنْ نُؤمن بالرُّسل ورسالاتهم السَّابقة علىٰ سبيل الإجمال، ونؤمن برسالة نَبِيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ علىٰ سبيل التَّفصيل؛ مَنْ سُمِّيَ منهم يجب أن نؤمن به باسمه وعينه، وهم خمسةٌ وعشرون رسولًا، ومَنْ لم يُسمَّ منهم فنحن نؤمن به علىٰ سبيل الإجمال، وَقَدْ ورد في عدد الأنبياء حديثٌ عند الإمام أحمد أنَّهم مئة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، وأنَّ الرُّسل ثلاث مئة وبضعة عشر[(١)].

والفرقُ بين النَّبيِّ والرَّسول: هو أنَّ النَّبيَّ مَنْ أوحي إليه بشرع مَنْ قبله، والرَّسول مَنْ أوحي إليه بشرعٍ مُستقلٍّ؛ فالأنبياء يُعَدُّون مُجدِّدين لرسالاتٍ كانت

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٧٨) (٢١٥٨٦) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... قلتُ: فأيُّ الأنبياءِ كَانَ أوَّل؟ قال: «آدمُ»، قلتُ: أوَنبيٌّ كَانَ يَا رَسولَ الله؟ قال: «نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ» قلتُ: فكَمْ المُرْسَلُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا». وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٧٣٧).

وجاء بلفظٍ آخر في «المسند» أيضًا (٥/ ٢٦٥) (٢٢٣٤٢): قال: «قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، كَم وَفَّىٰ عِدَّةُ الأَنبياءِ؟ قال: «مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا».

قبلهم، والرُّسل يُعدُّون مُؤسِّسين.

ونؤمن أنَّ هؤلاء مرسلون من ربِّهم لِهداية البشريَّة، فمنهم مَنْ قصَّ الله علينا خبره، ومنهم مَنْ لم يقصص علينا، وطوىٰ أخبارهم في علم الغيب.

أمَّا الملائكةُ: فهم عباد الله المُكْرَمون، يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعصونه طرفةَ عينٍ، ويطيعونه فيما أَمَرَ، ويفعلون ما يُؤمَرون، وأَعْدَادُهم لا يعلمها إلَّا الَّذي خلقهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

وَقَدْ جاء في حديث المعراج الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ وجد البيت المعمور في السَّماء السَّابعة، وإذا هو يزوره كلَّ يومٍ سبعون ألفًا من الملائكة، ثمَّ لا يعودون إليه آخر ما عليهم[(١)].

فإذا كانوا منذ خَلَق الله السَّموات السَّبع، وخلق اللَّيل والنَّهار، كلَّ يومٍ يزور البيت المعمور سبعون ألف مَلَكٍ، ثمَّ لا يعودون إليه، فهذا يدلُّ علىٰ كثرتهم بحيث لا يعلم عددهم إلَّا الَّذي خَلَقهم، فمَنْ كان منهم مسمًّىٰ كجبريل أمين الله علىٰ الوحي، وإسرافيل أمين الله علىٰ الصُّور، وميكائيل الموكَّل بالأرزاق والأمطار والنَّبات، وعزرائيل المُوكَّل بقبض الأرواح، إلَّا أنَّ تسميته بـ «عزرائيل» لم تَرِدْ في حديثٍ صحيحٍ[(٢)]، وحَمَلة العرش وغيرهم من الملائكة؛ فمالكٌ رئيس خَزَنة جهنَّم، ورضوان رئيس خَزَنة الجنَّة، كلُّ هؤلاء مُسَمَّونَ، والَّذين لم يُسَمَّوا كالملائكة المُوكَّلين بالأرحام، وملائكة البحار، وملائكة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية» (١/ ١٠٦ هجر): «وأمَّا ملَكُ الموتِ فليسَ بمصرَّح بِاسمه في القُرآن، ولا في الأحاديثِ الصِّحاحِ، وقد جاء تسميتُه في بعضِ الآثارِ بِعزرائيل، والله أعلمُ».

الجبال، وملائكة الرِّيح، والملائكة الَّذين وكَّلهم الله بالذِّكر إذا وجدوا قومًا يذكرون الله جلسُوا إليهم... إلىٰ غير ذلك.

وكلُّهم لا يَأكلون، ولا يَشربون، ولا يَنكحون، ولا يَتناسلون، ولا يَموتون إلَّا عند النَّفْخ في الصُّور، والملائكة الكُروبيُّون الَّذين هم حول العرش، وَقَدْ جاء في الحديث الصَّحيح: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ، وَعَلَىٰ قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ المَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ»[1]، وفي روايةٍ: «مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ سَنَةٍ»[2].

فنؤمن بهذا الخَلْق العظيم من الملائكة، وكلُّهم لهم أجنحةٌ يَطيرُون بها، ولا يعلم كيفيَّة خلْقهم إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعلينا أن نُؤمنَ بمَنْ عُيِّن علىٰ التَّعيين، ومَنْ لَمْ يُعيَّنْ نؤمن به في الجُملةِ، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٠٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٥٥): «رواهُ الطَّبرانيُّ فِي (الأوسط)، وقال: تفرَّد به عبدُ الله بنُ المُنْكدرِ. قُلتُ: هو وأبوه ضعيفان»، وضعَّفه الألبانيُّ في «الضَّعيفة» (٦٩٢٣)، وقال: «منكرٌ بذكر (القرْن) و(الخفقَان)».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (١٥١).

وجوب الإيمان بالجنة والنار

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ الجنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّار حَقٌّ، وأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الجنَّة فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَالنَّارُ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَدَدَ أَهْلِ الجنَّة وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّار وَمَنْ يَدْخُلُهَا، لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ الله أَبَدَ الآبدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ.

الشرح:

وأقول: إنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقةٌ، وَقَدْ ثبت ذلك بنصوصٍ كثيرةٍ[(١)]:

منها: إخبار الله تعالىٰ عن آدم أنَّه خُلِقَ في الجنَّة، والأصحُّ أنَّها الجنَّة الَّتي يدخلُها المؤمنون.

---

(١) كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]، وكذا ما جاء في قول الله سبحانه: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]، وكما ورد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وكما جاء في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الكريمات الَّتي دلَّتْ بمنطوقها، وبانَ لنا بمفهومها؛ بأنَّ أبانا آدم وأمَّنا حواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا في الجنَّة منعَّمَين، فأهبطا منها بسبب أكلهما للشَّجرة التي نهاهما الله عن أكلها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

فنعوذ بالله من إبليس وأعوانه الَّذين لا يألون جهدًا في إغواء بني آدم ما داموا في زمن الحياة والعمل، ونسأله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يجنِّبنا وإيَّاكم من نزغاته ووساوسِه، وأنْ يَغفرَ لنا سيِّئاتِنا وسوءَ أعمالنا، وأنْ يتقبَّل منَّا صالحَ العمل، وبالله التَّوفيق.

ومنها: أحاديثُ صحاحٌ واردةٌ في «الصَّحيحين» وغيرهما؛ كقول النَّبيِّ ﷺ في خطبة صلاة الكسوف: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللهَ؟».

قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟

قال ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ».

قِيلَ: يَكْفُرْنَ باللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ». مُتَّفقٌ عليه[(١)].

ومنها: ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ - واللَّفظُ للبُخاريِّ - من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، فَبَكَى عُمَرُ وَهُوَ فِي المَجْلِسِ، ثُمَّ قَالَ: أَوَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ؟ ![(٢)].

إلى غير ذلك من الأحاديث الَّتي تُثبتُ أنَّ الجنَّة والنَّار موجودتان الآن.

أمَّا كونهما لا تفنَيان، فهذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، ومَنْ أراد أن يستزيد في هذا الموضوع، فليقرأ كتاب: «كشف الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار» للأمير الصَّنعاني، بتحقيق الألبانيِّ رحمه الله[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٧) ومسلم (٢٣٩٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لمزيدٍ من التَّوسُّع في موضوع الجنَّة والنَّار، وأنَّهما لا تفنيان أبدًا، والرَّدّ على مَن قال بفنائهما، فليرجع

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ أهلَ الجنَّة، وعَدَدهم وأَسْماءَهم، وأهلَ النَّار، وعددَهم وأَسْماءَهم، ومَنْ يدخلونَ الجنَّةَ بعد عذابٍ في النَّار، ومَنْ يدخلون الجنَّة قبله، وَقَدْ جاءت في ذلك أحاديثُ لا نطيل في ذِكْرها.

ومنها: الأحاديثُ الَّتي وَرَدَتْ في مَسْحِ ربِّ العزَّة ظَهْرَ آدمَ، واستخراج ذُرِّيَّته منه كالذَّرِّ، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبض منهم قبضةً بيمينه، وقال: هذه لهذه ولا أُبالي، أي: للنَّار، وقبضَ قبضةً أخرىٰ بيده الأخرىٰ - جلَّ وعلا - فقال: هذه لهذه ولا أبالي، أي: للجنَّة(١).

ومنها: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَىٰ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا».

ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ،

= كذلك إلىٰ كتاب «توقيف الفريقين علىٰ خلود أهل الدَّارين» للعلَّامة مرعي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«كشف الأستار لإبطال ادِّعاء فناء النَّار» للشَّيخ الدكتور علي بن علي جابر - حفظه الله -؛ كما أشار إلىٰ ذلك محقِّق هذا الكتاب الشَّيخ أبو ياسر خالد الرَّدادي - حفظه الله - عندما علَّق علىٰ هذه المسألة في هذا الكتاب المبارك.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤) (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف أبي داود» (١٠١١): «صحيح، إلَّا مسح الظَّهر». ولمزيدٍ من الاستدلال بشيءٍ من الأحاديث حول هذه المسألة فليرجع في ذلك إلىٰ تفسير ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك عند تفسيره للآية رقم (١٧٢) مِن سُورة (الأعراف)، وهي قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا».

فَقَالَ أَصْحَابُه: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا؛ فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيدَيه، فنبذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ: فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» أخرجه أحمدُ والتِّرمذيُّ[1].

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الله قَدْ علم مَنْ يدخل الجنَّة، ومَنْ يدخل النَّار قبل خَلْق السَّموات والأرض، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٧) (٦٥٦٣)، والتّرمذيُّ (٢١٤١) واللَّفظُ له، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٨٤٨).

آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان في الجنة الباقية المخلوقة

وَآدَمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ فِي الجنَّة البَاقِيَةِ المَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَما عَصَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

أقولُ: لحكمةٍ أرادها الله عَزَّوَجَلَّ خلَق آدمَ في الجنَّة، وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٦ - ١١٩].

وأباح له أشجار الجنَّة جميعًا، ونهاهُ عن شجرةٍ واحدةٍ؛ ليُبيِّن له ولذُرِّيَّته عداوة إبليس، وأنَّ المعصية يترتَّب عليها حرمان الجنَّة والدُّخول في النَّار، والعياذ بالله.

ومكث فيها زمنًا لا يَقربُ تلك الشَّجرة، ولكنَّ عدوَّه الَّذي طُرِد بسببه ما كان ليتركه، فقد وسوس إليه أنَّ الله لم يَنْهَك عن هذه الشَّجرة إلَّا من أجل أنَّ مَنْ أكلَها يُخلَّد فلا يموت، فَانْطَلَتْ عليه تلك الوسوسة، فأثَّرت في نفسه لحكمةٍ أرادها الله عَزَّوَجَلَّ، فأكَلَ مِن الشَّجرة، ولمَّا أكل منها بَدَتْ له سوأته، ففرَّ في الجنَّة، وعلم أنَّه قَدْ أساء وعصىٰ، فناداه ربُّه وتاب عليه، ثمَّ أهبطه من الجنَّة إلىٰ الأرض ليلحق بذلك العدوِّ اللَّدودِ، ولتتمَّ المعركة علىٰ ظهر هذه الأرض بين الحقِّ والباطل إلىٰ يوم القيامة.

فرُسُل الله وأتباعهم يُمثِّلون الحقَّ، ويدعون إليه، ويعملون به، وإبليس

وأتباعه يُمثِّلون الباطل، ويعملون به، ويدعون إليه، والمعصوم مَنْ عَصَمه الله، والمَخْذُول مَنْ خذله الله وأضلَّه.

اللَّهمَّ اعصِمْنا من كيدِ الشَّيطان الرَّجيم، وأَصبِغْ قلوبنا بصِبْغَة الإيمان، وأَعِذْنَا من مُضلَّات الفتن، إنَّك سميعٌ قريبٌ.

وَقَدْ دارتِ المعركةُ، فأرسلَ اللهُ الرُّسُلَ بعد إغواء إبليس وذُرِّيَّته لبني آدم، وحَمَلهم علىٰ الشِّرك والكفر والمعاصي، وأرسلَ اللهُ الرُّسُل من أوَّلهم نوحٍ إلىٰ آخرهم مُحمَّدٍ ﷺ، وأنزل الكتب لهداية البشريَّة.

فهلمُّوا يا عباد الله إلىٰ النُّور الواضح، والحقِّ المبين، والشَّريعة الكاملة الَّتي أنزلها الله علىٰ خاتم الرُّسُل ممثَّلةً في كتابه (القرآن)، وسُنَّة رسوله ﷺ الكفيلة ببيان الحقِّ، وتوضيح مُجْملاتِ وعمومات القرآن، وعليكم بطريقة السَّلف، وهدي السَّلف فاتَّبعوهما إنْ أردتُم النَّجاة.

وَقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ في الفِرقةِ النَّاجية: «**هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي**»(١)، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذيّ»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

وجوب الإيمان بالمسيح الدَّجَّال

وَالإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

الشرح:

قَولُه: «والإيمان بالمسيح الدَّجَّال» أي: الإيمان بخروجه، وَقَدْ ثبتَ خُروجُه في أحاديثَ صحيحةٍ[(١)].

وفي الاستعاذة من أربعٍ الَّتي هي بعد التَّشهُّد، والصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ، ومنها قولُه ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ»[(٢)].

والمسيحُ الدَّجَّال قَدْ كان في عهد النَّبيِّ ﷺ موجودًا في جزيرةٍ من جزائر البحر، كما في حديث فاطمة بنت قيسٍ أنَّ تميمًا الدَّاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّه رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لخم وجُذَام، فَلَعِبَ بهِمُ الموجُ شَهْرًا في البَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ.

فَقَالُوا: وَيْلَكِ ما أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ.

قَالُوا: وَمَا الجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا القَومُ، انطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُل في الدَّيرِ؛ فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ.

---

(١) انظر كتاب: «قصَّة المسيح الدَّجَّال» للعلَّامة الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٨٣٢)، ومسلمٌ (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: لمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ: فَانطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ.

قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟

قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَىٰ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً.

فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَلَّا تُثْمِرَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ، وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ.

قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ

وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي: إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي المِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يعني: المدينة -، «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ؛ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ». الحديث[(١)].

والأحاديثُ في إنذار النَّبيِّ ﷺ أصحابه المسيح الدَّجَّال كثيرةٌ.

وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ» رواه البخاريُّ[(٢)].

وفي روايةٍ: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر»[(٣)]، أي: كافر.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واللَّفظ للبخاريِّ[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٨)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٦٩).

وفي حديث النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ.

ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ» الحديث[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

وروى البخاريُّ ومسلمٌ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ: إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»(١) إلىٰ آخر ما ذكر من الأحاديث، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

قال المحقِّق القحطاني: «كلُّ هذا ثابتٌ في الصَّحيح، وقدْ تتبَّع هذا الحافظُ ابنُ كثير في تفسيره آية (١٥٩) من سورة (النِّساء)، ومَن أراد التَّوسُّع أيضًا فليُراجعْ (التَّصريح بما تواتر في نُزول المسيح) للكشميري».

وجوب الإيمان بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَالإِيمَانُ بِنُزُولِ عِيسَىٰ ابنِ مَرِيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَتَزَوَّجُ وَيُصَلِّي خَلْفَ القَائِمِ مِن آلِ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَمُوتُ، وَيَدْفِنُهُ الْمُسْلِمُونَ(١).

الشرح:

الإيمان بنُزول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ واجبٌ، وكذلك الإيمان بأنَّ عيسىٰ عبد الله ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريم، وروحٌ منه.

وأنَّه ينزل عند صلاة الفجر علىٰ المنارة الشَّرقيَّة في مسجد دمشق بين(٢) مَهْرُودَتينِ (ثوبين)، واضعًا يدَيه علىٰ أجنحةِ ملَكينِ، فينزل، ويجد النَّاس ينتظرون صلاة الفجر، فيريد أن يُقدِّمه إمامهم، فيأبىٰ، ثمَّ يُصلِّي بهم إمامهم.

ويتبع المسيح الدَّجال، وفي يده حَرْبةٌ، فإذا رآه المسيح الدَّجَّال، ساح كما يسيح المِلْح في الماء، فيقتله، ثمَّ يعود إلىٰ المسلمين، فيُحدِّثهم بمنازلهم في الجنَّة، ويحكم بشريعة مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يَقْبَل من أحدٍ غير الإسلام، ويأمر بكسر الصَّليب، وقتل الخنزير، فيوعب(٣) النَّاس كلّهم علىٰ الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدَّجَّال وصفته وما معه.

(٢) المُراد بكلمة (بين) معنىٰ (في). انظر: «النِّهاية في غريب الحديث» لابن الأثير، مادَّة (هرد)، أي: في شقّين، أو حُلَّتين.

(٣) بمعنىٰ الجمع، أي: يجمعُ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاسَ علىٰ الإسلام.

ثمَّ يخرج يأجوج ومأجوج، فيُوحي الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ نبيِّ الله عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رَفِّع عبادي إلىٰ جبل الطُّور، فإنَّه سَيُخرِج أمَّةً لا يُدَانَ لأحدٍ بقتالهم، فيخرج يأجوج ومأجوج، فيمرُّون بالنَّهر فيشربونه حتَّىٰ يأتي آخرهم، فيقول: لقد كان هاهنا ماءٌ، فيقتلون كلَّ مَنْ وَجَدوه، ثمَّ يرمي أحدهم من النُّشابة إلىٰ السَّماء، فترجع مخضوبةً بالدَّم فتنةً لهم، فيقولون: قَدْ قتلنا مَنْ في الأرض، وسنقتل مَنْ في السَّماء.

فيدعو عليهم عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيرسل الله عليهم دودةً يقال لها: النَّغف، في رقابهم، فيموتون كلُّهم في ليلةٍ واحدةٍ، فيصبحون جميعًا موتىٰ، وعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه في جبل الطُّور حتَّىٰ إنَّ أحدهم ليَتمنَّىٰ أَنْ لو كان له رأسُ ثورٍ بمئة دينارٍ من الجوع؛ فيقولون: انظروا ما فعل هؤلاء.

فيقال: ومَنْ يقدر علىٰ ذلك، فيتطوَّع رجلٌ مخاطرٌ بنفسه فينزل، فإذا هم قَدْ ماتوا جميعًا، فيصيح مُبشِّرًا لهم.

ثمَّ إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يرسلُ المطرَ مطرًا عظيمًا، فتجرف جثثهم السُّيول، وترميها في البحر، وتصبح الأرض كأنَّها مرآةٌ، فيُقال للأرض: أعيدي بَرَكتكِ، فحينئذٍ يأكل القوم من الرُّمَّانة، ويَستظلُّون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل - أي: في المواشي - حتَّىٰ إنَّ اللِّقْحة من الإبل لتكفي الفِئام من النَّاس، واللِّقْحة من البقر لتكفي القبيلة، واللِّقْحة من الغنم لتكفي العشيرة.

فيمكث النَّاس زمنًا ليس بين اثنين عداوةٌ، ثمَّ يرسل الله ريحًا باردةً من اليمن، فتقبض رُوحَ كلِّ مؤمنٍ، ويبقىٰ شِرَار الخَلْق، فعليهم تقوم السَّاعة، وبالله التَّوفيق.



الإيمان قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَنِيَّةٌ(١)، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ، وَيَنْقُصُ حتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ(٢).

الشرح:

قَولُه: «ونؤمن بأنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونِيَّةٌ...» إلخ؛ أي: قولٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، وتصديقٌ بالقلب.

هذه الفقرة فيها ردٌّ علىٰ المُرْجِئة الَّذين يقولون: إنَّ الإيمان هو التَّصديق بالقلب فقط، وبعضهم يدخل في ذلك النُّطق بالشَّهادتين دون غيرهما، وبعضهم لا يدخله كلَّه(٣)، وكلُّهم مخطئون، فأخفُّ أهل الإرجاء الَّذين لا يُدْخِلون العملَ في مُسمَّىٰ الإيمان، وهذا ما يُسمَّىٰ بإرجاءِ الفقهاء.

أمَّا أهلُ السُّنَّة والجماعة فإنَّهم يقولون: لا بدَّ أنْ يتضافرَ القلبُ واللِّسانُ

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «ونيَّةٌ وإصابة»، والمقصود بالإصابة هنا: هي المتابعة للنَّبيّ ﷺ في كلِّ قولٍ وعمل.

(٢) قال المحقِّقُ القحطاني: «هذا ما أجمع عليه السَّلفُ الصَّالح، وانظُر إن شئتَ: «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد (٣١٤ - ٣١٧)». اهـ.

(٣) وهم غُلاة المرجئة الَّذين يقولون: إنَّ الإيمانَ هو مجرَّدُ المعرفة، وهم الجهميَّة. قال شيخُنا ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - في كتابه «عون الباري ببيان ما تضمَّنه شرح السُّنَّة للإمام البربهاري» (١/ ١٩٨ الميراث النَّبويّ): «وهذا ضلال، ولازم قولهم أنَّ فرعونَ مؤمنٌ، وإبليس مؤمنٌ، لماذا؟ لأنَّهم كلّهم يعرفون الله...»، إلىٰ أنْ قال: «فالَّذي يقول الإيمان هو المعرفة، فهو ضالٌّ مضلٌّ، بل عقيدتُه كفريَّة، وكفَّرهم السَّلفُ». اهـ.

والأعمالُ؛ فالقلبُ يَعتقِدُ، واللِّسانُ ينطقُ، والجوارحُ تعملُ، فإذا قال العبدُ: أشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله، لا بدَّ أنْ يقولها معتقدًا لمعناها أنَّ الأُلوهيَّة ينفردُ بها مستحِقُّها وهو اللهُ.

وهو مقتضى شهادةِ أنْ لا إله إلَّا اللهُ، فكلُّ مألوهٍ في الأرض فإنَّه قَدْ أُلِهَ بباطلٍ، وتُعبِّد له بغير حقٍّ، والعبوديَّة لا تنبغي إلَّا لله الَّذي في السَّماء على العرش استوى استواءً يليق بجلاله، فهو بائنٌ من خَلْقِهِ، ويعلم ما هم عاملون، ويعلم خطرات القلوب، ونظرات العيون، ولفظات الألسُن، وحركات الجوارح، ويسمع كلَّ شيءٍ، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وهو السَّميع البصير.

وإذا شهدَ أنَّ مُحمَّدًا رسول الله، اعتقدَ ذلك بقلبه، ولَفَظَه بلسانِه، وعَمِلَه بجوارحِه، فيعتقد أنَّ مُحمَّدًا مرسلٌ من عند الله، مبلِّغٌ لرسالته.

أمَّا إنْ قالها بدون اعتقادٍ، فإنَّها لا تنفعه؛ كقول المنافقين حين أتَوْا إليه ﷺ وقالوا: نشهدُ إنَّك لرسول الله؛ فأكذبَهم الله بقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الفتح: ١١].

وبهذا تعلمُ أنَّ الإيمانَ لا يكونُ إيمانًا حقًّا حتَّى يجتمعَ عليه القلبُ واللِّسانُ والجوارحُ؛ فإنْ لم تجتمع هذه الثَّلاثةُ فلا إيمانَ.

ونقولُ كما قال السَّلفُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ ونِيَّةٌ، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعاصي.

والأدلَّةُ على زيادةِ الإيمان ونُقصانه مِن كتاب الله كثيرةٌ، وَقَدْ عقد البخاريُّ بابًا لزيادة الإيمان ونقصانه، واستدلَّ عليه بآياتٍ وأحاديثَ.

فمن الآيات: قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

إلىٰ غير ذلك من الآيات؛ فمَنْ شاءَ فليُراجِعْه من كتاب الإيمانِ مِن «صحيح البُخاريِّ».

فمَنْ قال: إنَّ الإيمانَ لا يزيدُ ولا ينقصُ، وأنَّ إيمانَه وإيمانَ جبريلَ واحدٌ؛ فقد كذَبَ وافترىٰ، وعليه أنْ يتوبَ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يُقْلِع عن هذه المقالةِ، الطَّاعةُ تزيد الإيمان وتُنمِّيه، والمعصيةُ تُنقصُه، وكلَّما ازدادَتْ المعاصي، زاد الإيمانُ نقصًا، وكلَّما ازدادتْ الطَّاعاتُ، زادَ الإيمانُ كمالًا، وبالله التَّوفيقُ.



أفاضل الأمة

وَأَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ والأُمَمِ كُلِّهَا بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -[١]: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، هَكَذَا رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»[٢].

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الجَرَّاحِ، وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلخِلَافَةِ.

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، القَرْنُ الأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمِ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ والأَنْصَارُ، وهُمْ مَنْ صَلَّى القِبْلَتَيْنِ.

ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ، نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِم، وَنَذْكُرُ فَضْلَهُمْ، وَنَكُفُّ عَنْ زَلَلِهِمْ، وَلَا نَذْكُرُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِالخَيْرِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»[٣]. وَقَالَ

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «وخيرُ هذه الأمَّة بعد وفاة نبيِّها أبو بكر...»، إلخ.

(٢) أخرج البخاري نحوه (٣٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنهم».

(٣) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٠/١٩٨ تحت رقم ١٠٤٤٨ حمدي السَّلفي)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٠٨ السَّعادة)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وصحَّحه بشواهده الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٣٤).

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوًى»(١).

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأفضلُ هذه الأُمَّة والأمم كلِّها بعد الأنبياءِ - صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين -: أبو بكرٍ، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عُثمان»؛ وَقَدْ ورد بذلك حديثٌ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا في زمَن النَّبيِّ ﷺ لا نعدل بأبي بكرٍ أحدًا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نتركُ أصحابَ النَّبيِّ ﷺ لا نُفَاضل بينهم. رواه البخاريُّ(٢).

فمعتقد أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّهم يَرَوْن أنَّ أفضل الأُمَّة بعد نَبيِّها: هؤلاء الثَّلاثة الخُلفاء بعد رسول الله ﷺ، ثمَّ رابعهم عليُّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ السِّتَّة الباقون مِن العشرة، ثمَّ مَنْ هاجر الهجرتين، ثمَّ أصحاب بيعة العقبة، ثمَّ أهل بدرٍ، ثمَّ أهل بيعة الرِّضوان، ثمَّ مَنْ هاجر قبل الفتح وقاتل، ثمَّ مَنْ صحب النَّبيَّ ﷺ ثمَّ أهل قرنه، ثمَّ الَّذين يلونهم.

فهؤلاءِ الَّذين أمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ ورسولُه ﷺ بمعرفة ما لهم مِن الفضل والفضيلةِ والسَّابقةِ إلىٰ الإسلام مِن المهاجرين والأنصار.

فمَنْ تكلَّمَ في الصَّحابة؛ فإنَّه قَدْ قدَح في الدِّين الَّذي حمله الصَّحابة - رضوان الله عليهم -؛ لأنَّ الدِّين جاء من طريقهم، ولهذا فإنَّ الَّذين كفَّروهم لا

---

(١) لم أجد تخريج هذا الأثر، وعلىٰ فرض ضعف سنده إلىٰ سُفيان بن عُيينة؛ فإنَّ معناه صحيح حيثُ دلَّت النُّصوصُ الشَّرعيَّة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ علىٰ وجوب احترام الصَّحابةِ والعمل بسنَّتهم إنْ لم تُخالف الشَّرع، وإنْ حصل من بعضهم خطأٌ فخطؤهم مغمورٌ في بحار حسناتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم؛ وحقَّ أن يكون المتكلِّمُ في الصَّحابة والطَّاعنُ فيهم مِن أهل الأهواء والبدع؛ لمخالفتِه كلامَ ربِّنا، وصحيحَ سُنَّة نبيِّنا ﷺ في هذه المسألة، وسيأتي عن شيخنا النَّجميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مزيدُ بحث عن هذه القضية.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

حظٌّ لهم في الدِّين؛ سواءٌ كانوا خوارج أو روافض؛ فالخوارج لا يَسْتَثنون من الصَّحابة إلَّا أبا بكرٍ وعمر، والرَّوافض لا يَسْتَثنون من الصَّحابة إلَّا عليَّ بن أبي طالبٍ وأهل بيته، وعددًا قليلًا لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة.

وكلُّ هؤلاء - الخوارج والرَّوافض - قَدْ ضلُّوا عن الطَّريق، وابتعدوا عن الحقِّ، وقدحوا فيمَنْ أثنىٰ الله عليهم، ونوَّه بفضلهم وجهادهم كما في سورة (التَّوبة)، وسورة (الفتح)، وسورة (الحشر).

فالآياتُ الَّتي في هذه السُّوَر تَخُصُّ مَنْ صَحِبَ رسولَ ﷺ، وتُنوِّه بفضلِهم وسابقتهم وجِهادِهم.

فمِن ذلكَ: قولُه تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]. وقولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]. وقولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، والآيتين بعدها.

فهذه الآيات تُنوِّه بفضل الصَّحابة، وتُبيِّنُ ما لهم مِن السَّابقة والجهاد مع رسولِ الله ﷺ، ومَنْ قال خلافَ ذلك؛ فهو مُبتدعٌ ضالٌّ، وبالله التَّوفيقُ.



وجوبُ السَّمع والطَّاعة للأئمَّة في غيرِ معصيةٍ

وَالسَّمْعُ والطَّاعَةُ للأئمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَىٰ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيهِ، وَرِضَاهُمْ بِهِ؛ فَهُوَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ، لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلا يَرَىٰ أَنْ لَيْسَ عَلَيهِ إِمَامٌ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، والحَجُّ وَالغَزْوُ مَعَ الإِمَامِ مَاضٍ، وَصَلاةُ الجُمْعَةِ خَلْفَهُم جَائِزَةٌ، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسَّمْعُ والطَّاعَةُ للأئمَّةِ فيمَا يُحِبُّ اللهُ وَيَرْضَىٰ»: هذه الفقرة قَدْ تقدَّم الاستدلال عليها في الفقرة الأولىٰ بما يُغنِي عن إعادته هنا[١].

ولكن بقيَ أنْ نذكر بأنَّ هذا أمرٌ واجبٌ علىٰ كلِّ مُسلمٍ، ولا يجوز لأحدٍ أنْ يقولَ: ليس لفُلانٍ عليه بيعةٌ، ولا يجوز له أن يبايع لشخصٍ مجهولٍ كما يفعله بعض المُتحزِّبين؛ إذ يُعطي البيعةَ لمجهولٍ لا يُعْرَفُ، ويقولُ: إنَّه ليس للإمام المعروف عند النَّاس، ليس له في عُنقِه بيعةٌ، وإنَّما بَيْعتُهُ لذلك المجهول.

وَقَدْ كتبتُ في هذه المسألة فتوَىٰ إجابةً علىٰ سؤال: هل تجوزُ الإمارةُ في

(١) كما سيأتي عند قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمِنَ السُّنَّةِ لُزُومُ الجماعةِ، فَمَنْ رَغِبَ غَيْرَ الجماعةِ وفَارَقَهَا؛ فقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا».

الحضر؟ (١).

---

(١) وإليك أخي القارئ الكريم نصَّ السُّؤال والإجابة عليه مِن ضمن أسئلةٍ عُرِضَتْ على فضيلةِ شيخنا النَّجميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأجاب عليها، وقد جُمعتْ في كتاب سُمِّيَ بـ «الفتاوى الجليَّة عن أسئلة المناهج الدَّعويَّة» الجزء الأوَّل:

س٥٠: فضيلة الشَّيخ أحمد بن يحيى النَّجمي حفظكم الله لخدمة السُّنَّة وأهلها، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعدُ: يا شيخُ، إنِّي أُحبُّك في الله، ونُريدُ منك - جزاك الله خيرًا - توضيحَ هذه الشُّبه الَّتي يُدلي بها بعض متَّبعي الجماعات، وهي ادِّعاء جواز الإمارة في الحضر، بحيث إنَّهم قالوا: أمر الرَّسول ﷺ أن يوضع أمير في السَّفر، والسَّفر رحلةٌ قصيرةٌ، فلماذا لا نضع لنا أميرًا في هذه الدُّنيا، وهي رحلةٌ طويلةٌ؛ يحثُّنا فيها على الخير، وينظِّم صفَّنا؛ وهم يستدلُّون بذلك على جواز البيعة لغير الحاكم؛ فلذلك نرجو توضيح هذه المسألة، مع الاستدلال على ما تقولون - رعاكم الله - ببعض النُّصوص الشَّرعيَّة؟ وجزاكم اللهُ خيرًا.

الجواب: «الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. **وبعدُ**:

حديثُ التَّأمير في السَّفر أخرجه أبو داود بلفظ: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ، فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**». من طريق محمَّد بن عجلان، عن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا؛ رقم (٢٥٩١)، ورواه بهذا السند - وجعَل صحابيَّه أبا هُريرةَ - مرفوعًا، ولفظُه: «**إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ؛ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**» رقم (٢٥٩٢)، كلاهما في باب: القوم يسافرون يؤمِّرون أحدهم، رقم الباب (٨٧) من كتاب الجهاد في «سنن أبي داود». وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» رقم (١٣٢٢)، وقال: أخرجه أبو عوانة في «صحيحه» (ج٨ / ١٨) قال: وله شاهد من حديث ابن لهيعة: حدَّثنا عبد الله بن هُبيرة، عن أبي سالم الجيشاني، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَكُونُونَ بِأَرْضِ فَلَاةٍ إِلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ**»، وقد أخرجه الإمام أحمد (ج٢ ص١٧٦، ١٧٧).

قال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلتُ: «ورجاله ثقات غير ابن لهيعة؛ فإنَّه سيِّئُ الحفظ». انتهى من «الصَّحيحة» (ج٣ ص٣١٤).

قال في «عون المعبود شرح سنن أبي داود» على حديثي أبي سعيد، وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

قال الخطَّابيُّ: «إنَّما أُمروا بذلك؛ ليكونَ أمرُهم جميعًا، ولا يتفرَّق بهم الرَّأي، ولا يقع بينهم اختلاف، والحديث سكَت عنه الترمذي». اهـ قوله: «إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ» والمعنى: أنَّه إذا كانوا جمعًا، وأقلُّها ثلاثة؛ =

«فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»، فليجعلوا أحدَهم أميرًا. أمَّا ما زعموه، أو ما زعمه بعض مُتَّبِعِي المناهج الحزبيَّة؛ تبريرًا لتصرُّفاتهم الخاطئة، مِن اتِّخاذهم الأمراءَ في الحضر؛ غير الأمير العامِّ، وإعطائهم البيعة لأميرهم المجهول؛ حيث زعم هؤلاء، أو بعضهم، أنَّ شرعيَّة الإمارة في السَّفر؛ دليل على جوازها في الحضر؛ جعله من باب (قياس الأولويَّة) بمعنى: أنَّه إذا استُحبَّ ذلك في السَّفر القصير الَّذي يكون أيَّامًا ثُمَّ ينقطع، فإنَّه مِن باب أولى يجوز في السَّفر الطَّويل؛ الَّذي هو سفرُ الدُّنيا.

وأقولُ: إنَّ هذا زعمٌ باطلٌ، وفهمٌ خاطئٌ؛ لأمور:

الأوَّل: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو المشرِّع، ورسوله ﷺ هو المبلِّغ لشرعه، فلا يجوز لأحد أن يُشرِّع غير ما شرعه الله ورسوله، ولا أنْ يُشرِّع ما لم يأذنْ به اللهُ ورسولُه.

الثَّاني: الفرق بين السَّفر والحضر فرقٌ واضحٌ؛ يعرفه كلُّ أحد، فالَّذين يكونون في دار المقامة؛ أي: في الحضر، مرتبطون بالأمير العامِّ، فلا يجوز لهم أن يتَّخذوا أميرًا غيره، وإلَّا لسادت الفوضى وتحكَّمت السُّفهاء، واختلط الحابل بالنَّابل، وإنَّ شرع الله ليتنزَّه أنْ يقرَّ مثل هذه المهازل، فضلًا عن أنْ يشرعَها، ويأمُرَ بها. وإنَّ شرع الله ليحرِّم الخروج على السُّلطان، وإنْ كان فاسقًا جائرًا، وقدْ جاءتْ بذلك أحاديثُ كثيرةٌ؛ ففي «صحيح مسلم» عن أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا».

وفي الرِّواية الأخرى: «فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ». وباقي الحديث مثل الأوَّل.

ومعنى الحديث: أنَّ بعض الأمراء سيعملون أعمالًا تعرفونها بأنَّها حقٌّ، وأعمالًا تنكرونَها بأنَّها باطل، فمَنْ أنكرها بقلبه، وعرَف بُطلانها؛ فكرهها برئ، ومَن أنكر بلسانِه فقد سَلِمَ.

ولكن من شرط الإنكار على الإمام أن يكون بطريقةٍ سريَّةٍ؛ ليكون أجدى للقبول، وأسلَم للمجتمع، حتى لا تنتشر الفوضى فيه، «وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»؛ يعني هو الآثم.

ولما قال الصَّحابةُ: «أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ »، قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»، وفي ذلك تحريم الخروج على الإمام ما دام يُقيمُ الصَّلاةَ.

وفي حديث مُسلم من حديثِ عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ».

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في سَفَر، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِه؛ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: الصَّلَاةَ

جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا من حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

قلتُ: فأيُّ منازعة أعظم من أن تبايع أميرًا آخر غير الأمير العام، وكيف يكون موقفك إذا ورد عليك أمرُ الأمير الأوَّل يأمرك بشيء، وورد عليك أمر الأمير الآخر ينهاك عن ذلك الشَّيء، فمَن تُطيعُ منهما؛ هل تُطيع الأوَّل وتترك طاعة الثَّاني، أو تُطيعُ الثَّاني وتترك طاعةَ الأوَّل.

فإن أطعتَ الأوَّل، وتركتَ طاعةَ الثَّاني فقد رشدتَ؛ إلَّا أنَّه يجب أن تعلم أنَّك بطاعتك للأوَّل وترك الثَّاني قد اعترفت أن بيعة الثَّاني باطلة لا أساس لها من الصِّحَّة، وأنَّ فِعْلها ضربٌ من العبث، وإن أطعتَ الثَّاني وتركتَ الأوَّل الَّذي قد بايعتَه أوَّلًا، وأعطيتَه صفقةَ يدكَ، وثمرة فؤادِك؛ فإنَّك حينئذ قد أغضبتَ ربَّك، وتسبَّبتَ في إيقاع الفتنة في مجتمعك، فإنْ سُفكتِ الدِّماء فأنت المتسبِّب فيها، وعليك منها أوزارٌ لا يعلمها إلَّا الله. فانظر لنفسك، وتُبْ إلىٰ الله ما دامت التَّوبة مواتية.

فإنْ قلتَ: أنا ليس في عُنقي بيعةٌ.

قلنا: إنَّ بيعة عَرِيفك، وشيخ قبيلتك بيعة عنك، وعن جميع القبيلة، فأنت في عنقك بيعةٌ شئت أم أبيتَ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «ليرفعْ إليَّ عرفاؤكُمْ». وجعَل بيعة النُّقباء بيعةَ عمَّن تحت أيديهم.

وإن قلتَ: إنَّ بيعةَ الأوَّل باطلة. قلنا: ما هو السَّبب الَّذي أبطلها؟

فإن قلت: أبطلها إقرارهم للبنوك الربويَّة. قلنا لك: وهل تعتقد أن فعل الربا موجب لكُفر فاعلِه؟

فإن قلتَ: نعمْ. قلنا لك: هذا مذهبُ الخوارج، الَّذين يكفِّرون المسلمين بالكبائر، ويعتقدون تخليدهم في النَّار؛ لذلك فهم لا يحكمون بالإسلام إلَّا لمن هو علىٰ مذهبهم وعقيدتهم.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة؛ فإنَّهم لا يُكفِّرون أحدًا بذنبٍ، وإن كان كبيرةً، وإنْ تكرَّر منه هذا الذَّنب عدَّة مرَّات.

فإن قلتَ: ما هو الدَّليل علىٰ ذلك؟ قلنا لك: ما جاء في الحديث الصَّحيح: أَنَّ رَجُلًا كان كثيرًا ما يؤتىٰ به في الخمر، فأُتِي به مرَّةً، فقال رجلٌ: لعنه الله؛ ما أكثر ما يؤتىٰ به في الخمر. فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا تَكُونُوا عَوْنًا للشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ».

فسمَّاه أخًا في الإسلام مع أنَّه يكثر من شرب الخمر الَّتي هي أمُّ الخبائث، ولم يخرجه تكرار الشرب من الإسلام؛ بل أنكر النَّبيُّ ﷺ علىٰ مَنْ لعنه، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فقد أثبت الله عَزَّوَجَلَّ للمقتتلين مطلق الإيمان مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «إِذَا الْتَقَىٰ المسْلِمَانِ بِسَيْفَيهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمقْتُولُ فِي النَّارِ».

مع أنَّه ﷺ يقولُ: «سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». والمرادُ بالكُفر هنا كفر النِّعمة؛ أي: أنه كفرٌ بنعمة الأخوَّة الإسلاميَّة، فهو من الكفر الأصغر، وَقَدْ تبيَّن من هذا أنَّ فاعل الكبيرة لا يكفرُ بفعلِها ولو تكرَّر حتَّىٰ يَستحلَّها، فإن استحلَّها كَفَر، ولو لم يفعلها.

قال الحافظُ ابنُ حجر في «فتح الباري» (ج ١٠ ص٦٦ طبعة رئاسة البحوث): (وقد قام الإجماع علىٰ أن قليل الخمر وكثيره حرام، وثبت قوله ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». ومَن استحلَّ ما هو حرامٌ بالإجماع كفر). انتهىٰ.

لكن ما هو الاستحلال الذي يعتبر به العبد مُستحلًّا لذلك الحرام؟ والجواب: الاستحلال هو مِنْ فِعْلِ القلب، وهو أن يعتقد العبدُ بقلبه حلَّ المحرَّم المجمع عليه، ولو لم ينطق بذلك، فمَن اعتقدَ حِلَّ الزِّنا كفَر، ولو لم يفعله، ومَنْ فعله وهو يعتقد أنَّه حرام، فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حلَّ الربا كفر، ولو لم يفعله، ومن فعله وهو يعتقد أنه حرام فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حلَّ الخمر كفَر، ولو لم يشربه، ومَنْ شربه وهو يعتقد أنَّه حرامٌ فهو مسلمٌ فاسقٌ.

وعلىٰ هذا فبأيِّ شيء نعرف الاستحلال؟

الجواب: نعرفه بالنُّطق؛ بأنْ يقول مثلًا بأنَّ الخمر حلال، أو الرِّبا حلال، أو الزِّنا حلال، أو أنْ يكتبَ ذلك في كتاب نقطع بصحَّة نسبته إليه، أمَّا بدون ذلك فلا؛ لأنَّ الاستحلالَ مِن عمل القلوب، والقلوبُ لا يطَّلع علىٰ ما فيها إلَّا الله وحدَه.

وقد بطلَتْ بهذا التَّحقيق حُجَّة مَن يكفِّر بفعل الكبيرة، ولو تكرَّر، ويبطل به بيعة الإمام مع أنَّ إذن النَّبيِّ ﷺ في الخروج علىٰ الأئمَّة وجواز قتالهم كان معلَّقًا بالكُفر البواح الَّذي معَنا مِن الله فيه برهانٌ.

فإنْ قال هذا الشَّخص: أنا لم أبايع أحدًا.

وقد قيَّد الطَّاعة بإقامة الصَّلاة: «أَطِيعُوهُمْ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ». والطَّاعة مُقيَّدة بالمعروف؛ لقوله: «لا طَاعَةَ لمخْلُوقٍ في مَعْصِيةِ الخَالِقِ».

وشرطٌ فيها آخرُ، وهو: «فيما تَسْتَطِيعُ» للحديث: بايعنا رسول الله ﷺ على السَّمع والطَّاعة، فلقَّننا: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ». فقلنا: لله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، فما هو المُبرِّر لاتِّخاذ أمير في الحضر غير أمير العامَّة، ومبايعة والٍ آخر مخفِيٍ غير الوالي المعروف الظَّاهر للنَّاس؟ ! لا شيء غير الهوى عند أصحاب المناهج الحديثة، الَّذين اتَّخذوا منهجًا غير المنهج النَّبويِّ، فعوقبوا بإعراضهم عن سُنَّة المصطفى ﷺ؛ أي: عوقبوا بتقليب القلوب، واستحسان الباطل، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فإنْ قلتَ: لم نبايع على إمامة، وإنَّما بايعنا على العمل للإسلام، وهي الدَّعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله.

قُلنا: العمل للإسلام قَدْ أوجبه الله عليك؛ بما أخذه عليك من عهدٍ في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

ثمَّ أنتَ إنْ فعلتَ الدَّعوة إلى الله فعَلْتها امتثالًا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر نبيِّه ﷺ، كنتَ مخلِصًا مُثابًا، وإنْ فَعَلْتها امتثالًا لأمر مَنْ بايعته، فإنِّي أخاف عليك في هذه الحالة أن تكون مُرائيًا تقصد إرضاء مَنْ بايعته، فلا يكون لك أجرٌ، وستندم حين لا ينفع الندم.

الثالث: إنَّ الأمر من الشَّارع الحكيم ﷺ بالتَّأمير خاصٌّ بالسَّفر، ومقصورٌ عليه، ومحصورٌ فيه، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ: «إذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ في سَفَرٍ؛ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ». فقوله: «إذَا خَرَجَ». «إذا» شرطيَّة غير جازمة، و«خرج» فعل الشَّرط، وفعل «فليؤمروا» جواب الشرط وجزاؤه؛ والتقييد بـ «ثلاثة» متمِّمٌ لفعل الشَّرط، إذ هو فاعله؛ يعني أنَّ الثَّلاثةَ فأكثر أُمِروا أنْ يُؤمِّروا عليهم واحدًا إذا كانوا في سفَر، أمَّا إذا كانوا في حضرٍ فلا.

وقال في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ بِأَرْض فَلَاةٍ إلَّا أَمَّرُوا عَلَيهِمْ أَحَدَهُمْ»، أخرجه أحمد (ج٢/١٧٦، ١٧٧) قال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (ج٣ ص٣١٤): قلتُ: ورجاله ثقاتٌ غير ابن لهيعة؛ فإنَّه سيِّئ الحفظ.

قلتُ: لكن يعتضد بما قبله، ومن هذا يتبيَّن أنَّ الإذن من الشَّارع ﷺ في الإمارة الخاصَّة، خاصٌّ بالسَّفر دون غيره، ومَنْ زعم أنَّ الإذن بالإمارة الخاصَّة في السَّفر دالٌّ على جواز فِعْلها في الحضر فهو جاهلٌ لا يعرف مِنْ شرعِ الله شيئًا، ومن حقِّه أن يَستُر نفسَه، وألَّا يُظهر جهلَه لغيره، وبالله التوفيق».

قيل له: إنَّ بيعة عريفك بيعةٌ لك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ليَرْفَعْ إليَّ عرفَاؤُكُمْ»(١).

قوله: «ومَنْ وَلِيَ الخلافة بإجماع النَّاس عليه ورضاهم به، فهو أمير المؤمنين، لا يحلُّ لأحدٍ أنْ يَبيتَ ليلةً، ولا يرى أنْ ليس عليه إمامٌ؛ برًّا كان أو فاجرًا».

تقدَّم الكلام على هذا والاستدلال عليه(٢).

ومن ذلك: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَومَ القِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٣)، ولقوله ﷺ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بالمعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(٤).

إذًا، فالسَّمع والطَّاعة واجبةٌ للسُّلطان؛ سواءٌ كان برًّا أو فاجرًا، يعني: ولو كانت عنده معاصٍ، فإنَّه لا يجوز الخروج عليه؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(٥).

وفي الحديث الآخر: «أَلَا مَنْ وُلِّيَ عَلَيهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ لِيَكْرَهْ مَا يَأْتي، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٧) بلفظ: «إنَّا لا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ في ذَلِكَ مِمَّنْ لم يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ». قال الشيخ أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العرفاء: جمع عريف، وهو شيخ القبيلة المسئول المباشر عنهم، وشيخ الشمل أعلى منه».

(٢) كما في الفقرة الأولى، والمشار إليها سابقًا في أوَّل الشَّرح.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

وقوله: «والحجُّ والغزْوُ مَعَ الإمَامِ مَاضٍ، وصَلاةُ الجُمعةِ خَلْفَهُم جَائِزَةٌ».

يعني أنَّه يجبُ أن يُقتَدىٰ بالإمام في الحجِّ والغزو، فيحجُّ تحت إمارته، ويغزو معه، ويُصلِّي وراءه الجمعة، ولا يجوز له أن يمتنع من الصَّلاة بعده؛ أي: وراءه، بل يجب عليه المتابعة لهم، والسَّمع والطَّاعة لهم، والاقتداء بهم في الجمعة والعيدين.

وقوله: «وَيُصَلِّي بعدَها ستَّ ركعاتٍ يفصلُ بين كلِّ ركعتَين. هكذا قال أحمد بن حنبل».

قلتُ: الصَّلاة بعد الجمعة ثبت بها النَّصُّ أنَّه إنْ صلَّىٰ في المسجد صلَّىٰ أربعًا، وإن صلَّىٰ في البيت صلَّىٰ ركعتَين، والسِّتُّ روايةٌ عن الإمام أحمد، وقال بها مِنَ الصَّحابة: عليُّ بن أبي طالبٍ، وأبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. ومن التَّابعين: عطاء، ومجاهد، وحُميد بن عبد الرَّحمن، وقال بها الثَّوريُّ، والأوَّل أثبتُ دليلًا[1]، وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) دل علىٰ سُنيَّة ذلك حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي يومَ الجمعة رَكْعَتَينِ في بيتِه. رواه الجماعة، وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مُصَلِّيًا بَعْدَ الجُمُعَةِ فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا» رواه مسلم وأبو داود والتِّرمذيُّ.

قال ابن القيِّم في «زاد المعاد» (١/ ٤٢٤ - ٤٢٥ الرِّسالة): «وكان ﷺ إذا صلَّىٰ الجمعة، دخل إلىٰ منزله فصلَّىٰ ركعتين سُنَّتها، وأمر مَنْ صلَّاها أن يصلي بعدها أربعًا. قال شيخنا أبو العبَّاس ابن تيمية: إنْ صلَّىٰ في المسجد صلَّىٰ أربعًا، وإن صلَّىٰ في بيته صلَّىٰ ركعتَين». اهـ.

التّحذير من الخروج على الحكّام المسلمين

والخِلَافَةُ فِي قُرَيشٍ إِلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام.

وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ مِن أَئمَّةِ المُسلِمينَ؛ فَهُوَ خارِجيٌّ، قَدْ شَقَّ عَصَا المُسْلِمينَ، وَخَالَفَ الآثارَ، وَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جاهِلِيَّةٌ.

الشرح:

قولُ البربهاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخلافةُ في قُريشٍ إلىٰ أنْ ينزلَ عيسَىٰ ابنُ مريمَ عليه السلام»، قَدْ ورد بهذا حديثٌ عند أحمد: «وَالخِلَافَةُ في قُرَيشٍ»[١].

ولكن هذا يُحمَل علىٰ ما إذا كانت الخلافة باختيارٍ، أمَّا إذا كان هناك رجلٌ قاتل النَّاس بمَنْ معه واستولىٰ عليهم، وخضع النَّاس له بعد أن تغلَّب عليهم، فإنَّه تجب طاعته؛ سواءٌ كان قرشيًّا أو غير قرشيٍّ، وسواءٌ كان برًّا أو فاجرًا.

وهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ حيثُ يرون وجوب ذلك، وأنَّه لا يجوزُ لأحدٍ الخروج عليه بعد أنْ استتبَّ له الأمرُ والأمنُ حتَّىٰ ولو كان فاجرًا أو فاسقًا.

والأدلَّة علىٰ ذلك قَدْ تقدَّمَتْ[٢]؛ ففي حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، وحديث

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٥) (١٧٦٩٠) عن عتبة بن عبد أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الخَلَافَةُ في قُريش، وَالحُكْمُ في الأنصار، وَالدَّعْوَةُ في الحَبَشَةِ، وَالهِجْرَةُ في المسْلِمِينَ، وَالمهَاجِرِينَ بَعْدُ»، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٨٥١).

(٢) انظُر الفقرة الأولىٰ من هذا الكتاب.

عرفجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ؛ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[1]؛ فيجب اعتقاد هذا، والعمل به، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

وجوب الصَّبر على الولاة الظَّلمة

وَلا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلا الخُرُوجُ عَلَيْهِ وَإِنْ جَارَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ: «اصْبِرْ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا»[١]. وَقَوْلِهِ لِلأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ»[٢]، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ فِيهِ فَسَادَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ.

الشرح:

أقولُ: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أَنَّ قتال السُّلطان لا يحلُّ، وكذلك الخروج عليه لا يجوزُ؛ لنهي النَّبيِّ ﷺ وتحذيره من الخروج عليه، وتحريم المنازعة له كما في حديث عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه: **«وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»**[٣]؛ فالمنازعة لوُلَاة الأمر غير جائزةٍ، وكذلك الإثارة عليهم، وتحريض العامَّة علىٰ الخروج عليهم، كلُّ هذا لا يجوز، ومن ذلك: الإنكار عليهم علىٰ المنابر، فهذا ممَّا يُوغِر صدور الوُلَاة، ويُوقِع الوحشة بين الوُلَاة والعامَّة، ويجعلهم في حالةٍ لا يثق بعضهم ببعضٍ.

وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: **«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه (١٨٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧٦)، ومسلم (١٠٦١).

(٣) تقدَّم تخريجُه قريبًا.

وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(١).

والأدلَّة موجودةٌ على هذا الباب من العلم، والكتبُ فيه كثيرةٌ، وكلامُ السَّلف فيه كثيرٌ، وبالله التَّوفيق.



(١) تقدم تخريجه قريبًا.

فقه قتال الخوارج

وَيَحِلُّ قِتَالُ الْخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُمْ أَن يَطْلُبَهُمْ، وَلا يُجْهِزَ عَلَىٰ جَرِيحِهِمْ، وَلا يَأْخُذُ فَيْئَهُمْ، وَلا يَقْتُلُ أَسِيرَهُمْ، وَلا يَتْبَعُ مُدْبِرَهُمْ.

الشرح:

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحلُّ قتالُ الخوارج إذَا عَرَضُوا للمُسْلِمِينَ في أَنْفُسِهم وَأَمْوَالِهم»:

فيه أحاديثُ واردةٌ في هذا، وَقَدْ ألمحتُ إلىٰ بعضها، وهو أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عن الخوارج: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُم لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1]، وفي روايةٍ: «قَتْلَ ثَمُود»[2]، وقال أيضًا: «فمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ؛ فَإِنَّ في قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ»[3]، وقال: هم شرُّ قتلىٰ علىٰ وجه الأرض[4]، إلىٰ غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)، بلفظ: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) يُشيرُ الشَّيخُ إلىٰ ما أخرجه التِّرمذيُّ (٣٠٠٠)، وابنُ ماجه - واللَّفظُ له - (١٧٦)، عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: «شَرُّ قَتْلَىٰ قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا»، قيل: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وحسَّنه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٥٥٤).

ومَنْ هم الخوارج؟ لا بدَّ أنْ نعلمَ عقيدتَهم.

فنقولُ: الخوارج هُمْ قومٌ اعتقدوا كُفْرَ الصَّحابة، وكفَّروا سائر المسلمين بالكبائر، وحكَموا عليهم بالخلود في النَّار، ولم يَرَوْا لسلطانٍ مسلمٍ عليهم بيعةً ولا طاعةً؛ لأنَّهم لا يَرَوْنَ لأحدٍ من المسلمين إسلامًا صحيحًا إلَّا إذا كان منهم، فلكونهم يُكفِّرونَ السُّلطان؛ لذلك يُبيحون الخروج عليه.

قوله: «وليس له إذا فارقوه أنْ يطلبَهم، ولا يُجْهِز علىٰ جريحهم، ولا يأخذ فَيْئَهم، ولا يقتل أَسِيرَهم، ولا يَتْبع مُدْبرَهم».

أقول: هذا من المُؤلِّف بِناءً علىٰ عدم تكفيرهم، وهو مأثورٌ عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: من الكفر فرُّوا، وأَمَرَ يوم النَّهروان بأن ينادِيَ مناديه: لا يُذَفَّف علىٰ جريحٍ، ولا يُتْبع مدبرٌ، ولا يُقْتل أسيرٌ، ولا يُؤخذ فَيْئُهم، وأمر أن يُبلِّغ قراباتهم، فيأتوا ويأخذوا ما عرفوه لهم من الأواني والمتاع[1].

---

(١) لم نجدْ في حدودِ بحثِنا أنَّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمَّا قاتَل الخوارجَ أمَر ألَّا يُتبَع مُدبرُهم، وإنَّما ورد عنه ذلك في قتالِه لأهلِ الجمَل؛ فقد أخرج عبد الرَّزَّاق (١٨٥٩٠)، وابنُ أبي شيبةَ (٣٧٧٩٠)، والبيهقيُّ في «الكُبرىٰ» (٨/ ٣١٤ - ٣١٥ عطا): «أنَّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُقاتِل أهلَ الجمَلِ حتَّىٰ دعَا النَّاسَ ثلاثًا، حتَّىٰ إذا كانَ اليومُ الثَّالثُ دخَلَ عليهِ الحسَنُ والحُسَينُ وعبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ رضيَ اللهُ عنهُم، فقالُوا: قدْ أكثرُوا فينَا الجِراحَ، فقالَ: يا ابنَ أخِي! واللهِ ما جهِلْتُ شيئًا مِن أمْرِهِم إلَّا ما كانُوا فيهِ، وقالَ: صُبَّ لي ماءً، فصَبَّ له ماءً فتوَضَّأَ به، ثمَّ صلَّىٰ ركعتَينِ حتَّىٰ إذا فرَغَ رفَعَ يديهِ ودعَا ربَّهُ، وقالَ لهُم: إنْ ظهَرْتُم علىٰ القومِ فلَا تَطلُبُوا مُدبِرًا، ولا تُجهِزُوا علىٰ جريحٍ، وانْظرُوا ما حضَرَتْ بهِ الحَرْبُ مِن آنيةٍ فاقبِضُوهُ، وما كان سوَىٰ ذلكَ فهُو لِورثَتِهِ». وهذا لفظُ إحدىٰ رواياتِ البيهقيِّ، وقال بعدَها: «الصَّحيحُ أنَّه لم يأْخذ شيئًا، ولَم يَسلُبْ قتيلًا». اهـ. هذا الَّذي جرىٰ عليه العمل في قتال البغاة. وذهب إليه جماعة من أهل العلم في قتال الخوارج وحكىٰ بعضُ العُلماء فيه الإجماع، قال ابنُ بطَّال في «شرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٨٤): «قال المهلَّب وغيرُه: أجمعَ العُلماءُ أنَّ الخوارجَ إذا خرجُوا علىٰ الإمام العدلِ، وشقُّوا عصا المُسلمين، ونصبُوا رايةَ الخِلاف؛ أنَّ =

أمَّا القول بكفرهم، فذلك قولٌ لبعض أهل العلم؛ لأنَّه يُعتبَر منهم ارتدادًا وكفرًا بناءً علىٰ قوله ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْم مِنَ الرَّمِيَّةِ»، ولا شكَّ أنَّ القول الأوَّل أسلمُ، وبالله التَّوفيق.



=

قِتالَهم واجبٌ، وأنَّ دماءَهم هدرٌ، وأنَّه لا يتبع مُنهزمُهم، ولا يُجهزُ علىٰ جريحهم».

لكن الَّذي يُفهم مِن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٠٤ - ٤٠٥)، أنَّ عليًّا رضي الله عنه لم يُعامل الخوارج معاملة البغاة، قال - رحمه الله -: «فإذا كان عليُّ بنُ أبي طالب قد أباح لعسكره أنْ ينهبوا ما في عسكر الخوارج مع أنَّه قتلَهم جميعَهم كان هؤلاء أحقَّ بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنزلةِ المُتأوِّلين الَّذين نادىٰ فيهم عليُّ بنُ أبي طالب يوم الجمل: أنَّه لا يقتلُ مُدبرُهم، ولا يُجهزُ علىٰ جَريحهم، ولا يغنمُ لهم مالًا، ولا يسبي لهم ذرِّيَّةً؛ لأنَّ مِثل أولئك لهم تأويلٌ سائغٌ، وهؤلاء ليس لهم تأويلٌ سائغٌ».

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَمْ أَنَّهُ لا طَاعَةَ لبَشَرٍ في مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»:

الدَّليلُ علىٰ ذلك: قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لا طَاعَةَ لمخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ»(١).

وقوله ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ في المعْرُوفِ»(٢). وقوله ﷺ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَىٰ المرْءِ المسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». مُتَّفقٌ عليه(٣).

فهذه الأدلَّة تدلُّ علىٰ أنَّ طاعة السُّلطان مُقيَّدةٌ بقَيْدين:

القَيْدُ الأوَّل: أن تكون في المعروف؛ فلا طاعة في المعصية.

القَيْدُ الثَّاني: أن يكون فيما يستطيع العبد.

وَقَدْ كان النَّبيُّ ﷺ يقول لمَنْ بايعه: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ»(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٠) (١٥٠٩١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٦٧) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ».

حتَّىٰ إنَّ امرأةً من النِّساء المبايعات قالت: لله ورسولُه أرحم بنا من أنفسنا؛ وذلك بعد أن بايعْنَه علىٰ السَّمع والطَّاعة في العُسر واليُسر، والمنشطِ والمكرهِ، فقال لهنَّ: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ»[1]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرج الترمذي (١٥٩٧) عن أميمة بنت رقيقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في نِسْوَةٍ، فَقَالَ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ»، قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُه أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا. وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٥٢٩).

التحذير من التزكية

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ فَلا تَشْهَدُ لَهُ بِعَمَلِ خَيْرٍ وَلا شَرٍّ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ عِنْدَ المَوْتِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللهِ، وَتَخَافُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ(١)، وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَلِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ.

(١) وفي نسخة (مكتبة الآثار) الَّتي حقَّقها الشَّيخ الرَّداديُّ: «وتخافُ عليه ذُنوبه، ولا تدري ما يَسبقُ له عند الموت إلىٰ الله مِن النَّدم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات علىٰ الإسلام». اهـ.

يقصد بذلك - والله أعلم - ما يُبشِّر اللهُ به المؤمن بواسطة ملائكته عند الاحتضار من النَّعيم الأبديّ في قبره، ويوم حشره، ونشر صحائف أعماله، وما يخوّف به الكافر والمُنافق كذلك من العذاب السَّرمديّ كما قال الله تعالىٰ عن المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وكما قال الله تعالىٰ عن الكفَّار والمُنافقين: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وكما في حديث البراء بن عازب الطَّويل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد برقم (١٨٥٥٧) وكذا رواه غيرُه بسندٍ صحيحٍ، قال: خَرَجْنا مع النَّبيِّ ﷺ في جنازةِ رَجُلٍ مِنَ الأنْصارِ، فانْتَهيْنا إلىٰ القبرِ، ولمَّا يُلحَدْ، فجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وجلسنا حَوْلَهُ، وكَأَنَّ علىٰ رُؤوسِنا الطَّيْرَ، وفي يَدِه عُودٌ يَنكُتُ في الأرْضِ، فرَفَعَ رَأْسَهُ، فقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بالله مِنْ عَذابِ القَبْرِ» مرَّتَين أوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قال: «إنَّ العَبْدَ المؤْمِنَ إذَا كَانَ في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنْيا وَإقْبالٍ مِن الآخِرَةِ نَزَلَ إلَيه مَلائِكَةٌ مِن السَّماءِ بِيضُ الوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُم الشَّمْسُ...» إلخ الحديث.

وكَمْ من آيةٍ وحديثٍ بَيَّن الله عَزَّوَجَلَّ فيهما علىٰ لسان رسوله ﷺ ما يلقاه كلُّ عبدٍ مسلمٍ أو كافرٍ من الجزاء الموافق لمقتضىٰ الحكمة الإلهيَّة؛ فليحذر كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ من أن تكون العاقبة سيِّئةً، وأن تكون خاتمة الأعمال قبيحةً منكرةً، فإنَّ الأعمال بالخواتيم، وما أصدق ما قاله شيخ شيوخنا الشَّيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك حين قال:

والقَبْــرُ رَوْضَــةٌ مِــنَ الجِنَــانِ ... أَوْ حُفْــرَةٌ مِــنْ حُفَــرِ النِّيــرَانِ

=

الشرح:

أقول: قَولُه: «**ومَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلام؛ فَلا تَشْهَدْ له بعَمَل خَيرٍ وَلا شَرٍّ**».

هذه الفقرة كأنَّ المؤلِّف يقصد بها الشَّهادة له بالجنَّة أو بالنَّار، أمَّا أنْ تشهد له بأنَّه مُسلمٌ، مصلٍّ، وعابدٌ، ومُوحِّدٌ، فهذا لا مانع منه بحسَب حاله في تلك الحالة الرَّاهنة.

وكذلك الشَّهادة عليه بأنَّه فاسقٌ شِرِّيرٌ زنديقٌ، أو ما أشبه ذلك ممَّا يُثبته عمله، فهذا أيضًا لا بأس به.

أمَّا أنْ تشهدَ له بأنَّه مِن أهل الجنَّة أو مِن أهل النَّار، فهذا هو الممنوع، والدَّليلُ علىٰ ذلك حديث سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أعطىٰ رَهْطًا وسعدٌ جالسٌ، فترك رسول الله ﷺ رجلًا هو أعجبهم إليَّ؛ فقلت: يا رسولَ الله، ما لك عن فلانٍ، فوالله إنِّي لأراه مؤمنًا؟ فقال: «**أَوْ مُسْلِمًا**»، فَسَكَتُّ قليلًا، ثمَّ غلَبَنِي ما أَعْلَمُ مِنْهُ، فعُدْتُ لمقالتي، فقلتُ: مَا لكَ عَنْ فُلانٍ، فوالله إنِّي لَأَراهُ مُؤمِنًا؟ فقَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**»، ثمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ منه، فعُدْتُ لمقالتي، وعاد رسولُ الله ﷺ، ثمَّ قالَ: «**يا سَعْدُ، إنِّي لَأُعطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إليَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ في النَّار**»[1].

وفي روايةٍ: حدَّثنا عمرو بن تغلب: أنَّ رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بمالٍ - أو سَبْيٍ -

=

إِنْ يَـكُ خَيْـرًا فَالَّـذِي مِـنْ بَعْـدِهِ ... أَفْضَـلُ عِنْـدَ رَبِّنَـا لِعَبْـدِهِ

وَإِنْ يَكُـنْ شَـرًّا فَمَـا بَعْـدُ أَشَـدّ ... وَيْـلٌ لِعَبْـدٍ عَـنْ سَـبِيلِ اللهِ صَـدّ

(١) أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠).

فَقَسمه، فأعطى رجالًا وترك رجالًا، فبَلَغَهُ أنَّ الَّذين ترَكَ عتبوا، فحَمِدَ الله، ثُمَّ أثنى عليه، ثُمَّ قال: «أمَّا بعْدُ، فوالله إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، والَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إليَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، ولكِنْ أُعْطِي أقْوَامًا لما أرَىٰ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أقوامًا إلىٰ ما جَعَلَ اللهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَىٰ وَالخَيرِ فِيهِمْ عمْرو بن تغلب». قال عمرو بن تغلب: فوالله ما أحبُّ أنَّ لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النَّعَم». رواه البخاريُّ[(١)].

المهمُّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ أثنىٰ علىٰ قومٍ بإيمانهم.

ومن ذلك أيضًا حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أهلُ نجران إلىٰ رَسولِ الله ﷺ فقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ابْعَثْ إلينا رَجُلًا أمِينًا، فقَالَ: «لأَبْعَثَنَّ إلَيْكُمْ رَجُلًا أمِينًا حَقَّ أمِينٍ، حَقَّ أمِينٍ»، قَالَ: فاسْتَشْرَفَ لها النَّاسُ، قَالَ: فبَعَثَ أبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجرَّاح. رواه البخاريُّ ومسلمٌ[(٢)].

وفي روايةٍ للبخاريِّ عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَٰذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»[(٣)].

وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَىٰ يَدَيهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أيُّهُمْ يُعْطَىٰ، فغَدَوا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أيْنَ عَلِيٌّ؟» فقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فبَرَأَ كَأَنْ لم يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأعْطَاهُ، فقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنا. فقَالَ: «انفُذْ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٢).

رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[(١)].

قَولُه: «فإنَّك لا تَدْري بما يختِمُ اللهُ له عند الموت»، هذا هو الدَّليل أنَّه يقصد الشَّهادة له بالجنَّة أو بالنَّار، فهذا أمرٌ لا يجوز.

وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ لأُمِّ العلاء الَّتي قالت عن عثمان بن مظعون: «رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَنْ؟ قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ - وَالله - اليَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَمَا أَدْرِي - وَاللهِ - وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي». قَالَتْ: فَوَاللهِ، لَا أُزَكِّي أَحدًا بَعْدَه»[(٢)]، ولكن يجوز أن تقول عن المسلم: أرجو له رحمة الله، وأخاف عليه ذنوبه.

قوله: «وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا ولِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ»: التَّوبةُ مقبولةٌ من كلِّ ذنبٍ في الحكم الأُخرويِّ، وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»[(٣)].

وقول العالم للَّذي قتل تِسعًا وتِسعين نفسًا: «وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَينَ التَّوبَةِ». الحديث[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٦٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ

والأحاديث في هذا الباب واضحةٌ، والخلاف إنَّما هو فيمن سبَّ الرَّسول ﷺ أو القرآن، هل تُقبَل له توبةٌ في الدُّنيا أو يُحكَم عليه بالقتل، ولو أعلن التَّوبة؟ كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسول ﷺ»، وبالله التَّوفيق.



= نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، قال قتادة: فقال الحسن: ذُكر لنا أنَّه لمَّا أتاهُ الموتُ نأىٰ بصَدْره».

أمور فقهيَّة
عُدَّت من المسائل الاعتقاديَّة

وَالرَّجْمُ حَقٌّ، وَالمَسْحُ عَلَى الخُفَّيْنِ سُنَّةٌ، وَتَقْصِيرُ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ سُنَّةٌ، وَالصَّوْمُ فِي السَّفَرِ: مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ، وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي السَّرَاوِيلِ.

الشرح:

في هذا المقطع عدَّة جملٍ:

الجملة الأولى: قوله: «والرَّجم حقٌّ» رجم الزَّانيين المُحصنَين حقٌّ فرضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ونزلَتْ في ذلك آيةٌ: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[1]، ثمَّ إنَّ هذه الآيةَ نُسخت تِلاوةً، وبَقِيَتْ حُكمًا.

وَقَدْ رجم النَّبيُّ ﷺ ماعزًا[2]، وامرأة صاحب العسيف[3]،...............

---

(١) ورَد ذِكرُ هذه الآية المنسوخة في حديث أخرجه عبدُ الله بن أحمد في «زوائده على المُسند» (٢١٢٤٥)، وابنُ حبَّان في «صحيحه» (٤٤٢٩)، والحاكمُ في «مُستدركه» (٤/ ٤٠٠)، عن أبيِّ بن كعب، وقال الحاكمُ: «صحيحُ الإسنادِ»، ووافقه الذَّهبيُّ. وقال الألبانيُّ: «هو كما قالا». «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦/ ٩٧٦) تحت رقم (٢٩١٣).

(٢) أخرج البخاري (٦٨٢٤) عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: لما أتى مَاعِزُ بنُ مَالِكٍ النَّبيَّ ﷺ، قال له: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ». قَالَ: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «أَنِكْتَهَا؟». لا يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ».

(٣) أخرجه البخاريُّ (٢٧٢٤) عن أبي هريرة، وزيد بن خالد الجُهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنَّهما قالا: إنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَنْشُدُكَ اللهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ الخَصْمُ الآخَرُ =

والجُهنيَّة[(١)]، ورجَم يهوديين زَنيا[(٢)].

وتُوفي النَّبيُّ ﷺ وهذا الحكم باقٍ معمولٌ به، ورجَم الخلفاء بعده، وقَدْ ورد عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه خطب يومًا، وقال: «لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، أَلا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ، إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوِ اعْتِرَافٌ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ) رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ»[(٣)].

= وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، وَأْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْ»، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَىٰ هَذَا، فَزَنَىٰ بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَىٰ ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ، وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَىٰ ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَىٰ امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَىٰ ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَىٰ امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا»، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرُجِمَتْ.

(١) أخرج مسلم (١٦٩٦) عن عمران بن حصين، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ تَعَالَىٰ؟».

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٤١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: إِنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لهم رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟» فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، قَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَا فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَىٰ المَرْأَةِ، يَقِيهَا الحِجَارَةَ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥٣)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٢٠٦١)، وفي «السِّلسلة =

وعلىٰ ذلك الإجماع المُتَّصل بين أهل العلم علىٰ مشروعيَّة الرَّجم للزَّاني المحصن والزَّانية المحصنة.

الجملة الثَّانية: قوله: «**والمسحُ علىٰ الخُفَّين سُنَّةٌ**»: المسح علىٰ الخُفَّين من السُّنن(١).

وَقَدْ أدخل المسح علىٰ الخُفَّين في العقائد؛ لأنَّ بعض المبتدعين أنكره، وهُم الخوارج والشِّيعة؛ بحُجَّة أنَّه لم يَرِدْ في القُرآن، وهو ثابتٌ عن النَّبيِّ ﷺ مِن رواية جماعةٍ من الصَّحابة، وصار إنكارُه عَلَمًا علىٰ أهل البدع، وأهل السُّنَّة والجماعة يُثبِتونه لوجود الأدلَّة عليه.

الجملة الثَّالثة: قوله: «**تقصير الصَّلاة في السَّفر سُنَّةٌ**» أي: القصر في الصَّلاة بأنْ تصير الرُّباعيَّة اثنتين.

وهذا الحكم مجمعٌ عليه، ومُصرَّحٌ به في القُرآن في الآية الَّتي في سُورة النِّساء، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: ١٠١]، وَقَدْ سأل عمر بن الخَطَّاب رسول الله ﷺ عن القصر، إذْ قَدْ أذهب الله الخوف، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»(٢).

= الصَّحيحة» (٢٩١٣).

وأخرجه بنحوه البخاري (٦٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١)، لكن دون ذِكر الآية.

(١) قال النَّوويُّ في «شرح مسلم» (٣/ ١٦٤ إحياء التُّراث العربيّ): «أَجْمَعَ مَن يُعتدُّ به في الإجماع علىٰ جواز المسح علىٰ الخفَّين في السَّفر والحضر سواء كان لحاجةٍ أو لغيرها». وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٣٠٦ المعرفة): «وقد صرَّح جمعٌ من الحفَّاظ بأنَّ المسح علىٰ الخفَّين مُتواترٌ، وجمَع بعضُهم رُواتَه فجاوزوا الثَّمانين، ومنهم العشرة».

(٢) أخرجه مسلم (٦٨٦).

الجملة الرَّابعة: قَولُه: «والصَّوم في السَّفر مَنْ شاءَ صامَ، ومَنْ شاءَ أَفْطَرَ»(١).

وأقول: في مذهب الجماهير من أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الفطر في السَّفر رخصةٌ من الله، فمَنْ شاء أخذ بهذه الرُّخصة، ومَنْ شاء صام إذا وجد من نفسه القُدرةَ علىٰ ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ صام وبعض أصحابه في السَّفر، وأفطر بعضهم، وإنَّما الخلاف في الأفضل من الصَّوم أو الفطر، ولا شكَّ أنَّ الفطر أفضل، والصَّوم جائزٌ لمَنْ قَدر عليه، ويجب علىٰ المجاهدين الفطر قبل لقاء العدوِّ ليكون أقوىٰ لهم.

الجملة الخامسة: قوله: «وَلَا بَأْسَ بالصَّلَاةِ في السَّرَاويل»(٢).

أقول: أمَّا السَّراويل الَّتي تجوز فيها الصَّلاة فهي السَّراويل الَّتي تكون ساترةً للعورة المرتخية (الواسعة) علىٰ الجسم بحيث يَتمكَّن لابسها من أداء الصَّلاة علىٰ الوجه الأكمل.

أمَّا إذا كانت ضَيِّقَةً مظهرةً لحجم الأليتين؛ فإنَّ الصَّلاة فيها تكون مكروهةً، وَقَدْ تبطلُ الصَّلاة إذا كان لابسُ السَّراويل لا يَتمكَّن من أداء الأركان؛ كأَنْ يكون لا يستطيع أن يجلس للتَّشهُّد، وبين السَّجدتين، وبالله التَّوفيق.

---

(١) دلَّ علىٰ هذه المسألة أحاديثُ كثيرةٌ، منها ما رواه الإمامُ أحمدُ (٦/ ٣٤١) (٢٦٩٣٧) عن أمِّ هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل عليها، فدعا بشراب فشرب، ثُمَّ ناولها فشَربتْ، فقالتْ: يا رَسُولَ الله، أَمَا إنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الصَّائِمُ المتطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ؛ إنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ». وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٢٠٧٩).

(٢) أشار الشَّيخ الزَّدادي - حفظه الله - إلىٰ مسألة جواز الصلاة في السَّراويل في كتاب «المغني» لابن قُدامة (١/ ٥٨٢، ٥٨٣).

النِّفاق

وَالنِّفَاقُ: أَن يُظْهِرَ الإِسْلامَ بِاللِّسَانِ، ويُخْفِيَ الكُفْرَ بِالضَّمِيرِ.

الشرح:

النفاق: مشتقٌّ من النَّفَق، وهو الجُحر الَّذي يكون في الأرض، وإنَّما سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ صاحبَه قَدْ أظهر خلافَ ما يُبطنُ، وهذا ما يُسمَّىٰ بالنِّفاق الاعتقاديِّ.

أمَّا النفاق العمليُّ: فهو لا يُخرج من الإسلام، بل يبقىٰ صاحبُه مُسلمًا، وسُمِّيَ نِفاقًا عمليًّا؛ لأنَّ صاحبَه أظهر خلاف ما يبطنُ.

أمَّا النفاق الاعتقاديُّ: وهو نفاق المنافقين الَّذين كانوا علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ، فهو أنْ يُظهر الإسلام، ويُبطن الكفر، ويتحفَّظ ممَّا يدلُّ علىٰ إظهار عقيدته؛ لذلك فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ المنافقين في الدَّرك الأسفل مِن النَّار، وبالله التَّوفيقُ.



الإيمانُ يزيدُ وينقصُ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيمَانٍ وَإِسْلَامٍ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، فَإِنْ قَصَّرَ فِي شَيْءٍ مِن ذَٰلِكَ كَانَ نَاقِصَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يَتُوبَ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِيمَانَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، تَامَّ الإِيمَانِ أَوْ نَاقِصَ الإِيمَانِ، إِلَّا مَا أَظْهَرَ لَكَ مِن تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ.

الشرح:

أقولُ: قوله: «واعلَمْ بأَنَّ الدُّنْيَا دارُ إيمانٍ وإسْلامٍ»؛ هذا فيه نظرٌ، فليست الدُّنيا كلُّها دار إيمانٍ وإسلامٍ، ولكن دار الإيمان والإسلام هي الدَّار الَّتي تكون السُّلطة فيها لأهل الإيمان والإسلام، بأنْ تظهر فيها الصَّلوات، ويُحكَّم فيها الشَّرع الإسلاميُّ، ولا يُعلَن فيها الكفر بالله، والشِّرك به، فإنْ أُعْلن فيها الكفر والشِّرك فهي ليست دار إسلامٍ حتَّىٰ وإن كانت في الأصل - وباعتبار ما كان - دار إسلام؛ كبلاد الأندلس الَّتي تُسمَّىٰ الآن: «إسبانيا».

قوله: «وأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ فيها مُؤمنون مُسلمون في أحكامِهم ومَوارِيثِهم وذَبائِحِهم والصَّلاةِ عليهم...» إلخ.

هذا صحيحٌ بأنَّ مَنْ أظهر الإسلام بأَنْ نطق بالشَّهادتين عالمًا بمعناهما، عاملًا بمُقتضاهما، وأقام الصَّلاة، وأدَّىٰ الزَّكاة، وصام رمضان؛ فهذا هو

المسلم، تجري عليه أحكام الإسلام (الأحكام التَّوارثيَّة، وأحكام الذَّبائح)، فيُؤكَل ذبحه، ويُصلَّىٰ عليه إذا مات، لكن لا نشهد لأحدٍ بحقيقة الإيمان حتَّىٰ يأتي بشرائع الإسلام وأصوله وفروعه بقدر المستطاع.

أمَّا إنْ قصَّر في شيءٍ من تلك الأحكام الَّتي هي بمنزلة الأصول، وارتكب مُحرَّمًا؛ فنحن في هذه الحالة نحكم له بالإسلام النَّاقص عن درجة الإيمان الكاملة، فلا ننفي عنه مطلق الإيمان، ولا نحكم له بكماله، ومتىٰ ضيَّع شيئًا من شرائع الإسلام الَّتي تقتضي الحدود أو التَّعزير، أقمنا عليه ذلك بحسب ما تقتضيه الحالة، وبالله التَّوفيق.



الصَّلاة على مَن مات مِن أهل القِبلة سنة

وَالصَّلاةُ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِن أَهْلِ القِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَالمَرْجُومُ، وَالزَّانِي وَالزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُ مِن أَهْلِ القِبْلَةِ، والسَّكْرَانُ وَغَيْرُهُمْ: الصَّلاةُ عَلَيْهِم سُنَّةٌ، وَلا يَخْرجُ أَحَدٌ مِن أَهْلِ القِبْلَةِ مِنَ الإِسْلامِ حتَّىٰ يَرُدَّ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِن آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا مِن ذَلك فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَن تُخْرِجَهُ مِنَ الإِسْلام، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِن ذَلِك فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِالاسْمِ لا بِالحَقِيقَةِ.

الشرح:

قول البربهاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصَّلاة علىٰ مَنْ مات مِن أهل القِبلة سُنَّةٌ... إلخ»: يعني حتَّىٰ لو مات مُصرًّا علىٰ الكبائر كالَّذي يَموتُ بحدٍّ كالمرجوم، والزَّاني والزَّانية، والَّذي يقتلُ نفسَه وغيره من أهلِ القبلة، وكذلك السَّكران؛ لأنَّ هؤلاء وإنْ كانوا قدْ أتوا شيئًا من الكبائر؛ فإنَّه يُصلَّىٰ عليهم، ويُدْعَىٰ لهم.

والأفضلُ - فيما أرىٰ وفيما يَتَّضح لي - أنَّ مَنْ يُقتدىٰ بهم يَتْركون الصَّلاة علىٰ مَنْ يقتلُ نفسَه، وعلىٰ مَنْ قَدْ مات في السّكر حتَّىٰ يكون في ذلك شيءٌ من الزَّجر لغيره، ويُصلِّي عليه سائر النَّاس[1].

---

(١) وقد كان النَّبيُّ ﷺ يفعلُ مثل ذلك في أوَّل الإسلام حيثُ كان يتركُ الصَّلاةَ علىٰ مَنْ مات وعليه دينٌ =

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يخرُج أحدٌ مِن أهل القِبلةِ مِن الإسلام، حتَّىٰ يرُدَّ

ليزجر بذلك غيرُه مِن المسلمين، وليحذروا مِن التَّساهل بالدُّيون؛ لأنَّ حقوق النَّاس مبنيَّةٌ علىٰ المشاحّة والمخاصمة، فلمَّا وسَّع الله علىٰ النَّبيِّ ﷺ وفُتحت البُلدانُ، وانتشرَ الإسلامُ، وكثُرت الغنائمُ، وزكا بيتُ مال المسلمين، فكان ﷺ بعد ذلك يُصلِّي علىٰ مَنْ ماتَ وعليه دَين، بل ويقضي ما عليه من الدُّيون: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ دلَّ علىٰ ما قلته حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الوارد في «الصَّحيحين»: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُؤْتَىٰ بالرَّجُل الميِّت عليه الدَّين، فَيَسْأَل: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ؟»، فإنْ حدث أنَّه تَرَكَ وَفَاءً؛ صَلَّىٰ عليه، وإلَّا قَالَ: «صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ»، فَلَمَّا فَتحَ اللهُ عَلَيهِ الفُتوحَ قَالَ: «أَنَا أَوْلَىٰ بالمؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوفِّيَ وَعَلَيهِ دَيْنٌ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ».

وفي «صحيح سُنن أبي داود» للألبانيّ (٢/ ٢٩٥) من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لم يُصَلِّ عَلَىٰ مَاعِزِ بْنِ مَالِك، وَلَم يَنْهَ عَنْ الصَّلاةِ عَلَيهِ».

وفي «مسند أحمد» وغيره من أصحاب السُّنن بسند صحيح عن أبي عمرة مولىٰ زيد بن خالد الجُهنيّ أنّه سمع زيد بن خالد الجهنيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحدّث: أَنَّ رَجُلًا من المسْلِمِينَ تُوفِّي بخَيبر، وَأنَّه ذكر لرَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ» قَالَ: فَتغَيَّرَتْ وُجُوهُ القَوم لِذَلِكَ، فلمَّا رَأَىٰ الَّذِي بهم قَالَ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيل اللهِ»، فَفَتَّشْنَا مَتَاعَه، فَوجَدْنَا فِيه خَرزًا مِن خَرَزِ اليَهُودِ مَا يُسَاوِي دِرْهَمَينِ.

كلُّ هذه الأحاديث وغيرها تُبيِّن أنَّ علىٰ المسلم أنْ يَتَّقي الله في نفسه، فيحذر مما حذَّره الله منه ورسولُه ﷺ، مِن وُجوب الابتعاد عن الذُّنوب صغيرِها وكبيرِها؛ لأنَّ الأعمالَ بالخواتيم، نسألُ أنْ يختم لنا ولكلِّ مسلمٍ بخير.

وأنَّ من الآثار السَّيِّئة علىٰ مَنْ مات علىٰ معصيةٍ، ولم يتب منها؛ أنَّ أهلَ الفضل والصَّلاح ومَنْ يُقتدىٰ بهم من النَّاس، وعلىٰ رأسهم ورثةُ الأنبياء (وهم العلماءُ العاملون) أنَّ الأفضل ألَّا يُصلُّوا علىٰ مَنْ كانت هذه حاله كما فعَل النَّبيُّ ﷺ في تلك الأحاديث السَّابقة، وذلك ليحذر النَّاس من فِعْل المعاصي، وخاصَّة المعاصي الَّتي تُوجبُ الحُدودَ.

أمَّا إذا كانت هذه المعصية مكفِّرةً؛ كمَنْ مات علىٰ الشِّرك، أو مات علىٰ ترْك الصَّلاة، أو مات علىٰ غيرها من المعاصي الَّتي تعتبر ناقضةً للإسلام؛ قوليَّةً كانت أو فعليَّة، فإنَّه لا تجوز الصَّلاة عليه؛ لأنَّ صلاة الجنازة عبادة لم تشرع إلَّا علىٰ مَنْ مات مسلمًا سالمًا من أيِّ أمرٍ يُوجبُ الرِّدَّة عن الإسلام، قال الله تعالىٰ عن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، والله أعلم.

آيةً مِنْ كِتابِ الله، أَوْ يَرُدَّ شَيئًا مِن آثارِ رَسُولِ الله ﷺ...» إلىٰ آخر هذا المقطع.

وأقولُ: هذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، أنَّهم لا يخرجون أحدًا من أهل القبلة من الإسلام، أي: لا يحكمون بخروجه من الإسلام وارتداده عنه إلَّا إذا أتىٰ بما يوجب ذلك مثل أنْ يَرُدَّ آيةً مِن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيقول: أنا لا أؤمن بهذه الآية، ولا أُصدِّق بما فيها، أو يردُّ شيئًا من آثار الرَّسول ﷺ.

أمَّا قوله: «أَوْ يردُّ شيئًا مِن آثار رسولِ اللهِ ﷺ»، فهذا فيه تفصيلٌ: فإِنْ ردَّ شيئًا من الأحاديث الصَّحيحة الظَّنِّيَّة مُتأوِّلًا، فلا يُحْكَمُ بكُفره، ولكن يُحْكم بأنَّه قَدْ أتىٰ جُرْمًا عظيمًا، ومنكرًا كبيرًا.

ويُحكَم بكفر مَنْ ردَّ حديثًا متواترًا، أو ردَّ حكمًا مُجمعًا عليه معلومًا من الشَّرع بالضَّرورة كقطع يد السَّارق مثلًا، أو رجم الزَّاني المحصن، أو ما أشبه ذلك من الأحكام المُجمَع عليها.

وأمَّا الدَّليل علىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُصلِّ علىٰ مَنْ قتَلَ نفسَه: ففيما رواه الإمام مسلمٌ وغيره من حديث جابر بن سمرة قال: «أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ برَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيهِ»[(١)].

قال الشَّيخُ أحمدُ شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المشاقص: جمع مشقص، وهو نصلٌ عريضٌ أو طويلٌ، أو سهمٌ فيه ذلك[(٢)].

أمَّا مَنْ صلَّىٰ لغير الله، أو ذبح لغير الله، أَوْ تطوَّف بالقبور، ودعا أصحابها؛ فإنَّه إذا فعل شيئًا من ذلك يُعتبَر مشركًا شركًا أكبر، وَقَدْ خرج عن الإسلام بفعله هذا.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٨).

(٢) انظر هامش: «تفسير الطَّبريّ» (٣/ ٥٨٤ الرِّسالة).

ومعنىٰ قوله: «**فقد وجَب عليكَ أن تخرجه من الإسلام**» يعني: أن تحكم بِرِدَّته.

قوله: «فإذا لم يفعل شيئًا من ذلك فهو مؤمنٌ مسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة».

أقول: إنَّ المسلم الَّذي لم يعمل شيئًا من موجبات الرِّدَّة فهو مسلمٌ حقيقةً، ناقص الإسلام والإيمان، ويقال: فاسقٌ بفسقه، مسلمٌ بإسلامه.

والمهمُّ أنَّ قول المؤلِّف: «مؤمنٌ مسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة» يقصد بأنَّه غير كامل الإيمان والإسلام، لكن نفي الحقيقة يقع علىٰ نفي الماهيَّة، فلا ينبغي أن يقال ذلك، بل يُقَال كما سبق أَنْ بيَّنا بأنَّه مسلمٌ ناقص الإسلام أو فاسقٌ.

وهذه المسألة قَدِ اختلف فيها في زمان السَّلف؛ فالجهميَّة ومَنْ قال بقولهم والخوارج يُخْرِجونَ المسلم من الإسلام بالكبيرة، ويَحْكُمون بتخليده في النَّار.

والمعتزلة يقولون بأنَّه في منزلةٍ بين منزلتين[١]، ويحكمون بتخليده في النَّار.

والمرجئة يحكمون بأنَّه مؤمنٌ كاملُ الإيمان؛ لأنَّهم يقولون: لا يَضُرُّ مع الإيمان ذنبٌ.

وأمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون بأنَّه مسلمٌ ناقص الإيمان، أو فاسقٌ، ولا يخرجونه من الإسلام في الدُّنيا، ولا يقولون بتخليده في النَّار يوم القيامة، بل يقولون بأنَّه تحت المشيئة، فإِنْ شاء اللهُ عفا عنه وأدخله الجنَّة بدون عذابٍ، وإِنْ شاء عذَّبه في النَّار بقدر جنايته، وبعد أن يُطهِّره يخرجُه مِنَ النَّار، ويدخلُه الجنَّةَ.

هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أي: لا مسلم ولا كافر، فلا يثبت له مطلق الإسلام، ولا ينفىٰ عنه الكفر بالكليَّة، نسأل الله العافية من هذا القول الخالي عن الحقِّ والبُرهان.

تفويض كيفيَّة آيات الصِّفات

إلى علم الله

وَكُلَّمَا سَمِعْتَ مِنَ الآثَارِ شَيْئًا مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ، نَحْوَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ»(١). وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ»(٢)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ(٣)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٤)،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(٣) قال الشَّيخ الرَّدادي: «أخرجه ابن منده في «التَّوحيد» (١/١٤٧)، وأبو الفرج الثَّقفي في «الفوائد» (٢/٢٨، ١/٩٢) - كما في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٦٧٩) -، والبغويُّ في «شرح السُّنة» (١٥٩/٧)، من طريق مرزوق مولى طلحة، عن أبي الزُّبير، عن جابر به مرفوعًا.

وله طريق أخرى من حديث جابر أيضًا، وإسناده ضعيفٌ كما في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

بَيْدَ أنَّه صح موقوفًا: أخرجه الدَّارميُّ في «الرَّد على الجهميَّة» (١٣٧)، وأبو عثمان الصَّابوني في «عقيدة السلف» (٧٦)، والدَّارقطنيُّ في «النُّزول» (٩٥ - ٩٦)، واللَّالكائيُّ في «شرح السُّنَّة» (٧٦٨)، عن أمِّ سلمة موقوفًا عليها، ومثله لا يقال من قبيل الرَّأي، فله حُكمُ الرَّفع». اهـ.

(٤) قال الشَّيخ الرَّدادي: «ثبت في القرآن والسُّنَّة مجيءُ وإتيان الجبَّار - تبارك وتعالى - لفصل القضاء يوم القيامة، وأمَّا النُّزول فقد وردَت فيه بعضُ الآثار. انظر الكلام عليها في «الرَّدِّ على الجهميَّة» للدَّارمي (ص٧٢ - ٧٥) وتفسير ابن كثير (٣/ ٣١٥، ٣١٦)». اهـ.

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لا يَزَالُ يُطْرَحُ فِيهَا حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ(١)، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ لِلعَبْدِ: «إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْكَ»(٢)، وَقَوْلِهِ(٣): «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»(٤)، وَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»(٥).

وَأَشْبَاهِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّفْوِيضِ وَالرِّضَا، وَلا

---

(١) الحديث في ذلك أخرجه البخاريُّ (٤٨٥٠) ومسلمٌ (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَلا يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

(٢) الحديث أخرجه البخاريُّ (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

(٣) وفي نسخة الرَّداديّ في هذا الموضع: قال البربهاريُّ رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: «إِنَّ اللهَ - تبارك وتعالىٰ - يَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ»، وأُسقطَتْ هذه الفقرةُ في نُسخةِ القحطانيّ؛ لأنَّها مكرَّرةٌ في المتن، والأولىٰ عدمُ حذفها، وبالله التَّوفيقُ.

(٤) أخرج البخاريُّ (٦٢٢٧) من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الآنَ»، ومسلمٌ (٢٦١٢) من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ».

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١/ ٢٠٣ - ٢٠٤) رقم (٤٦٦) عن عبد الرَّحمن بن عائش، وصحَّحهُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «ظلال الجنَّة». وقال الألبانيُّ في (١/ ١٨٩): «وهي رُؤيا منامِيَّة؛ كما يُشعر به بعضُ ألفاظِه».

تُفَسِّرْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ؛ فَإِنَّ الإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ، فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِن هَذَا بِهَوَاهُ، وَرَدَّهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَىٰ رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ».

الشرح:

قَولُ البربهاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلَّما سمعتَ مِن الآثار شيئًا ممَّا لم يَبْلغْه عقلُك؛ نحو قولِ رسولِ الله ﷺ: «قُلُوبُ العِبَادِ بَينَ أَصْبُعَينِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ» الحديثُ أخرجه مسلمٌ[(١)]. وقوله ﷺ: «إنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الآخِرِ مِنَ اللَّيلِ»[(٢)]»، وما أشبه ذلك مِن الأحاديث الواردة في ذكْر صفاتِ الله عَزَّوَجَلَّ، فيجبُ أن نعلم أنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ ليست كصفات خلقه، بل كما قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فما لم يبلغه عقلُك، ولم يَتصوَّره ذِهْنُك، وجَب عليك أن تُؤمن به، وتكِلَ علمه وكيفيَّته إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وما علينا إلَّا أن نؤمن كما آمن الصَّحابة - رضوان الله عليهم -، إيمانًا لا يَشُوبُه شكٌّ، ولا تخالجه ريبةٌ بأنَّ ما جاء في هذه الأحاديث الصَّحيحة فهو حقٌّ، وما لم تَتصوَّره عقولنا منه فعلينا أنَّ نؤمن به كما يشاء ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما أراد.

وأن نُؤمنَ بما جاء في كتاب الله، وما جاء في سُنَّة رسول الله ﷺ مِن ذلك علىٰ مُرادِ الله، وعلىٰ مُرادِ رسولِ الله ﷺ، ونُفوِّضَ الكيفيَّة في ذلك إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُسلِّمين بما اقتضتْه، ومُصدِّقين بذلك، ومُفوِّضين فيما لم تبلغه عقولُنا، راضين بما رضيَه ربُّنا لنفسِه، وما رضيَه له رسولُ الله ﷺ، ولا نُفسِّرُ شيئًا

---

(١) تقدَّم تخريجُه قريبًا.

(٢) تقدَّم تخريجُه قريبًا.

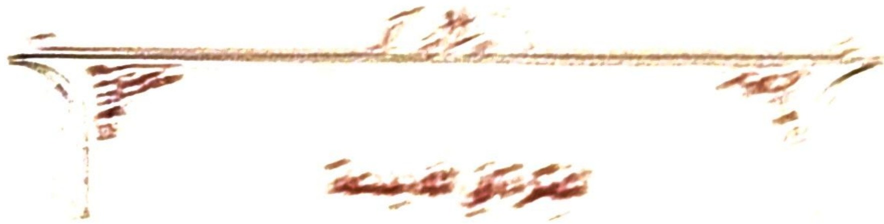
من ذلك بأهوائنا؛ لأنَّ مَنْ فسَّر شيئًا من ذلك بهواه فهو جهميٌّ، وإنْ زعَم أنَّه يُنزِّهُ ربَّه، فيُقالُ له: أنت تُنزِّهه عمَّا أخبر به عن نفسِه، وأخبر به رسولُه ﷺ، فهذا ليس بتَنزيهٍ، ولكنَّه تعطيلٌ.

وأمَّا قول المُؤلِّف: «ومَنْ زعَم أنَّه يرَىٰ ربَّه في دار الدُّنيا، فهو كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ»:

أقول: هذا الزَّعم قَدْ زعمه كثيرٌ من الصُّوفيَّة الملاحدة الَّذين يقولون بأنَّهم يَرَوْن ربَّهم، ويرون النَّبيَّ ﷺ، ويأخذون عنه وعن الله عَزَّوَجَلَّ مُباشرةً، ويعتقدون أنَّهم في مقامٍ أرفع مِن مقام الرِّسالة، ومَنْ زعَم هذا الزَّعْم، فهو كافرٌ لا شكَّ في كُفره(١)، وبالله التَّوفيق.



(١) **قلتُ:** لأنَّه مُكذِّبٌ لخبر الله وخبر رسولِه ﷺ، والَّذي أخبرَ فيه بعدم رُؤيةِ العبد لربِّه في الدُّنيا، ومِن ذلك قولُه تعالىٰ عن مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ومِن ذلك قولُ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألتُ رَسُولَ الله ﷺ: هَلْ رَأَيتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ». رواه مسلمٌ.



[illegible]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدُرُونَ قَدْرَهُ».

[illegible]

[illegible] قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله».

هذا الحديث رواه [illegible] (الصحيحة) [illegible] وهو حديث حسن، [illegible] الألباني [illegible] صحيح الجامع رقم (٢٩٧٥)، [illegible] السلسلة الصحيحة (١٧٨٨).

وقد بيّن هذا الحديث [illegible] كلام بعض السلف.

[illegible] (رضي الله عنه) لا ينبغي لأحد [illegible] ما يخطر على قلبه من [illegible] كله لا ينبغي لأحد [illegible]

[illegible] في خلق الله [illegible] الإنسان [illegible] في خلق [illegible] هذا الخلق

المنوية وكيف حوّل الله عز وجل النطفة التي يخلق منها الحياة إلى حياة وكيف خلق الله كل شيء من المخلوقات إلى ما قصد له حتى أنه أنشأ الحياة من الأول للنطفة التي تعد تلك مكبرا ومصغرا.

فالذي قدر على تحويل النطفة من نطفة إلى إنسان في حياة أليس ذلك هو الرب القادر على كل شيء؟ بلى ونحن على ذلك من الشاهدين (١).

والمهم أن الشك ينبغي أن يكون في خلق الله لا في ذاته ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويجب علينا التسليم بهذه الآية حتى لا نجعلها عرضة في شيء لا ينبغي أن نجعلها فيه وإذا كانت الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمعنى ذلك أن من خلق الله فكيف بذات الله وبالله التوفيق.



---

(١) [illegible]

علمُ الله أزليٌّ وأبديٌّ

وَاعْلَمْ أَنَّ الهَوَامَّ والسِّبَاعَ والدَّوَابَّ نَحْوَ الذَّرِّ وَالذُّبَابِ وَالنَّمْلِ كُلَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلا يَعْلَمُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ. وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِن أَوَّلِ الدَّهْرِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ أَحْصَاهُ وَعَدَّه عَدًّا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّه لا يَعْلَمُ إِلَّا مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ العَظِيمِ.

الشرح:

هذه المخلوقات خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعل لكلٍّ منها شيئًا مِن العبادة؛ فكلٌّ من هذه الدَّوابِّ والسِّباع والهوامّ وغير ذلك، كلٌّ منها يُؤدِّي العبادة الَّتي أُمِرَ بها، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤١، ٤٢]، ومن هذه الآية نعلم أنَّ لهذه الدَّوابِّ والطُّيور أنواعًا من العبادة خَلَقها الله لها، وهي تُؤدِّيها امتثالًا لأمر ربِّها، لا تفعل شيئًا مِن عند نفسِها، وبالله التَّوفيق.

قوله: «وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِن أَوَّلِ الدَّهْرِ...» إلىٰ آخره: وهذه الجملة يظهر أنَّ فيها نقصًا، والظَّاهر أنَّ المعنىٰ: ولا يعلم ما هو كائنٌ إلَّا بعد كونه[1].

---

(١) وهذا قول هشام بن الحكم رأس الضَّلالة، فقد صرَّح أنَّه سبحانه لم يكُن يعلم شيئًا حتَّىٰ أحدثَ لنفسِه عِلمًا، وهذا كفرٌ صريحٌ. انظر: «الفصل» لابن حزم (٥/ ٤٠) تحقيق محمَّد وزميله انتهىٰ من تحقيق محمَّد بن سعيد القحطاني.

وأقولُ: القولُ بأنَّ اللهَ لا يعلمُ الأشياء إلَّا بعد وُقوعها، هذا قولٌ لبعض المعتزلة، وهو قولٌ باطلٌ، ومَنْ يعتقد ذلك فقد كَفَر، فالعلمُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، قَدْ علم اللهُ ما كان، وما لم يكُن، وما هو كائنٌ، لو كان، كيف يكون، وكتبه في اللَّوح المحفوظ قبل خلق السَّموات والأرض.

إذًا، فمَنْ ينكر العلم فهو كافرٌ يجبُ أن يُستَتاب، فإنْ تاب، وإلَّا قُتِل كُفرًا ورِدَّةً.

وَقَدْ قال السَّلفُ: ناظروهم بالعلم[1]، فإنَّهم إذا أنكروه كفروا[2]، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أي: علم الله الذي هو صفةٌ من صفاته تعالىٰ.

(٢) انظر: «أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٤/ ٧١٤) بتحقيق الدُّكتور: أحمد سعد حمدان. طبعة: دار طيبة، الرِّياض (١٤٠٢ هـ). وانظر كتاب: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٧) الطَّبعة الأولىٰ لدار المعرفة ببيروت لعام (١٤٠٨ هـ) (تخريج الشَّيخ أحمد بن عبد الله الحكمي).

لا نكاح إلَّا بولي

وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَصَدَاقٍ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلِيٌّ فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ، وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ.

الشرح:

قوله: «وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَصَدَاقٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ»:

هذا هو مذهب الجمهور[1]، وهو الحقُّ.

إذ من يقول: إنَّ للمرأة أن تُزوِّج نفسها بغير إذن وليِّها؛ قولُه باطلٌ مناقضٌ للأدلَّة[2]،

---

(١) قال شيخنا زيد بن محمَّد بن هادي المدخلي في كتابه القيِّم «الأفنان النَّديَّة شرح السُّبل السَّويَّة» (٤/ ٢٩٢): (الحكم الأوَّل: أنَّ النِّكاح لا يصحُّ إلَّا بولِيٍّ عدل، وبدونه لا يصح عند عامَّة أهل العلم من أصحاب النَّبيِّ ﷺ ومن بعدهم، وهو قولُ عُمرَ وعليٍّ وابن مسعود وابن عبَّاس وأبي هريرة وغيرهم، كما قال به سعيد بن المسيِّب وشريح القاضي وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز. ومن الأئمَّة: الشَّافعيُّ وأحمدُ وإسحاقُ وجمعٌ غيرُهم من أهل العلم، وهو الحقُّ لما روى أحمدُ وغيرُه عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا نكاحَ إلَّا بوليٍّ» والنَّفيُ يتوجَّه إلى الصِّحَّة كما فهمه الجمهور). اهـ

(٢) ومن الأدلَّة على ذلك أيضًا: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾.

وروى البخاري في كتاب النكاح، باب مَن قال: لا نكاح إلَّا بولي؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال معقل بن يسار إنَّها نزلَت فيه، قال: زوَّجتُ أختًا لي من رجل فطلَّقها، حتَّى إذا انقضَت عدَّتُها جاء يخطبُها، فقلتُ له: زوَّجتُك وفرشتُك وأكرمتُك فطلَّقتَها، ثُمَّ جئتَ =

ومخالفٌ لها، بل إنَّه يفتحُ ثغرةً لأصحابِ الفسادِ[(١)]، فيجب اعتقاد بطلانِه.

وكذلك أيضًا أنَّه لابُدَّ من صَداقٍ، ولكن إذا لم يُسمَّ الصَّداق في النِّكاح: فالصَّواب أنَّه لا يبطل، ويعتبر النِّكاح صحيحًا، وتُعطَى صداقَ لِداتِها؛ أي: أقرانِها وأسنانِها، أي الصَّداق المعروف بين النَّاس؛ سواءٌ كان قليلًا أو كثيرًا في ذلك الزَّمن وذلك المكان، وهذه تُسمَّى المُولِّية عند الفقهاء[(٢)].

قَوْلُهُ: «وَمَنْ لَم يَكُنْ لَهَا وَلِيٌّ، فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهَا».

هذا هو القول الصَّحيح، فالَّتي ليس لها وليٌّ يكون وليُّها السُّلطان؛ لحديث: «السُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ»[(٣)].

= تخطُبها، لا والله، لا تعودُ إليك أبدًا، وكان رجلًا لا بأسَ به، وكانت المرأةُ تريدُ أنْ ترجعَ إليه، فأنزلَ الله هذه الآيةَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فقلتُ: الآنَ أفعلُ يا رسولَ الله. قال: فزوَّجها إيَّاه.

وعند أحمد وأبي داود وابن ماجه والتِّرمذي وقال: حديثٌ حسن، واللَّفظ له، عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أيُّما امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا المَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ».

(١) قال شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللهُ: «وقد سمعتُ أنَّه كان لأحد الفقهاء الحنفيِّين في بعض البلدان العربيَّة ابنٌ منحرفٌ، وكان يسمعُ من أبيه أنَّ الوليَّ ليس بشرطٍ في النِّكاح، وكان يصحبُ شلَّةً فاسدةً يعاقرون النِّساء، ويعملون معهنَّ الفواحش، فعلَّم شلَّته أن يقول للزانية إذا أعطاها أجرها: زوِّجيني نفسكِ، فتقول: زوَّجتُك نفسي، وهو يقول: قبلتُ، فيقضي معها ليله، فإذا حان الفراق قال لها: مطلقة، وفي الليلة الثانية واحدةٌ أخرى، فأنت ترى أنَّ هذا المذهب الذي جاء على خلاف الدَّليل قد استغلَّه المنحرف ذريعةً للفساد والإفساد، مع أنَّ المذهبَ الحنفيَّ لا يبيحُ مثل هذه الصُّورة، ولكن يُبيحُ النكاح الَّذي يُقصد به الاستدامة، ولا يُبيحُ اختلاطَ المياه عند الطَّلاق، بل يوجبُ العدَّة والاستبراء في حقِّ المختلعة، والأَمَة تُشترى». اهـ

(٢) قال شيخُنا النَّجميُّ رَحِمَهُ اللهُ: «المولِّية هي الَّتي لا تشترطُ، وتُسمَّى المولِّية؛ لأنَّها ولَّت الزَّوجَ مقدارَ الصَّداق، فما أعطاها قَبِلته» اهـ

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٧) (٢٤٢٥١)، وأبو داود (٢٠٨٣)، والتِّرمذيّ (١١٠٢)، وابن ماجه (١٨٧٩)، =

وأمَّا قوله: «وإذا طلَّق الرَّجلُ امرأته ثلاثًا، فقدْ حَرُمَتْ عليه، لا تحلُّ له حتَّىٰ تَنكحَ زَوجًا غيرَه»:

وأقولُ: هذه المسألة فيها خلافٌ كبير بين العلماء، فالطَّلاق فيه أقوالٌ مُتعدِّدةٌ، فالجمهور: يَرَوْنَ أنَّ الرَّجل إذا طلَّق ثلاثًا بلفظٍ واحدٍ، فإنَّه قَدْ حَرُمَتْ عليه مطلَّقته.

ومِن أهل العلم مَنْ يقولُ: إنَّ الطَّلاق المُحرَّم هو طلاق السُّنَّة، بأن يُطلِّق في طُهْرٍ لم يُجامعْ فيه[1]؛ فإنْ طلق ثلاثًا بلفظٍ واحدٍ، أو بألفاظٍ متتابعةٍ؛ فإنَّه تعتبر واحدةً، وهذا رأيُ شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقولٌ وسَطٌ، وهو أنَّها تعتبر ثلاثًا بالنِّيَّة إذا كانت بألفاظٍ مُتتابعةٍ، والمسألة فيها كلامٌ كثيرٌ، وبالله التَّوفيق.



= عن عائشة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (١٨٤٠).

(١) أو أنْ يُطلِّق المرأة وهي حامل، وعدَّتها بوضع الحمل، فهذا الطَّلاقُ يُعتَبرُ طلاقًا سُنِّيًّا، بخلاف ما لو طلَّق المرأة في طُهْرٍ جامعها فيه، أو طلَّقها وهي حائضٌ، فيقول أهل العلم: إنَّ الطَّلاق هنا يُسمَّىٰ طلاقًا بدعيًّا، يقع فيه الطَّلاق، ولكنَّه علىٰ خلاف السُّنَّة.

قال شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأيضًا جمع الثَّلاث في مكانٍ واحدٍ فيه خلاف: هل هو بدعةٌ أم لا؟». اهـ

لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث

وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: زِنًىٰ بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ مُرْتَدٌّ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيُقْتَلُ بِهِ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَدَمُ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ(١).

الشرح:

وأقول: إنَّه لا يجوز قَتْل نفسٍ بغير واحدةٍ من هذه الثَّلاث إجماعًا، وبالله التَّوفيق.



---

(١) دلَّ علىٰ هذا حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه البخاريُّ (٦٨٧٨)، ومسلمٌ (١٦٧٦) واللَّفظ له: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المفَارِقُ للجَمَاعَةِ».

الكلُّ يفنى إلاّ ما شاء الله

وَكُلُّ شَيءٍ مِمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيهِ الفَنَاءَ يَفْنَىٰ، إِلَّا الجنَّة وَالنَّار، وَالعَرْش وَالكُرْسِيّ، وَالصُّورَ، وَالقَلَمَ، واللَّوْحَ، لَيْسَ يَفْنَىٰ شَيءٌ مِن هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ عَلَىٰ مَا أَمَاتَهُم عَلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ؛ فَرِيقٌ فِي الجنَّة، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، وَيَقُولُ لِسَائِرِ الخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا.

الشرح:

قولُ البربهاري: «وَكُلُّ شيءٍ ممَّا أوجبَ اللهُ عليه الفَناءَ يفنَىٰ، إلّا الجنَّةَ، والنَّارَ، والعَرشَ، والكرسيَّ، والصُّورَ، والقلَمَ، واللَّوحَ، ليس يَفْنىٰ مِن هذا شَيءٌ أبدًا»:

أقولُ: الجنَّةُ والنَّارُ والعرشُ والكرسيُّ... وتمام العدَّة[1]، لم يخلق شيءٌ من هذا للفناء، بل هي مخلوقةٌ قبل السَّموات والأرض، وعند فناء هذا الكون لا تفنىٰ، بل هي باقيةٌ.

فالجنَّة مُعدَّةٌ لأهلها، والنَّار مُعدَّةٌ لأهلها، وبعد البعث والحساب سيدخلُ كلَّ دارٍ مَنْ أرادهم اللهُ لها أن يَدخلُوها بأعمالهم: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأهلُ الجنَّة سيعمرونها، ويَبْقون فيها إلىٰ ما لا نهايةَ، وأهل النَّار سَيَبْقون فيها إلىٰ ما لا نهاية، إلّا نار المُوحِّدين الَّذين يُعذَّبون بذنوبٍ ارتكبُوها، ثُمَّ

(١) أي: مما ذكر في المتن من الصُّور والقلم واللَّوح.

يخرجون منها إلىٰ الجنَّة.

أمَّا نار الكفَّار والمنافقين الَّذين كتب الله عليهم الخلود، فسيبْقون فيها إلىٰ ما لا نهاية.

قوله: «ثمَّ يبعثُ اللهُ الخَلْقَ علىٰ ما أماتَهم عليه يوم القيامة، ويُحاسبُهم بما شاء؛ فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السَّعير»؛ أي: يبعث الله الخَلْق علىٰ ما أماتهم عليه يوم القيامة، ويُحَاسبهم بأعمالهم، ويَجْزيهم عليها، ولله في عبادِه الحكمةُ البالغةُ، وله عليهم الحُجَّةُ الدَّامغةُ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وكلٌّ سيُجزَىٰ بما عمل، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، ويقول لسائر الخَلْق ممَّن لم يخلق للبقاء: «كونوا تُرابًا»(١).

وأقولُ: تنقسم العوالم إلىٰ قسمين: عاقل مكلَّف، وغير عاقلٍ ولا مكلَّفٍ؛ فالعوالم المكلَّفة: الجنُّ والإنس، هم الَّذين يُحاسَبون يوم القيامة، ويُجْزَون علىٰ ما اقترفوا.

أمَّا الدَّوابُّ، والطُّيور، والوحوش، والحشرات، وهي العوالم غير المُكلَّفة كهذه، يقول لها ربُّها: «كوني ترابًا»، فتكون تُرابًا.

وذلك بعدما تنتهي الحكمةُ من وجودها، ويُقتَصُّ لبعضها مِن بعضٍ حتَّىٰ يُقتَصَّ للشَّاة الجلحاء مِن الشَّاة القَرناء، ثُمَّ بعد ذلك تصيرُ تُرابًا.

وَقَدْ أشارتْ الآيةُ الَّتي في سورة (النَّبإ)، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، أشارتْ إلىٰ هذا المعنىٰ، أي: أنَّه يَتمنَّىٰ الكافر أنْ يصير ترابًا كهذه العوالم غير المكلَّفة، وباللهِ التَّوفيقُ.

---

(١) وقد ذكر ابنُ كثيرٍ: عند تفسيره لقول الله تعالىٰ في سورة (النَّبإ): ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: أنَّه وردتْ آثارٌ عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما أنَّ ذلك حين يحكمُ الله بين الحيوانات، حتَّىٰ إنَّه يقتصُّ للشَّاة الجمَّاء من القرناء، وإذا فرغ قال لها: كوني ترابًا، فتصير ترابًا، فيَتمنَّىٰ الكافر عند ذلك أنْ يكون ترابًا، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ وقد ورد هذا المعنىٰ في حديث الصُّور. اهـ. انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١١ سلامة).

الإيمانُ بالقصاص يوم القيامة

وَالإِيمَانُ بِالقِصَاصِ يومَ القِيَامَةِ بَيْنَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ، بَنِي آدَمَ وَالسِّبَاعِ وَالهَوَامِّ، حَتَّىٰ للذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حتَّىٰ يَأْخُذَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَهْلِ الجَنَّةِ مِن أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِن أَهْلِ الجنَّةِ، وَلأَهْلِ الجنَّةِ بَعْضِهِمْ مِن بَعْضٍ، وَلِأَهْلِ النَّار بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ.

الشرح:

أقولُ: يعني أنَّ القصاصَ حاصلٌ بين بني آدم بعضِهم مِن بعضٍ، وبين الإنس والجنِّ، وبين الإنس والسِّباع والهوامِّ والدَّوابِّ، وبين السِّباع والدَّوابِّ بعضِها مِن بعضٍ، وَقَدْ جاء في الحديث: «حَتَّىٰ يقتَصَّ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ - أي: الَّتي لا قرون لها - مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ» أي: ذات القرون[(١)].

قوله: «حتَّىٰ يأخذ الله عَزَّوَجَلَّ لبعضهم مِن بعضٍ لأَهْل الجنَّة مِن أهل النَّار، ولأَهْل النَّار مِن أَهْل الجنَّة، ولأهل الجنَّة بعضِهم مِن بعضٍ، ولأهل النَّار بعضهم من بعضٍ»:

أقولُ: قَدْ جاء في الحديث أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ينادي يوم القيامة، فيقول: «أنَا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ». والمقصودُ بالقِصاص هنا ما يُسمَّىٰ عند أهل العلم بالقنطرة، وهو وُقوفُ المؤمنين بعد الصِّراط بين الجنَّة والنَّار. قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «العقيدة الواسطيَّة»: «فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ».

الملِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّىٰ اللَّطْمَةُ». قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّما نَأْتِي اللهَ عَزَّوَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»[1].

والمهمُّ: أنَّهم لا يدخلون الجنَّة والنَّار إلَّا بعد أَخْذِ الحقوق من بعضهم البعض، فإذا صفُّوا ونقُّوا أُدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار، وبالله التَّوفيقُ.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩٥) (١٦٠٨٥)، من حديث عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٠٨): «حسن لغيره».



وجوبُ إخلاص العمل لله

وَإِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ[1]، وَالإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللهِ كُلِّهَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، حُلْوِهَا وَمُرِّهَا.

الشرح:

أقولُ: أمَّا الدَّليل علىٰ الإخلاص في العمل لله عَزَّوَجَلَّ، ففي كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ أدلَّةٌ كافيةٌ علىٰ ذلك، وبعد ذلك إجماع الأُمَّة علىٰ ذلك.

فالدَّليل من الكتاب: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

إلىٰ غير ذلك من الآيات، وهذه الآياتُ آمرةٌ بالإخلاص لله بمنطوقها، وناهيةٌ عن الشِّرك؛ صغيرِهِ وكبيرِهِ بمفهومها.

---

(١) وفي نسخة الشيخ الرَّدادي: «والإيمان بما قال الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا يصحُّ إيمانُ العبد إلَّا بالاعتراف بأنَّ القرآنَ كلامُ الله منزلٌ علىٰ عبده ورسوله محمَّد ﷺ، وهو غيرُ مخلوقٍ، وأنَّه يجب العمل به؛ لأنَّ هذا مِن مُقتضيات الإيمان بالقُرآن، ومن الإيمان بما قال الله الإيمان بما صحَّتْ نسبته إلىٰ رسول الله ﷺ مِن سُنَّته وهَدْيه، فالقُرآن والسُّنَّة صِنْوان لا يختلفان ولا يفترقان؛ فهما مِن عند الله جميعًا، كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]». اهـ.

أمَّا السُّنَّة: فقد جاء في الحديث القدسي الَّذي رواه مسلمٌ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

وحديث: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢)، إلىٰ غير ذلك من الأدلَّة.

والإجماعُ حاصلٌ من العلماء علىٰ تحريم الشِّرك؛ صغيره وكبيره، وأنَّ الرِّياء مِن الشِّرك، دلَّ علىٰ ذلك كتابُ الله وسُنَّة رسولِه ﷺ وإجماعُ الأُمَّة(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلمٌ (١٩٠٥) مِن حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في قول الله تعالىٰ عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ثمَّ قال الله فيهم بعد ذلك: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ =

قوله: «والرِّضا بقضاء الله، والصَّبر على حُكم الله...» إلخ:

الرِّضا بقضاءِ الله مَرتبةٌ عظيمةٌ، والمقصودُ بالقضاءِ هنا: هو الَّذي لا يكونُ للإنسان فيه دخلٌ؛ كالمرض والصِّحَّة، والغنى والفقر والموت، وجميع المصائب الَّتي تصيب العبد.

فالنَّاس ينقسمون فيها إلى قسمين، أو يقال: إنَّ للعبد معها حالتين، وهاتان الحالتان إحداهما أعلى من الأخرى؛ فالعليا منها هي:

١- الرِّضا، وهي الحالة الأولى، بأنْ تكون راضيًا بما قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ لك، وبما قسم لك من الرِّزق، وبما قدَّره عليك من المصائب، فالرِّضا بهذه الأقدار الَّتي تصيب العبد من الله محض قَدَرٍ لا يستطيع هو ولا غيره ردَّها، والرِّضا بالأقدار منزلةٌ عظيمةٌ، وهي صفةٌ نفسيَّةٌ كريمةٌ بأن يكون العبد راغبًا في ثواب المصيبة بعد أن تصيبه، بحيث لو خُيِّر بين ثوابها وبين زوال تلك المصيبة لاختار الثَّواب.

٢- فإن لم يكن من أهل الرِّضا، فليكن من أهل الصَّبر، وهذه هي الحالة الثَّانية، فيصبر إذا قُدِّر عليه ذلك، ويتحمَّل رغبةً في الثَّواب، وإذعانًا للقضاء والقدر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي الحديث: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ،

=

لَهُمْ نَصِيرًا﴾، فدلَّتْ هذه الآيات وغيرها على أنَّ الرِّياء في الأعمال شركٌ محبطٌ للعمل، وإلَّا ما استحقُّوا هذا الوعيدَ مِن الله، فنسألُ اللهَ العافيةَ من الشِّرك.

وقد دلَّ على أنَّ الرِّياء من الشِّرك ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٢٨) (٢٣٦٨٠) عن محمود بن لبيد أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ؛ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟».

فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[(١)]، وبالله التَّوفيق.

ملحوظة:

لا يجوز الرِّضا بالمعاصي، ولا الاحتجاجُ عليها بالقَدَر، بل يجبُ السَّعيُ في إزالتها وقطعها، والله تعالىٰ يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[(٢)].

فلو قُدِّر أنَّ الكفَّار احتلُّوا بلدًا من بلدان المسلمين، فهل يجوز أن نقولَ: هذا أمرٌ مُقدَّرٌ، ونسكتُ ولا نسعىٰ في إزالة هذا المنكر حتَّىٰ يتحرَّر المسلمون في بلادهم، ويستريحوا من سيطرة الكفَّار عليهم؟

الجواب: أنَّه لا يجوز لنا السُّكوت علىٰ ذلك، ولا الرِّضا به، ولا الصَّبر عليه، وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «الصَّحيحة» (١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الإيمان بالقضاء والقدر

وَالإِيمَانُ بِمَا قَالَ اللهُ[1]، قَدْ عَلِمَ اللهُ مَا العِبَادُ عَامِلُونَ، وَإِلَىٰ مَا هُمْ صَائِرُونَ، لا يَخرُجُونَ مِن عِلْمِ اللهِ، ولا يَكُونُ فِي الأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَتَعلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلا خَالِقَ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

الشرح:

أقولُ: الإيمانُ بالقضاء والقَدَر من كفرٍ وإيمانٍ، وبرٍّ وفجورٍ، وصِحَّةٍ ومرضٍ، وغنًىٰ وفقْرٍ، وسعادةٍ وشقاوةٍ، وأنَّ كلَّ ما يكون في السَّموات والأرضين من نِعَمٍ ومصائبَ وغير ذلك كلُّها بقَدَرٍ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فهو الخالق لجميع مَنْ في الكون، والخالق لأعمالهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٩٦].

---

(١) قال الشَّيخُ الرَّدَّاديّ - وفَّقه الله - في نسخة مكتبة الغرباء عند هذه العبارة: (والإيمان بأقدار الله خيرها وشرِّها، وحُلوها ومُرِّها) وهذا أمرٌ واجبٌ علىٰ كلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ، فإذا نزلَتْ بالمسلم مصيبةٌ وبلوًىٰ فلا يخلو إمَّا أنْ يكون مِن أحد أصحاب هذه المراحل الأربع:

١ - الجزع عند المصيبة، وهذا حرامٌ؛ لأنَّه تسخُّطٌ علىٰ الله فيما كتبه وقَدَّره.

٢ - مرحلة الصَّبر، وهو أمرٌ واجبٌ عند نُزول المصيبة بالمسلم.

٣ - الرِّضا بقضاء الله وقدره.

٤ - الشُّكر، وهذه من أفضل المنازل الأربع عند الله؛ فنسألُ اللهَ أنْ يَرزُقَنا الرِّضا بما كتبَ اللهُ لنا وعلينا من خيرٍ وشرٍّ، وأن يَدَّخر أجرَ ذلك عنده تعالىٰ في يوم الفاقة والحاجة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٨ - ٨٩].

وهو المُقدِّر لأرزاقهم وآجالهم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

لا يخرج من ذلك حبَّة خردلٍ، ولا يشذُّ عن ذلك شيءٌ؛ لا أصغر ولا أكبر، ولا قليلٌ ولا كثيرٌ، كلُّ ذلك بأمر اللهِ وقَدَره، لا خالقَ مع الله، ولا مُتصرِّفَ في الكون سواه، وما حصل للعباد من أمورٍ يَتصرَّفون بها فالله هو الَّذي خوَّلهم ذلك، وأعطاهم إيَّاه، ومكَّنهم فيه، وهو القادرُ علىٰ سَلْب ذلك منهم إذا شاءَ، فهُو خالقٌ للمُلَّاك وما ملكُوا، ومالكٌ للمُلُوك وما سيطروا عليه، وتَصرَّفوا فيه، له فيهم القُدرةُ النَّافذةُ، وله عليهم الحُجَّة البالغة.

هو العالم بما كان، وبما يكونُ، كتب أعمال العباد قبل خلْق السَّموات والأرض، كما صحَّ في الحديث: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَم، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يوم القِيَامَةِ»(١)، والعباد لا يتجاوزون ما كتب اللهُ عليهم أو لهم، وبالله التَّوفيقُ.

ملحوظةٌ: لهذا يجبُ علىٰ العبد أن يؤمن بأنَّ ما أصابه لم يكُن لِيخطئَه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما في حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ». رواه التِّرمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ(٢)، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧) (٢٢٧٥٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والتِّرمذيُّ (٢١٥٥)، عن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ بطرقه وشواهده؛ انظر: «ظلال الجنَّة» (١/ ٤٨ - ٥٠).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٥١٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٣٠٢).

التكبير على الجنائز أربع تكبيرات

وَالتَّكْبِيرُ عَلَى الجَنَائِزِ أَرْبَعٌ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بنِ أَنسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَالحَسَنِ بنِ صَالِحٍ، وَأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَالفُقَهَاءِ، وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى يَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ «والتَّكبيرُ علىٰ الجنائز أربعٌ» أي: أربع تكبيراتٍ، وهذا هو مذهب الجمهور، وأهلُ السُّنَّة والجماعة علىٰ ذلك، للأدلَّة الدَّالَّة عليه؛ كصلاة النَّبيِّ ﷺ علىٰ النَّجاشي[1]، وغير ذلك من الأدلَّة[2]، وهو الَّذي استقرَّ عليه رأيُ الفقهاء، وبه عملهم، ومَنْ خالف ذلك فلا يُلتفتُ إلىٰ خِلافِه، وبالله التَّوفيق.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وَالإِيمَانُ بِأَنَّ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ... إلخ»، قال القحطاني في التَّعليق: «ورد عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَا مِنْ شَجَرَةٍ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ

---

(١) كما في حديث أبي هريرة الَّذي أخرجه البخاريُّ (١٣٣٣)، ومسلمٌ (٩٥١): «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى المُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ».

(٢) ومنها ما أخرجه ابن ماجه (١٥٢٨) عن يزيد بن ثابت، وكان أكبر من زيدٍ، قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا وَرَدَ البَقِيعَ فَإِذَا هُوَ بِقَبْرٍ جَدِيدٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، قَالُوا: فُلَانَةُ. قَالَ: فَعَرَفَهَا، وَقَالَ: «أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهَا؟» قَالُوا: كُنْتَ قَائِلًا صَائِمًا، فَكَرِهْنَا أَنْ نُؤْذِيَكَ. قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، لَا أَعْرِفَنَّ مَا مَاتَ مِنْكُمْ مَيِّتٌ مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتِي عَلَيْهِ لَهُ رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتَى القَبْرَ، فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا». وصحَّحهُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (١٢٣٩).

إِلَّا وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا، يَكْتُبُ مَا يَسْقُطُ مِنْهَا». انظر «تفسير ابن كثيرٍ» (٣/ ٢٦٠)».

قال المُعلِّق القحطاني وفَّقه الله: «فهذا يدلُّ بطريق الأَوْلَىٰ علىٰ هذه المسألة الَّتي ذكرها المُصنِّفُ».

قلتُ: في هذا نظرٌ من وجهين:

١- أنَّه لم يثبت عن النَّبيِّ ﷺ في ذلك شيءٌ فيما أعلم.

٢- أنَّ دلالة هذا الأثر علىٰ ما ذكره المُؤلِّف أنَّ كلَّ قطرةٍ ينزل معها مَلَكٌ حتَّىٰ يضعها حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ ليست بواضحةٍ؛ إذ إنَّ الأثر في كتابة ما يسقط من ورق الشَّجر، والموضوعُ في نُزول المطر، ونحن نؤمن بقُدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ونؤمن بأنَّ الله يعلم بكلِّ ورقةٍ تسقطُ، وبكلِّ قطرةٍ من قطرات المطر أين تقع، ولكن نزول مَلَكٍ مع كلِّ قطرةٍ حتَّىٰ يضعها في مكانها، هذا الأمر ليس بثابتٍ عن النَّبيِّ ﷺ؛ لذلك فإنِّي أقولُ: إنَّ في هذا نظرًا، وبالله التَّوفيقُ.



الإيمان بأنَّ أهلَ القَليب سمعوا كلامَ رسولِ الله ﷺ

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ كَلَّمَ أَهْلَ القَلِيبِ يَومَ بَدْرٍ - أَي: المُشْرِكِينَ - كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ.

الشرح:

قلتُ: هذا ثابتٌ في الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ خاطبَ أهلَ القَلِيب بقوله: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا».

فسمعَ عُمَرُ قولَ النَّبيِّ ﷺ؛ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يَسْمَعُون، وَأَنَّى يُجِيبُون، وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا»، ثُمَّ أَمَرَ بِهِم فسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ[1].

قلتُ: الخلافُ حاصلٌ بين أهل العلم: هل أنَّ أهل البرزخ يسمعون مَنْ خاطبهم، أو أنَّ ذلك خاصٌّ بأهل القَلِيب؟

فمنهم مَنْ تَوسَّع في هذا، وزعم أنَّ أهل البرزخ يسمعون الكلامَ، ومِنهم مَنِ اقتصر على محلِّ النَّصِّ، وهذا هو الظَّاهرُ مِن النُّصوص الثَّابتةِ.

وأهلُ التَّصوُّف توَسَّعوا في ذلك تَوسُّعًا مُنكرًا، حتَّى زعمُوا أنَّ المَيِّتَ يعلم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٤).

ما يحصل في أهله من خيرٍ وشرٍّ، وَقَدْ نقل ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الرُّوح» نقولاتٍ عنهم فيها نظرٌ، وبالله التَّوفيق.



الأجر على المرض والشهادة

وَالْمُسْلِمُ مِنَ الرِّجَالِ إِذَا مَرِضَ آجَرَهُ اللهُ عَلَى مَرَضِهِ، وَالشَّهِيدُ يَأْجُرُهُ اللهُ عَلَى شَهَادَتِهِ[1].

الشرح

قوله: قد ورد في ذلك أحاديث صحيحة تدل على أن المريض المسلم يؤجر على مرضه[2]؛ لأنه يعلم أن الله هو الذي يُمرض ويشفي، وأن الشهادة فيها مرتبة عالية يؤتيها الله من يشاء من عباده، ولكنها لا تنال إلا بالإخلاص والمتابعة، فمن قُتل مجاهدًا في سبيل الله فهو شهيد من شهداء الدنيا والآخرة إذا كان بين الكفار والمسلمين، وكذلك من قتله المبتدعون؛ كالخوارج وأمثالهم، وقد جاء في الحديث عن الخوارج: «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ»[3].

أما شهداء الآخرة فهي كثيرة، ومن شهداء الآخرة: المطعون، والمبطون، والحريق، والغريق، وصاحب الهدم، وصاحب السل، إلى غير ذلك[4]، وبالله التوفيق.

---

(1) في نسخة (...): والشهيد يأجره الله على القتل. اهـ

(2) أخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا».

(3) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٢/ ٤٥٤).

(4) ساق الإمام الألباني رحمه الله جملة من الأحاديث فيها ذكر لشهداء الآخرة غير ما ذكر في الشرح، وذلك في

الأطفال يألمون في الدنيا

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَأْلَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَكْرَ ابْنَ أُخْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ(١)، قَالَ: لَا يَأْلَمُونَ، وَكَذَبَ.

الشرح:

قوله: كون الأطفال يألمون هذا شيءٌ محسوسٌ ومعقولٌ.

أما كونه محسوسًا: فإنك إذا عملت شيئًا في جسد الطفل مما يؤلم، فإنه يتألم لذلك، ويبكي بكاءً شديدًا، تحسُّ منه بأنه تألم، ولو وُضِعَتْ عليه أو وُجِدَ في ثيابه شيءٌ من الحشرات التي تلدغ كالذَّرَّة (النملة)، والبرغوث الذي يُسمَّى عندنا بالقعموص، فإنه يتألم ألمًا شديدًا، ويبكي بكاءً حارًّا.

وأما من ناحية المعقول: فإنه إنسانٌ يتألم مما يتألم منه الإنسان الذي يعرب عن نفسه ويتكلم، فالجبلات التي جُبِلَ عليها الإنسان وُجِدَتْ معه وخلقت معه، فلا تزال تنمو معه، ومن قال خلاف ذلك فقد خالف المحسوس والمعقول، والله الموفق.



كتابه القيم «أحكام الجنائز» تحت عنوان: (علامات حسن الخاتمة) في (ص٤٨) وما بعدها، فمن شاء فليراجعه.

(١) قال الشيخ الردادي: «في طبعة ابن أخت عبد الوهاب، وهو خطأ، والصحيح ما ذُكِرَ في المتن، ثم قال: وبكرٌ هذا من رؤوس المبتدعة، انظر ترجمته في «لسان الميزان» (٢/ ٦٠، ٦١)، و«الفصل» لابن حزم (٣/ ١٤٧)، وقد غلَّط محققو الكتاب في ترجمته، وانظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص٢٨٦)» اهـ.

لا يدخلُ أحدٌ الجنَّةَ إلاَّ برحمةِ الله

وَاعْلَمْ أَنَّه لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ، وَلا يُعَذِّبُ اللهُ أَحَدًا إِلَّا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ، وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؛ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ؛ عذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ للهِ عَزَّوَجَلَّ إِنَّهُ ظَالِمٌ، وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَاللهُ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَالخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالدَّارُ دَارُهُ، لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسأَلُونَ، وَلا يُقَالُ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَلا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

الشرح:

قد علم الله عَزَّوَجَلَّ خلقه جميعًا، وقَسَّمهم إلىٰ فريقَين:

١- فريقِ السُّعداء، وهم أهل الجنَّة.

٢- فريقِ الأشقياء، وهم أهل النَّار، وعَلِمَ ما هم عاملون.

ويجب أن نعلم أنَّ السَّعادة بقدرٍ من الله، وبسببٍ من الإنسان، واللهُ له في عباده الحكمةُ البالغةُ، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، فهو لا يُعذِّب أحدًا بغير ذنبٍ، ولا تُكتَب عليه الشَّقاوة إلَّا بسببٍ منه، فاللهُ لا يظلمُ أحدًا مِن خَلْقِهِ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وعن أبي واقدٍ اللَّيثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالسٌ في المسجد والنَّاس معه إذ أقْبَلَ ثلاثةُ نفرٍ، فأقبل اثنان إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب واحدٌ، قال: فوَقَفَا على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا، فَرَأَىٰ فُرْجَةً في الحلْقَةِ، فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ: فَأَوَىٰ إِلَىٰ اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**». متَّفقٌ عليه[1].

فالَّذي يجبُ أنْ نُؤمنَ به: أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُعذِّب أحدًا إلَّا بذنبٍ، كما أنَّا نؤمن أنَّ اللهَ لا يظلمُ أحدًا شيئًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء: ٤٠].

ومن جهةٍ أخرىٰ: يجبُ أنْ نعلمَ أنَّ الخَلْقَ خلقُ الله، والأرض أَرْضُهُ، وأنَّه هو الَّذي خَلَق الخَلْق ورزَقَهم، وأنَّه لو عَذَّب أهل السَّموات وأهل الأرض لعذَّبهم غير ظالمٍ لهم، وهذه العبارة وردتْ عن بعض الصَّحابة[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) وهُم: أبي بن كعب، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن مع ذلك كلّه صحّت نسبة هذا الحديث إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مقدّمة «سنن ابن ماجه» برقم (٧٤) عن ابن الدَّيلمي قال: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَخَشِيتُ عَلَىٰ دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قُبِلَ مِنْكَ =

ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ قطع الحُجَّة بإرسال الرُّسل وإنزال الكتب، كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾، وبالله التَّوفيق.



= حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٦٢).

الطاعن على الآثار متهم على الإسلام

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ وَلا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ المذْهَبِ[1] وَالقَوْلِ، وَلا يُطْعَنُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا عَلَىٰ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم؛ لأَنَّا إِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ وَعَرَفْنَا رَسُولَهُ، وَعَرَفْنَا القُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةَ؛ بِالآثَارِ، فَإِنَّ القُرْآنَ إِلَىٰ السُّنَّةِ أَحوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إِلَىٰ القُرْآنِ[2].

الشرح:

قَولُه: «وَإِذَا سَمِعْتَ رجلًا يَطْعنُ علىٰ الآثار، ولا يَقْبلُها، أو يُنكرُ شيئًا مِنْ أَخبار رَسولِ اللهِ ﷺ فاتَّهِمْه علىٰ الإِسلامِ؛ فإنَّه رَجلٌ رَدِيءُ المذهبِ»:

أَقولُ: إنَّه لا يطعنُ علىٰ الآثار إلَّا مَفتونٌ، وإلَّا فإنَّ الآثارَ الَّتي جاءتْ عن

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «فإنَّه رجلٌ رديء القول والمذهب». اهـ.

(٢) قال الشيخ الرَّدادي: «وهذا القولُ مأثورٌ عن مَكحول الشَّامي رَحِمَهُ اللَّهُ، أخرجه الخطيبُ في «الكفاية» (ص١٤)، وابنُ عبدِ البرِّ في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٩١)، والحازمي في «الناسخ والمنسوخ» (ص٢٥) وإسنادُه صحيحٌ. وقال يحيىٰ بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنَّة قاضيةٌ علىٰ القُرآن، وليس القرآنُ بقاضٍ علىٰ السُّنَّة». أخرجه الدَّارميُّ في «سُننه» (١/ ١١٧)، وابنُ عبد البرّ في «الجامع» (٢/ ١٩١)، وقال الفُضيلُ بن زيادٍ: «سمعتُ أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - وسُئل عن الحديث الَّذي رُوي: أنَّ السُّنَّة قاضيةٌ علىٰ الكتاب! فقال: «مَا أَجْسَرُ علىٰ هذا أنْ أقولَه: إنَّ السُّنَّة قاضيةٌ علىٰ الكتاب، إنَّ السُّنَّة تُفسِّر الكتابَ وتُبيِّنُه». ذكرَه ابنُ عبد البر في «الجامع» (ص١٩١، ١٩٢)، قال - الرَّدادي -: «وهذا هو الصَّوابُ؛ لموافقته قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النَّحل: ٤٤]». اهـ.

النَّبيّ ﷺ هي المُبيِّنة للقرآن، وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ في حديث معد يكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أَلا هَلْ عَسَىٰ رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ». رواه التِّرمذيُّ، وابنُ ماجه، وأحمدُ، والدَّارميُّ[(١)].

وفي روايةٍ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ». قال الإمام التِّرمذيُّ: «هذا حديث حسنٌ»[(٢)].

وأقولُ: إنَّ حديثَ النَّبيِّ ﷺ مُفسِّرٌ لكتاب الله، مُبيِّنٌ لمُجْملِه، ومُخصِّصٌ لعمومه، ومُبيِّنٌ لناسخه ومنسوخه، فلا يجوز لأحدٍ أنْ يطعنَ في الآثار الَّتي تُبيِّنُ شرع الله، وتُوضِّحُه، ولا يفعل ذلك إلَّا مَنْ في إيمانه خللٌ.

وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[(٣)]. وقال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[(٤)]. وقال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٦٤) واللَّفظُ له، وابنُ ماجه (١٢)، وأحمد (٤/ ١٣٠) (١٧٢١٣)، والدارمي (٦٠٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٦٥٧).

(٢) أخرجه الترمذيُّ (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣)، عن أبي رافع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على «المشكاة» (١٦٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠) (١٧٢١٣)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على «المشكاة» (١٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود»، وفي «الإرواء» (٢٤٥٥).

أمْرَين لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بهما: كِتَاب اللهِ، وَسُنَّةَ نَبيِّهِ»[١].

فيجب أن نعرف قَدْر السُّنَّة وموقعها في الإسلام، وأن نعمل على حِفْظها ونَشْرها، وأن نعلم أنَّ مَنْ قَدَح فيها فإنَّه قَدْ قَدَح في الإسلام؛ شاء أم أبى.

قَوله: «وَلا يُطْعَنُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا عَلى أصحابِهِ، لأنَّا إنَّما عَرَفْنَا اللهَ، وعَرَفْنَا رَسُولَه ﷺ، وَعَرَفْنَا القُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الخيرَ وَالشَّرَّ، والدُّنْيَا وَالآخرةَ بالآثَار، فَإنَّ القُرْآنَ أَحْوَجُ إلى السُّنَّةِ مِن السُّنَّةِ إلى القُرْآنِ». انتهى.

أقولُ: لا يطعن على رسول الله ﷺ إلَّا كافرٌ أو منافقٌ، وَقَدْ سَجَّل لنا القُرآن عن المنافقين - وكذلك الكُفَّار - طَعْنَهم على رسول ﷺ؛ كقوله عن الكُفَّار: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. وكقوله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٦]. وكَقولِه عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

إلى غير ذلك ممَّا أخبرَنا الله به عن الكُفَّار والمنافقين، فالَّذي يطعنُ على النَّبيِّ ﷺ دلَّل على نفسه أنَّه كافرٌ أو منافقٌ.

أمَّا الطَّعن على الصَّحابة فهو طعنٌ في الدِّين، فالَّذين كفَّروا الصَّحابة كالرَّافضة والخوارج إنَّما أرادوا بتكفيرهم إيَّاهم الطَّعنَ في دِيننا؛ لأنَّ الصَّحابة هم الَّذين حَملوا الدِّين إلينا، فهم الَّذين بلَّغوه إلينا.

والطَّعنُ في الشُّهود طعنٌ في القضيَّة، والصَّحابةُ شهودُنا، والقرآنُ يشهد لهم

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢) (٣١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيئَين لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

بأنَّهم كانوا على خيرٍ، وبأنَّهم حملوا الإسلام بأمانةٍ، وصدقٍ، وإخلاصٍ، وبلَّغوه إلينا غضًّا، من غير زيادةٍ، ولا نقصٍ، فمَنْ طعَن فيهم فقدْ طعَن في الإسلام، وبالله التَّوفيق.



النّهي عن المراء

وَالكَلامُ وَالجِدَالُ وَالخُصُومَةُ فِي القَدَرِ خَاصَّةً مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الفِرَقِ؛ لأنَّ القَدَرَ سِرُّ اللهِ، وَنَهَىٰ الرَّبُّ - جَلَّ اسْمُهُ - الأَنْبِيَاءَ عَنِ الكَلَامِ فِي القَدَرِ، وَنَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عنِ الخُصُومَةِ فِي القَدَرِ، وكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ورَضِي اللهُ عَنهُم، وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ العُلَمَاءُ، وَأَهْلُ الوَرَعِ، وَنَهَوا عَنِ الجِدَالِ فِي القَدَرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالإِقْرَارِ وَالإِيمَانِ، وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ الأَشْيَاءِ، وَاسْكُتْ عَمَّا سِوَىٰ ذَلِكَ.

الشرح:

مضمون هذه الفقرة: أنَّ الَّذي يجبُ علىٰ الإنسان أن يؤمن بالقَدَر ويُسلِّم له، ولا يتوغَّل في الكلام فيه، أو التَّفكير في ذلك؛ لأنَّه كلَّما توغَّل في القَدَر، أدَّىٰ به ذلك إلىٰ حيرةٍ، فيجب الكفُّ عن التَّوغُّل فيه، وكثرة التَّفكير فيه.

وعلينا أنْ نُؤمنَ بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يظلم أحدًا من خَلْقه، وأنَّه لا يُعذِّب أحدًا إلَّا بحُجَّةٍ، فللَّه علىٰ عباده الحُجَّة البالغة، وأنَّه لا يظلم أحدًا شيئًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

وَقَدْ جاء في الحديث: «إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلقَ آدمَ، ثُمَّ أَخذَ الخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هؤُلاءِ في الجنَّةِ ولا أُبالي، وَهؤُلاءِ في النَّار ولا أُبالي»، قال: فقال قائلٌ: يا

رَسُولَ اللهِ، فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَىٰ مَوَاقِعِ القَدَرِ». رواه أحمد[(١)].

وأنَّ عبدًا لا يتجاوز ما كتب له أو عليه من سعادةٍ وشقاوةٍ، وإيمانٍ وكُفرٍ، وصحَّةٍ وسقمٍ، وحياةٍ وموتٍ، وغنًى وفقرٍ.

وَقَدْ يقول العقل: إنَّ الله قَدَّر مقادير الخَلْق، وجعَل بعضَهم سُعداء وبعضهم أشقياء، فالأشقياء لا يستطيعون أن يكونوا سُعداء، وحينئذٍ يَحارُ العقل في هذا.

لهذا؛ فإنَّ الواجب الكفُّ والإيمانُ بأنَّ الله لا يظلمُ أحدًا مِن خَلْقِهِ، ولا يُعذِّبُ أحدًا منهم إلَّا بحُجَّةٍ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٦) (١٧٦٩٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٤٨).

الإيمانُ بالإسراءِ والمعراج

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَىٰ العَرْشِ، وَسَمِعَ كَلَام الله[١]، وَدَخَلَ الجنَّة، وَاطَّلَعَ إِلَىٰ النَّار، وَرَأَىٰ الْملائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَبِشِّرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ[٢]، وَرَأَىٰ سُرَادِقَاتِ العَرْشِ وَالكُرْسِيِّ، وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ[٣] فِي اليَقَظَةِ، حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَىٰ البُرَاقِ حَتَّىٰ أَدَارَهُ فِي السَّموَاتِ، وَفُرِضَتْ عَلَيهِ الصَّلواتُ الْخَمْسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ لَيْلَته، وَذَلِكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ.

الشرح:

أقولُ: الإيمان بأنَّ رسول الله ﷺ شُقَّ صدره، وأُخرِج منه حظُّ الشَّيطان، ومُلِئَ إيمانًا وحكمةً، وأَسْرَىٰ به جبريل علىٰ البُراق الَّذي يضع حافره عند منتهىٰ طرفه، وأنَّه وصل إلىٰ بيت المقدس، وجُمِعَتْ له الأنبياءُ، وصلَّىٰ بهم إمامًا، ثمَّ عَرج به جبريل إلىٰ السَّماء الدُّنيا واستفتح، وفتح له في كلِّ سماءٍ، وأنَّه وجد في السَّماء الأولىٰ آدم، وفي السَّماء الثَّانية يحيىٰ وعيسىٰ، وفي السَّماء الثَّالثة يوسف،

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي بدل قول المؤلِّف: «وسمع كلام الله» - قال: «وكلَّم الله تبارك وتعالىٰ».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي بدل قول المؤلِّف: «وبشرت به الأنبياء» - قال: «ونشرت به الأنبياء». وقال شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: والصحيح: «بشرت».

(٣) وفي نسخة الرَّدادي بزيادة قوله: «وما في الأرضين».

والسُّرادق: ما أحاط بالبناء. وقيل: هو كلُّ ما أحاطَ بشيءٍ؛ من حائط أو خباء. ينظرُ: «اللِّسان» مادَّة (سردق). ومعنىٰ سُرادقات العرش والكُرسيِّ: ما يحيطُ بهما.

وفي السَّماء الرَّابعة هارون، وفي السَّماء الخامسة إدريس، وفي السَّماء السَّادسة إبراهيم، وفي السَّماء السَّابعة موسىٰ، وفي روايةٍ بعكس ذلك في حقِّ إبراهيم وموسىٰ.

وأنَّ جبريل عرجَ به إلىٰ سدرة المنتهىٰ، ثمَّ عرجَ به إلىٰ مكانٍ يسمع فيه صريف الأقلام، وأنَّه سمع كلام ربِّه عَزَّوَجَلَّ حين فرَضَ عليه الصَّلوات الخمس، فرجع إلىٰ موسىٰ فأخبره، فقال: ارجع إلىٰ ربِّك، فاسأله التَّخفيف التَّخفيف، وأخيرًا قال له ربُّه: «هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ». مُتَّفقٌ عليه[(١)]. أي: خمسٌ بالفعل، وخمسون في الأجر، والحسنة بعشر أمثالها.

وأنَّه ﷺ دخل الجنَّة، ورأىٰ فيها جنابذ أو حبائل اللُّؤلؤ، إلىٰ غير ذلك من الأخبار الَّتي وردت في الإسراء والمعراج، وهذا أمرٌ من التَّفضيل اختصَّ الله به نبيَّه وخاتم رسله مُحمَّدًا ﷺ لم يشركه فيه غيره، وأنَّه أصبح في مكَّة، ولمَّا أخبر قريشًا بما حصل له كذَّبوه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

أمَّا قولُ المُؤلِّفِ: «حَمَلَهُ جِبريلُ عَلَىٰ البُرَاقِ حَتَّىٰ أَدَارَهُ فِي السَّمَوَاتِ»:

فهذا فيه نظرٌ؛ إذْ لم يحملْه علىٰ البُراق إلَّا حينَ سار إلىٰ بيت المقدس، أمَّا عند عُروجِه مِن بيت المقدس إلىٰ السَّماء، فالظَّاهر أنَّه كان في المعراج وليس علىٰ البُراق كما قال المُؤلِّفُ يرحمه الله، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٤٩)، ومسلمٌ (١٦٣) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أرواح الشُّهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنَّة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الجنَّة، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ تَحْتَ العَرْشِ(١)، وَأَرْوَاحَ الفُجَّارِ وَالكُفَّارِ فِي بِئْرِ بَرَهُوتَ، وَهِيَ فِي سِجِّينٍ(٢).

الشرح:

قَولُه: «اعلَمْ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ في حَوَاصِل طَيرٍ خُضرٍ تَسرَح فِي الجَنَّةِ، وَتَأوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ تَحتَ العَرْشِ»:

هذا ورد ضمن حديثٍ رواه مسلمٌ عزاه المُعلِّق إلىٰ كتاب الإمارة، رقم الحديث (١٨٨٧)، وهو من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

وأمَّا قوله: «وَأَرْوَاحُ الفُجَّارِ وَالكُفَّارِ فِي بِئْر برهُوت وَهِيَ فِي سِجِّينٍ».

فأقولُ: أمَّا بئر برهوت فهي بئرٌ في شرق عدن، بينها وبين حضرموت، والقول بأنَّ أرواح الفُجَّار والكُفَّار تجمع فيها، هذا ليس عليه دليلٌ صحيحٌ،

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «أنَّ أرواحَ الشُّهداءِ في قناديل تحت العرْش تسرحُ في الجنَّة، وأرواح المؤمنين تحت العرش».

(٢) وقد ذكَر الرَّداديّ حول هذه المسألة قوله: «ولا يصحُّ حديثٌ في أنَّ أرواح الكُفَّار في بئر برهوت، كما تراه جليًّا في «الرُّوح» لابن القيِّم (ص١٤٥ - ١٤٧)، و«أهوال القبور» لابن رجب (ص٢٥٥ - ٢٦٣). والقولُ الصَّحيحُ الَّذي تدلُّ عليه الأدلَّة مِن الكتاب والسُّنَّة: هو أنَّها في سجِّين». اهـ.

ولكن ورد أثرٌ في سنده مجهولٌ عن عبدالله بن عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ذَكَر ذلك المُعلِّق[1].

قلتُ: والصَّحيح ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه في سورة (المُطفِّفين): ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

والسِّجِّين مبالغةٌ من السِّجن وهو المكان الضَّيِّق، وهو في أسفل الأرض كما قال ذلك أهل العلم، نسأل الله العافية منها، ونعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، وبالله التَّوفيق.



(١) أي: الشيخ محمَّد سعيد القحطاني.

الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ المَيِّتَ يُقْعَدُ فِي قَبْرِهِ، وَتُرْسَلُ فِيهِ الرُّوحُ حَتَّىٰ يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحُهُ بِلَا أَلَمٍ، وَيَعْرِفُ المَيِّتُ الزَّائِرَ إِذَا زَارَهُ، وَيَتَنَعَّمُ الْمُؤْمِنُ فِي القَبْرِ، وَيُعَذَّبُ الفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللهُ.

الشرح:

قول البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمانُ بأنَّ الميِّتَ يُقعَد في قبره، وتُرسَل فيه الرُّوحُ حتَّىٰ يسألَه مُنكرٌ ونكيرٌ عن الإيمان وشرائعه»:

هذا ثابتٌ من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره؛ ففي «صحيح البخاريِّ» باب الميِّت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، من كتاب الجنائز، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

أمَّا حديث البراء، ففيه أنَّ الميِّت يقعد في قبره، فيُقال له: «مَنْ رَبُّكَ؟ ما دينك؟ مَنْ نَبيُّكَ» أو: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٤) (١٢٠٥٩)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٣٠).

قَولُه: «حتَّىٰ يَسْأَلَهُ مُنكَرٌ ونكِيرٌ» أي كما تقدَّم حين يسأل: مَنْ رَبُّك، وما دِينك، ومَنْ نَبيُّك، أو ما هذا الرَّجل الَّذي بعث فيكم؟

قوله: «عَنِ الإيمانِ وشَرَائِعِه»: لعلَّه يقصد هذا السُّؤال المجمل، ولا أعرف شيئًا من السُّنن يدلُّ علىٰ السُّؤال عن فُروع الإسلام والإيمان.

قَولُه: «ثمَّ تسلُّ روحه بلا ألم» أي: بدون الألم الَّذي حصل له عند موته الأوَّل.

قوله: «ويَعرِف المَيِّت الزَّائر»: هذا ينبني علىٰ صِحَّة الحديث الوارد في ذلك، وفي صِحَّته خلافٌ فيما أعلم(١).

قوله: «ويَتنعَّم المؤمنُ في القَبر، ويُعذَّبُ الفاجرُ كيفَ شاءَ اللهُ»:

قلت: المقصود بذلك: الرُّوح، والرُّوح قَدْ ثبت أنَّها في السَّماء، كما في قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

وقيل: إنَّها حول القبر، والأقرب أن يُقَال: إنَّ الرُّوح في السَّماء، ولها ارتباطٌ بالجسد، فما يكون لها من نعيمٍ؛ فإنَّ الجسد يَتنعَّم به في القبر، كما أنَّ أرواح الفُجَّار في سِجِّين، وما يكون عليها من عذابٍ فإنَّ الجسد يَتألَّم به في القبر، وهذا من الأمور الغيبيَّة الَّتي لا يُحكَم فيها إلَّا بخبرٍ ثابتٍ عن المعصوم ﷺ.



(١) قال الرَّدادي: «وقد جاءتْ عدَّة أحاديث في أنَّ الميت يعرف زائره إذا زاره ويستأنس به، بَيْد أنَّه لا يصحُّ شيءٌ منها، وانظرها مع الكلام عليها في «بشرىٰ الكئيب بلقاء الحبيب» للسيوطي (ص٨٧ - ٨٩) بتحقيق مشهور حسن، و«أهوال القبور» لابن رجب (ص١٨٤ - ١٩٢) بتحقيق محمد نظام الدِّين». اهـ.

الإيمان بتكليم الله لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذي كَلَّمَ مُوسَىٰ بنَ عِمْرَانَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - يَوْمَ الطُّورِ، وَمُوسَىٰ يَسْمَعُ مِنَ اللهِ الكَلامَ بِصَوْتٍ وَقَعَ فِي مَسَامِعِه مِنْهُ، لا مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ العَظِيمِ.

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإيمانُ بأنَّ الله هو الَّذي كلَّم مُوسىٰ بن عمران يوم الطُّور، ومُوسَىٰ يَسْمَعُ مِنَ اللهِ الكَلامَ...» إلخ:

أقول: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر بأنَّه نادىٰ موسىٰ، والنِّداء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١]، فأخبر أنَّه هو ناداه بنفسه، وأنَّ موسىٰ سمع كلامه.

ونحن في هذه الآونة قَدْ حصل لنا في الأرض شيءٌ من الصِّناعات الَّتي هدىٰ اللهُ إليها عَقْلَ الإنسانِ ما يجعلُ الَّذي في جزيرة العرب يَسمَعُ كلامَ الَّذي يُكلِّمه مِن أمريكا، أو اليابان، أو الفلبِّين، أو أستراليا، أو غير ذلك من الأماكن البعيدة الشَّاسعة بواسطة الهاتف (التِّليفون)، حتَّىٰ كأنَّه معه في مجلسه، بينما المسافة بينهما قَدْ تصلُ إلىٰ ثلاثة عشر ألف كيلو أو خمسة عشر ألف كيلو متر.

وهذا إنَّما نأخذُه دليلًا لمَنْ ضعف إيمانُه وقلَّ يقينُهُ، أمَّا قُدرة الله فهي فوقَ ذلك كلِّه، وَقَدْ ذُكر بأنَّ الله إذا كلَّم موسىٰ ينزل عمودٌ من نورٍ، فيسطع علىٰ كتفه

يُلهمنا رُشدنا، وأنْ يُعيذنا من شرِّ أنفسنا.

وَقَدِ اختَرَعَ الدَّجاجلةُ حديثًا للعقل، وهو حديثٌ موضوعٌ مكذوبٌ، جاء فيه: «أَوَّل مَا خَلقَ الله العقْل، فقَال لَهُ: أَقْبِلْ، فأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لهُ: أَدْبِرْ فأَدْبَرَ»، وهذا الحديث موضوعٌ بإجماع العلماء[(١)].

ولا شكَّ أنَّ العقلَ منحةٌ من الله للعبد، به يتميزُ على سائر المخلوقات، ومِنْ أجلِهِ يستحقُّ الثَّوابَ والعقابَ، وبالله التَّوفيق.



(١) كما حكى الإجماعَ على ضعفِه الإمامُ الصَّاغاني في كتاب «كشف الخفاء» في (١/ ٣٠٩)، وقد أشار إلى ضعفه صاحبُ كتاب «فتح الباري» في كتاب بدء الوحي، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، و«الفردوس» للديلمي (١/ ١٣)، و«اللآلئ المصنوعة» (١/ كتاب المبتدأ)، و«فيض القدير» (٤/ ٥١٠)، (تخريج الشيخ أحمد بن عبد الله الحكمي حفظه الله).

تفضيلُ الله للعبادِ بعضهم على بعض

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ العِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الدُّنيا والآخِرَةِ، عَدْلًا مِنْهُ، لا يُقَالُ: جَارَ وَلا حَابَىٰ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللهِ عَلَىٰ المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ سَوَاءٌ، فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، بَلْ فَضَّلَ اللهُ المُؤْمِنَ عَلَىٰ الكَافِرِ، وَالطَّائِعَ عَلَىٰ العَاصِي، وَالمَعْصُومَ عَلَىٰ المَخْذُولِ، عَدْلًا مِنْهُ، هُوَ فَضْلُهُ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ اللهَ فاوت بين عباده؛ فاوت بينهم في العقول، وفاوت بينهم في الأجسام، وفاوتَ بينهم في الاستعداد، فضلًا منه تعالىٰ وعَدْلًا، وفَّق المؤمن للإيمانِ، وخَذَلَ الكافر بسبب ما عنده مِن الكُفْر.

ونحن نؤمنُ بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يأخذ عبدًا مِن عبادِه إلَّا بحُجَّةٍ، فله في عباده الحكمةُ البالغةُ، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، لا يُعذِّبُ أحدًا إلَّا بذنبٍ، وَقَدْ نزَّه نفسه عن الظُّلم، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٤٠].

وكتَبَ السَّعادة والشَّقاوة علىٰ كلِّ خلقِه، فهذا سعيدٌ وذاك شقيٌّ، وهذا مُوفَّقٌ وذاك مخذولٌ، وهذا عاصٍ وذاك مطيعٌ، وهذا عالمٌ وذاك جاهلٌ، وهذا غنيٌّ وذاك فقيرٌ.

ولم يكن ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يضع شيئًا في غير موضعه، أو يُعطي أحدًا ما لا

يستحقُّه: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

لذلك، فإنَّ هذا المقطع أو هذه الفقرة تستلزم منَّا عقيدةً بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فاوت بين عِبادِه، فضلًا منه وعدلًا: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فلا يقالُ: لِمَ جعل ذاك رسولًا، وجعل ذاك مخذولًا، وجعل ذاك مؤمنا مُوفَّقًا، وجعل ذاك رجيمًا مخذولًا؟!

لا يُقَال ذلك لله، بل يجبُ أنْ نعتقدَ أنَّ اللهَ مُنزَّهٌ عن الظُّلم، وأنَّه يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يُريدُ، لكنَّ فِعْلَه كلَّه مبنيٌّ على الحكمة والرَّحمة والفضل والعدل، هذا ما يجبُ أنْ نعتقدَه في ربِّنا - جلَّ وعلا -، وهذه العقيدةُ هي الَّتي تُؤيِّدها النُّصوصُ القُرآنيَّة والنَّبويَّة، وهي الَّتي أجمع عليها علماء أهل السُّنَّة والجماعة، وبالله التَّوفيق.



لا يحلُّ كتم النصيحة

وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - بَرِّهُمْ وَفَاجِرِهِمْ - فِي أَمْرٍ مِن أُمُورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ.

الشرح:

أقولُ: النَّصيحةُ لغةً: الصَّفاء والنَّقاء، يقال: نصح اللَّبن إذا صفَّاه.

وفي الشَّرع: إخبار المسلم بما يجب عليه لله أو لخلقه من دون مواربةٍ ولا مجاملةٍ.

وحكمُها: الوجوبُ، وإنْ كان ذلك الوجوبُ يتفاوتُ، وضدُّها: الغشُّ.

وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قال الصَّحابة: لمَنْ يا رسول الله؟ قال: «لله، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلمٌ في كتاب الإيمان[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على صُبْرةِ طعامٍ[٢]، فأدخل يدَه فيها، فنَالَت أَصابعُهُ بللًا، فقالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قال: أَصَابَتْهُ السَّماء يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي». رواه مُسلمٌ[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وأحمد (١٦٩٨٨ قرطبة) - واللَّفظ له، من حديث تميم الدَّاري رضي الله عنه.

(٢) «صبرة طعام»: الصّبرة: الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢).

والغش في البيع بكتم العيب، والغش في المشورة بأن تشاور على الإنسان ما يضره في دينه أو دنياه.

أما النَّصيحةُ لله: فهي بالإيمان به تعالى، وتوحيده، وتقديم طاعة الله على طاعة المخلوقين، والخوف من الوقوف بين يديه، ومراقبته في السِّرِّ والعلن.

وأمَّا النَّصيحة لكتابه: فهي تكون بقراءته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه، واعتقاد ما يدلُّ عليه من الأخبار.

وأمَّا النَّصيحةُ لرسول الله ﷺ: فهي بتصديقه فيما أخبر، والامتثال لما أمر، والانتهاء عمَّا نهى، وإجلاله وتوقيره صلوات الله وسلامه عليه.

وأمَّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين: فهي طاعتُهم فيما لم يكن معصيةً لله، وعدم خيانتهم، وإرسال النَّصائح لهم مِمَّن يقدر على ذلك سرًّا؛ لأنَّ ذلك أدعى للقبول.

وأمَّا النَّصيحةُ لعامَّة المسلمين: فبدعوتهم إلى الله، وتعليمهم ما ينفعهم ووعظهم بالانتهاء عمَّا يضرُّهم، وبالله التَّوفيق.



علم الله نافذ في خلقه

والله سميعٌ بصيرٌ عليمٌ، يداهُ مبسوطتانِ، قد علِم أنَّ الخلْق يعصونهُ قبْل أنْ يخلُقهُم، علمُهُ نافذٌ فيهِم، فلم يمنعْهُ عِلمُهُ فيهِم أنْ هداهُم للإسلامِ، ومنَّ بِهِ عليهِم كرمًا وجُودًا وتفضُّلًا، فلهُ الحمدُ.

الشرح:

قوله: «والله سميعٌ بصيرٌ عليمٌ»: فيه إثبات صفة السَّمع والبصر والعلم، وقوله: «يداهُ مبسوطتانِ»: فيه إثبات اليدين لله تعالى، وإثباتهما بالكتاب والسُّنَّة.

فأمَّا الكتاب: ففي قوله تعالى ردًّا على اليهود حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأمَّا السُّنَّة: ففي قوله ﷺ: «يَدُ اللهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[١].

وفي الحديث الآخر: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». رواه مسلمٌ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

قَوْلُهُ: «قَدْ عَلِمَ أَنَّ الخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يخلقَهُمْ»:

يُؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآيات [البقرة: ٣٠] وما بعدها.

ولم تقل الملائكة ذلك إلَّا عن علمٍ عَلَّمَهم الله إيَّاه، ومع ذلك فإنَّ الله قَدْ علم أنَّ فِي ذُرِّيَّة آدم الرُّسل والأنبياء والمؤمنين الصَّالحين أولياء الله، وفيهم الكُفَّار والمنافقون، والعُصَاة الفَسَقة، فقد خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ ليبلغ علمه فيهم - ما قَدْ كتبه لهم وعليهم -.

فالمهتدون أعزَّهم اللهُ بهدايته، تفضُّلًا منهُ وكرَمًا وجُودًا، والكُفَّار والمنافقون والفسَّاق خذلهم اللهُ بسبب أعمالهم وإعراضهم عن دعوتِهِ، ودعوةِ رُسلِهِ، وأوليائه المؤمنين، وكلٌّ مِن هؤلاء وهؤلاء بَلَغَ علمُه فيهم، ونَفَذَ حُكمه عليهم، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، وله فيهم الحكمة البالغة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. وبالله التوفيق.



أنواع البشارة عند الموت

وَاعْلَمْ أَنَّ البِشَارَةَ عِنْدَ المَوْتِ ثَلَاثُ بِشَارَاتٍ، يُقَالُ: أَبْشِرْ يَا حَبِيبَ اللهِ بِرِضَا اللهِ وَالجنَّة، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَبْدَ اللهِ بِالجنَّة بَعْدَ الانْتِقَامِ(١)، وَيُقَالُ: أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللهِ بِغَضَبِ اللهِ وَالنَّارِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ(٢).

الشرح:

قَوْلُه: «واعْلَمْ أنَّ البشارةَ عندَ الموتِ ثلاثُ بِشاراتٍ»: يظهر أنَّ هذا التَّنوُّع بتنوُّع المقامات، فالمؤمنون المُتَّقون الأبرار، وفوقهم السَّابقون - وهم المُقرَّبون - يُبشَّرون بالجنَّة من دون وعيدٍ بالعذاب؛ أبشر يا حبيب الله برضا الله والجنَّة.

وللعصاة من المسلمين بشارةٌ بالجنَّة بعد بلوغ الوعيد فيهم، وهم الظَّالمون لأنفسهم؛ أبشر يا عبد الله بالجنَّة بعد الانتقام.

وهاتان البشارتان لمَنْ خصَّهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمتابعة الأنبياء، فمنهم مَنْ تابع الأنبياء متابعةً تامَّةً، وكان سبَّاقًا إلىٰ الخير، ومنهم مَنْ هو دون ذلك قليلًا، لكنَّه لا يدخل في أهل الوعيد: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «أَبشِرْ يا عبدَ اللهِ بالجنَّة بعد الإسْلام».

(٢) ذكَر الدَّيلميُّ في «مُسندِ الفِردَوس» (١/ ٢٥٣ الكتب العلميَّة)، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إذَا أمرَ اللهُ عزَّ وَجلَّ ملَكَ الموْت بِقَبْض أرْوَاح مَن اسْتَوْجبَ النَّارَ مِن مُذنِبي أُمَّتي، قالَ: بشِّرْهُم بِالْجنَّةِ بعْدَ انتِقام كذَا وكذَا، علىٰ قَدْر مَا يُحبسُون فِي النَّار».

ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالمقتصدون والسَّابقون بالخيرات بشارتهم خَاصَّةٌ سالمةٌ عن الوعيد، فهي تَامَّةٌ في حقِّهم، وأنَّهم يدخلون الجنَّة بدون عذابٍ في النَّارِ.

أمَّا الظَّالمون لأنفسهم، فهم الَّذين يُتوعَّدون بالعذاب، وهم تحت المشيئة، إن شاء الله عاقبهم ثمَّ أخرجهم من النَّار وأدخلهم الجنَّة، فهؤلاء لهم بشارةٌ ممزوجةٌ بشيءٍ من الوعيد.

أمَّا الكُفَّار والمنافقون فهؤلاء بشارتُهم بالنَّار، وضيافتهم في نار جهنَّم، قال الله تعالىٰ عنهم في سورة (الواقعة) بعد ذِكْر أنواعٍ من العذاب: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦] والعياذ بالله، وبالله التَّوفيق.



الإيمان بالنظر
إلى وجه الله الكريم في الجنة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الجنَّة الأَضِرَّاءُ ثمَّ الرِّجَالُ، ثمَّ النِّسَاءُ بِأَعْيُنِ رُؤوسِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدرِ، لا تضَامونَ فِي رُؤْيَتِهِ»(١)، وَالإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ.

الشرح:

أقولُ: النَّظَر إلىٰ الله في الجنَّة مقطوعٌ به، وهو مِن عناصر الإيمان؛ أي: ممَّا يجبُ علينا أنْ نؤمنَ به، وَقَدْ دلَّتْ علىٰ ذلك الأدلَّةُ مِن كتاب الله، وسُنَّة رسولِه ﷺ، وإجماع سلَف الأُمَّة.

الدَّليلُ الأوَّلُ علىٰ ذلك مِن كتاب الله: ما جاء في سورة (القيامة) في الآيات: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]؛ فقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: من النُّضرة، وهي الحُسْنُ والبهاء والجمال.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: ناظرةٌ إلىٰ ربِّها نظرة تَمتُّعٍ بأن يُنظر إلىٰ وجهه -جلَّ وعلا-، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ دليلٌ واضحٌ علىٰ رؤية الله في الآخرة.

الدَّليل الثَّاني: قول الله تعالىٰ في سورة (يونس): ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحُسنىٰ: هي الجنَّة، والزِّيادة: هي النَّظر إلىٰ وجهِ الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

أمّا من السُّنَّة: فالأدلَّةُ علىٰ ذلك كثيرةٌ مشهورةٌ، منها: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[١] أَوْ: «لا تَضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ».

ومعنىٰ: «تَضَامُّون»: أي: لا تحتاجون أن ينضمَّ بعضُكم إلىٰ بعضٍ كما تحتاجون إلىٰ ذلك في رؤية الأشياءِ الخفيَّة.

ورواية: «لا تُضَامُون» بضمِّ التَّاء المثنَّاة من فوق، وفتح الضَّاد أخت الصَّاد، وضمِّ الميم بعدها مُخفَّفةً، من الضَّيْم: أي لا يضيم بعضُكم بعضًا، أي: يغلب بعضُكم بعضًا.

وفي روايةٍ[٢]: «كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا». أو: «تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[٣].

كلُّ ذلك قَدْ ورد، والمعنىٰ: أنَّه لا يضرُّ بعضُكم بعضًا في رُؤيتِه.

وَقَدْ جاء في الحديث: أَنَّ أُنَاسًا في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»[٤].

ولهذه الأدلَّة، فقد أجمعَ السَّلفُ، رحمهم الله، مِن الصَّحابة - رضوان الله

---

(١) سبق تخريجه قريبًا، وانظر: «الفتح» (٢/ ٣٣).

(٢) للبخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٣) انظر: «الفتح» (١١/ ٤٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣)، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه.

عليهم - والتَّابعين لهم بإحسانٍ من أهل السُّنَّة والجماعة، أجمعوا علىٰ رؤية الله في الجنَّة؛ للأدلَّة الدَّالَّة علىٰ ذلك[١].

أمَّا التَّرتيب الَّذي ذكره: «إنَّ أوَّلَ مَنْ ينظرُ إلىٰ اللهِ تعالَىٰ في الجنَّة الأضرَّاء، ثُمَّ الرِّجال، ثمَّ النِّساء بأعين رؤوسهم» فلا أعرف دليلًا في ذلك، والله تعالىٰ أعلم.

قوله: «والإيمان بهذا واجبٌ»، لا شكَّ أنَّ الإيمان بكلِّ ما أخبر الله عنه في كتابه، وعلىٰ لسان رسولِه ﷺ واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ، ولا يكون العبدُ مُؤمنًا إلَّا أنْ يُؤمنَ بالغيبيَّات الَّتي أخبر اللهُ عنها في كتابه، وأخبر عنها رسولُه ﷺ في سُنَّته.

أمَّا قولُه: «وإنْكارُهُ كُفرٌ» فلعلَّ المراد به أنَّه كفرٌ دون كفرٍ، وكونه كفرًا بما دلَّت عليه الأدلَّة، هذا لا شكَّ فيه، وكونه مخرجًا من المِلَّة، هذا فيه نظرٌ، والله تعالىٰ أعلم.



(١) انظر: «مُعتقد أهل السُّنَّة والجماعة» لحرْب الكِرماني (ص٦٨)، و«مقالات الإسلاميِّين» (١/ ٢٢٧ زرزور)، و«حادي الأرواح» لابن القيِّم (ص٢٨٥ مطبعة المدني).

علمُ الكلام سببُ البدعة والزندقة

وَاعْلَمْ أَنَّها لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةٌ وَلا كُفْرٌ، وَلا شُكُوكٌ وَلا بِدْعَةٌ، وَلا ضَلالَةٌ وَلا حَيْرَةٌ في الدِّيْنِ إِلَّا مِنَ الكَلامِ، وَأَهْلِ الكَلامِ وَالجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالخُصُومَةِ وَالعُجْبِ، وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَى الْمِرَاءِ وَالخُصُومَةِ وَالجِدَالِ، واللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالآثَارِ، وَالكَفِّ وَالسُّكُوتِ.

الشرح:

قول المُؤلِّف: «واعْلَمْ أَنَّها لم تَكُنْ زَنْدَقَةٌ وَلا كُفْرٌ»:

أقولُ: حَصْرُ الزَّندقة في الكلام وأهل الكلام وأهل الجدل والمراءِ والخُصومةِ حصرُ أغلبيَّةٍ، وإلَّا فقدْ تكونُ الزَّندقةُ والكفرُ لأسبابٍ غير الكلام – ونعوذُ بالله من كلِّ أسباب الزَّنْدقة والكُفْر والشُّكُوك والبدع –، لكنَّ هذا قَدْ يكون غالبًا فيمَن يَتعلَّمون الكلامَ، ويَتعلَّمون ضُروبَ الجدل والمراء والخُصومةِ والعُجب.

والواجبُ هو عدمُ الإعجاب بالنَّفْس، وكون الإنسان بارعًا في الجدل والمراء والخصومة؛ لأنَّ هذا مذمومٌ في الشَّرع إلَّا إذا كان لإظهار الحقِّ، وَقَدْ جاء في الحديث الصَّحيح من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**[(١)]»[(٢)]، وفي روايةٍ للتِّرمذيِّ: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ**

---

(١) «الألدُّ الخصمُ»: المعوج عن الحقّ، المولع بالخُصومة، والماهر بها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ»(١).

ثمَّ قال المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكيفَ يَجترئُ الرَّجلُ على المراءِ والخُصومة والجدال، واللهُ يقولُ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، فَعليك بالتَّسليم والرِّضا بالآثار، والكَفِّ والسُّكوتِ».

وأقولُ: إنَّ الَّذي ينبغي للمسلم: التَّسليمُ بما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، والكفُّ والسُّكوتُ عمَّا سوى ذلك، علمًا بأنَّ التَّسليم لما جاء عن الشَّارع ﷺ يكون تسليم رضًا وقبولٍ وإيمانٍ وتصديقٍ، وعمَلٍ بما يحتاج إلى عملٍ، واعتقادٍ بما يلزم فيه الاعتقاد، قال الله تعالى: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، ومعنى آمنوا: صدَّقوا. وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والتِّرمذيُّ (٢٨٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٨٧٨).

الإيمانُ بعذاب النار

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الخَلْقَ فِي النَّار فِي الأَغْلالِ وَالأَنْكَالِ وَالسَّلاسِلِ، وَالنَّار فِي أَجْوَافِهِمْ وَفَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَهْمِيَّةَ مِنْهُمْ هِشَامٌ الفُوطِيُّ(١)، قَالَ: إِنَّمَا يُعَذِّبُ اللهُ عِنْدَ النَّار، رَدًّا عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبرنا عن أهل النَّار، وأنَّ لهم سلاسلَ وأغلالًا، والسَّلاسلُ: جمع سُلْسُلةٍ أو سِلْسِلةٍ، وهي الحِلَق المترابطة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]. وقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]. وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٠ - ٧٤]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

و«**الأغلال**»: جمع غُلّ، وهو ما تُغَلُّ به الأيدي إلىٰ الأعناق.

(١) ذكر الشيخان المحقِّقان لهذا المتن (القحطاني والردادي) - جزاهما الله خيرًا - أنَّ هشام الفوطي هو - بضم الفاء وإسكان الواو - ابن عمر، وكان من أصحاب أبي الهذيل داعية الاعتزال. انظر: «لسان الميزان» (٦/ ١٩٥)، وانظر حول آرائه وبدعه: «الفِصَل» لابن حزم (٥/ ٦٢)، وانظر: «الفهرست» لابن النديم (ص٢١٤).

و«الأنكال»: جمع نِكلٍ، وهو الحديدُ الثَّقيلُ، واللهُ أعلمُ.

وكلُّ هذا ثابتٌ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣].

فمَنْ أنكر ذلك من الجهميَّة، فموعدُه عند الله، ومَنْ مات فقد لقيَ ذلك أو بعضَه.

ولكنَّ العبرة في المبتدعة أنَّهم ينتقلون مِن بدعةٍ إلىٰ بدعةٍ أشدَّ، فكما عطَّلوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ، أنكروا ما أخبر به من أنواع العذاب الَّتي يُعذِّبُ اللهُ بها أهلَ النَّار.

وفي هذا مصداقٌ لما أُثِرَ: أنَّ مِن عُقوبةِ السَّيِّئة، السَّيِّئةَ بعدها، ومِن ثَواب الحسنةِ، الحسنةَ بعدها(١).

اللَّهمَّ إنَّا نعوذ بك من مُضلَّات الفتن وعمىٰ البصائر، وبالله التَّوفيق.



---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٩٦) و(١٠/ ١١)، و«الدَّاء والدَّواء» (ص ١٣٩ الفوائد).

وقد أخرج البيهقيُّ في «الشُّعَب» (٦٨٢٩) عن أبي الحسين المُزيِّن، قال: «الذَّنْبُ بعدَ الذَّنبِ عقوبةُ الذَّنبِ، والحسنةُ بعدَ الحسنةِ ثوابُ الحسنةِ».

وجوب الإيمان بفريضة الصَّلاة

وَاعْلَمْ أَنَّ صَلَاةَ الفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، لا يُزَادُ فِيهِنَّ وَلا يُنْقَصُ فِي مَوَاقِيتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، إِلَّا المَغْرِبَ، فَمَنْ قَالَ: أَكْثَرُ مِن خَمْسٍ؛ فَقَدِ ابْتَدَعَ، وَمَنْ قَالَ: أَقَلُّ مِن خَمْسٍ؛ فَقَدِ ابْتَدَعَ، لا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لِوَقْتِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِسْيَانًا، فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ، يَأْتِي بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا، أَوْ يَكُونَ مُسَافِرًا فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِنْ شَاءَ.

الشرح:

أقولُ: لقد قام الإجماع مستندًا إلىٰ الأدلَّة الشَّرعيَّة علىٰ أنَّ الصَّلاة المفروضة خمسُ صلواتٍ[1]، فمَنْ قال: إنَّها أكثر من خمسٍ - كَفَرَ، ومَنْ قال: إنَّها أقل من خمسٍ - كَفَرَ.

وَقَدْ ورد عن النَّبيِّ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ في «الصَّحيحين» وغيرهما، منها أحاديث الإسراء، وأنَّ الصَّلاةَ فُرِضَتْ خمسين، وأنَّ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أشار علىٰ النَّبيِّ ﷺ بمراجعة ربِّه حتَّىٰ قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ»[2]، أي: خمسٌ في الفعل، وخمسون في الأجر، والحسنة بعشر أمثالها.

---

(١) انظر: «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص٢٤ الكتب العلميَّة)، و«المغني» لابن قُدامة (١/ ٢٦٧ مكتبة القاهرة)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطَّان (١/ ١٢٠ الفاروق الحديثة).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ ورد ذلك في أحاديث في تعليم النَّبِيِّ ﷺ النَّاس لأركان الإسلام، فهل يمكن أن يقول أحدٌ مِمَّنْ ينتسبون إلىٰ الإسلام: إنَّ الصَّلوات المفروضة أكثر من خمسٍ أو أقلّ؟

مَنْ قال خلاف ذلك، فقد كَفر، وَقَدْ أشارَ القُرآنُ إلىٰ الخمس بقوله تعالىٰ: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ دليلٌ علىٰ أنَّها خمسٌ، وهي المُتوسِّطة بين اثنتين في اللَّيل، واثنتين في النَّهار.

أمَّا قول المُؤلِّف هنا: «فَقَدِ ابْتَدع»، فهذا من خلاف عادته؛ إذ إنَّه كثيرًا ما يُطلَق الكُفْر علىٰ ما هو دون الكفر، وهنا أطلق الابتداع، علمًا بأنَّ مَنْ قال: «إنَّ الصَّلاة المفروضة أكثر من خمسٍ أو أقلّ» فقد كَفر بإجماع أهل العلم المستند إلىٰ التَّواتر.

ثمَّ أيضًا هذه الخمس كلُّ واحدةٍ منها معروفةٌ بعدد ركعاتها؛ فالصُّبحُ ركعتان، والظُّهرُ والعصرُ أربعٌ أربعٌ، والمغرب ثلاثٌ، والعشاء أربعٌ، ولا يجوز أن تُصلَّىٰ في الحضر أقلَّ من ذلك، ومَنْ فعَل ذلك مُدَّعيًا أنَّ الصَّلاةَ قَدْ نقصتْ، أو زاد فيها مُدَّعيًا فيها الزِّيادة، فإنَّه يُعرَّف إذا كان جاهلًا، فإنْ أصرَّ، كَفر.

فعددُ ركعاتها مأخوذةٌ بالنَّقل المتداول نقلَ كافَّةٍ عن كافَّةٍ من زمن النَّبِيِّ ﷺ إلىٰ هذا الزَّمن، ولا يجوزُ أنْ تُصلَّىٰ أقلَّ مِن ذلك إلَّا في السَّفر؛ فتُقصَر الرُّباعيَّة إلىٰ ركعتين كما دلَّت علىٰ ذلك الأدلَّة، ومَنْ زعم أنَّ المغرب أو الصُّبح يقصران عُرِّف، فإنْ أصرَّ كَفَر.

وكذلك مواقيتها مأخوذةٌ بالتَّداول كافَّةً عن كافَّةٍ، نقلَ فعلٍ ونقلَ قولٍ؛ إذ كان كلُّ فريضةٍ من الفرائض لها وقتٌ مُستقِلٌّ، ولوقتها أوَّلٌ وآخر، فلا يجوز

تقديمُها عن وقتها، ولا تأخيرُها عنه، إلَّا أنَّه يجوز للمسافر الجمعُ بحكم السَّفر جمع تأخيرٍ بالإجماع، وجمع تقديمٍ علىٰ رأي بعض أهل العلم الَّذين صحَّ عندهم الحديث به.

ويجوز للمريض الجمع دفعًا للمَشقَّة الحاصلة بصلاة كلِّ فريضةٍ في وقتها.

ومَنْ جعل مواقيت الصَّلاة ثلاثةً كالشِّيعة الَّذين يستبيحون الجمع دائمًا، فيجمعون العصر إلىٰ الظُّهر في وقت الظُّهر، ويجمعون العشاء إلىٰ المغرب في وقت المغرب استنادًا إلىٰ قول بعض أئمَّتهم؛ فمَنْ فعل ذلك منهم، واعتقَدَ جوازَه؛ فإنَّه مُبتدعٌ ضَالٌّ.

كما أنَّ مَنْ جَمَع العصر إلىٰ المغرب، أو العشاء إلىٰ الفجر، فإنَّه ضالٌّ أيضًا؛ إذًا، إنَّ الجمع لا يكون إلَّا بين فريضتين مشتركتين في الوقت؛ كالظُّهر مع العصر، والمغرب مع العشاء.

ومَنْ ترك الصَّلاة عامدًا حتَّىٰ مرَّ وقتها فقد كَفَر؛ للأدلَّة الصَّحيحة الدَّالَّة علىٰ ذلك، منها: قوله ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْر تَرْكُ الصَّلَاةِ»[1]، ومنها قولُه ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[2]، إلىٰ غير ذلك من الأدلَّة.

وَقَدْ ذهَب الجمهورُ إلىٰ عدم كُفْر تارك الصَّلاةِ، ومع ذلك فقد قال كثيرٌ منهم: يُسْتَتَاب، فإنْ تاب وإلَّا قُتِلَ حدًّا، والمسألةُ فيها خلافٌ بين أهل العلم،

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٢١)، والنَّسائيُّ (٤٦٣)، وابنُ ماجه (١٠٧٩)، مِن حديث بُريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٧٤).

والله تعالىٰ أعلمُ.

إلَّا أنَّ مَنْ تَرَكها بعذر النِّسيان أو النَّوم فإنَّه يجبُ أنْ يُصلِّيَها إذا ذَكَرَها؛ لحديث أنس بن مالكٍ ﵁ قال: قال نبيُّ الله ﷺ: «مَنْ نَسِيَ صَلاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»[1]؛ ولأنَّ الله تعالىٰ يقولُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٦٨٤) من حديث أنس ﵁.

وجوبُ الإيمان بالزكاةِ

وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالحُبُوبِ وَالدَّوَابِّ، عَلَىٰ مَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِنْ قَسَّمَها فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَها إِلَىٰ الإِمَامِ فَجَائِزٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الشرح:

أقول: الزَّكاةُ في الذَّهب والفِضَّة ربع العُشر، ونصاب الفِضَّة خمس مئة جرامٍ وخمسةٌ وتسعون جرامًا، وهي مائتا درهمٍ، وبالنُّقود المتداولة وهو الرِّيال السُّعودي النِّصاب خمسون ريالًا، فلا يجبُ فيما دونه.

أمَّا نصاب الذَّهب، فهو عشرون مثقالًا، والمثقال أربعة جراماتٍ وثلاثةٌ وعشرون بالمئة من الجرام الخامس، وَقَدْ كملوا اثنين بالمئة، واحتسبوا نصاب الذَّهب عشرين مثقالًا، كلُّ مثقالٍ أربعة جراماتٍ وربع.

والتَّمر وما في معناه كالعنب؛ نصابها خمسةُ أوسقٍ. وكذلك الحبوب المقتاتة كالبُرِّ، والشَّعير، والذُّرة، والدَّخن، والأرز، هذه نصاب كلٍّ منها خمسة أوسقٍ، والوسقُ ستُّون صاعًا نبويًّا، وخمسة عشر صاعًا بالصَّاع الكبير المتداول في جهتنا (أي: مقاطعة جازان في جنوب غرب المملكة العربية السَّعوديَّة).

أمَّا الدَّوابُّ، فأنصبتها معروفةٌ ومتداولةٌ[1].

---

(١) الدَّواب الَّتي تجب فيها الزَّكاة هي: بهيمة الأنعام، وهي: الإبل والبقر والغنم، والنِّصاب فيها ما ورد في السُّنَّة؛ فقد روىٰ البخاري (١٤٥٣) عن أنس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: أنَّ أبا بكر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ كتب له هذا الكتاب لمَّا وجهه إلىٰ البحرين:
=

قَولُه: «فإنْ قَسَّمَهَا فجائزٌ، وإنْ دَفَعها إلىٰ الإمام فجَائزٌ»:

أقولُ: إنَّ دَفْع الزَّكاة إلىٰ الإمام هذا هو الواجب، فإنْ أَمَرَ الإمامُ بِرَدِّها علىٰ

=

بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذه فريضة الصّدقة الّتي فرض رسول الله ﷺ علىٰ المسلمين، والّتي أمر الله بها رسوله، فمن سُئلها من المسلمين علىٰ وجهها فليعطها، ومَنْ سُئل فوقها فلا يُعط: في أربع وعشرين من الإبل فما دونها، في كلّ خمس شاة، إذا بلغت خمسًا وعشرين إلىٰ خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثىٰ، فإذا بلغت ستًّا وثلاثين إلىٰ خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثىٰ، فإذا بلغت ستًّا وأربعين إلىٰ ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلىٰ خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت يعني ستًّا وسبعين إلىٰ تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدىٰ وتسعين إلىٰ عشرين ومئة ففيها حقتان طروقتا الجمل، فإذا زادت علىٰ عشرين ومئة: ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء رَبُّها، فإذا بلغت خمسًا من الإبل ففيها شاة.

وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلىٰ عشرين ومئة شاة، فإذا زادت علىٰ عشرين ومئة إلىٰ مئتين شاتان، فإذا زادت علىٰ مئتين إلىٰ ثلاث مئة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت علىٰ ثلاث مئة ففي كل مئة شاة، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء رَبُّها.

وفي الرّقة ربع العشر، فإن لم تكن إلا تسعين ومئة فليس فيها شيءٌ إلا أن يشاء رَبُّها».

وبنت مخاض: ما تمَّ له سنة. وبنت لبون: هي ما تمَّ لها سنتان.

والحقَّة: ما تمَّ لها ثلاث سنين. والجذعة: ما تمَّ لها أربع سنين.

وعن معاذ رضي الله عنه قال: «لما بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن أمره أن يأخذ من كلّ ثلاثين من البقر تبيعًا أو تبيعة، ومن كلّ أربعين مسنة، ومن كلّ حالم دينارًا أو عدله معافر...». الحديث أخرجه أبو داود (١٥٧٦)، والترمذي (٦٢٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح أبي داود» (١٤٠٨).

والتَّبيع والتَّبيعة: ما تمَّ له سنة من البقر. والمسنَّة: ما تمَّ لها سنتان.

وذكر أهل العلم أنَّ هذه البهائم لا تجبُ فيها الزَّكاة بعد بلوغها النِّصاب المحدَّد شرعًا إلَّا بشرطين:

١ - أن تكون سائمةً؛ أي: راعيةً في جميع الحول أو أكثره في الصَّحاري أو الغابات أو نحوها، فإن لم تكن سائمةً فلا زكاةَ فيها إلَّا إنْ أعدَّت للتِّجارة، فتزكّىٰ زكاةَ عُروض التِّجارة.

٢ - أن تكون معدَّةً للاستفادة من ألبانها ونسلِها، فإن كانتْ للعمل عليها بالحرث أو السَّقي أو غيرهما لم تجب فيها الزَّكاةُ، وبالله التَّوفيق.

الفقراء عند ذلك يقسمها الجابي، هذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة، وأنَّه لا يُوكَل إلىٰ مَنْ وجبَتْ عليه الصَّدقة قِسْمتُها إلَّا في زكاة الفطر، والأموال السِّريَّة وهي النُّقود الخفيَّة، وما عدا ذلك فتُدفَع إلىٰ الإمام، هذا قول أهل السُّنَّة، ومَنْ خالفَ ذلك فهو مُبتدعٌ، إذ لو قُلنا بما قاله المُؤلِّف لأمكن أنْ يدَّعيَ كثيرٌ مِمَّن وجبَتْ عليه الزَّكاةُ؛ أن يَدَّعيَ أنَّه قسَّمها، وبرئتْ ذِمَّته منها، وهذا خلاف ما دلَّت عليه السُّنَّة، وفي «الصَّحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابنُ جَمِيل وَخَالد بْن الوَلِيد وَالعَبَّاس عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ، وَمِثْلُهَا مَعَهَا»، ثمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»[1].

فهذا دليلٌ من الأدلَّة، وواحدٌ من عدَّة أحاديث، والَّتي تدُلُّ علىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُرسلُ الجُباةَ لجمع الصَّدقات مِمَّن تجبُ عليهم، وبالله التَّوفيقُ.



(١) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، ومسلمٌ (٩٨٣) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أوَّل الإسلام شهادةُ أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الإِسْلامِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ مَا قَالَ اللهُ كَمَا قَالَ، وَلا خِلَافَ لِمَا قَالَ، وَهُوَ عِنْدَ مَا قَالَ.

الشرح:

قولُ البربهاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلَمْ أنَّ أوَّل الإسْلام: شَهادةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورَسُولُه» أي: إنَّه لا يدخل أحدٌ في الإسلام إلَّا بأنْ يقولَ هاتين الجُمْلَتين مُعترفًا بهما، مُصدِّقًا بما تَضمَّنته بأنَّ الأُلوهيَّة لا تنبغي إلَّا لله، وأنَّ كلَّ إلهٍ سوىٰ الله باطلٌ، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُ الله ورسولُه.

وقولُه: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، أي: لا تَصحُّ العبادة إلَّا أنْ تكونَ علىٰ ما شرع، ولا يصحُّ إسلام عبدٍ إلَّا أنْ يشهد له بالرِّسالة، ويُذْعِن لحكمه ﷺ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قولُه: «وأنَّ ما قالَ اللهُ كما قالَ» أي: أنَّ ما أخبرَ اللهُ به عن الماضي أو المستقبل من أخبارٍ، فهي كما قال، وما أمر من أوامر فهي كما أمَر، واجبٌ تَنفِيذُها، وما نهىٰ

من نواهٍ فهي كما نهىٰ، يَحْرُمُ إتيانها.

فأخبارُه تعالىٰ صدقٌ وحقٌّ، لا تتخلَّف أبدًا، يجبُ أنْ نؤمنَ بذلك حقَّ الإيمان، ونُصدِّقه حقَّ التَّصديق، ولا يُخالجنا شكٌّ في تصديق أخباره، ووجوب فعل أوامره، وتحريم فعْل مناهيه، وأنَّ مَنْ وقَف عند ذلك فهو المؤمنُ حقًّا، وبالله التَّوفيقُ.



الإيمانُ بالشرائع كلِّها، والشراء والبيع حلال

وَالإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا. وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّرَاءَ وَالبَيْعَ حَلالٌ إِذَا بِيعَ فِي أَسْوَاقِ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ حُكْمِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِن غَيرِ أَنْ يَدْخُلَهُ تَغْرِيرٌ، أَوْ ظُلْمٌ، أَوْ[1] غَدْرٌ، أَوْ خِلافٌ لِلقُرآنِ، أَوْ خِلافٌ لِلْعِلْمِ.

الشرح:

وأقولُ: يجبُ علينا - نحن المسلمين - أنْ نُؤمنَ بالشَّرائع جميعًا؛ إيمانًا إجماليًّا فيما أَجْمَلَ اللهُ، وتفصيليًّا فيما فَصَّلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

فما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه بأنَّه شرَعه لأهل الكتاب قبلنا، يجبُ علينا أنْ نُؤمنَ به مُفصَّلًا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ [المائدة: ٤٥].

وما عدا ذلك؛ أي: غير الَّذي فَصَّله القرآن نؤمن به إجمالًا؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال السَّلف: نُؤمنُ بالله، وبما جاء عن الله علىٰ مُرادِ الله، ونُؤمنُ برسول الله، وبما جاء عن رسُول الله علىٰ مُراد رسول الله ﷺ[2].

---

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «من غير أنْ يدخلَه تغييرٌ أو ظلمٌ أو جوْرٌ أو غدرٌ».

(٢) انظر في أول كتاب «لمعة الاعتقاد» وهو مِن قولِ الإمام محمَّد بن بن إدريس الشَّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (تخريج الشيخ عبد الله بن محمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

قولُه: «واعْلَمْ أَنَّ الشِّرَاءَ وَالبَيْعَ حَلَالٌ... إلخ»:

أقولُ: البيع والشِّراء قَدْ بَيَّنهما الله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، بيَّن ما أحلَّ، وبيَّن ما حَرَّم، وأنكر علىٰ مَنْ جعل البيع مثل الرِّبا، وتَوعَّدهم بما تَضمَّنته آية (البقرة) حينما قالُوا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، وردَّ عليهم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

إذًا؛ فكلُّ بيعٍ حلالٌ إذا لم يخالفْ كتاب الله، أو يخالف شيئًا مِن الأحكام الفقهيَّة؛ أي: الاعتقاديَّة منها والعمليَّة، والبُيُوع المباحة معلومةٌ عند المسلمين، معروفةٌ بشروطها فِي كُتُب الشَّرع المتداولة؛ من تفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ، وغير ذلك، فمَنْ حرَّم ما أحلَّ الله، أو أحلَّ ما حرَّم الله؛ فهو الظَّالم المعتدي يُردُّ عليه قوله، والأحكام الشَّرعيَّة بيِّنةٌ ظاهرةٌ واضحةٌ ترتادها أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ من عصر الصَّحابة إلىٰ الآن.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وبالله التَّوفيق.



الخوفُ والرَّجاءُ

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ لا يَدْرِي عَلَىٰ مَا يَمُوتُ، وبِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَىٰ مَا يَلْقَىٰ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الخَيْرِ، وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ المُسْرِفِ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ عِنْدَ المَوْتِ[١]، وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللهِ، وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ، فَإِنْ رَحِمَهُ اللهُ فَبِفَضْلِه، وَإِنْ عَذَّبَهُ فَبِذَنْبِه.

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلَمْ أنَّه يَنبغِي للعَبدِ أنْ تَصْحَبَه الشَّفقَةُ أَبدًا ما صَحِبَ الدُّنْيا؛ لأنَّه لا يَدْرِي عَلَىٰ مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ، وَبِمَ يُخْتَمُ لَهُ»:

وأقولُ: إنَّ الواجب علىٰ العبد أنْ يكون في هذه الدُّنيا بين الخوف والرَّجاء، وَقَدْ قرَّر أهلُ العلم أنَّه ينبغي للمُسلم أنْ يكون الخوف عليه أغلب في حال صِحَّته، وأنْ يكونَ الرَّجاء عليه أغلب عند الموت، وقَدْ جاء في الحديث عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخلَ علَىٰ شَابٍّ وَهُوَ في المَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ». رواه ابنُ ماجه والتِّرمذيُّ واللَّفظُ له[٢]، وقال عنه التِّرمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وَقَدْ

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «ألا يقطع رجاءه من الله تعالىٰ عند الموت».

(٢) أخرجه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٠٥١).

روىٰ بعضهم هذا الحديث عن ثابتٍ، عن النَّبيِّ ﷺ مُرسلًا».

اللَّهمَّ لا تأمنَّا مكرَك، ولا تُلْهِ قلوبنا عن ذِكْرِك، ولا تُولِّ علينا غيرَك، اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك من الشَّيطان الرَّجيم من هَمْزِهِ، ونَفْثِهِ، ونَفْخِهِ، ونَزَغاتِه، اللَّهمَّ آمين.

وقولُه: «لأنَّه لا يَدْرِي علىٰ مَا يَمُوتُ عَليهِ، وَبِمَا يَختَمُ لَهُ»: هذه الجملةُ تَعْليليَّةٌ كما تقدَّم من وجوب استصحاب الخوف من تقليب القُلوب وتحويلِها عمَّا كانت عليه من الإيمان إلىٰ الخذلان؛ فإنَّ الله إذا تخلَّىٰ عن العبد، تَسلَّطتْ عليه الشَّياطينُ، وألقتْه فيما يُوقع له الشُّكوك، وشَكَّكته في حقائق الإيمان حتَّىٰ يموت كافرًا - والعياذ بالله - فيستحقُّ الخلود في النَّار، وَقَدْ أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن قومٍ بأنَّه قَلَّب أفئدتهم وأبصارَهم؛ فقال جلَّ من قائل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وكما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

فالإنسان لا يدري كيف يكون حالُه في المستقبل؛ فينبغي له أنْ يستشعرَ الخطر ما دام حيًّا.

ولهذا، فقد كان النَّبيُّ ﷺ - مع أنَّه رسول الله - دائمًا يدعو بقوله: «يا مُقَلِّبَ القُلوب، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ، يا مُصرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قَلْبِي عَلَىٰ طَاعَتِكَ»؛ فعن أنسٍ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». قال أبو عيسىٰ التِّرمذيُّ: «وفي الباب عن النَّوَّاس بن سمعان، وأمِّ سلمة، وعبد الله بن عمرٍو،

وعائشة، وأبي ذرٍّ، وهذا حديثٌ حسنٌ»(١).

وهكذا روىٰ غير واحدٍ عن الأعمش عن أبي سُفيان عن أنسٍ، وروىٰ بعضُهم عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابرٍ، عن النَّبيِّ ﷺ، وحديثُ أبي سفيان عن أنسٍ أصحُّ.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»(٢).

لذلك، فإنَّه ينبغي أنْ ندعوَ بهذا الدُّعاء، وأنْ نخافَ مِن سُوءِ الخاتمةِ، نعوذُ بالله مِن سُوءِ الخاتمةِ.

قَولُه: «وَعَلَىٰ مَا يَلْقَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الخَيرِ» أي: وعلىٰ أيِّ شيءٍ يَلْقَىٰ اللهَ، هل يلقاه علىٰ عَملِ خيرٍ وطاعةٍ، أو علىٰ عَملِ شرٍّ ومَعصيةٍ؟

ثمَّ قال: «وَيَنبغِي للرَّجُلِ المسُرف عَلَىٰ نفسِه أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ عِندَ المَوْتِ، وَأَنْ يُحْسِنَ ظَنَّه باللهِ وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ»:

قد سبق لنا الحديث بذلك، وقوله ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ»(٣).

قولُه: «وإِنْ رَحِمهُ الله فبفضلِه، وَإِنْ عَذَّبه فبِذَنْبِه»:

أقول: إنَّ كلَّ مُوحِّدٍ تحت مشيئة الله؛ إنْ رَحِمهُ اللهُ فبفضلِه، وإنْ عذَّبه فبعدلِه، ولا يظلِمُ ربُّك أَحدًا، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه التِّرمذيّ (٢١٤٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

إطلاع الله نبيه ﷺ على بعض ما يكونُ في أمَّته مِن بعدِه

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَطْلَعَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ.

الشرح:

وأقولُ: إنَّ هذا القول فيه شيءٌ من الإجمال، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُطْلِع نَبيَّه علىٰ كلِّ شيءٍ يكون في أمَّته إلىٰ يوم القيامة؛ لأنَّ هذا من علم الغيب الَّذي اختصَّ به ربُّ العزَّة والجلال، ولكن أطْلَعه علىٰ بعض الوقائع وبعض الأمور.

ولهذا ورد في «الصَّحيحين» من حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَتىٰ المقبرة، فقال: **«السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»**.

قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»**.

فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتك يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **«أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ !»**.

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قال: **«فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ،**

أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا»[١].

فهذا دليلٌ علىٰ أنَّه لم يخبر بجميع ما يكونُ في أُمَّته، لكن أخبر ببعض الأشياء الَّتي لها تأثيرٌ؛ فأخبر النَّبيُّ ﷺ ببعض ذلك كما هو مُدوَّنٌ في كتب السُّنَّة، وليس معنىٰ ذلك أنَّه اطَّلع علىٰ كلِّ ما يجري مِن أُمَّته، ويجري فيهم وعليهم كما يَعتقدُه بعضُ النَّاس.

أقولُ: وقد بحثتُ ذلك في ردِّي علىٰ ابن الحاج في كتاب «أوضح الإشارة في الرَّدِّ علىٰ مَنْ أجاز الممنوع من الزِّيارة»؛ فارجع إلىٰ ذلك البحث[٢]، فإنَّه مفيدٌ في بابه، وذلك مِن فضل الله وإحسانِه وتوفيقِه، وإيَّاك يا طالبَ العلم أن تَنِيَ أو تتكاسلَ عن هَضْم هذه المسألة، فإنَّها مُهمَّةٌ جدًّا، وببحثها وهَضْمها تَتخلَّص من العقائد الشِّركيَّة، وتعرفُ مذهبَ السَّلف جيِّدًا في هذا الباب، وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٠) بنحوه، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، ومسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللَّفظُ له.

(٢) انظر: «أوضح الإشارة»، مِن قولِه: «وأمَّا قولُه: إذْ لا فرقَ بين موتِه وحياتِه... » إلىٰ قولِه: «انتهىٰ ما قصدتُ الرَّدَّ عليه مِن كلام ابن الحاجّ».

ستفترقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة

وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي»[1]. هَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَىٰ خِلَافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجَمَاعَةُ كُلُّهَا، وَهَكَذَا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ الاخْتِلَافُ وَالبِدَعُ، وَصَارَ النَّاس أَحْزَابًا، فَمِنَ النَّاس مَنْ ثَبَتَ عَلَىٰ الحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغيير، وَقَالَ بِهِ، وَعَمِلَ بِه، وَدَعَا النَّاس إِلَيْهِ، فَكَانَ الأَمْرُ مُسْتَقِيمًا حَتَّىٰ كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَة فُلَانٍ[2] انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاس جِدًّا، وَفَشَتِ البِدَعُ، وَكَثُرَ الدُّعَاةُ إِلَىٰ غَيْرِ سَبِيلِ الحَقِّ وَالجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ المِحْنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَدَعَوْا إِلَىٰ الفُرْقَةِ.

وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الفُرْقَةِ، وَكَفَّر بَعْضُهُم بَعْضًا، وَكُلٌّ دَعَا إِلَىٰ رَأْيِه، وَإِلَىٰ تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَهُ، فَضَلَّ الْجُهَّالُ وَالرَّعَاعُ وَمَنْ لا عِلْمَ لَهُ، وَأَطْمَعُوا النَّاس فِي شَيْءٍ مِن أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوَّفُوهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا، فَاتَّبَعَهُمُ الخَلْقُ عَلَىٰ خَوْفٍ فِي دِينِهِم[3]،

---

(١) أخرجه الترمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي». وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

(٢) وفي نسخة الردادي: «في خلافة بني فلان».

(٣) وفي نسخة الرَّدادي: «دُنياهم»، ونسخةُ القحطانيّ أصحُّ؛ لوضوح العبارة، وسلامتها من التكرار، والعلمُ عند الله.

وَرَغْبَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ. فصَارَت السُّنَّة وأهلُ السُّنَّة مَكتومِين، وظَهَرتْ البدعةُ وَفَشَتْ، وَكفرُوا منْ حيثُ لا يعلمونَ مِن وُجوهٍ شتَّىٰ.

الشرح:

أقولُ: حديثُ الافتراقِ قَدْ رواه جماعةٌ من الصَّحابة عن النَّبيِّ ﷺ، ولفظُه متقاربٌ إلَّا أنَّه في آخره في بعضها، قال: «**هُمُ الجَمَاعَةُ**»[1]، وفي بعضها قال: «**هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**».

وَقَدْ تقدَّم لنا في أوَّل هذا الشرح[2] أنَّه ليس المراد بقوله: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»: أنَّهم كلَّهم كُفَّارٌ مُخلَّدون؛ بل إنَّ هذه الفِرَق مختلفةٌ، منها ما تبلغ بِدْعَتُهم إلىٰ حدِّ الكُفر، فيخرجون من الإسلام، ويُحْكَمُ عليهم بالكُفر، ويكونون مُخلَّدِين في النَّار يوم القيامة، ومنها فِرَقٌ لا تبلغ بِدَعُهم إلىٰ حدِّ الكُفر، بل تكونُ مُفسِّقةً، فهؤلاء يرجون ما يرجوه المُوحِّدون إذا ماتُوا علىٰ التَّوحيدِ.

وبهذا يَتبيَّن أنَّ قولَه: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»: ليس المرادُ به أنَّهم كلَّهم مُخلَّدون في النَّار فيما نعتقدُ، ثُمَّ إنَّ هذه الواحدةَ المستثناة هي الَّتي تدين بما دان به الصَّحابةُ؛ عقيدةً وعملًا وتعاملًا، وهي عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة، وأنَّ الألوهيَّة لله وحدَه، وأنَّه لا يجوز أنْ يُدعَىٰ غيرُه، ولا يُستغَاث بغيره، وأنَّ مَنْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، عن عَوف بن مَالكٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ». وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٦)، و«السِّلسلة الصَّحيحة» (١٤٩٢).

(٢) أي: في الفقرة الأولىٰ منه.

فعَل ذلك فإنَّه مُشركٌ شركًا أكبرَ، وأنَّ المتابعةَ تكونُ لرسولِ اللهِ ﷺ لا يُقدَّم قولُ أحدٍ علىٰ قولِه، ولا رأيُ أحدٍ علىٰ سُنَّته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وعقيدتُهم في توحيدِ الأسماء والصِّفات هي الإيمان بها، واعتقاد معناها الَّذي تدلُّ عليه باللِّسان العربيِّ، وإمرارها كما جاءتْ بلا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، وأنَّ أمَّةَ مُحمَّدٍ ﷺ يجبُ أن تكون أمَّةً واحدةً، وأنَّ الاختلاف والافتراق مبتدعٌ، إلىٰ آخر ما هو مذكورٌ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

وأنَّ القائمين علىٰ السُّنَّة هم أهل الأثر (أهل الحديث)، ومَنْ سواهم فإنَّه إنْ أَصَابَ مِن وجهٍ، أخطأ من وجهٍ آخرَ، ولا ينجو من الاختلاف ولا يستقيم علىٰ العقيدة الصَّحيحة إلَّا أهل الحديث.

قَولُه: «هكَذَا كانَ الدِّينُ إلىٰ خِلَافَةِ عُمَرَ بن الخطَّاب الجماعة كُلّها، وهَكَذَا في زَمَن عُثمانَ، فلمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه جاءَ الاختلافُ والبدَعُ، وصَارَ النَّاسُ فِرَقًا، فَمِنَ النَّاس مَنْ ثَبَتَ علىٰ الحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغيير، وقَالَ بِهِ وَعَمِلَ بهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيهِ»:

وأَقُولُ: إنَّ الاختلافَ بدأ مِن خُروج الخوارج علىٰ عُثمانَ، ثُمَّ لمَّا قُتِلَ، حصل الافتراق بعد قَتْل عُثمان، ونبتَتْ نابتةُ الخَوارج، فظهرُوا بدعوةِ ابن السَّوداء، وظهرَتْ القَدَريَّة في آخر حياة المُعمَّرين من الصَّحابة؛ كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهم.

وعلىٰ رأس المئة ظهرت فتنة الاعتزال، والقول بالمنزلة بين المنزلتين والتَّخليد في النَّار لأصحاب الكبائر، ثُمَّ تتابعت الفتنُ، وظهرَت البدع شيئًا فشيئًا.

وظهرت في أوَّل المئة الثَّانية بدعة التَّجهُّم، وإنكار الصِّفات، ثمَّ بعدما كانت بدعة المعتزلة ضعيفةً مردودةً، استمالوا إلىٰ صَفِّهم الخليفة المأمون، فوقعتْ في

آخر عصره بدعةُ القَولِ بخَلْق القُرآن، وتُوفِّيَ وهو يدعُو إليها، واستمرَّ بعدَه عليها المعتصمُ والواثقُ علىٰ التَّحدِّي لأهل السُّنَّة ونبذهم في السُّجون، وقتل بعضهم، حتَّىٰ أظهرَ اللهُ الحقَّ علىٰ يدِ الخليفةِ المُتوكِّل علىٰ الله، وظهرَتْ في عصره السُّنَّة، وانقمعَتْ البدعُ، والحمدُ لله؛ فهذه خلاصةُ ما حصل مِن المبتدعة في أزمنةٍ شتَّىٰ.

وفي المئة الثَّالثةِ ظهَرتْ بدعةُ التَّصوُّف أصحاب الشَّطحات، وكان أوَّل مَنْ أظهر شطحه منهم الحلَّاج، وهذا معنىٰ ما قاله المُؤلِّف: «**فكَانَ الأَمْرُ مُستقيمًا حتَّىٰ كانَت الطَّبقةُ الرَّابعةُ**»، فلعلَّه أراد بالطَّبقة الرَّابعة؛ أي: القرن الرَّابع؛ لأنَّ الثَّلاثة القرون - وإن ظَهرتْ فيها بدعٌ - إلَّا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ زكَّاها علىٰ العُموم بقوله: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» قال عمران: لا أَدْرِي، أَذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَينِ أَوْ ثَلَاثَةً.

قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**». مُتَّفقٌ عليه[1]، وهذه التَّزكيةُ علىٰ العموم لأصحاب القُرون الثَّلاثة، وقَدْ قيل: إنَّ هذه القرونَ انتهَتْ بمئتين وعشر سنواتٍ؛ إذ إنَّ كلَّ قرنٍ سبعون سنةً.

وفي سنة مئتين واثنتي عشرة ظهرت بدعةُ القول بخَلْق القُرآن، أي: بَدَأَتْ في الظُّهور.

أمَّا قولُه: «**فِي خَلَافَةِ فُلَان**»، فهذه الأزمنة الَّتي ذكرناها ذكرت فيها البدع في خلافة خلفاء أكثرهم صالحون، كأنَّه - كما قال المُعلِّقُ - يشيرُ إلىٰ دعوة القول بخَلْق القرآن، والله تعالىٰ أعلمُ؛ لأنَّ قوله: «**انقَلَب الزَّمانُ، وتَغيَّر النَّاسُ جِدًّا،**

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٦٥١)، ومسلمٌ (٢٥٣٥)، مِن حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

وفَشَتِ البدَعُ، وكثُر الدُّعَاةُ إلىٰ غَيرِ سَبيلِ الحَقِّ والجَمَاعَةِ، ووقَعَتِ المحْنَةُ في كُلِّ شَيءٍ لم يَتكَلَّمْ بِهِ رَسولُ الله ﷺ، ولا أَحد مِن الصَّحابَةِ، ودَعَوْا إلىٰ الفُرْقَةِ، وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنِ الفُرْقَةِ، وكَفَّر بَعضُهم بَعْضًا، وكلٌّ دَعَا إلىٰ رَأْيِهِ، وإلىٰ تَكْفِيرِ مَنْ خَالَفَهُ.

فَضَلَّ الجُهَّالُ والرَّعَاعُ، ومَنْ لا عِلْم لَهُ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ في شَيءٍ مِنْ أَمْر الدُّنْيا، وخَوَّفُوهمْ عِقَابَ الدُّنْيا، فَاتَّبعَهم الخَلْقُ علىٰ خوفٍ في دِينِهم، ورَغْبَةٍ في دُنْيَاهُم، فصَارَتْ السُّنَّةُ وأهلُ السُّنَّة مَكْتُومِينَ، وظَهرَتْ البدْعَةُ وَفشَتْ، وكَفرُوا مِنْ حيثُ لا يَعلمُونَ مِن وُجُوهٍ شتَّىٰ»:

أقولُ: إنَّ هذا الكلام ينطبقُ علىٰ زمن فتنة القول بخَلْق القُرآن.



أهلُ السُّنة غُرباءُ

وَوَضَعُوا القِيَاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَىٰ عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهُمْ قَبِلُوهُ، وَمَا خَالَفَ عُقُولَهُمْ رَدُّوهُ، فَصَارَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءَ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ.

الشرح:

أمَّا قوله: «وَوَضَعُوا القِيَاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وآيَاتِهِ وَأَحْكَامَهَ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ عَلَىٰ عُقُولِهِم وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهم قَبِلُوهُ، وَمَا خَالَفَ عُقُولَهم رَدُّوهُ، فَصَارَ الإسلامُ غَرِيبًا»، لعلَّه يريد بهذا العَقلانيِّين المعتزلة والجهميَّة الَّذين رَدُّوا الصِّفات حين زعموا أنَّ فيها مشابهةً بين المخلوق والخالِق.

ولعلَّه يريدُ بذلك أصحاب الرَّأي مِن الفُقهاء والَّذين ردُّوا كثيرًا من السُّنن، وقالوا بما فرضته آراؤُهم، أو آراء شيوخهم، ولعلَّه يريدُ الجميعَ، غير أنَّ الَّذي ينبغي للمسلم أن يَعْتَبر هذه الآراء كلَّها خُروجًا عن الصِّراط المستقيم والدِّين الحقِّ الَّذي كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ فمَنْ بعدَهم من أهل الحديث والأثر وأئمَّة الهُدىٰ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، رحمهم الله تعالىٰ جميعًا، وأحيانَا اللهُ علىٰ طريقتِهم، وحشَرَنا في زُمرتِهم، وبالله التَّوفيقُ.



متعة النِّساء حرام

وَاعْلَمْ أَنَّ المُتْعَةَ (مُتْعَةَ النِّسَاءِ) والاسْتِحْلالَ: حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ (١).

وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ لِقَرَابَتِهِمْ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاعْرِفْ فَضْلَ قُرَيْشٍ وَالعَرَبِ وَجَمِيعِ الأَفْخَاذِ، فَاعْرِفْ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الإِسْلامِ.

الشرح:

أقول: نكاح المتعة تعريفه: أنْ يتزوَّج المرأة إلىٰ أجَلٍ محدودٍ؛ كشهْرٍ أو ما أشبهَ ذلك، أي: بقدْرِ إقامتِه في هذا البلدِ.

فهذا النِّكاح كان مُباحًا في أوَّل الإسلام، وحُرِّم عام خيبر، ثُمَّ بعد ذلك أبيح في غزوة الفتح، ثمَّ بعدَ ذلك حُرِّمَ تحريمًا مُؤبَّدًا إلىٰ يوم القيامة، وَقَدْ أجمعَ علماءُ الأُمَّة علىٰ تحريم التَّمتُّع بالنِّساء، وخالفَ في ذلك بعضُ الشِّيعةِ، وخِلَافُهم لا يُنظرُ إليه؛ لأنَّهم أهل بدعٍ تصلُ بعضُها بأصحابها إلىٰ الكفر، وبالله التَّوفيقُ.

قولُه: «وَاعْرِفْ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ... إلخ»:

وأقول: إنَّ بني هاشمٍ لهم فضلٌ بسبب قرابتهم من رسولِ الله ﷺ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشُّورىٰ: ٢٣]؛ فقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنىٰ أنَّه ليس من الأجر، ولكن رسول الله ﷺ يطلب

---

(١) قال الشيخ القحطانيُّ صاحب هذه النسخة المحقّقة بين يدي القارئ: «وللتَّوسُّع في ذلك انظر رسالة: «تحريم نكاح المتعة» لنصر بن إبراهيم المقدسي، تحقيق الشَّيخ حمَّاد الأنصاري، نشر دار طيبة».

من الأُمَّة أن يعرفوا لقرابته حقَّهم، فيحترموهم لاحترامه، ويكرموهم لإكرامه.

فإذا كان للمسلم حقٌّ على المسلم، فإنَّ للمسلم من بني هاشم المُتمسِّك بدينه حقَّ الإسلام، وحقَّ قرابته من النَّبيِّ ﷺ، وكذلك سائر أفخاذ قُريشٍ إلَّا أنَّ الله لم يُكلِّفنا بحُبِّ مَنْ ليس على العقيدةِ الصَّحيحةِ، وليس له استقامةٌ على الإسلام تُوجِب حُبَّه.

ولقد تبرَّأ النَّبيُّ ﷺ ممَّن يكون مخالفًا لهديه؛ فقال - صلواتُ الله وسلامُه عليه -: «أَلا إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي: فُلَانًا - لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المؤْمِنِينَ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[١].

قَوْلُه: «**وَجَمِيع الأَفْخَاذ**» أي: أفخاذ قريشٍ وقبائل العرب، يعرف لهم حقَّهم في الإسلام[٢]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) وذلك لأنَّ القُرآنَ الكريمَ كلامُ الله نزل بلُغة العرَب: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾؛ ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ من بني هاشم، وبني هاشم من قُريش، وقُريشًا من كنانة، وكنانةُ مِن ولدِ إسماعيل بن إبراهيم - عليهما وعلى نبيِّنا محمَّد الصَّلاةُ والسَّلامُ - كما في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيش بَنِي هَاشِم، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم» أخرجه مسلمٌ (٢٢٧٦).

فضل الأنصار

وَمَوْلَىٰ القَوْمِ مِنْهُمْ، وَاعْرِفْ فَضْلَ الأَنْصَارِ، وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ، وَآلَ الرَّسُولِ، وَلا تَسُبَّهُمْ[١]، وَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ[٢]، وَجِيرَانُهُ مِن أَهْلِ المَدِينَةِ، فَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ قولَ المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَمَوْلَىٰ القَوْمِ مِنْهُمْ**» هذا حديثٌ صحيحٌ عن النَّبيِّ ﷺ من حديث ابن أبي رافعٍ عن أبيه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ **اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِن بَنِي مَخْزُومٍ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَأَرَادَ أَبُو رَافِعٍ أَنْ يَتْبَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لا تَحِلُّ لَنا، وَإِنَّ مَوْلَىٰ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»**[٣].

و«**مَوْلَىٰ القَوْمِ مِنْهُمْ**» يشملُ: أنْ يكونُوا منهم أيضًا في الاحترام لصلته بهم، وتَعلُّقه فيهم. أمَّا الأنصار؛ فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[٤].

فهم الَّذين آوَوْا رسولَ الله ﷺ ونصروه، ونَصَرَ اللهُ بهم الدِّين؛ فيجب أن يعرف لهم حقَّهم، ولا يجوز لأحدٍ أن يَسُبَّهم، أو يهجوَهم، أو ينالَ منهم، ومَنْ

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «فلا تنساهم».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «واعرف فَضْلَهم وكرامَاتهم».

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٥٠)، والترمذي (٦٥٧)، والنَّسائيُّ - واللفظ له - (٢٦١٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٦١٣)، وفي تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٨٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٧) واللَّفظُ له، ومسلم (٧٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعَل شيئًا مِن ذلك، فقد عصىٰ اللهَ ورسولَه.

قَولُه: «وجِيرانه مِن أهل المدينةِ فاعرِفْ فضلَهم»: المقصود بالجيران: الَّذين لم يكونوا من الأنصار، ولا من قريشٍ، ولكنَّهم مسلمون، فلهُم حقُّ الإسلام، ولهم فضلٌ لصبرهم علىٰ لَأْوَاءِ المدينة(١)، فيجب أن يعرف لأهل الفضل فضلهم، وبالله التَّوفيق.



(١) لأواء المدينة: أي: الشِّدَّة والجوع، وتعذّر الكسب، وسوء الحال.

خطر فكر الجهميَّة على الأمَّة

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يَرُدُّون قَوْلَ الجَهْمِيَّةِ، حتَّىٰ كَانَ فِي خِلَافَةِ بَنِي العَبَّاسِ[(١)] تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَىٰ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخَذُوا بِالقِيَاسِ وَالرَّأْيِ، وَكَفَّرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ، فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِمُ الجَاهِلُ وَالمُغَفَّلُ، وَالَّذِي لا عِلْمَ لَهُ، حتَّىٰ كَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، فَهَلَكَتِ الأُمَّةُ مِنْ وُجُوهٍ، وَكَفَرَتْ مِن وُجُوهٍ[(٢)]، وَتَزَنْدَقَتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَضَلَّتْ مِنْ وُجُوهٍ، وَتَفَرَّقَتْ وَابْتَدَعَتْ مِنْ وُجُوهٍ، إِلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَىٰ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ[(٣)]، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدًا مِنْهُمْ[(٤)]، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَمْرَهُمْ، وَوَسِعَهُ مَا وَسِعَهُمْ، وَلَمْ يَرْغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُم كَانُوا عَلَىٰ الإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، وَالإِيمَانِ الصَّحِيحِ، فَقَلَّدَهُم دِينَهُ وَاسْتَرَاحَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، وَالتَّقْلِيدُ لأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الشرح:

أقول: هذا حكايةُ حالٍ، وخلافة بني العبَّاس كانت في أوَّلها علىٰ خيرٍ، ثمَّ تغيَّرت الأمور من بعد المئتين حين قَبِلَ المأمون دعوة المعتزلة، واقتنع بأنَّ

---

(١) في نسخة الرَّدادي قال: «بني فلان».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «وتفرَّقَتْ وابتدعَتْ مِن وُجوه».

(٣) وفي نسخة الرَّدادي: «وأمر أصحابه».

(٤) وفي نسخة الرَّدادي: «ولم يخطئ أحدًا منهم».

القُرآن مخلوقٌ، ودعا أهل العلم إلىٰ قَبُول هذه البدعة، والقول بهذا الكُفر، فحصلَتْ فتنةٌ عظيمةٌ استمرَّتْ مِن بعدِ سنة مئتين واثنتي عشرة في خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق، حتَّىٰ تولَّىٰ الخلافة المُتوكِّل علىٰ الله، فوجد أهلَ السُّنَّة والجماعة، وحَمَلةُ الحديث مُتنفِّسًا، وكُبِحَ جماحُ أهل الباطل، إلَّا أنَّه بعدَ المُتوكِّل علىٰ الله سلب الخلفاء سُلطتهم، وظلَّت الخلافة اسمًا بلا رسمٍ، ومظهرًا بلا حقيقةٍ، ذلك أنَّ الأتراك تَسلَّطوا عليهم، وأخذوا حقيقة السُّلطة، فصرفوا الخلفاء كما يشاؤون، يأتون بهذا، ويقتلون هذا.

ثمَّ بعد ذلك انتقلتْ السُّلطة من الأتراك إلىٰ بني بويه، ثمَّ إلىٰ الجراكسة، حتَّىٰ قُضِيَ علىٰ الخلافة في عام (٦٥٦هـ)، وتَحقَّق فيهم قول عمر رضي الله عنه: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بالإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبِ العِزَّ بغَيرِ مَا أَعزَّنَا اللهُ بِهِ، أَذَلَّنَا اللهُ»[1].

إلَّا أنَّ أهلَ السُّنَّة والجماعة وأصحابَ الحديث وأهلَ العقيدة الحقَّة لم يزالوا قائمين علىٰ عقيدتِهم، لم يَضرَّهم مَنْ خالفهم؛ ولهذا استثنىٰ بقوله: «**إلَّا مَنْ ثَبَتَ عَلَىٰ قَولِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَأَمْرِه وَنَهيِه، وسَلكَ نهجَ أصْحابِه، وَلَمْ يَتخَطَّ أَحَدًا مِنهُم، ولم يُجاوِزْ أَمْرَهُم، ووَسِعَه ما وَسِعَهُم، ولم يَرْغَبْ عَنْ طَريقتِهم وَمَذْهبِهم، وعَلِمَ أَنَّهُم كَانُوا علىٰ الإسْلام الصَّحيح، والإيمَان الصَّحِيح، فَقَلَّدَهُم دِينَهُ وَاسْتَرَاحَ**» أي: إنَّ هؤلاء هم الَّذين سَلِمُوا من مَعرَّة الكُفر والجهل والضَّلال، وبالله التَّوفيق.

أقولُ: إنَّ قولَ المُؤلِّف رحمه الله: «**واعْلَمْ أنَّ الدِّينَ إنَّما هُوَ بالتَّقلِيدِ**»، يُلاحَظ

(١) أخرج الحاكم في «مستدركه» (١/ ١٣٠) (٢٠٧)، وصحَّحه علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبيُّ، والألبانيُّ رحمه الله في «الصَّحيحة» (٥١).

عليه هذا التَّعبير؛ لأنَّ التَّقليد هو الاتِّباع بلا دليل، ولو قال: إنَّ الدِّين هو الاتِّباع لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسُنَّة رسول الله ﷺ، علىٰ فَهْم سلف الأُمَّة؛ من الصَّحابة والتَّابعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ من حَمَلة الحديث والأثر، لكان هذا التَّعبير هو الصَّواب؛ لأنَّه يوافقُ ما أمر الله به فِي كتابه حيث يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويقول: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] فالاتِّباع لمَنْ سلف قبلنا علىٰ أثر الدَّليل من كتابٍ وسُنَّةٍ، هذا هو الحقُّ، وبالله التَّوفيق.



مَن قال: لفظِي بالقُرآن مخلوق، فهو جهميٌّ

«وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ(١)، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كَثيرًا: فَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ؛ عَضُّوا عَلَيهَا بالنَّوَاجِذِ»(٢).

الشرح:

وأقولُ: إنَّ القُرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، والله تعالىٰ يقول أيضًا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، والله تعالىٰ يقولُ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فالقرآنُ كلامُ الله غير مخلوقٍ، وكلامُ الله صفةٌ من صفاته، ومَنْ قال: إنَّ شيئًا مِن صفات الله مخلوقٌ، فهو كافرٌ، هكذا قرَّر أهل السُّنَّة والجماعة.

وَقَدْ ذكر اللالكائي عن خمس مئةٍ وخمسين عالمًا من السَّلف أنَّهم قالُوا:

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «فهو مبتدع».

(٢) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (٢٤٥٥).

«مَنْ قال القرآن مخلوقٌ، فهو كافرٌ»[1]، ومَنْ قال: بأنَّ لفظه بالقُرآن مخلوقٌ، فهو مُبتدعٌ جهميٌّ ضالٌّ. وكذلك مَنْ سكتَ ولم يقُل: إنَّه مخلوقٌ، ولا: إنَّه غيرُ مخلوقٍ، فهو أيضًا جهميٌّ ضالٌّ.

فإخبار الله صريحٌ بأنَّ القُرآنَ كلامُ الله، ومَنْ لم يقل ذلك فقد كذَّب اللهَ في خبره، وإنَّما حذَّر أهلُ العلم - وعلىٰ رأسهم الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مِن أنْ يقول قائلٌ: لفظُه بالقُرآن مخلوقٌ؛ لأنَّ إطلاقَ (اللَّفظ) يحتمل أن يُراد به نفس اللَّفظ أو الملفوظ به، ومِن أجْل هذا الاحتمال حكمُوا علىٰ مَنْ قال بأنَّ لفظه بالقُرآن مخلوقٌ بأنَّه مُبتدعٌ جهميٌّ، وبالله التَّوفيق.



(١) انظر: «أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» للَّالكائي، بتحقيق الدُّكتور أحمد بن سعد الغامدي (٢/ ٣٤٤).

منشأ هلاك الجهميَّة

«وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ هَلَاكُ الجَهْمِيَّةِ: أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ فَأَدْخَلُوا: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَتَرَكُوا الأَثَرَ، وَوَضَعُوا القِيَاسَ، وَقَاسُوا الدِّينَ عَلَىٰ رَأْيِهِمْ، فَجَاؤُوا بِالكُفْرِ عِيَانًا لا يَخْفَىٰ، فَكَفَرُوا[1] وَكَفَّرُوا الخَلْقَ، وَاضْطَرَّهُمُ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنْ قَالُوا بِالتَّعْطِيلِ.

وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ - مِنْهُم الإِمَام أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ -: الجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، حَلالُ الدَّمِ، لا يَرِثُ، وَلا يُورَثُ؛ لأَنَّهُ قَالَ: لا جُمُعَةَ، وَلا جَمَاعَةَ، وَلا عِيدَينِ وَلا صَدَقَةَ، وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَقُلْ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ!

وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَالَفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَأَرَادُوا تَعْطِيلَ المَسَاجِدِ وَالجَوَامِعِ...

الشرح:

وأقولُ: إنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلمُ كَيفيَّتها غيرُه؛ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا يجوز لغيره أنْ يَتكلَّمَ في صفاتِه بالرَّأي والتَّقدير، بل يجبُ أنْ يكونَ المرجعُ في ذلك - أي: في صفات اللهِ وأسمائِه - الوحيُ لا شيءَ غيرُه.

فمَنْ أراد أن يتكلَّمَ في أسماء الله وصفاته بالرَّأي والتَّقدير؛ فإنَّه يُعتبر قَدْ ضلَّ وأضلَّ؛ لأنَّ الرَّأيَ والتَّقديرَ والقياسَ لا دخلَ له في صفات اللهِ وأسمائه، وَقَدْ أرسلَ

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «لا يخفىٰ أنَّه كفر».

اللهُ الرُّسلَ إلى عباده ليعلِّموهم العبادةَ الَّتي يرضاها اللهُ، فمَنِ اتَّبع ما جاءَتْ به الرُّسلُ نجَا، ومَنْ ترَكَ ما جاءتْ به الرُّسلُ هلَك ووقع في الشِّرك والكُفر والضَّلال.

وعلينا أنْ نؤمن بصفاتِ الله، - أي: بمعناها الَّذي تقتضيه في اللُّغة العربيَّة، أمَّا الكيفيَّة، فإنَّها لا يعلمها غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما تقدَّم -، وبالله التَّوفيق.



الخليفة المتوكِّل أطفأ الله به البدع

«وَأَوْهَنُوا الإِسْلامَ، وَعَطَّلُوا الجِهَادَ، وَعَمِلُوا فِي الفُرْقَةِ، وَخَالَفُوا الآثَارَ، وَتَكَلَّمُوا بِالمَنْسُوخِ، وَاحْتَجُّوا بِالمُتَشَابِهِ، فَشَكَّكُوا النَّاسَ فِي أَدْيَانِهِم[١]، وَاخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم، وَقَالُوا: لَيْسَ هُنَاكَ عَذَابُ قَبْرٍ، وَلَا حَوْضٌ، وَلَا شَفَاعَةٌ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا، وأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاسْتَحَلَّ مَنِ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ من هَذَا الوَجْهِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَقَدْ رَدَّ الكِتَابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقَد رَدَّ الأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ العَظِيمِ.

فَدَامَتْ لَهُمُ المُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَعُونَةً عَلَىٰ ذَلِكَ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ عَلَىٰ مَنْ دُونَ ذَلِكَ، فَدَرَسَ علمُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ[٢]، فَصَارُوا[٣] مَكْتُومَتَيْنِ لِإِظْهَارِ البِدَعِ وَالكَلَامِ فِيهَا، وَلِكَثْرَتِهِم، وَاتَّخَذُوا المَجَالِسَ وَأَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ، وَوَضَعُوا فِيهِ الكُتُبَ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ[٤]، وَطَلَبُوا لَهُم الرِّئَاسَةَ، فَكَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَأَدْنَىٰ مَا كَانَ يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجَالَسَتِهِم أَن يَشُكَّ فِي دِينِهِ، أَوْ يُتَابِعَهُمْ، أَوْ يَرَىٰ رَأْيَهُمْ عَلَىٰ الحَقِّ، وَلا يَدْرِي[٥]

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «فشكَّكوا الناس في آرائهم وأديانهم».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «وأوهنوهما».

(٣) وفي نسخة الرَّدادي: «فصارتا».

(٤) وفي طبعة ثالثة: «وأطغوا النَّاس».

(٥) وفي نسخة الرَّدادي: «ولا يدري أنَّه علىٰ الحقّ».

أَنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ، أَوْ عَلَىٰ البَاطِلِ، فَصَارَ شَاكًّا، فَهَلَكَ الخَلْقُ حَتَّىٰ كَانَ أَيَّام جَعْفَرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: المُتَوَكِّلُ[١]، فَأَطْفَأَ اللهُ بِهِ البِدَعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَطَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ، مَعَ قِلَّتِهِمْ[٢] وَكَثْرَةِ أَهْلِ البِدَعِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا[٣].

وَالرَّسْمُ وَأَعْلَامُ الضَّلَالَةِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، لا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، وَلا أَحَدَ يَحْجُزُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ».

الشرح:

نقل المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الفقرة تكفيرَ الجهميَّة، وأنَّهم ليسُوا مِن أهل القِبلة، وأنَّهم حلال الدَّم بأقوالهم القطيعة الَّتي خالفُوا بها كتابَ اللهِ وسُنَّة رسولِه ﷺ.

وَقَدْ جمع الجهميَّة كلَّ شرٍّ، فأنكروا صفات الله، وأنكروا أسماءه، وجعلوا معبودهم بمنزلة الجماد الَّذي لا يتكلَّم، ولا يسمعُ ولا يُبصرُ، وقالُوا: إنَّ القُرآنَ مخلوقٌ، وقالوا: إنَّ اللهَ لا يُرىٰ في الآخرة، وأنكروا القدَر، وزعمُوا أنَّ الجنَّة والنَّار ليستا مخلوقتين الآن، وأنكروا السُّنَّة، واستحلُّوا دماء المسلمين، وأنكروا الحوض والشَّفاعة، وأنكروا عذاب القبر، واستذلُّوا أولياء الله بضربهم لجلودهم، وسجنهم لهم ... إلىٰ غير ذلك مِن الأمور الَّتي يكفي بعضُها في تكفيرهم، فكان هذا هو السَّبب، بل قالوا أشدَّ مِن ذلك، فأنكروا أنَّ اللهَ فوقَ

---

(١) قال الشيخ الزَّدادي وفقه الله: «هو الخليفة العبَّاسي المُتوكِّل علىٰ الله؛ أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله بن محمَّد بن الرَّشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العبَّاسي البغداديّ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٢٤٧هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٣٠)، و«الشَّذرات» (٢/ ١١٤)». اهـ.

(٢) أي: بقول الحقِّ، والصَّدع به.

(٣) أي: في زمن المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما يزال الحقُّ وأهلُه منصورين - بإذن الله - في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ما عاد النَّاسُ إلىٰ ربِّهم عودةً صادقةً.

عرشِه، بائنٌ مِن خلقِهِ، وزعمُوا أنَّ الله مُختلطٌ بخلقِهِ، أو حالٌّ فيهم.

فقد أُثِرَ أنَّ الجهمَ بنَ صفوان لقِيَ قومًا من الدَّهريَّة، فَشكَّكوه في ربِّه، فجلس أربعين يومًا شاكًّا لم يُصلِّ، ثمَّ بعد ذلك خرج وزعم أنَّه وجد الحقيقة، وأنَّ الإله هو الهواء الطَّلْق، وهو كلُّ مخلوقٍ يُرىٰ... إلىٰ غير ذلك من الكُفريَّات الَّتي لا حصر لها.

وَقَدِ انطَلَىٰ مذهب المعتزلة علىٰ المأمون بواسطة أحمد بن أبي دؤاد، فحَمَله وأشار عليه بأن يحمل العلماء علىٰ قَبُول القول بخَلْق القرآن، فوقعت فتنةٌ لا حصر لها، ثبتَ فيها أحمدُ بنُ حنبل، فضُرِبَ حتَّىٰ أُغمِيَ عليه، وانخلعتْ يدُه، وبَقِيَ في السِّجن ما يُقاربُ سنتَين، ومُنِعَ من التَّحديث، وبقِيَتْ هذه الفتنة زمن ثلاثةٍ من الخلفاء، هم: المأمون، والمعتصم، والواثق.

فلمَّا تولَّىٰ الخلافة المُتوكِّلُ علىٰ الله أطلقَ سراحَ السُّجناء في مثل هذه البدعةِ، وأكرمَ الإمامَ أحمدَ إكرامًا كثيرًا جدًّا، وأكرَمَ أهلَ السُّنَّة، فانقمع الباطلُ، وظهرَتْ السُّنَّةُ، ووجد أهلُها مُتنفَّسًا، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وبسبب هذا فقد سُلِبَتْ منهم السُّلطةُ - يعني: بني العبَّاس - فكان الخليفة يوضع اسمًا، ولا يستطيعُ أن يُنفِّذ شيئًا، وهذا تسليطٌ من الله علىٰ الأُمَّة، والعقوبة تعمُّ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وقولُه: «**لأنَّه مَنْ رَدَّ آيةً مِنْ كِتاب اللهِ، فَقَدْ رَدَّ الكِتَابَ كُلَّه، ومَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَقَدْ رَدَّ الأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ باللهِ الْعَظِيم**»:

أقولُ: مَنْ ردَّ آيةً مِن كتاب الله فقدْ كَفر، لا شكَّ في ذلِك، ومَنْ ردَّ حديثًا من سُنَّة رسول الله ﷺ ففي كُفرِه نظرٌ، وفيه تفصيلٌ[1].

---

(١) قال شيخُنا زيدُ بن محمَّد المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ أنْكرَ حديثًا ثابتًا سندًا ومتنًا؛ فهذا يكفرُ باتِّفاق =

خطر علماء السُّوء

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ تَجِئْ زَنْدَقَةٌ[1] قَطُّ إِلَّا مِنَ الهَمَجِ الرَّعَاعِ، أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَلا دِينَ لَهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧][2]، وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ.

الشرح:

أقولُ: تجيءُ الزَّندقةُ مِمَّنْ لم يُؤمنُوا بالكتاب والسُّنَّة، وهم مع ذلك يتظاهرون بالعلم، فإِنْ أخذُوا شيئًا من العلم، فإنَّما يأخذونه لأغراضٍ دُنيويَّةٍ، وأطماعٍ وَقتيَّةٍ، ومَنْ هذا حالُه فلا يُعَدُّ مِن العُلماءِ.

والَّذي يظهرُ - واللهُ أعلمُ - أنَّ النَّاسَ في هذا الباب ينقسمون إلىٰ قسمَين:

١- قسمٌ دخلوا في الدِّين مِن أجل الكَيْد له، والدَّسِّ فيه، فهم يُلْقون الشُّبه من أجل أن يُوقِعُوا الغير بالشُّكوك.

٢- قسمٌ آخر نشؤوا بين أهل الدِّين، لكنَّهم لم يُؤمنُوا بالدِّين في قَرارةِ أنفسِهم، فانطلَتْ عليهم تلك الشُّبه الَّتي ألقاها مَنْ كان دخولهم في الدِّين مِن =

العلماء، وأمَّا إنْ أنكرَ حديثًا في سنده ومتنه كلامٌ؛ فلا يُحكَم بكُفره». اهـ.

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «بدعة».

(٢) ثمَّ في نسخة الرَّدادي زيادة آية، وهي قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

أجل الكيد والدَّسِّ فيه، فنشأتْ الزَّندقة بين هؤلاء، أي: بين هذين القسمَينِ.

فنعوذُ بالله مِن حال مَنْ قَدَّم أقوال الرِّجال على كلام الباري، وعلى سُنَّة خير الخليقة ﷺ الَّذي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

والزَّندقة: هي الخُروج عن الأديان والقول بعدم التَّكليف، والَّذين يَزعمُون بأنَّ الإنسانَ حُرٌّ يختار ما يشاءُ، وهي مقارنةٌ للعلمانيَّة(١) أو قريبةٌ منها.



(١) **العلمانيَّة**: هي فصل الدِّين عن شُؤون الحياةِ، وعزله في الضَّمير وفي الكنيسة، أو نبذ الدِّين كلّه.

لا تزالُ عصابةٌ مِن الأمَّة ظاهرين على الحق

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَزَالُ النَّاسُ فِي عِصَابَةٍ مِن أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ، يَهْدِيهِمُ اللهُ، وَيَهْدِي بِهِم غَيْرَهُمْ، وَيُحيي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمُ الَّذين وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مَعَ قِلَّتِهِمْ عِنْدَ الاخْتِلافِ، فَقَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾. فَاسْتَثْنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(١).

الشرح:

وأقولُ: هذه الفقرة خاصَّةٌ بوصف الطَّائفة المنصورة الَّتي أخبر الرَّسول ﷺ عنها بقوله: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ». رواه مسلمٌ وغيره(٢).

والَّتي جاءَتْ في قولِه في حديثِ الافتراق: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ

---

(١) أخرج مسلم (١٩٢٤) عن عُقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ».

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٧)، وأحمد (٤/ ١٠١) (١٦٩٧٤) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قال: «الجَمَاعَةُ»[١]، وفي روايةٍ: «هُمْ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي»[٢].

وليس أحدٌ من المِلِّيِّين - والمِلِّيُّون: أتباع المِلَّة المُحمديَّة - علىٰ مثل ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه إلَّا أصحاب الحديث وأتباع الأثر، وقرَّر أهل العلم من السَّلف بأنَّ الطَّائفةَ المنصورةَ هُم أصحابُ الحديث، وهم الَّذين يَنْجون مِن كلِّ فتنةٍ، ويُفنِّدون كلَّ شُبهةٍ، ويَردُّون كلَّ ضلالةٍ بما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وقال رسولُه ﷺ، وما قاله سلف الأُمَّة.

نسأل اللهَ أن يجعلنا منهم، وأنْ يُوفِّقنا لأعمالهم، وأنْ يحشرَنا في زُمرتِهم؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ. وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) عن عوف بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٦).

(٢) أخرجه التِّرمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

العلمُ ليس بكثرةِ الروايةِ والكتب

«وَاعْلَمْ أَنَّ العِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَالكُتُبِ، وَلَكِنَّ العَالِمَ مَنِ اتَّبَعَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ[١]، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ العِلْمِ وَالكُتُبِ، وَمَنْ خَالَفَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ[٢] وَالكُتُبِ».

الشرح:

وأقولُ: إنَّ العلم هو في كتابِ الله، وسُنَّة رسولِ الله ﷺ، وما خالفَ ذلك فهو جهلٌ وضلالةٌ وبدعٌ، فمَنْ زعم أنَّه على الحقِّ، وأنَّه على الطَّريق السَّويِّ المستقيم؛ فينظر في أقواله وأفعاله، وفي أمره ونهيه، هل هو مُتَّبعٌ للكتاب والسُّنَّة أو مُتَّبعٌ لغيرهما؟

فإنْ كان قَدْ خلط اتِّباع الكتاب والسُّنَّة بغيره، فإنَّه يُعَدُّ من أصحاب البدع، وإن كان كثيرَ التَّأليفِ وكثيرَ الرِّوايةِ.

والحقُّ هو اتباع الأثر، كما قال اللهُ جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وكما قال النَّبيُّ ﷺ في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبح ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «إنَّما العَالِم مَن اتَّبع العلم والسُّنن».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «وإن كان كثيرَ العلم والكُتب».

الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

وكقوله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[٢].

وكما جاء في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ للهِ أَبُوكَ! قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». رواه مسلم[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصحّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (٢٤٥٥).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خطورة القول في الدين بالرأي

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَقَدْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَالْحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ: مَا سَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالْجَمَاعَةُ: مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالْجَمَاعَةُ، فَلَجَ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ كُلِّهَا، وَاسْتَرَاحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي»، وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاجِيَ مِنْهَا، فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[1]، فَهَذَا هُوَ الشِّفَاءُ وَالْبَيَانُ وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ، وَالْمَنَارُ الْمُسْتَقِيمُ[2]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقِ»[3].

الشرح:

قولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَمْ أنَّ مَنْ قَالَ في دِينِ اللهِ برأيه وقِياسه، وتَأوّلَه مِن غير حُجَّةٍ مِن السُّنَّة والجماعةِ، فقَدْ قَالَ على اللهِ ما لم يَعلَم، ومَنْ قَالَ على اللهِ ما لا يَعلَم، فهو مِن المُتكلِّفين»:

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٣٤٨).

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «والمنار المستنير».

(٣) أخرجه الدارمي (١٤٤) موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَالْبِدَعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ».

أقولُ: لقدْ ذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ القول عليه بغير علمٍ، وجعله مساويًا للشّرك بالله عَزَّوَجَلَّ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالقولُ علىٰ الله هو القولُ في كتابه بغير علمٍ، والقولُ في شرعه بغير علمٍ هذا حرامٌ؛ فلا يجوز الكلام في الشّرع إلَّا مِنْ حَمَلة الشّرع الَّذين يَعرفُون كتابَ الله، ويعرفون دليلَ كلِّ مسألةٍ من المسائل الشّرعيّة.

قوله: «والحقُّ ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ، والسُّنَّة ما سَنَّهُ رسولُ اللهِ، والجماعةُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ في خِلَافَةِ أبي بَكْرٍ وعُمَر وعُثْمانَ»:

أقول: إنَّ ما قاله المُؤلِّف هو عين الصَّواب.

فالحقُّ: ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

والسُّنَّة: ما سَنَّه رسول الله ﷺ.

والجماعة: ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في عهد الخلفاء الرَّاشدين وما بعدهم، وإنَّ خلافة عليٍّ ومعاوية كانت علىٰ الحقِّ إلَّا مَنْ شذَّ، وكذلك الدِّين ما زال مستقيمًا، وإنْ شذَّ الشّواذُّ في الثّلاثة القرون[1] الَّتي انتهت بمئتين وعشرة هجريَّة، ثُمَّ دخل القرن الرَّابع، وبدأ الامتحان بالقول بخَلْق القرآن، إلَّا أنَّ السَّواد الأعظم وأهل الحديث ما زالوا علىٰ الحقِّ، وكذلك أهل الحديث الَّذين يَتَّبعون الأثر في كلِّ الأزمنة، فهُمْ علىٰ الحقِّ دائمًا كما أخبر النَّبيُّ ﷺ: «لا

(١) المقصود بالقرون هنا، قال شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا باعتبار أنَّ القرن هم الجماعة من النَّاس يشتركون في عصرٍ واحدٍ، وتحديده بسبعين سنة لحديث: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَٰلِكَ». [أخرجه التّرمذيُّ (٣٥٥٠)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٧٥٧)].

تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلهم أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ»[1]، وهذه الطَّائفة هي الَّتي أشار إليها النَّبيُّ ﷺ في حديث الافتراق بقوله: «هُمُ الجَمَاعَةُ»، أو: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي».



(١) أخرجه مسلمٌ (١٩٢٣) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فتلُ عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول الفُرقة في الأمَّة

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ العَتِيقَ: مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الفُرْقَةِ، وَأَوَّلَ الاخْتِلَافِ، فَتَحَارَبَتِ الأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتْ وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعَ وَالأَهْوَاءَ، وَالمَيْلَ إِلَىٰ الدُّنْيَا.

الشرح:

أقولُ: إنَّما وصف به المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدِّين العتيق - أي: القديم - بذلك؛ لأنَّه في هذا الزَّمن لم يكن اختلافٌ؛ أي: بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، وكانت الكلمةُ واحدةً، ولكن كان الشَّيطان حريصًا علىٰ التَّفريق، فانبعثَ ابنُ السَّوداء اليهوديُّ الخبيثُ يُشيعُ التَّفريقَ، ويتكلَّم في الخُلفاء، وبالأخصِّ في عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويزعم أنَّ الخلافة كانت لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنَّ أبا بكرٍ وعمرَ وعُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا مغتصبين لها.

وهو أوَّل مَنْ أشاع الوصاية لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبذر أوَّل بذور الخلاف بدعوته السِّريَّة، ونقده لعثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فيما يزعم - وأنَّه عمل وعمل، كقولهم إنَّه أتمَّ الصَّلاة بمنًىٰ، وقولهم إنَّه طرد أبا ذرٍّ من المدينة، وغير ذلك من الأمور الَّتي كان يَتَّكِئ عليها ابن السوداء عبد الله بن سبأ - عليه لعائن الله - من أجل أن يُبَغِّضَ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ النَّاس.

فاستجاب له مَنِ استجاب، وهم الخوارج؛ أي: أوَّل نشأةِ الخوارج، فتكالَبُوا، وجاءت فرقةٌ من مصر، وفرقةٌ من العراق، إلىٰ غير ذلك، فاجتمعوا في

المدينة، وكلَّمهم بعض الصَّحابة؛ منهم عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ خرجوا فسافروا يومين، ثمَّ رجعوا وزعمُوا أنَّهم وجدُوا كتابًا من عُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقتل محمَّد بن أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فحصروا عُثمان في داره حتَّىٰ أدَّىٰ بهم الأمر إلىٰ أنْ قتلُوه.

فالمؤلِّفُ وصف الزَّمن الَّذي سبق قتْلَ عُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان بعد وفاة رسول اللهِ ﷺ بأنَّه زمن الدِّين العتيق، وهذه الكلمة ربَّما يُؤخَذ علىٰ المُؤلِّف فيها ملحظٌ؛ لأنَّ الدِّين العتيق هو كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وهما باقيان، ولاشكَّ أنَّ هذا الزَّمن كان سليمًا من الاختلاف في الظَّاهر، ولكن أعداء الدِّين الأشرار بذرُوا بذورَ الخِلاف كما عرفْتَ.

فوصف الخلاف مع أنَّ الدِّين هو ما أخذ من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ من الاعتقادات والأحكام، وتلك قَدِ اسْتَقرَّتْ بمَوتِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فكان ينبغي أن يُعبِّر بعبارةٍ أخرىٰ بأَنْ يقول: إنَّ زمن الخلفاء الرَّاشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قبل وفاة عُثمان كان هو الزَّمن الَّذي اتَّفق فيه أهل الحلِّ والعقد علىٰ أحكام الدِّين، ولم يظهر فيه خلافٌ علىٰ السَّاحة الظَّاهرة؛ لأنَّ الدِّين الَّذي كان في ذلك الوقت هو الدِّينُ الَّذي كان بعدَه، هذا هو الأَوْلَىٰ.

ثُمَّ هناك أيضًا عليه ملحظٌ آخر في قوله: «**فَتَحَارَبَتْ الأُمَّة وافْتَرَقَتْ، واتَّبَعَتْ الهَوَىٰ وَالطَّمَعَ والمَيْلَ إِلَىٰ الدُّنْيا**».

والَّذي نعتقده: أنَّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الَّذين اشتركوا في هذه الفتنة كانوا مُرْغَمين علىٰ الاشتراك فيها، ولم يكن يَحْدُوهم إلىٰ ذلك طمعٌ ولا هوًىٰ، ولا رغبةٌ في الدُّنيا، ولكن اختلفت آراؤهم فيما يضمن المصلحة ويرأب الصَّدْع، ويجمع الكلمة بعد قتْل عُثمان، فأدَّىٰ ذلك إلىٰ الاختلاف، ثمَّ إلىٰ القتال.

فمعاوية يقول: لا أبايعُ حتَّىٰ يُخْرِج إليَّ عليٌّ قَتَلَةَ عثمان فأقتلُهم به ثُمَّ أُبايعُ، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا نستطيع أن نأخذ قَتَلة عثمان في الحالة الرَّاهنة، ولكن ينبغي لمعاوية أن يبايع، فإذا بايع معاويةُ، واجتمعَت الكلمة، عند ذلك نأخذ قَتَلة عثمان شيئًا بعد شيءٍ.

ومِن أجل هذا كان الافتراق، مع العلم أنَّ أصحابَ ابن سبأ حينما اجتمع عليٌّ والزُّبيرُ وطلحةُ وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكادوا يَتَّفقون، وكان بعضُهم في جيشِ عليٍّ، وبعضهم في جيش طلحة والزُّبير، فاتَّفقوا علىٰ أنَّهم يفتحون القتال في الصَّباح الباكر، وبدؤوا بالتَّرامي، وحصل القتال علىٰ غير رغبةٍ من خيار الصَّحابة، فهذا تبريرٌ لجانب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو الحقُّ.

أمَّا سائر النَّاس، فقد يكون منهم مَنْ هو منساقٌ بالطَّمع والهوىٰ، ومنهم مَنْ يريد جمع الكلمة ورأب الصَّدع، ولكن ذلك لا يحصل إلَّا من طريق القادة، فنسأل الله أن يغفر للشَّيخ البربهاري تَعْميمَه هذا.

وكان الأَوْلىٰ أن يُخرِج أصحابَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا التَّعميم؛ لأنَّ الصَّحابة الَّذين أثنىٰ الله عليهم ومدحهم في كتابه لا يمكن أن يكونوا مُتَّبعين للدُّنيا، ومُحبِّين للافتراق، ومُتأثِّرين بالطَّمع والهوىٰ؛ لأنَّ إيمانَهم أعلىٰ من ذلك بكثيرٍ، وبالله التَّوفيق.



خطورة البدع

وَلَيْسَ لأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَخَذَ[١]، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَىٰ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ[٢]، فَهُوَ كَمَنْ أَحْدَثَهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذَٰلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وَخَالَفَ الحَقَّ وَالجَمَاعَةَ، وَأَبَاحَ الهَوَىٰ[٣]، وَهُوَ أَشَرُّ[٤] عَلَىٰ هَٰذِهِ الأُمَّةِ مِن إِبْلِيسَ، وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ البِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وَمَا فَارَقُوا فِيهِ، فَتَمَسَّكَ بِه، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْ يُعَانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصَىٰ بِه رَسُولُ اللهِ ﷺ.

الشرح:

قَولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليسَ لأحَدٍ رُخْصَةٌ في شَيءٍ أَخَذَ، ممَّا لَمْ يكن عليه أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ»:

الدَّليلُ علىٰ ذلك: قولُ النَّبيِّ ﷺ عن الفِرقة النَّاجية حين سُئلَ عنها، فقالَ: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي»[٥].

ويظهر لي من قول المُؤلِّف هذا أنَّه لا يجوز لأحدٍ أنْ يأخذَ شَيئًا لم يكن

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «في شيءٍ أحدثه».

(٢) وفي نسخة الرَّداديّ: «أصحاب البدع».

(٣) وفي نسخة الرَّداديّ: «وأباح البدع».

(٤) وفي نسخة الرَّداديّ: «وهو أضرُّ».

(٥) سبق تخريجه.

عليه أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، وهذا رُبَّما يحتاج إلىٰ تفصيلٍ؛ فإذا كان الأمر الَّذي أَخَذَ به هذا الآخذ لم يكنْ له نَظيرٌ في عهد الصَّحابة، فاجتهد هذا الآخذ، وقاسَ علىٰ بعضِ ما كان في عهد الصَّحابةِ، فإنَّ هذا ينبغي أنْ يُقَال إنَّه جائزٌ - إنْ شاءَ اللهُ - إذا كان هذا القائسُ مُؤَهَّلًا للاجتهادِ، وعالمًا بما جرىٰ عليه الاتِّفاق والافتراق، وعالمًا بالنُّصوص الشَّرعيَّة، أمَّا ما عدا ذلك فينبغي للمجتهد فيه أن يتَّبع ما كان عليه أصحاب الرَّسول ﷺ.

وهناك مسألةٌ أخرىٰ، وهو أنَّ مَنِ اجتهدَ في نصٍّ، وقال فيه بقولٍ لم يقلْ فيه أحدٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ إلَّا أنَّه محتملٌ للصَّواب، موافقٌ لعمومات الكتاب والسُّنَّة وما جرىٰ عليه الصَّحابةُ، فهذا أيضًا قدْ يقال إنَّه قولٌ مقبولٌ - إن شاء الله - فيما أحسبُ، واللهُ أعلمُ.

وقوله: «**أَو يَكُون رَجُلٌ يدعُو إلىٰ شيءٍ أَحْدَثَه مَنْ قبلَه مِن أَهْلِ البِدَع، فَهُو كَمَنْ أَحْدَثَهُ، فَمَنْ زعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فقَدْ رَدَّ السُّنَّة، وَخَالفَ الحقَّ والجماعةَ، وَأَباحَ الهوَىٰ، وهُو أَشَرُّ علىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِن إبْلِيسَ**»:

وأقولُ: إنَّ مَنِ اتَّبع أهلَ الإحداث فهو محدثٌ، ومَنْ جارَىٰ أصحابَ البدع؛ - أي: تابعهم - فهو مُبتدعٌ، ومَنِ ابتدعَ في الدِّين، فقد ردَّ السُّنَّة، وخالَفَ الحقَّ؛ أي: ردَّ من السُّنَّة ما هو مخالفٌ لبدعتِه ومُبطلٌ لها، ومَنْ ردَّ بعضَ السُّنَّة فإنَّ عليه من الإثْمِ والوِزْرِ بقَدْرِ ما خالَفَ مِن الحقِّ، وأباح فيه الهوىٰ.

قَولُه: «**وَهُوَ أَشَرُّ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ إبْلِيسَ**» يعني: أنَّ إفسادَه قَدْ يكونُ مقبولًا عند كثيرٍ من النَّاس، فبسبب ذلك يَنطلي شرُّه؛ لأنَّه يمزج الحقَّ بالباطل، والسُّنَّةَ بالبدعةِ.

وأمَّا مَنْ فارق البدع لمعرفتِه للنُّصوص الَّتي تَرُدُّها، وتمسَّكَ بالنُّصوص، وترَكَ ما خالَفَها، فهذا ينبغي أنْ يُؤيَّدَ ويُعانَ ويُنصرَ؛ لأنَّ في نصره نصرًا للحقِّ، وتركه وخذلانه تركٌ لنُصرة الحقِّ، وعلىٰ مَنْ فعل ذلك من الإثْمِ ما عليه، وبالله التَّوفيق.



أصولُ البدع أربعةُ أبواب

وَاعْلَمْ أَنَّ أُصُولَ البِدَعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: يَتَشَعَّبُ[١] مِن هَذِهِ الأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى، ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ البِدَعِ يَتَشَعَّبُ حَتَّىٰ تَصِيرَ كُلُّها إِلَىٰ أَلْفَينِ وَثَمَان مِئَة ضَلالَة[٢]، وَكُلُّهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَةً: وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الكِتَابِ[٣]، وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فِي قَلْبِهِ وَلا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

الشرح:

المعروف أنَّ أصول البدع خمسٌ، هي:

١- بدعة الخوارج. ٢- بدعة الرَّفض.

٣- بدعة التَّجهُّم. ٤- بدعة الاعتزال.

٥- بدعة الإرجاء، هذه الخمسُ تَشعَّبَتْ منها البدع.

أمّا قولُه: «**أُصُولُ البدَع أربعةُ أَبوابٍ**»، فلا أدري ما وجه المُؤلِّف في ذلك إلَّا أنْ يكونَ بإسقَاطِ واحدةٍ من أُصُول البدع المذكورة[٤]، نسألُ اللهَ أنْ يُبصِّرنا

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «انشعَبَ من هذه الأربعة».

(٢) وفي نسخة الردادي بدلًا من ضلالة: «قالة»، و(ضلالة) أصح وأوضح في العبارة؛ لأنَّ القالة هي النَّميمة، كما في الحديث عند مُسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٢٦٠٦): «أَلا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، وإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ كَذَّابًا».

(٣) يقصد المؤلف بالكتاب: كلام الله (القرآن الكريم).

(٤) يظهر أنَّها بدعةُ الاعتزال؛ لأنَّها داخلةٌ في بدعة التَّجهُّم؛ لأنَّ كلًّا مِن الجهميَّة والمعتزلة ينكران الصِّفات لله تبارك وتعالى.

بالحقِّ، وأنْ يرزُقنا العملَ به، والمتابعة له.

أمّا قوله: «**كلُّها في النَّار إلَّا واحدةً، وَهِيَ مَنْ آمَنَ بما في الكِتَاب واعْتَقَدَه مِنْ غَيرِ رِيبةٍ فِي قَلبه، ولا شُكُوكٍ، وهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وهُوَ النَّاجِي إنْ شَاءَ اللهُ**»:

وأقولُ: إنَّ الإيمانَ بما في الكتاب لابدَّ أنْ يكون معه الإيمانُ بما في السُّنَّة، وإلَّا فإنَّ إيمانَ مَنْ آمن بالقُرآن، ولم يُؤمن بالسُّنَّة كالخوارج يُعتَبر زائغًا.

وكانَ الحَقُّ أن يقولَ المؤلِّف: «وهو مَنْ آمن بما في الكتاب والسُّنَّة، وعَمِلَ بما كان عليه الصَّحابة، واعتقدَه في قلبه، فهو النَّاجي». لأنَّ مَنْ لم يؤمن بالسُّنَّة عمومًا، أو مَنْ لم يؤمن إلَّا بالمتواتر، ولم يُؤمِن بالآحاد كالعَقلانيِّين أصحاب المذهب الاعتزاليِّ، هؤلاء ضلالٌ، نسألُ اللهَ العافية مِن مَسلكِهم، وبالله التَّوفيق.



منشأ الخطأ والمخالفة

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا بِشَيْءٍ، وَلَمْ يُوَلِّدُوا كَلامًا مِمَّا لَمْ يَجِئْ[1] فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا عَنْ أَصْحَابِهِ - لَمْ تَكُنْ بِدْعَةً.

الشرح:

وأقول: إنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مُسلمٍ واجه أمرًا لا يعرف ما موقفه فيه؛ فإنَّه يجبُ عليه إنْ كان طالبَ علمٍ أن يرجع إلىٰ كتاب اللهِ وسُنَّة رسوله ﷺ وأقوال الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم مِن أهل العلم.

فإنْ وَجد لتلك المسألة حلًّا في كتاب الله، أو في صحيح سُنَّة رسول الله ﷺ أَخذ به، وإنْ لم يجد استشارَ مَنْ هو أكثرُ منه علمًا، فإنْ وجدَ عنده حلًّا فذاك، وإلَّا توقَّف حتَّىٰ يجدَ حلًّا لتلك المسألة.

أمَّا إذا لم يكن مِن طُلَّاب العلم، بل كان مِن العامَّة، فإنَّ الواجب عليه أنْ يسأل أهل العلم، ويعمل بما دلُّوه عليه؛ لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وإنَّما يأتي الخطأ والمخالفة من أمرَين:

١- أن يكون عنده جهلٌ مُركَّبٌ، فيظنُّ أنَّ عنده علمًا، وليس كذلك.

---

(١) قالَ شيخُنا أحمد النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصَّواب: ولم يوجد فيه أثرٌ عَن رَسول الله ﷺ».

٢- أن يغترّ بأهل أصحاب البدع، ويُوقعه ذلك التحمّس في البدعة، ويكون هذا سببًا للوقوع في البدع.

وفّق الله المسلمين للرجوع إلى كتابه وسنّة رسوله ﷺ، وبالله التوفيق.



التحذير من الغلو في الدين

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا؛ إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلَامِ اللهِ، أَوْ يَنْقُصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاتَّقِ اللهَ[1]، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الحَقِّ فِي شَيْءٍ.

الشرح:

أقول: يكون العبد مسلمًا إذا أقرَّ بأركان الإسلام بأنْ استيقنها بقلبه، وأقرَّ بذلك بلسانه، وعمل ذلك بجوارحه، ويكون مؤمنًا إذا أقرَّ بأركان الإيمان، وعمل على ضوئها، راجيًا ثواب الله عَزَّوَجَلَّ، وخائفًا من عقابه، ثمَّ إنَّه قد يصيرُ كافرًا إذا جَحَد شيئًا ممَّا أنزلَ الله، أو جحد حكمًا مُجمعًا عليه، وأنكرَه، فإنَّه في هذه الصُّورة يكون قد ارتدَّ عن الإسلام.

أمَّا إنْ عمل بذلك الشَّيء وهو مُقرٌّ بوجوبه، كأنْ يعملَ مُحرَّمًا وهو مقرٌّ بحرمته؛ كالرِّبا والزِّنا وشرب الخمر وما أشبه ذلك، فإنَّه لا يخرج عن الإسلام، بل يكون مُسلمًا فاسقًا.

أمَّا إذا جحد فرضًا مُجمعًا على فرضيَّته؛ كالصَّلاة، والزَّكاة، وصوم رمضان، وما أشبه ذلك، فهو إذا فعل ذلك؛ كفر، لكن إذا ترك هذا المفروض وهو

---

(١) وفي نُسخة الزّدادي: «فاتَّقِ الله رحمك الله».

معترفٌ بأنَّه فرضٌ وواجبٌ عليه وعلىٰ غيره، فإنَّه لا يَكْفر إلَّا فيما نَصَّت النُّصوص الشَّرعيَّة علىٰ أنَّ تَرْكه كفرٌ؛ كالصَّلوات الخمس.

أمَّا ما عدا ذلك؛ فإنَّه لا يكفر بتركه إلَّا إذا صحبه الجحدُ، وعدمُ الإقرار بالوجوبِ أو الحُرمةِ، ومَنْ كان مقرًّا بالوجوب العينيِّ أو الكفائيِّ، ولكنَّه ترك هذا الواجب تكاسُلًا، فإنَّه لا يكفُر بذلك، كما أنَّه لا يكفُر بفعل المُحرَّم إلَّا إذا صحبه الجحودُ.

والدَّليل علىٰ ذلك: من حديث أبي هريرة قال: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْربُهُ بنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ». رواه البخاريُّ(١)؛ فسمَّاه (أخًا) مع شربه للخمر.

وَقَدْ أجمعَ أهلُ السُّنَّة والجماعة أنَّ ارتكاب الكبائر لا يَترتَّب عليه كفرٌ إلَّا إذا صحبَه جحودٌ، وَقَدْ ذهبتْ الخوارج إلىٰ كُفر مَنْ ترَك فرضًا، أو فَعَل مُحرَّمًا ولو لم يجحَدْ، وحكمُوا عليه بالتَّخليد في النَّار، وذهبَتْ المعتزلةُ أيضًا إلىٰ أنَّه بذلك يكون في مَنزلةٍ بين المنزلتَين الَّتي هي الكفر والإيمان، وحكمُوا بتخليده أيضًا في النَّار.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة، فإنَّهم يعتقدون جميعًا أنَّ الكبائرَ لا تُوجِب كفرًا، وأنَّ صاحبَها يكون فاسقًا مِلِّيًّا، وهو في الآخرة تحت مشيئةِ الله، إنْ شاء عفَا عنه وأدخله الجنَّة بدون عذابٍ، وإنْ شاء عذَّبه في النَّار بقدر جنايته، ثمَّ تكون نهايتُه الجنَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

وَقَدْ حذَّر المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الغُلُوِّ؛ لأنَّ الغُلوَّ سببٌ في الوقوع في مثل هذه المآزق، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]، ونحنُ مُخاطَبون بما خاطبَ الله به أهل الكتاب، وبالله التَّوفيق.



وصيةٌ نافعةٌ جامعةٌ

وَجَمِيعُ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الكِتَابِ فَهُوَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ القَرْنِ الثَّالِثِ إِلَىٰ القَرْنِ الرَّابِعِ، فَاتَّقِ اللهَ يَا عَبْدَ اللهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا الكِتَابِ، وَلا تَكْتُمْ هَذَا الكِتَابَ أَحَدًا مِن أَهْلِ القِبْلَةِ، فَعَسَىٰ يَرُدُّ اللهُ بِهِ حَيْرَانَ عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًا عَنْ ضَلالَتِهِ، فَيَنْجُو بِهِ.

فَاتَّقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بِالأَمْرِ الأَوَّلِ العَتِيقِ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الكِتَابِ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا، وَرَحِمَ وَالِدَيْهِ، قَرَأَ هَذَا الكِتَابَ، وَبَثَّهُ، وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ، فَإِنَّهُ دِينُ اللهِ، وَدِينُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَحَلَّ شَيْئًا خِلافَ مَا فِي هَذَا الكِتَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَدِينُ للهِ بِدِينٍ، وَقَدْ رَدَّهُ كُلَّهُ؛ كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ، فَقَدْ شَكَّ[(١)] فِي جَمِيعِ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَهُوَ كَافِرٌ.

كَمَا أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لا تُقْبَلُ مِن صَاحِبِهَا إِلَّا بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَخَالِصِ اليَقِينِ؛ كَذَلِكَ لا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ، وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ كُلَّهَا[(٢)]، فَعَلَيْكَ بِالقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ المُمَاحَلَةَ وَاللَّجَاجَةَ[(٣)]، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِن دِينِ اللهِ فِي شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ -خَاصَّةً- زَمَانُ سُوءٍ، فَاتَّقِ اللهَ.

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «فقدْ ردَّ».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «ومن ترك من السُّنَّة شيئًا فقد ترك السُّنَّة كلها».

(٣) وفي نسخة الرَّدادي: «ودع عنك المحك واللَّجاجة».

الشرح:

وأقولُ: رحم اللهُ الشَّيخَ، وغفَر لي وله ولكلِّ قارئٍ قرأ كتابه، إنَّ هذه مبالغةٌ يغفر اللهُ للمُؤلِّف فيها؛ فإنَّ الله لم يوجب الإيمانَ بكتابٍ؛ أي: بكلِّ ما في ذلك الكتاب إلَّا كتابه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وحتَّىٰ سُنَّةَ النَّبيِّ ﷺ لا يجبُ الإيمانُ إلَّا بما صحَّ منها، وثبت عن رسول الله ﷺ، وليس يجبُ الإيمانُ بكلِّ ما نُسب إلىٰ رسول الله ﷺ؛ لأنَّه ليس كلُّ ما نسب إليه يكون صحيحًا عنه صلوات الله وسلامُه عليه؛ ولهذا قال ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[1].

وإنَّ قول المُؤلِّف: «فإنَّه مَنِ استحلَّ شَيْئًا خِلَافًا لما في هذا الكتاب؛ فإنَّه ليس يَدِين الله بدينٍ، وَقَدْ ردَّه كلَّه»:

هذه المبالغة لا يُوافِقه عليها الرَّاسخون مِن أهل العلم، فإنَّه لا يستطيعُ أنْ يضمن بأنَّ كلَّ ما في كتابه حقٌّ، فقد يلتبس علىٰ العبد الحقُّ بالباطل، وَقَدْ يظنُّ الإنسان - ولو كان عالمًا جليلًا ومجتهدًا بارعًا - أنَّ ذلك الشَّيء حقٌّ وهو باطلٌ، أو فيه شيءٌ من الباطل أنَّه حقٌّ.

وإنَّ هذه المبالغة كان ينبغي للمُؤلِّف ألَّا يقولها، وكلٌّ يُؤخَذ من قَولِه ويردُّ إلَّا رسول الله ﷺ، وكلٌّ يجوز عليه الخطأ إلَّا مَنْ لا ينطق عن الهوىٰ، والحقُّ غالبًا يكون بين الإفراط والتَّفريط، والغلوِّ والتَّقصير، رحم الله أبا محمَّد الحسنَ بنَ عليٍّ البربهاريَّ.

أمَّا القُرآن فإنَّه كلَّه حقٌّ، ومَنْ شكَّ في كلمةٍ من كلماته، أو في حَرفٍ مِن

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

حُروفه، ولم يعتقد صِحَّتها؛ فإنَّه يكفر إذا كان هذا الحرف مُتَّفقًا عليه في القراءات السَّبع[(١)].

وأمَّا قوله: «كَمَا أَنَّ شهادةَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ لا تُقبَلُ مِن صَاحبِها إلَّا بصِدْقِ النيَّة، وخالص اليقين»:

وأقول: لا شكَّ أنَّ شهادة أنْ لا إله إلَّا الله لا تُقبل مِن صاحبها إلَّا إذا اجتمعَتْ فيها الشُّروط، وهذه ثلاثة شروطٍ، وهي: الصِّدق والإخلاص واليقين[(٢)]، ذلك لأنَّ

(١) قال ﷺ: «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» [البخاري (٤٩٩٢)]، والمقصود بـ «سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» أي: لغات مِن لغات العرب ولهجاتها، وعلىٰ رأسها لغة قُريش، وليس المقصودُ بها القراءات الَّتي تهتمُّ بكيفيَّة النُّطق بالكلمة حركةً وسُكونًا، ومَدًّا وقَصْرًا.

(٢) وأيضًا من شروط «لا إله إلَّا الله»: العلم بمعناها، والقَبول، والانقياد، والمحبَّة، وقد جمع هذه الشُّروط السَّبعة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: في منظومته «سلَّم الوُصول» ثمَّ قام بشرحها في كتابه «معارج القبول بشرح سلَّم الوصول» في (٢/ ٤١٨):

وبِشُـــرُوطٍ سَبْعَـــةٍ قَــدْ قُيِّــدَتْ ... وَفِي نُصُــوصِ الـــوَحْيِ حَقًّـــا وَرَدَتْ

فَإِنَّــــهُ لَـــمْ يَنْتَفِـــعْ قَائِلُهَـــا ... بِـــالنُّطْقِ إِلَّا حَيْـــثُ يَسْـــتَكْمِلُهَا

العِلْـــمُ وَاليَقِـــينُ وَالقَبُـــولُ ... وَالانْقِيَـــادُ فَـــادْرِ مَـــا أَقُـــولُ

وَالصِّـــدْقُ وَالإِخْـــلَاصُ وَالمحَبَّـــهْ ... وَفَّقَـــكَ اللهُ لِمَـــا أَحَبَّـــهْ

ثم ذكر العلماء - رحمهم الله - شرطًا ثامنًا من شروط «لا إله إلَّا الله» وهو الكفر بما يُعبَد من دون الله، واستدلُّوا بقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ» رواه مسلم (٢٣) من حديث أبي مالك الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد جمعت هذه الشروط الثمانية في بيتين قيل فيهما:

عِلْـمٌ يَقِـينٌ وَإِخْـلَاصٌ وَصِـدْقُكَ مَـعْ ... مَحَبَّـــةٍ وَانْقِيَـــادٍ وَالقَبُـــولُ لَهَـــا

وَزِيـدَ ثَامِنُهَـا الكُفْـرَانُ مِنْـكَ بِمَـا ... سِـوَىٰ الإِلَـهِ مِـنَ الأَوْثَـانِ قَـدْ أُلِهَـا

مَنْ ترك شيئًا من هذه الشُّروط، بطلت شهادتُهُ لفقدِ واحدٍ منها.

أَمَّا قوله: «ومَنْ خَالَفَ ورَدَّ من السُّنَّة شيئًا؛ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ كُلَّهَا»:

فهذا القول فيه تفصيلٌ: فإِنْ كان ردَّ شَيئًا مِن السُّنَّة لتأويلٍ، أو ردَّ شيئًا شكَّ في ثُبوته، فهذا لا يكفر، وإِنَّما يكفر مَنْ ردَّ شيئًا مُجمعًا عليه من السُّنَّة بغير تأويلٍ.

قَولُه: «فَعَليكَ بالقَبُولِ، ودَعْ عَنْكَ المماحلة واللَّجاجة»: الممحالة: هي المجادلة في الحقِّ. واللجاجة هي: كثرة الكلام.

قَولُه: «فإنَّه لَيْسَ مِن دِين اللهِ في شَيءٍ»: يعني أنَّ الحقَّ يكون في غير اللَّجاجة والمجادلة إذا كانت بالباطل، ونصرةً له.

قوله: «وَزَمَانُكَ خَاصَّةً زمان سُوءٍ»:

وأقول: إذا كان هذا في القرن الرَّابع الهجريِّ فكيف في زمننا، والَّذي يجب علىٰ المسلم التَّسليم لكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ بدون مجادلةٍ فيها، ومماطلةٍ لإبطال معانيها.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْه، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»**. مُتَّفقٌ عليه(١)، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التحذير من القتال في الفتنة

فَإِذَا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ، فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفِرَّ مِن جِوارِ الفِتْنَةِ، وَإِيَّاكَ وَالعَصَبِيَّةَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِن قِتَالٍ بَيْنَ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ، فَاتَّقِ اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا تَخْرُجْ فِيهَا، وَلا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلا تَهْوَىٰ، وَلا تُشَايِعْ، وَلا تُمَايِلْ، وَلا تُحِبَّ شَيْئًا مِن أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالَ قَوْمٍ - خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا - كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَه.

الشرح:

أقولُ: هنا حثٌّ من المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على لُزوم الإنسان بيتَه عند الفتنة أخذًا بحديث محمَّد بن مسلمة، وغيره من الأحاديث؛ مثل حديث عُقبة بن عامرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ»**. رواه الإمام أحمد والتِّرمذيُّ، وقال عنه: «حديثٌ حسنٌ»[(١)].

وفي ذلك التَّحذير من مُقارفة الفتنة، وإعانة أهلها أو الاشتراك فيها، أو الرِّضا بعمل مَنْ يُحرِّكها ويُثيرُها؛ حتَّىٰ لقد أمر النَّبيُّ ﷺ مَنْ أدركها أن يكفَّ يدَه، ويلزم بيته، حتَّىٰ قال: **«إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَىٰ وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**. رواه أبو

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥٩) (٢٢٢٨٩)، والتِّرمذيُّ (٢٤٠٦)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٨٩٠).

داود، وأحمد، وابن ماجه واللَّفظُ له[(١)].

ومن الآثار المأثورة عن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ مُشْتبهاتٌ؛ فَعَلَيْكُمْ بالتُّؤَدَةِ؛ فَإِنَّكَ أنْ تَكُونَ تَابِعًا في الخَيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا في الشَّرِّ»[(٢)].



(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٣) (٢١٤٨٣)، وأبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨) واللَّفظُ له، مِن حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٣١٩٧)، وفي «الإرواء» (٢٤٥١).

(٢) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (١/ ٣٢٨) (١٧٦).

التحذيرُ من التنجيم

وَأَقِلَّ مِنَ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ، إِلَّا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، وَالْهَ عَمَّا سِوَىٰ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الزَّنْدَقَةِ.

الشرح:

أقول: النَّظَر في النُّجوم وتَعلُّم علم النُّجوم ينقسمُ إلىٰ قسمَين:

١- علم تسيير: وهو العلم الَّذي تُعرَف به المنازلُ، وأوقات الزِّراعةِ، وما أشبهَ ذلك، فهذا جائزٌ.

٢- علم التَّأثير: وهو ما يقوله المُنجِّمون من أنَّ النُّجوم لها تأثيرٌ في وقائع الأرض، وما يحوي ذلك من كتبٍ مُضلَّةٍ كـ (شمس المعارف، وأبي المعشر الفلكي) وغير ذلك، الَّتي يقول مُؤلِّفُوها: مَنْ تزوَّج في ليلة كذا عند اقتران القمر بكذا، حصل له كذا، ومَنْ سافر في ليلة كذا، حصل له كذا، وهذا فيه الكفر والشِّرك الأكبر؛ إذ إنَّه ممزوجٌ بالطَّلاسم والاستغاثة بالجنِّ.

وكلُّ ذلك شركٌ وكفرٌ، وتَحكُّمٌ في عِلمِ الغَيبِ، وعلمُ الغيب لله وحدَه، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وَقدْ جاء في الأثر عن قتادةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]: «خلقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ

أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». رواه البخاريُّ (١).

وأقول: إنَّ علم الغيب والتَّأثير في الكون وتقدير وقائعه قَدْ كتبها الله في اللَّوح المحفوظ، وأخبر بأنَّ علم الغيب إليه وحدَه، وأنَّ مقادير هذا الكون هي مُقدَّرةٌ بإرادته تعالىٰ، فمَنْ زعم أنَّ النُّجومَ لها تأثيرٌ في حياة النَّاس؛ فقد خرَج من الإسلام، وكَفَر كُفرًا يُحتِّمُ عليه الخلودَ في النَّار، وحرمانَ الجنَّةِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فالواجب علىٰ المسلم: أنْ يكونَ مُتَّبعًا لما جاء به النَّبيُّ ﷺ، مُؤمنًا بأنَّ التَّصرُّف في الكون لله ربِّ العالمين دون سواه، وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤/ ١٠٧) مُعلَّقًا بصيغة الجزم. ووصلَه: الطَّبريُّ في «التَّفسير» (١٤/ ١٩٣) و(٢٣/ ١٢٣ هجر)، وابنُ أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٩١٣)، وأبو الشَّيخ في «العظَمة» (٤/ ١٢٢٦)، والخطيبُ البغداديُّ في «القول في علم النُّجوم» كما في «مُختصره» (ص١٨٥ دار أطلس)، وعبدُ بنُ حُميد؛ وعن هذين الأخيرَين الحافظُ ابنُ حجر في «تغليق التَّعليق» (٣/ ٤٨٩). والأثرُ صحيحٌ.

التحذير من علم الكلام، والدَّعوة إلى التمسُّك بالآثار

وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الكَلَامِ، وَالجُلُوسَ إِلَىٰ أَصْحَابِ الكَلَامِ، وعَلَيْكَ بِالآثَارِ وَأَهْلِ الآثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ.

الشرح:

أقولُ: قد وردَ عن السَّلف - رحمهم الله - التَّحذيرُ من الكلام؛ مِنْ تَعلُّمِه وتعليمِه والنَّظر فيه.

والكلام: وهو علم المنطق المأخوذ عن الفلاسفة، لهذا جاء عن الشَّافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «حُكمِي في أَهْل الكَلَام أَنْ يُضربُوا بالجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بهم في العَشَائِرِ وَالقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الكَلَامِ»[(١)].

وكَمْ نَدِمَ الَّذين اشتغلوا فيه، وأَمْضوا أعمارهم في النَّظَر في الكتب الَّتي تَعجُّ بالكلام والمنطق، ندموا عند الموت، وتَحسَّروا حين لا ينفع التَّحسُّر؛ فقال بعضهم: ليتني أموتُ علىٰ دين العجائز[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٩/ ١١٦)، والبيهقيُّ في «المناقب» (١/ ٤٦٢)، والخطيبُ في «شرَف أصحاب الحديث» (ص٧٨ أوغلي)، وابنُ عبد البرِّ في «الانتقاءِ» (ص٨٠) وفي «الجامع» (٢/ ٩٤١رقم١٧٩٤)، والهروي في «ذمّ الكلام وأهله» (٤/ ٢٩٤ - ٢٩٥الأنصاريّ).

(٢) لقدْ مرَّ معنا الحديث عن نحو ذلك من العبارات التي رجع فيها بعضُ الَّذين تأثَّروا بعلم الكلام إلىٰ منهج أهل السُّنَّة.

ولقد أفتىٰ ابنُ الصَّلاح وكثيرٌ من العلماء بتحريمه، والنَّظَر فيه[1]، وبالله التَّوفيق.



(١) انظر: «فتاوىٰ ابن الصلاح» (ص ٢٠٩ فما بعدها) ط/ مكتبة العُلوم والحِكم، وقد نقل الشَّيخُ الرَّداديُّ نقولاتٍ عن السَّلف فيها ذمُّ تعلُّم علم الكلام ومجالسة أهله (ص١١٠) من تحقيقه لمتن البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممَّا يدلُّ ذلك علىٰ تحريم تَعلُّمه، فنقل: قولَ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَأَنْ يُبْتَلَىٰ الْعَبْدُ بِكُلِّ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مَا عَدَا الشِّرْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي عِلْمِ الكَلَامِ». أخرجه ابن أبي حاتم في «مناقب الشَّافعيِّ» (ص١٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١١)، وابنُ عبد البر في «الانتقاء» (ص٧٨).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا، عُلَمَاءُ الكَلَامِ زَنَادِقَةٌ». أخرجه ابنُ الجوزيِّ في «مناقب أحمد» (ص٢٠٤) ط/ التُّركي.

وقال الإمامُ أحمدُ أَيضًا: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الكَلَامِ وَإِنْ ذَبُّوا عَنِ السُّنَّةِ». أخرجه ابنُ بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (٣/ ٤٢١)، وابنُ الجوزيِّ في «المناقب» (ص٢٠٤، ٢٠٥)، وأورده ابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٣٤). اهـ.

أهمِّيَّةُ الخوف مِن الله

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الخَوْفِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَطَرِيق الخَوْفِ[1] والحَذَرِ وَالشَّفَقَاتِ وَالحَيَاءِ مِنَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَاحْذَرْ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَىٰ الشَّوْقِ وَالمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ وَطَرِيقِ المَذْهَبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ.

الشرح:

وأقولُ: إنَّ هذا المقطعَ في هذه الفقرةِ تعريضٌ بالصُّوفيَّة، وتحذيرٌ منهم ومن أعمالهم السَّيِّئة، وسُلوكيَّاتهم الضَّالَّة، ومذاهبهم المأفونة؛ فإنَّ أقوالهم وأعمالهم كلَّها ضلالٌ ورجسٌ وفسادٌ؛ وحدةُ وجودٍ، وعشقٌ كاذبٌ، ومقالاتٌ كاسدةٌ فاسدةٌ، تناقلها بعضُهم عن بعضٍ.

فليس هناك أضلُّ مِمَّن شَبَّه ربَّه بمنكوحةٍ، كما يُقرِّر ذلك ابن عربيٍّ عليه لعائن الله[2].

وإنَّ مَنْ يذكرون العشقَ في محبَّة الله إنَّما ذلك الشَّيطان يَتَجارىٰ بهم في الكفر، ويُوقِعهم في أوحال الضَّلال الَّذي ليس بعده ضلالٌ، ولا يُشْبِهُهُ ضلالٌ؛

---

(١) وفي نسخة الردادي: «وطريق الخوف والحزن».

(٢) انظر كتاب: «مصرع التَّصوُّف» أو «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» للعلَّامة الشَّيخ برهان الدين البقاعي (ص١٣١).

فَمَنْ جعَلَ اللهُ هو الصَّخرة الصَّمَّاء، والبهيمة العجماء، والأرض الموطوءة، والحلقة المُلْقَاة، فكفرُهُ أشدُّ مِن كفرِ الملحدِ الَّذي لا يعترف بالله، ولا يؤمن بوجوده، نسأَلُ اللهَ أنْ يعصمَنا ممَّا وقعوا فيه، وأَنْ يُعِيذَنا مِن شَرِّ مقالاتهم الخبيثة، وبالله التَّوفيق.



الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تعالَىٰ دَعَا الخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَمَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ بِالإِسْلامِ تَفَضُّلًا مِنْهُ.

الشرح:

قولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**واعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ دَعَا الخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ**»:

يُشيرُ بهذا إلىٰ قَولِه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١، ٢].

ثمَّ بعد أن دعا الله النَّاس جميعًا إلىٰ دينِه وعبادتِه، اختصَّ مَنْ شاء منهم بالهداية إلىٰ هذا الدِّين تفضُّلًا منه ومنًّا، فهدىٰ مَنْ شاء بفضله، وأضلَّ مَنْ شاءَ بعدلِه.

وقال جلَّ من قائل: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧].

وَقَدْ قام هؤلاء الَّذين اخْتصَّهم بالهداية بما أوجبَ اللهُ عليهم من العبادة

المَبنيَّة على التَّوحيدِ.

وقال لإمامِهم وقدوتِهم مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

فالحمدُ لله الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللهُ، وبالله التَّوفيق.



الكفُّ عمَّا وقع بين الأصحاب الكرام

وَالكَفُّ عَنْ حَرْبِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ - رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ - وَمَنْ كَانَ مَعَهُم لا تُخَاصِمِ فِيهِم، وَكِلْ أَمْرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ - تَبارَكَ وَتَعالَىٰ - فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُم وَذِكْرَ أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي»[1]. وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2].

الشرح:

وأقولُ: إنَّ اللَّفظ المشهور الَّذي أعرفه، وإن كان هناك ألفاظٌ في النَّهي عن ذِكْر أصحاب رسول الله ﷺ بما لا ينبغي، فيه ألفاظٌ مُتعدِّدةٌ كلُّها يفيدُ هذا المعنىٰ؛ أي: يُفيدُ النَّهيَ عن سبِّ أصحابه، منها قوله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**». مُتَّفقٌ عليه[3].

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (٦/ ١٠٤) (٥٦٤٠) بلفظ: «أَيُّهَا النَّاسُ، احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي، لا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ بِمَظْلَمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ»، وأورده الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الضَّعيفة» (٢١٠٤) بلفظ: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي، فَمَنْ حَفِظَنِي فِيهِمْ، حَفِظَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ لَم يَحْفَظْنِي فِيهِم؛ تَخَلَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ تَخَلَّىٰ اللهُ عَنْهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَأْخُذَهُ»، وقال: «موضوعٌ».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٩٨٣)، ومسلمٌ (٢٤٩٤) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣) مِن حديث أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ونقل المُعلِّق على النُّسخة المطبوعة: «اللهَ اللهَ في أَصْحَابِي، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ تَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

أشار المُعلِّق[١] إلى أنَّه أخرجه أحمد (٥/ ٥٤ - ٥٧)، والتِّرمذيُّ في المناقب حديث رقم (٣٨٦١) وحَسَّنهُ، وابنُ حِبَّان في (الموارد) رقم (٢٢٨٤) غير أنَّ الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضَعَّفَ رواية التِّرمذيِّ. انظر «ضعيف الجامع» رقم (١٢٥٩).

وأقولُ: إنَّ تحريمَ الكلام في أصحاب رسول الله ﷺ مُجْمَعٌ عليه بين أهل السُّنَّة والجماعة، ونصوص الكتاب والسُّنَّة تُؤيِّدُ هذا الإجماع كما في الآيات من آخر سورة (براءة): ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨].

وقوله في آخر سورة (الفتح): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

والآيات في سورة (الحشر)[٢].

ومن السُّنَّة قوله ﷺ لعمر بن الخطاب في قِصَّة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

---

(١) أي: القحطانيّ.

(٢) وهي ما جاء في الآية (٨) وما بعدها، وهي قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾.

«وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[1]، وبالله التَّوفيق.

ملحوظةٌ: إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة مُتَّفقون[2] علىٰ عدم جواز الخوض فيما جرىٰ بين أصحاب رسول الله ﷺ من حروبٍ ودماءٍ وغير ذلك، وإنَّ الَّذي ينبغي للمسلم أنْ يَعذرَهم، ويحملهم علىٰ أنَّهم كلَّهم مجتهدون، فمَنْ أصاب منهم فله أجران، ومَنْ أخطأ فله أجرٌ واحدٌ.

كما أنَّ أهل السُّنَّة اتَّفقُوا علىٰ أنَّه لا يَتكلَّم فيهم إلَّا ضالٌّ، ومَنْ وُجِدَ منه كلامٌ في حقِّهم، فهو دليلٌ علىٰ ضلاله، فالرَّافضة والخوارج والمعتزلة وأمثالهم كلُّ هؤلاء مذاهبُهم مَبنيَّةٌ علىٰ ضلالٍ، وَقَدْ قالَ قائلُ أهل السُّنَّة[3]:

وَمَا جَرَىٰ بَيْنَ الصِّحَابِ نَسْكُتُ عَنْـهُ وَأَجْـرَ الاجْتِهَـادِ نُثْبِـتُ

وَقَدْ ظهرتْ في زمننا هذا أشرطةٌ تروي ما جرىٰ بين الصَّحابة بدون احترامٍ لهم ولا تنبيهٍ علىٰ أنَّ ما جرىٰ بينهم لا يُنْشَر، بل يكون قَيْد الكِتْمانِ، وَقَدْ تصدَّر في هذا المجال رجلٌ يُقال له: طارق السُّويدان، فردَّ عليه العالم الجليل الشَّيخ السَّلفيُّ أحمد بن عبد العزيز التُّويجري بعد تَتبُّع أخطائه، والتَّنبيه عليها في كتابٍ سمَّاه: «الإيضاحُ والبيانُ في أخطاء طارق السُّويدان»؛ فجزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وكثَّر الله من أمثاله، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤٨٩٠)، ومسلمٌ (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الإقناع» لابن القطَّان (١/ ٥٩)، و«العقيدة الواسطيَّة» لابن تيمية (ص ١٢٠).

(٣) وهو الإمام أحمد بن رسلان الشَّافعي في منظومته المعروفة بـ «الزّبد».

لا يَحلُّ مالُ مُسلم إلَّا عن طِيب نفسٍ منهُ

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلم إِلَّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّهُ عَسَىٰ أَنْ يَتُوبَ هَذَا، فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَىٰ أَرْبَابِهِ، فَأَخَذْتَ حَرَامًا.

الشرح:

أقولُ: حُرْمة مال المسلم أمرٌ مُسلَّمٌ به، مُجْمَعٌ عليه، تطابقتْ عليه نصوصُ الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقَالَ النَّبيُّ ﷺ في خُطبة يوم عرفة: «أَلا تَدْرُونَ أَيُّ يومٍ هَذَا؟».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: حَتَّىٰ ظَنَّنا أَنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ.

فَقَالَ: «أَلَيْسَ بيوم النَّحْرِ؟». قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا، أَلَيْسَتْ بالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟». قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟». قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغَائِبَ؛ فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ يُبَلِّغُه لمَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[1].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٠٧٨)، ومسلمٌ (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِنْ كَانَ مع رجلٍ مالٌ حرامٌ فقد ضمنه»؛ أي: ذلك الرَّجل الَّذي أخذ المال الحرام قَدْ ضمنه.

وقوله: «لا يَحلُّ لأحدٍ أَنْ يَأخذَ منه شَيئًا إِلَّا بإذنِه؛ فإنَّه عسىٰ أنْ يتوبَ هذَا فيريد أنْ يَردَّه علىٰ أربابه فأخذتَ حرامًا»:

يعني: فلا يَتمكَّن، وأنت تعتبر قَدْ أخذت حرامًا، ومعنىٰ ذلك:

١- أنَّك تشارك صاحبه في الحرمة.

٢- أنَّك تكون مثله عندما تأخذ المال الحرام، فتصبح لا تبالي.

٣- أنَّك تكون قَدْ أضعتَ عليه الفُرصة فيما إذا كان يريدُ أنْ يتوبَ منه، حيثُ يريدُ أنْ يَردَّ ذلك المالَ فلا يجده، فتكون قَدْ جَنيْتَ عليه، وأضعتَ عليه الفُرصة؛ لذلك فإنَّ الواجبَ عليك ألَّا تفعلَ.



الحرصُ على كسب الحلال

وَالمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا يَأْخُذُ مِنَ الفَاسِدِ مُمْسَكَةَ نَفْسِهِ، وَلا تَقُولُ: أَتْرُكُ المَكَاسِبَ[١]، وآخُذُ مَا أَعْطَوْنِي، لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلا العُلَمَاءُ إِلَىٰ زَمَانِنَا هَذَا. وقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَسْبٌ فِيهِ بَعْضُ الدَّنِيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الحَاجَةِ إِلىٰ النَّاسِ»[٢].

الشرح:

أقول: معنىٰ هذا الكلام أنَّك لا تمتنع من الكسب الحلال ولو كان فيه دَنِيَّةٌ، بل الكسب من المهنة الَّتي فيها دَنِيَّةٌ خيرٌ لك من أن تسأل النَّاسَ، والكسب الَّذي فيه دَنِيَّةٌ هي بعض الأشياء الَّتي يَعدُّها بعض النَّاس دناءةً؛ كالحجامة والحلاقة، والبيع لبعض الأشياء الَّتي تُعتبَر دناءةً ما لم تكن حرامًا؛ فالمُؤلِّف يقول عن عمر: «كسبٌ فيه بعض الدَّنِيَّة خيرٌ من الحاجة إلىٰ النَّاس».

قوله: «**وَالمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ**» أي: حلال، والمطلقُ يجوزُ لك الكسبُ منه، ومزاولتُه.

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «والمكاسب مطلقة».

(٢) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «إصلاح المال» (ص٩٧ الكتب الثَّقافية)، وابنُ عبد البرِّ في «التَّمهيد» (١٨/ ٣٢٩ - ٣٣٠ الأوقاف)، بلفظ: «مَكْسَبَةٌ فِيهَا بَعْضُ الدَّنَاءَةِ خَيْرٌ مِنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ». وعزاه في «كنز العمال» (٤/ ١٢٢) لوكيع.

أمّا قوله: «يَأْخذُ مِن الفَاسِد ممسكة نَفْسِهِ» فمعنىٰ ذلك أنْ تَأْخُذَ من الفاسد ما يُمسك عليك الحياة إذا اضطررتَ إليه؛ كالميتة، وما عدا ذلك فلا يجوز لك أن تقربه.

قولُه: «وَلَا تَقُولُ: أَتْرُكُ المكاسِبَ، وآخُذُ مَا أَعْطَوني»: يعني أنّك لا يجوز لك أن تترك المكاسب الَّتي فيها غضاضةٌ عليك، وتسأل النَّاس، بل خُذْ من المكاسب الحلال ما يَعفُّك عن النَّاس، وعن سؤالهم حتّىٰ ولو كان في ذلك غضاضةٌ عليك. وبالله التَّوفيق.



الصَّلاة جائزة خلف كلِّ برٍّ وفاجر

وَالصَّلَوَاتُ الخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا، فَإِنَّهُ مُعَطِّلٌ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ، وَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَهُ، وَلا تُعِدْ صَلَاتَكَ.

الشرح:

وأقولُ: بيَّن المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الصَّلوات الخمس جائزةٌ خلفَ مَنْ صلَّيتها وراءه من المسلمين ما لم يكُن جهميًّا، فإنَّه مُعطِّلٌ، «وإنْ صلَّيت خلفه فأعِدْ صلاتك»؛ يعني: إذا صلَّيت وراء الجهميِّ فأعِدْ صلاتك.

والجهميُّ: هو الَّذي يُعطِّل الأسماء والصِّفات[1]، ويقول: القرآنُ مخلوقٌ.

ولم يذكر المُؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ غيرَ الجهميِّ من أصحاب البدع، وإنْ كانَتْ بعض البدع غليظةً قَدْ تصلُ بصاحبها إلىٰ الكُفر؛ كبدع الشِّيعة الغُلاة الَّذين يَسبُّون أبا بكرٍ وعمر وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويقولون: إنَّ أهل البيت معصومون، ويقولون: إنَّ جبريل كان مُرسَلًا إلىٰ عليٍّ، فألقىٰ بالرِّسالة إلىٰ مُحمَّدٍ خطأً منه، إلىٰ غير ذلك من رُعُوناتِهم!

ومثل ذلك: بدع المعتزلة الَّذين يقولون: إنَّ القُرآنَ مخلوقٌ، وينفون القَدَر،

(١) أي: ينكر أنَّ لله أسماءً حسنىٰ، وصفاتٍ عُلا، تليق بجلال الله وعظيم سُلطانه، تعالىٰ الله عمَّا يقول الظَّالمون.

وأنَّ الأمر أنُفٌ.

ومثل هؤلاء أيضًا: الصُّوفيَّة الغُلاة في التَّصوُّف الَّذين يقولون بوحدة الوجود، وأمثال هؤلاء، فإنَّ حكمهم حكم الجهميِّ.

أمَّا أصحاب البدع الَّذين لا تبلغ بِدَعُهم إلىٰ الكفر، بل هي بدعٌ مفسِّقةٌ، فالظَّاهرُ أنَّ الصَّلاةَ وراءهم جائزةٌ بدون إعادةٍ.

ثمَّ قال: «**وَإِنْ كانَ إمامك مِن السُّلطان وغيره صاحبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَه، ولا تُعِدْ صَلَاتَك**».

وأقول: إنَّ ائتمام المأموم المسلم بصاحب سُنَّةٍ أمرٌ مطلوبٌ، والصَّلاة وراءه صحيحةٌ، لكن إذا كان الإمامُ صاحبَ بدعةٍ خفيفةٍ لا تَبلُغُ إلىٰ حدِّ الكُفر، ولا تُخْرِجه عن مِلَّة الإسلام، فالصَّلاةُ جائزةٌ وراءَه، ولا تلزم الإعادةُ، وبالله التَّوفيق.



الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِما - فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دُفِنَا هُنَالِكَ مَعَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَ القَبْرَ فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِما بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاجِبٌ.

وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ وَاجِبٌ إِلَّا مَنْ خِفْتَ سَيْفَهُ أَوْ عَصَاهُ، وَالتَّسْلِيمُ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ أَجْمَعِينَ.

الشرح:

وأقولُ: الإيمانُ بذلك إيمانٌ بالتَّواتر الَّذي لا يخالف فيه أحدٌ، وهو أنَّ أبا بكرٍ وعمر دُفِنَا مع رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهما، وهو أمرٌ لا يخالف فيه أحدٌ، ولا ينكره إلَّا مكابرٌ، وأنَّهما أفضلُ هذه الأُمَّة بعد نَبِيِّها صلوات الله وسلامه عليه.

ومَنْ قال خلاف ذلك، أو كفَّرهما، أو انتقص من حَقِّهما، فهو مبتدعٌ ضالٌّ، وربَّما وصلت به حالته إلىٰ الكفر - والعياذ بالله -، وإنَّ أهل السُّنَّة لا يعتقدون فيهما العصمة، بل يعتقدون أَفْضليَّتهما علىٰ سائر الأُمَّة.

قولُه: «**فَإِذَا أَتَيتَ القَبرَ، فالتَّسلِيمُ عَلَيهِمَا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَاجِبٌ**»:

أقولُ: نعم، التَّسليمُ عليهما مشروعٌ، أَمَّا الوجوب ففيه نظرٌ، وبالله التَّوفيقُ.

والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فرضٌ علىٰ المسلمين جميعًا بإجماع

الأمة[1] على ذلك المؤيد بالنصوص من الكتاب والسُّنَّة، والنقول الصحيحة عن الصحابة رضوان الله عليهم، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إلَّا إذا كان على مَنْ خِفْتَ سيفه وعصاه، فأنت تكون معذورًا عند ربِّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد أشير إلى ذلك في حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلم[2].

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». رواه مسلم[3].



---

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه على مسلم» (٢/ ٢٢ إحياء التراث العربي): «وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة».

(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤٩).

تركُ صلاةِ الجُمعة والجماعة
في المسجدِ من غير عُذرٍ بدعةٌ

وَمَنْ تَرَكَ صَلاةَ الجُمُعَةِ وَالجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَالعُذْرُ: كَمَرِيضٍ لا طَاقَةَ لَهُ بِالخُرُوجِ إِلَىٰ المَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِن سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَلا عُذْرَ لَهُ، وَمَنْ صَلَّىٰ خَلْفَ إِمَامٍ فَلَمْ يَقْتَدِ بِهِ فَلا صَلاةَ لَهُ.

الشرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ ترَك صلاةَ الجُمُعَةِ والجَماعةِ في المسجدِ مِنْ غيرِ عُذْرٍ فَهُو مُبْتدِعٌ»:

أقولُ: إطلاق اسم «مبتدع» علىٰ تارك الصَّلاة في المسجد قَدْ لا يكون مأخوذًا علىٰ عُمومه؛ فإنَّ مَنْ ترك الجمعة والجماعة تَحرُّجًا من الصَّلاة وراء بعض الولاة؛ لأنَّه يرىٰ أنَّه كافرٌ، أو فاسقٌ لا يجوز الاقتداء به، فهو مبتدعٌ.

لكن إنْ تَرَكها بغير هذا القصد فهو فاسقٌ، وَقَدْ يكون مُنافقًا، إذًا فلا يكون مبتدعًا إلَّا مَنْ ترك صلاة الجمعة والجماعة بناءً علىٰ اعتقادٍ عنده أنَّ ذلك الإمام لا ينبغي أن يُصلَّىٰ بعده؛ يعني: وراءه.

أمَّا غيرُه فلا يُطلَقُ عليه الابتداع، بل مَنْ ترَك صلاةَ الجماعة تَهاونًا فهو فاسقٌ، ومَنْ تركَها غيرَ مؤمنٍ بها فهو منافقٌ.

ثُمَّ بيَّن العذر، فقال: «كمَرضٍ لا طاقةَ لِصاحبِه بالخرُوج إلىٰ المسْجِدِ، أو

خَوفٍ مِن سُلْطَانٍ ظَالمٍ، وَمَا سِوىٰ ذَلكَ فَلا عُذْرَ لَهُ».

ثمَّ أشار إلىٰ مسألةٍ قدْ يفعلها بعض المبتدعة بحيثُ إنَّه يُصلِّي خلف الإمام بنيَّةِ أنَّه منفردٌ، فقال: «ومَنْ صلَّىٰ خَلْفَ إمَامٍ فلم يَقْتدِ به فَلا صلاةَ لهُ».

الدَّليل علىٰ ذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ؛ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّىٰ جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ». مُتَّفقٌ عليه[1]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المستورُ من المسلمِينَ مَن لا يظهرُ منه ريبةٌ

وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ وَالقَلْبِ بِلَا سَيفٍ، وَالمَسْتُورُ مِنَ المُسْلِمِينَ مَنْ لا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيبَةٌ.

الشرح:

أقولُ: الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر باليد واللِّسان والقلْب هذا مقتضىٰ حديثٍ رواه مسلمٌ وغيره عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ رَأَىٰ منكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيدِهِ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**[1].

علمًا بأنَّ التَّغيير باليد يكون لأصحاب السُّلطة وللرَّجُل في بيتِه، ومَنْ لم يَقدِرْ علىٰ اليد، أو كان ليس مِن أهلها انتقل إلىٰ اللِّسانِ، فأنكر باللِّسانِ، وهي المرتبة الثَّانية، وإِنْ لم يستطع باللِّسان أنكر بالقلب، وهو أن يكره المنكر وفاعله، ويكره المُقصِّر عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إذا كان قادرًا.

وقولُه: «بلَا سَيف»: فيه ردٌّ علىٰ المعتزلة والخوارج الَّذين يعتقدون جوازَ الخروج بالسَّيف علىٰ الوُلَاة، ويعتبرونه من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

قولُه: «والمسْتُورُ مِن المُسلمِينَ مَنْ لا يَظْهرُ مِنهُ رِيبَةٌ»: ومعنىٰ الرِّيبةِ أنْ يعمل عملًا فيه احتمالٌ ظاهرٌ أو قرينةٌ ظاهرةٌ تدلُّ علىٰ تحريمه، وبالله التَّوفيقُ.

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

علم الباطن لم يوجد في الكتاب والسُّنة

وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعَاهُ العِبَادُ مِن عِلْمِ البَاطِنِ لَمْ يُوجَدْ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أن يَعْمَلَ بِهِ، وَلا يَدْعُوَ إِلَيْهِ.

وَأَيُّ امْرَأَةٍ[1] وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ؛ فَإِنَّهَا لا تَحِلُّ لَهُ، يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ وَصَدَاقٍ.

الشرح:

وأقول: إنَّ هذه الفقرة فيها ردٌّ على الصُّوفيَّة الَّذين يزعمون أنَّ قلوبهم تتلقَّى الإلهامات مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويَعتبِرون ذلك وحيًا، فيقول أحدهم: «حدَّثني قلبي عن ربِّي»، وما ذلك إلَّا مِن الشَّياطين الَّتي تلعبُ به وتُوهِمُه أنَّ ذلك مِن الكرامات، وما هو إلَّا مِن لعب الشَّيطان وإضلاله إيَّاهم، ومَنْ وُجِدَ منه ذلك - وهو يُوجَد من الصُّوفيَّة كثيرٌ - فهو مبتدعٌ ضالٌّ، وبالله التَّوفيق.

قولُه: «وَأَيُّ امْرَأَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ... إلخ»:

أقولُ: النِّكاح بالهبة لا يصحُّ؛ لأنَّه مِن خصائص النَّبيِّ ﷺ حيثُ يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فهذا فيه تخصيصٌ للنَّبيِّ ﷺ بنكاح الهبة.

فإنْ نكح رجلٌ امرأةً بوليٍّ وشاهدي عدلٍ، ولكنَّه لم يُسمِّ لها صداقًا، صحَّ

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «وأيُّما امرأةٍ».

النِّكاح، ووجب لها مهرُ المِثْل.

وفي ذلك حديث معقل بن سنان: فعن علقمة عن ابن مسعودٍ «أنَّه سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا، ولم يَدْخُلْ بِهَا حَتَّىٰ مَاتَ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لها مِثْلُ صَدَاقِ نِسَائِهَا، لَا وَكْسَ وَلَا شَطَطَ[1]، وَعَلَيْهَا العِدَّةُ، وَلَهَا المِيرَاثُ.

فَقَامَ مَعْقِلُ بنُ سِنَانٍ الأَشْجَعِيُّ، فَقَالَ: «قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بِرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ امْرَأَةٍ مِنَّا مِثْلَ الَّذِي قَضَيْتَ»، فَفَرِحَ بِهَا ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ». رواه التِّرمذيُّ وغيره. وقال أبو عيسىٰ التِّرمذيُّ: «حديث ابن مَسعودٍ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»[2].

وحديث ابْنِ عبَّاسٍ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ». رواه البيهقيُّ[3]، وَقَدْ ذهب الجمهور إلىٰ اشتراط الوليِّ، وخالفهم الحنفيَّة.

أمَّا اشتراط العدالة في الشَّاهِدَين فهذا أيضًا محلُّ خلافٍ، وهذا الحديث يدلُّ علىٰ صِحَّة اشتراط الشَّاهِدَين، وأن يكونا عَدْلَين، وبالله التَّوفيق.



---

(١) الوكس: النَّقص. والشَّطط: الجور.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١١٥)، والتِّرمذيُّ (١١٤٥) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ (٣٣٥٥)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (١٩٣٩).

(٣) أخرجه البيهقيُّ في «الكبرىٰ» (٧/ ١٢٤) (١٣٤٩٤)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (١٨٤٤): «صحيحٌ مَوقوفًا».

وأخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (٤٠٦٣) عن عائشة مرفوعًا، قال الألبانيُّ في «صحيح ابن حبَّان»: «حسنٌ صحيحٌ»، وانظر: «الإرواء» (١٨٥٨ و١٨٦٠).

الطَّاعن على الأصحاب صاحب هوًى

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ[1] عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى، وَصَاحِبُ قَوْلِ سُوءٍ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»[2]، فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِم إِلَّا خَيْرًا. وَقَوْلُهُ: «ذَرُوا أَصْحَابِي، لَا تَقُولُوا فِيهِم إِلَّا خَيْرًا»[3]. وَلا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِن زَلَلِهِمْ، وَلا حَرْبِهِمْ، وَلا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلا تَسْمَعْهُ مِن أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ لا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَه.

الشرح:

قَولُ البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذا رأيتَ الرَّجُلَ يطْعَنُ علىٰ أَصْحاب النَّبيِّ ﷺ...» إلخ: هذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا لأصحاب البدع؛ من رافضةٍ وخوارج، فإنَّهم يطعنون في أصحاب النَّبيِّ ﷺ الَّذين زكَّاهم اللهُ في كتابه، وأخبر بالتَّوبة عليهم

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «يطعن علىٰ أحد من أصحاب النَّبي ﷺ».

(٢) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٠٤٤٨)، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٣٤).

(٣) قال المحقِّقُ الرَّداديُّ - حفظه الله ورعاه - عن الحديث: «لم أجده بهذا اللَّفظ، ويبدو أنَّ المؤلِّف لفَّقه من حديثين متغايرين.

وإليك شرحه: فقوله ﷺ: «ذَرُوا أَصْحَابِي» أخرجه البزَّار (٣/ ٢٩٠ كشف الأستار) بإسنادٍ حسنٍ.

وقوله: «لا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا» أخرجه خيثمةُ بن سليمان في «فضائل الصَّحابة» كما في جزء طرق حديث: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي» لابن حجر (ص٧٠)، وإسنادُه ضعيفٌ».

في قولِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وفي قولِهِ تعالىٰ في آخر سورة (الفتح): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

وقال صلواتُ الله وسلامُه عليهِ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ(١).

ومن أجل هذه النُّصوص؛ فإنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يَرَوْنَ توقيرَ أصحاب النَّبيِّ ﷺ، وإجلالَهم، وعدمَ الكلام فيهم، وأنَّ ما جرىٰ بينهم نسكتُ عنه، هكذا

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، ومسلمٌ (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَرَّر أئمَّةُ الهُدىٰ كأحمد بن حنبل، والشَّافعيِّ، ومالكٍ، وعبد الله بن المبارك، والسُّفيانين، والحمَّادين، ومَنْ تَبِعهُمْ مِن أصحاب الحديث.

وأنَّه لا ينبغي التَّحدُّث بشيءٍ مِمَّا وقعوا فيه مِن الحروب، وأنَّهم يحملون في ذلك علىٰ الاجتهاد، وأنَّهم مجتهدون، فمَنْ أصاب منهم فله أجران، ومَنْ أخطأ منهم فله أجرٌ واحدٌ، وأنَّ صُحبتَهم للنَّبيِّ ﷺ وجهادَهم معه يُكفِّر ما وقعُوا فيه.

أمَّا قولُ المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقَدْ عَلِمَ النَّبيُّ ﷺ ما يَكُونُ مِنْهُمْ مِن الزَّلَل بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إلَّا خيرًا...» إلخ:

فهذا لا أدري علىٰ أيِّ شيءٍ استند المُؤلِّف في قوله هذا! مع أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون بأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يعلم شيئًا من الغيب إلَّا ما علَّمه الله إيَّاه، فكونه علَّمه الله بما قَدْ يقع من بعضهم، وأخبر به النَّبيُّ ﷺ هذا لا يُنكَر.

أمَّا أنَّه علم كلَّ ما يصير منهم بعد موته، فهذا لا يقوله أحدٌ مِن السَّلف، ولا يعتقدُه إلَّا أصحابُ الاعتقاداتِ المنحرفةِ.

وَقَدْ نفىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نبيِّه علمَ الغيب، وأمَرَه أنْ ينفيَه عنْ نَفْسِهِ، كما في قول الله تعالىٰ في آخر سورة (الأعراف) آية (١٨٨): ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وبالله التوفيق.



الطَّاعن على الآثار متهم على الإسلام

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ، أَوْ يَرُدُّ الآثَارَ، أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الآثَارِ، فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلامِ، وَلا تَشُكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ، مُبْتَدِعٌ.

الشرح:

أقولُ: هذا القول تطابقت عليه أقوالُ كثيرٍ من السَّلف، واتَّفقوا جميعًا علىٰ أنَّ مَنْ ردَّ السُّنن، أو أبغض حَمَلتها وطالبيها، أو طلب الحقَّ من غيرها؛ فإنَّه صاحبُ بدعةٍ وزندقةٍ وضلالةٍ، ولهذا أُثِرَ عن الإمام أحمد أنَّه لمَّا ذُكِرَ له أنَّ ابن أبي قتيلة يطعن علىٰ أصحاب الحديث، ويقدح فيهم، ويتكلَّم في حَقِّهم، قام وجعل ينفض ثوبه، ويقول: زنديقٌ، زنديقٌ، زنديقٌ[(١)].

وَقَدْ ورَد عن سَهْل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الإمام البخاريِّ ومُسلم، قال: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَىٰ عَوَاتِقِنَا إِلَىٰ أَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَىٰ أَمْرٍ نَعْرِفُهُ، غَيْرَ هَذَا الأَمْرِ»**. قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ:

(١) أخرجه الحاكمُ في «معرفة علوم الحديث» (ص٤ معظم حسين)، والخطيبُ في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٧٤ أوغلي)، وابنُ أبي يعلىٰ في «الطَّبقات» (١/ ٣٨ المعرفة)، والصَّابونيُّ في «عقيدة السَّلف» (ص٣٠٠ – ٣٠١ العاصمة)، والهرويُّ في «ذمِّ الكلام» (٢/ ١٦٠ الأنصاريّ)، وابنُ الجوزيِّ في «مناقب أحمد» (ص٢٤٧ هجر).

«شَهِدْتُ صِفِّينَ، وَبِئْسَتْ صِفُّونَ»(١).

والشَّاهد منه: قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ».

وَقَدْ جاء في الحديث: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(٢)، أو قال: «حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ»(٣)، فلمَّا سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن هذه الطَّائفة، قال: «إِنْ لم يكونُوا أَصْحَابَ الحَدِيثِ، فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ؟ !»(٤).

وَقَدْ ذكر أهل السُّنَّة والجماعة: إذا رأيت الرَّجل يُبغض فُلَانًا وفُلَانًا - وعدُّوا رجالًا من أصحاب الحديث - فَاتَّهِمْه على الدِّين(٥).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٣٠٨)، ومسلم (١٧٨٥).

(٢) أخرجه مسلمٌ (١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هذا اللَّفظُ أخرجه النسائي (٣٥٦١) في حديث سلمة بن نُفيل الكِنديّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٩٣٥).

(٤) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص١٠٧ السّلوم). وانظُر: «شرَف أصحاب الحديث» للخطيب البغداديّ (ص٢٥ - ٢٧)، و«الصَّحيحة» للألبانيِّ (١/ ٥٤٢) تحت حديث رقم (٢٧٠).

(٥) ذكَر الشَّيخ خالد بن ضحوي الظَّفيري في كتابه الممتع: «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» (ص٣٦) بعض مواقف أهل السُّنة من المبتدعين ليحسن الاقتداء بالسلف في ذلك عند الحديث عن الفصل الثَّاني: (شدَّة أهل السُّنة على أهل البدع منقبةٌ وليستْ مَذمَّةً، حيث قال - وَفَّقه الله -: «والآثار عن الصَّحابة في معاملتهم لأهل البدع كثيرة، وما هذا إلَّا غيضٌ من فيض».

ثمَّ قال: «وهذا أيضًا الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سلمة حمَّاد بن سلمة البصريّ (ت ١٦٧) قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمته: قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في الفاروق له: قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيتَ الرَّجلَ يغمزُ حمَّاد بن سلمة فاتَّهِمْه على الإسلام؛ فإنَّه كان شديدًا على المبتدعة».

ثمَّ أضاف في حاشية كتابه هذا بقوله: «كان السَّلف - رحمهم الله - يعدُّون الطَّعن على أهل السُّنة، والذَّابين عنها؛ من علامات أهل البدع والضَّلال، بل قد يعدُّون الرَّجل من أهل البدع بمجرَّدِ طعنه عليهم. =

ونحن اليوم قَدْ تبيَّن لنا من ذلك ما تَبيَّن، واتَّضح لنا من أمر الحِزبيَّات[١] المبتدعة ما جعلنا نَتيقَّن صِدْق هذه الأخبار، وأنَّ أصحاب البدع والحِزْبيَّات هم أعداءٌ لأصحاب الحديث ولأهل السُّنَّة والجماعة، ولدعاة التَّوحيد والعقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة.

بينما طُلَّاب العلم السَّلفيُّون يدعونهم إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سُنَّة رسول الله ﷺ، وإلىٰ عمل السَّلف الصَّالح، وهم يدعون طُلَّاب العلم السَّلفيِّين إلىٰ رأي فلانٍ وفلانٍ، وهذا الحزب وذاك الحزب، لا يَسْتَحيون من الله، ولا يخشون بطشه، وعقوبته العاجلة والآجلة؛ بِصَدِّهم عن سبيل الله، وقلبهم الحقائق، وَاتِّباعهم

=

قال أبو زرعة: إذا رأيتَ الكوفي يطعن علىٰ سفيان الثَّوريِّ وزائدة فلا تشكَّ أنَّه رافضيٌّ، وإذا رأيتَ الشَّاميَّ يطعنُ علىٰ مكحول والأوزاعيِّ فلا تشكَّ أنَّه مرجئٌ، واعلم أنَّ هذه الطوائفَ كلَّها مجمعةٌ علىٰ بُغض أحمد بن حنبل؛ لأنَّه ما مِن أحدٍ إلَّا وفي قلبه منه سهمٌ لا برء له. «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٩، ٢٠٠).

وقال نعيم بن حماد: إذا رأيتَ العراقيَّ يتكلَّمُ في أحمد بن حنبل فَاتَّهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه. «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٨)، و«تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٢)». اهـ.

(١) الأحزاب جمع حزب، وهم كلُّ قومٍ تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم، وفي التنزيل العزيز: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. انظر: «المعجم الوسيط» (ص١٧٠).

والمقصود بهم: جميع مَنْ خالَف باجتهادٍ أو قياس الكتاب والسُّنَّة وعمل سلف الأمَّة مِن الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، وعلىٰ رأسِهم بعضُ الجماعات المعاصرة؛ كجماعة الإخوان المسلمين بشتَّىٰ فصائلها، وكذا جماعة التبليغ، وغيرهما من الجماعات الَّتي خالفَتْ طريقة السَّلف.

ولمزيدٍ من التَّقصِّي عن حال مُؤسِّسي هذه الجماعات، وما وقعوا فيه من الغيِّ والضَّلال، والَّذي قد يصلُ بأهلها إلىٰ الكُفر الصُّراح، فليرجع في ذلك إلىٰ كتابَي شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المورد العذب الزُّلال فيما انتُقد علىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة مِن العقائد والأعمال»، و«الرَّد الشَّرعيِّ المعقول علىٰ المتَّصل المجهول»، فحريٌّ بكلِّ طالبِ علمٍ أنْ يقرأَ ما في هذين الكتابين ليعرف الحقَّ مِن الباطل؛ ليجتنبَ كلَّ دخيلٍ علىٰ المنهج السَّلفيِّ، وبالله التَّوفيقُ.

لغير ما أمر اللهُ به، ومع ذلك يقولون عن السَّلفيِّين بأنَّهم هم الَّذين فرَّقوا!

وإنَّما التَّفريقُ جاء من أصحاب التَّحزُّب على حدِّ قول القائل: رمتني بدائها وَانسلَّت، وعند الله تجتمع الخصوم، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وبالله التَّوفيق.



وجوبُ طاعة السُّلطان في غير معصيةٍ

وَاعْلَمْ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطَانِ لا يُنْقِصُ فَرِيضَةً مِن فَرَائِضِ اللهِ الَّتي افْتَرَضَهَا عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، جَوْرُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَتَطَوُّعُكَ وَبِرُّكَ مَعَهُ تَامٌّ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ - يَعْنِي: الجَمَاعَةَ وَالجُمُعَةَ مَعَهُم، وَالجِهَادَ مَعَهُم، وَكُلَّ شَيءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ فَشَارِكْهُمْ فِيهِ، فَلَكَ نِيَّتُكَ.

الشرح:

أقول: معنىٰ هذه الفقرة أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يَرَوْنَ وجوب طاعة السُّلطان؛ سواءٌ كان مؤمنًا أو فاجرًا، وسواءٌ كان برًّا أو فاسقًا، فإنَّ فجوره أو فسقه علىٰ نفسه.

وعليك يا عبد الله أنْ تعلمَ أنَّ طاعة السُّلطان طاعةٌ لله، وفريضةٌ من الله، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَىٰ أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي». مُتَّفقٌ عليه[(١)].

فلا يجوزُ لكَ أنْ تُثيرَ علىٰ السُّلطان، وأنْ تذكرَ جورَه ومثالبَه للتَّوصُّل بذلك إلىٰ الخروج عليه، فالأدلَّة متوافرةٌ علىٰ وجوب الطَّاعة، وعدم الخروج هذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

وفي حديث ابنِ عبَّاسٍ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧١٣٧)، ومسلمٌ (١٨٣٥) من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

السُّلْطَانِ شِبْرًا، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». رواه البخاريُّ ومسلمٌ(١)، وفيه أيضًا عن ابْنِ عُمَرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». رواه مسلمٌ(٢).

فعليك يا عبدَ الله أنْ تُطيعَ اللهَ، ثُمَّ تَتقرَّب إليه بطاعة السُّلطان حتَّىٰ ولو كان فاسقًا جائرًا؛ فإنَّه إذا فَسَقَ فَفِسْقُهُ علىٰ نفسِه، وجِهادُك معه وصلاتُك وراءه هي طاعةٌ لله رَبِّ العالمين، واتِّباعٌ لما أمَر به.

ولا يَغُرنَّك مَنْ يقولُ: يجبُ عليك أن تغضب لله، وتخرج عن السُّلطان الجائر، فإنَّ قوله باطلٌ ومردودٌ علىٰ مقتضىٰ النُّصوص الشَّرعيَّة والعقيدة السَّلفيَّة، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

علامة أهل السُّنة وعلامة أهل البدعة

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَىٰ السُّلْطَانِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ، وَإِذَا سَمِعتَ[١] الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلاحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ؛ لِقَوْلِ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: «لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ». قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسِّرْ لَنَا هَذَا، قَالَ: «إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَعْدُنِي، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ صَلَحَ، فَصَلَحَ بِصَلاحِهِ العِبَادُ وَالبِلادُ»[٢]، فَأُمِرْنَا أَن نَدْعُوَ لَهُم بِالصَّلاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عَلَيْهِم وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا؛ لأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَصَلاحَهُم لأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ.

الشرح:

أقولُ: رحم الله الإمام البربهاريَّ، فهذه علامةٌ واضحةٌ للحِزبيِّين: أنَّهم يَدْعون علىٰ السُّلطان ولا يدعون له، والعلامة الفارقة بين الحِزْبيِّين وغيرهم: أنَّ الحِزبيِّين يدعون علىٰ السُّلطان، والدُّعاء علىٰ السُّلطان إفسادٌ وليس بإصلاحٍ، وخرابٌ وليس ببناءٍ، ومضرَّةٌ وليس بمَبرَّةٍ.

فالسُّلطان بصلاحه تصلحُ العباد والبلاد، وبخرابه يفسد ما يفسد، ولكنَّا نُهينا

(١) وفي نسخة الرَّداديِّ: «رَأَيْتَ»، والأولىٰ أصحُّ.

(٢) أخرجه أبو نُعيم «الحلية» (٨/ ٩١)، وفي «فضيلة العادلين» (٤٨). وانظر: «أصول الاعتقاد» للَّالكائيّ (١/ ١٩٧)، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البرّ (١/ ٦٤١ - ٦٤٢).

أنْ ندعوَ عليه، أو أن نخرج عن طاعته، أو أن نثير عليه الدَّهْمَاء، أو أن نذكر مَثَالبه ومَعَايبه، أو ننازع السُّلطانَ الَّذي ولَّاه اللهُ ما ولَّاه إيَّاه، فكلُّ ذلك مُحرَّمٌ وممنوعٌ.

فإن قيل: إنَّ السُّلطانَ إذا فسد فسدَتْ بفساده العباد والبلاد؛ لذلك فإنَّ الدُّعاء عليه يكون سببًا في إزالة الشَّرِّ الواقع منه.

فنقول: إنَّ الَّذي حَرَّم الخروج عليه أعلم بالمصلحة منَّا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَرَّم علىٰ لسان رسوله ﷺ الخروج علىٰ السُّلطان مهما كان فساده وخرابه، ما لم يصل إلىٰ حدِّ الكفر.

ففي حديث أُمِّ سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في صحيح الإمام مسلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**». قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»(١).

وفي حديث عوفٍ الأشجعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**». رواه مسلمٌ(٢).

وحينئذٍ يَتبيَّن لنا تحريم الخروج علىٰ السُّلطان مهما كان فسادُه ما لم يصل إلىٰ حدِّ الكفر، فالَّذي فرَض عدم الخروج هو أعلم بالمصلحة منَّا.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ، فإنَّ المشاهد أنَّه لا تقوم دولةٌ بدل دولةٍ إلَّا بإراقة دماءٍ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

وإزهاق أرواحٍ، وربَّما حصل - بناءً علىٰ ذلك - انقطاعُ السُّبُل، وإخافةُ الآمنين، وانتهاكُ محارم.

وبهذا نعلم أنَّ الله ما حرَّم الخروج علىٰ الولاة إلَّا لما فيه من المفاسد، فلكون المفاسد الَّتي تَترتَّب علىٰ تغيير والٍ بدل والٍ، أو أميرٍ بدل أميرٍ، أو سلطانٍ بدَل سلطانٍ أكثر من المفاسد الَّتي تصدر منه؛ لذلك مُنِعَ الخروج عليه، ولكن تجب مناصحته في السِّرِّ.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يُرِيَنا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتِّباعه، ويُرِيَنا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

أمَّا قولُه: «وَإذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو للسُّلطَانِ بالصَّلاح فَاعْلَمْ أنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إنْ شَاءَ اللهُ»:

فنقول: هذه علامةٌ فارقةٌ بين أهل السُّنَّة وأهل البدعة، فإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو للسُّلطان بالصَّلاح فاعلم أنَّه صاحب سُنَّةٍ - إنْ شاء الله -، وإذا رأيتَه بخلاف ذلك، فاعلم أنَّه صاحبُ بدعةٍ، وبالله التَّوفيق.

قَولُه: «ولَم نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُوَ عليهم وإنْ جَارُوا وظَلَمُوا؛ لأنَّ جَوْرَهُمْ وظُلْمَهُمْ علىٰ أنفُسِهِمْ، وصلاحُهم لأنفسِهم وللمُسْلِمِينَ»:

وأقول: لا شكَّ أنَّ جَوْرَهم وظُلمَهم إنْ حصل فهو عليهم وحدَهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين، لذلك فإنَّا لم نُؤمَر بالدُّعاء عليهم، بل أُمِرنا بالدُّعاء لهم.

وفي حديث عوف بن مالكٍ الأشجعي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: **«خِيَارُ أئمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ**

وَيُبْغِضُونكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونكُمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ». رواه مسلمٌ[1]، وبالله التَّوفيق.



---

(١) تقدَّم تخريجُه قريبًا.

وجوب احترام أمَّهات المؤمنين وتوقيرهنَّ

وَلا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ.

الشرح:

وأقولُ: أُمَّهات المؤمنين: زوجات النَّبيِّ ﷺ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

فقد جعلَ الله زوجات النَّبيِّ ﷺ بمنزلة الأُمَّهات للمؤمنين.

ويترتَّب على ذلك أمورٌ:

أوَّلًا: أنَّهنَّ مُحرَّماتٌ على المؤمنين، لا يجوز لأحدٍ من المسلمين أن يَتزوَّج امرأةً من زوجات النَّبيِّ ﷺ اللَّاتي دخل بهنَّ، فإنْ لم يكن دخل بهنَّ فلا جناح عليهنَّ، ولا على مَنْ تزوَّجهنَّ، ولا يُعتبَرن زوجاتٍ للنَّبيِّ ﷺ؛ وإنَّما يُعتبَرن زوجاته مَنْ دَخَل بهنَّ وعاشرهنَّ، وعِشْنَ تحت كَنَفِهِ.

ثانيًا: أنَّه لا يجوز لأحدٍ من المسلمين أن يقدح في واحدةٍ منهنَّ، أو يتكلَّم فيها، فإنْ فعل فإنَّه يُعتبَر صاحب ضلالةٍ يُستتَاب، فإنْ تاب وإلَّا قُتِل، وَقَدْ يُقال: إنَّه يُقتَل بدون استتابةٍ؛ لأنَّه آذى رسول الله في أهله.

ثالثًا: أنَّهنَّ يلحقن بالنَّبيِّ ﷺ في الجنَّة، وينلْنَ الدَّرجةَ الَّتي نالها، ولو كانتْ فوق خليل الله إبراهيم أو نَبيِّه نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، وبالله التَّوفيق.

---

(١) قال الإمامُ ابنُ كثير: عند تفسيره للآية رقم (٣١) من سورة (الأحزاب)، وهي قول الله تعالى: ﴿وَمَن =

علامة صاحب السُّنة وصاحب الهوى

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ - إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ -، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ.

الشرح:

وأقولُ: ما ذكره المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا مِن علامة بعض الحِزْبيِّين، وهو أنَّ بعضَهم يتهاون في الجماعة إذا كانت مع السُّلطان زاعمًا أنَّه لا يُصلِّي وراء السُّلطان؛ لأنَّه يعتقد كُفْرَه، فإذا صلَّىٰ وراء السُّلطان وغيره عرفنا أنَّه صاحبُ سُنَّةٍ.

أمَّا إذا كان يتهاون في صلاة الفرائض مع السُّلطان، فذلك دليلٌ علىٰ الهوىٰ الَّذي عنده، وهذا من العلامات في بعضهم؛ كالخوارج الَّذين يُكفِّرون بالكبيرة، والمعتزلة الَّذين يَرَوْنَ أنَّ صاحبَ الكبيرة في منزلةٍ بين المنزلتَين، أي: لا مؤمن ولا كافر، وكذلك الشِّيعة الَّذين يقولون: لا تصحُّ الجمعة إلَّا وراء الخارج مِن أهل البيت[1].

= يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١] قال: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي: يطيع الله ورسوله ويستجيب ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أي: في الجنَّة؛ فإنَّهنَّ في منازل رسول الله ﷺ في أعلىٰ عِلِّيِّين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنَّة إلىٰ العرش». اهـ.

(١) ويقصدون به: الحسن العسكري، أو ولده محمَّد المهدي المنتظر، والَّذي سيعود في آخر الزَّمان عندما يأذن الله له بالخروج، ويملأ الأرض عدلًا كما مُلئَتْ جورًا وظُلمًا، ويقتصُّ مِن خُصوم الشِّيعة علىٰ مدار =

أمَّا الحِزْبيُّون في زمانِنا؛ فإنَّهم يُصلُّون الجمعة والجماعة مع الإمام، ويَتملَّقون له إذا كان حاضرًا، بل إنَّهم يَتملَّقونه أكثر مِن عَوامِّ المسلمين، لكن إذا خَلَوْا فإنَّهم يقولون عن السُّلطان والعُلماء غير ما يقولونه في حَضْرته، وهذا هو النِّفاق بعينه!

والمهمُّ أنَّ الحِزْبيِّين في زمانِنا أيضًا أجناسٌ، فالحِزْبيُّون السِّياسيُّون لا يمتنعون مِن الصَّلاة وراء السُّلطان، ولكنَّهم مِن أصحاب ذي الوجهين واللِّسانين، فنسألُ الله أنْ يهديَهم، وأنْ يُلْهِمَهم رُشْدَهم، وَقَدْ جاء في الحديث: «مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَينِ وَلِسَانِينَ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ وَجْهَانِ وَلِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»[(١)]، وبالله التَّوفيق.



التَّاريخ - كما زعمُوا -، ولقد قالت الإماميَّة (الاثنا عشريَّة) قاطبةً بالرَّجعة. وقالتْ بعضُ فِرَقهم الأخرىٰ برجعة بعض الأموات. اهـ. «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (١/ ٥٦ - ٥٨) بتصرُّف.

(١) أخرج أبو داود (٤٨٧٣)، عن عمَّار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (٨٩٢).

الحلال بيِّن والحرام بيِّن

وَالحَلالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ، وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلالٌ؛ وَكَذَلِكَ الحَرَامُ، وَمَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ.

الشرح:

قَولُه: «والحَلَالُ ما شَهِدْتَ عليهِ، وحَلَفْتَ عليهِ أَنَّه حَلَالٌ»:

يعني: أنَّ الحلالَ هو البيِّنُ الَّذي لا يَشكُّ فيه معظمُ المسلمين، والَّذي لا شُبْهَةَ فيه.

أمَّا إذا كان في صدرك شكٌّ منه وشبهةٌ فيه، فينبغي لك أنْ تَتجنَّبه حتَّىٰ تأخذَ حُكمه مِن العلماء.

وفي الحديثِ عن وابصةَ بن معبد الأسديّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ لوابصةَ: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البرِّ وَالإِثْمِ؟**» قالَ: قلتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَجَمَعَ أَصابعَهُ، فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَهُ، وقَالَ: «**اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ - ثَلَاثًا -؛ البِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ**». رواه أحمدُ والدَّارميُّ(١).

وفي روايةٍ عند مسلمٍ مِن حديث النَّوَّاس بن سمعان الأنصاريّ قال: سألتُ

---

(١) أخرجه أحمدُ (٤/٢٢٨) (١٨٠٣٠)، والدَّارميُّ (٢٥٧٥) واللَّفظُ له، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١٧٣٤): «حسَنٌ لغيره».

رَسُولَ اللهِ ﷺ عن البرِّ والإثم؟ فقالَ: «البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاسُ»(١)، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

علامة الخارجيّ والمعتزليّ

وَالْمَسْتورُ مَنْ بَانَ سَتْرُهُ، وَالْمَهْتُوكُ مَنْ بَانَ هتْكُهُ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ نَاصِبِيٌّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ مُشَبِّهٌ، أَوْ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بَالتَّشْبِيهِ[1]، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمْ بِالتَّوحِيدِ، وَاشْرَحْ لِيَ التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ، أَوْ يَقُولُ: فُلَانٌ مُجَبِّرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالعَدْلِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لأَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ مُحْدَثَةٌ، أَحْدَثَهَا أَهْلُ[2] البِدَعِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تَأْخُذُوا عَنْ أَهْلِ الكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي السَّيْفِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي القَدَرِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي الإِرجَاءِ شَيئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْفِ شَيْئًا، وَلا عَنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فِي الغِنَاءِ، لا تَأْخُذُوا عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ شَيئًا»[3].

الشرح:

أقولُ: هذه الفقرة ذكر فيها علاماتٍ لأهل البدع الّذين عُرِفُوا في ذلك الزّمان وهو كما قال: «إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ نَاصِبِيٌّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ، وإِذَا سَمِعْتَ

---

(١) وفي نسخة الرّداديّ: «يتكلّم في التّشبيه».

(٢) وفي نسخة الرّداديّ: «أهل الأهواء».

(٣) قال الرّدادي: « «لم أجِدْه»، وثبت في هذا المعنىٰ عدّة عن السّلف: عن معمر بن راشد، ومحمّد بن يحيىٰ القطّان وإبراهيم بن أبي عبلة، كما في «مسائل الإمام أحمد» لابنه عبد الله (١٦٣٢)، و«الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» للخلّال (ص٨٧ - ٨٨)، و«السّير» للذّهبيّ (٣/ ٣٩١، ٦/ ٣٢٤)».

الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ مُشَبِّهٌ، أَوْ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَاشْرَحْ لِيَ التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ»:

وأقولُ: المقصودُ بالتَّوحيدِ عندهم هي الأصولُ الخمسةُ الَّتي قرَّرها المعتزلة[1]، وكذلك القول بالإجبار أو العدل، فالمراد بذلك القدر، فالمجبرة هم القدريَّة الغُلاة، والَّذين يقولون بالعدل هم القدريَّة النُّفاة، الَّذين يزعمون أنَّ المعاصيَ مِن فِعْل الإنسان باستقلالٍ عن القدر، وليست بقدر الله، ويزعمون أنَّ ذلك من العدل.

وكذلك قولُ عبد الله بن المبارك: «لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَهْلِ الكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئًا»، أهلُ الكُوفة عُرِفُوا بالتَّشيُّع والرَّفض، التَّشيُّع لأهل البيت، والرَّفض لغيرهم، فلا ينبغي للمُسلم أنْ يَأخُذ مِن هؤلاءِ.

قال ابنُ المُبارك: «وَلَا عَنْ أَهْلِ الشَّام فِي السَّيْفِ شَيْئًا»؛ وكأنَّ أهلَ الشَّام كانوا يَرَوْنَ الخُروج علىٰ الوُلَاة.

قَولُه: «وَلَا عَنْ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي القَدَر شَيْئًا»: والقَدَر يعمُّ القدريَّةَ النُّفاةَ والقدريَّةَ الغُلَاة.

قَولُه: «وَلَا عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي الإِرجَاءِ شَيْئًا»: والإرجاءُ هو جعلُ العمل خارج الإيمان.

قَولُه: «وَلَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْفِ شَيْئًا»: **وأقولُ:** عبد الله بْن عبَّاسٍ رضي الله عنهما رجع عن قوله في الصَّرف[2] علىٰ الصَّحيح، لأنَّه كان في أوَّل الأمر يُجيز رِبَا الفضل،

---

(١) المعتزلة يَعنون بالتَّوحيد: نفيُ الصِّفات لله تبارك وتعالىٰ، وهو كما قال الرَّداديُّ - حفظه الله -.

(٢) **الصَّرفُ:** هو بيعُ نقدٍ بنقدٍ؛ سواء اتَّحد الجنس أو اختلف، وسواءٌ كان النَّقدُ مِن الذَّهب أو الفضَّة، أو مِن الأوراق النَّقديَّة المتعامل بها في هذا الزَّمان؛ فإنَّها تأخذُ حُكم الذَّهب والفضَّة لاشتراكها في عِلَّة الرِّبا ⁼

ويستدلُّ بحديث أسامة بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا ربَا إلَّا في النَّسِيئَةِ». متَّفقٌ عليه[(١)].

ثمَّ بعد ذلك رجع عن قوله هذا حينما حَدَّثه أبو سعيدٍ وغيره بما جاء عن النَّبيِّ ﷺ: «الذَّهَبُ بالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بالْفِضَّةِ، وَالبُرُّ بالْبُرِّ، والشَّعِيرُ بالشَّعِيرِ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ، وَالمِلْحُ بالمِلْحِ، مِثْلًا بمِثْلٍ، يَدًا بيَدٍ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَىٰ، الآخِذُ وَالمعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ». رواه مسلمٌ[(٢)].

قَولُه: «وَلا عَنْ أَهْلِ المدِينَةِ في الغِنَاءِ، لا تَأْخُذُوا عَنْهُمْ في هَذِهِ الأَشْيَاءِ شَيْئًا»:

أمَّا أهل المدينة فقد شاع عنهم إباحة الغناء، فكان الَّذين يأخذون بالرُّخص، ويتتبَّعون الرُّخص، يأخذون بقول كلِّ أهل بلدٍ فيما خالفوا فيه، وَقَدْ قال أهل العلم: مَنْ تَتبَّع الرُّخَصَ فَسَقَ. فقول عبد الله بن المبارك تحذيرٌ مِن اتِّباع الرُّخَص، وليس هذا حُكمًا علىٰ جميع أهل المدينة أنَّهم يُبيحون الغِناء، ولا عن

=

وهي التَّنمية. أفاد ذلك الشَّيخُ صالح بن فوزان الفوزان في «الملخص الفقهي» (٢/ ٣٠)، وقال شيخُنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ تعريف الصَّرف في كتابه «تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام»: هو أنْ تحوّل عملةٌ إلىٰ عملةٍ، أو تبيعَ نَقْدًا بنقدٍ آخرَ.

(١) أخرجه البخاري (٢١٧٨)، ومسلم (١٥٩٦). وقال شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ: الرِّبا في اللُّغة: مأخوذٌ من رَبَا الشَّيءُ بمعنىٰ زاد، ومِن ذلك قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وفي الشَّرع: فهو زيادةٌ مخصوصةٌ في شيءٍ مخصوصٍ دلَّ عليه كتاب الله، أو سُنَّة رسول الله ﷺ، وأنواعُه كما قال شيخُنا: ربا الفضل، وربا النَّسيئة:

١ - ربا الفضل: هو بيعُ أحدِ الجنسين بالآخر مُتفاضلًا ولو اختلفَتْ الأنواعُ.

٢ - وربا النَّسيئة: أنْ يُباعَ جنسٌ بغير جنسِه، أحدُهما حاضرٌ، والآخرُ غائبٌ. وهذا إنَّما يكون فيما اتَّفقَتْ عِلَّة جنسه كمكيلٍ بمكيلٍ؛ بُرٌّ بشعيرٍ، أو تمرٍ بملحٍ، أو ما أشبه ذلك. اهـ.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٨٧).

جميع أهل مَكَّة أَنَّهم يُبِيحون الصَّرف، وهكذا يُقَال في الجميع، وَقَدْ قال مالك بن أنسٍ حين سُئل عن الغِناء، قال: «إِنَّما يَفْعَلُه عِنْدَنَا الفُسَّاقُ»[1]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «العِلل ومعرفة الرِّجال» (٢/ ٧٠ وصيّ الله)، والخلَّال في «الأمر بالمعروف» (ص٨٦ المكتب الإسلاميّ)، والسِّلفيّ في «الطُّيوريَّات» (١/ ٦٣ - ٦٤ أضواء السَّلف)، وابن الجوزيّ في «تلبيس إبليس» (ص٢٠٤ الفكر).

أهمية حب السلف

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَأُسَيدَ بنَ الحُضَيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، وإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَيُّوبَ، وَابنَ عَوْنٍ، وَيُونُسَ بنَ عُبَيْدٍ، وَعَبْدَ اللهِ بنَ إِدْرِيسَ الأَوْدِيَّ وَالشَّعْبِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ مِغْوَلٍ، وَيَزِيدَ بْنَ زُرَيعٍ، وَمُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ، وَوَهْبَ بْنَ جَرِيرٍ، وَحَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيدٍ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَالأَوْزَاعِيَّ، وَزَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، والحَجَّاجَ بْنَ المِنْهَالِ، وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ، وَذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وقَالَ بِقَوْلِهِمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

الشرح:

أقولُ: إذا أحبَّ هؤلاء مِن الصَّحابة، فذلك دليلٌ علىٰ حُبِّه لسائر الصَّحابةِ.

ثمَّ ذكَر جماعةً من التَّابعين، وأتباع الأتباع، وهم أيُّوب السختياني، وابن عون، ويونس بن عُبيد، وعبد الله بن إدريس الأودي، والشَّعبي، ومالك بن مغول، ويزيد بن زُريع، ومعاذ بن معاذٍ، ووهب بن جريرٍ، وحمَّاد بن زيد، وحمَّاد بن سلمة، ومالك بن أنسٍ، والأوزاعيّ، وزائدة بن قُدامة.

ثمَّ ذكَر بعد ذلك أحمدَ بن حنبل، والحَجَّاج بن المنهال السُّلمي، وأحمد بن نصرٍ الخزاعي، وقال: «وإذَا رأيتَ الرَّجلَ يُحبُّ أحمدَ بن حنبل والحَجَّاج بن المنهال وأحمدَ بن نصر، وذكَرهم بخيرٍ، وقال قولهم؛ فاعلم أنَّه صاحبُ سُنَّةٍ».

وما ذكره المُؤلِّف دليلٌ علىٰ عقيدة الرَّجل، فإنَّه إذا أثنىٰ علىٰ أهل السُّنَّة وأحبَّهم فهو منهم، وإذا أثنىٰ علىٰ أهل البدعة وأحبَّهم فهو منهم.

وَقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**آيَةُ الإيمَانِ حُبُّ الأَنْصارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصارِ**». مُتَّفقٌ عليه[(١)].

فهذا الحديثُ يقتضي أنَّ مَنْ أحبَّ الأنصارَ الَّذين نصرُوا الدِّين ونشرُوه في رُبُوع الأرض بِسُيُوفهم، وتعليمهم بالقول والفعل، مَنْ أحبَّهم فذلك دليلٌ علىٰ إيمانِه، ومَنْ أبغضَهم فذلك دليلٌ علىٰ نِفاقِه.

نسألُ اللهَ التَّوفيقَ لما يحبُّ ويرضىٰ، وأنْ يُجنِّبنا الشُّرورَ، ويرزقَنا السَّلامةَ مِن الفتن، وباللهِ التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٧) واللَّفظ له، ومسلم (٧٤) من حديث أنس ﷺ.

التحذير من الجلوس مع أهل الأهواء

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ[1] فَاحْذَرْهُ، وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَمَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى.

الشرح:

قولُ البربهاري هنا: «**فَاحْذَرْهُ وَعَرِّفْهُ**» بهذه الصِّيغة فيما أرىٰ أنَّه خطأٌ؛ لأنَّ قَولَه: «**فَإِنْ جلَسَ معَهُ بعدَمَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ**» دليلٌ علىٰ أنَّ الصِّيغة الصَّحيحة: فَحذِّره وعرِّفه، أي: فحذِّره منهم، وعرِّفه بهم وببدعهم الَّتي هم واقعون بها.

قَولُه: «**فَإِنْ جَلَسَ معَهُم بعدَما عَلم فَاتَّقِهِ، فإنَّه صاحبُ هوًىٰ**» أي: صاحب بدعةٍ، وصاحبُ البدعةِ لا حيلةَ فيهِ إلَّا اجتنابه والبُعد عنه.



---

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «جالس مع رجلٍ من أهل الأهواء».

الأهواءُ كلُّها رديَّة

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالأَثَرِ فَلا يُرِيدُهُ، وَيُرِيدُ القُرْآنَ فَلا تَشُكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدِ احْتَوَىٰ عَلَىٰ الزَّنْدَقَةِ، فَقُمْ مِن عِنْدِهِ، وَدَعْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ تَدْعُو كُلُّهَا إِلَىٰ السَّيْفِ، وَأَرْدَؤُهَا وَأَكْفَرُهَا الرَّوَافِضُ، والمُعْتَزِلَةُ، والجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ النَّاسَ[1] عَلَىٰ التَّعْطِيلِ والزَّنْدَقَةِ.

الشرح:

أقولُ: معنىٰ هذه الفقرةِ أنَّ مَنْ لا يقتنع بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ فهو رجلٌ مفتونٌ ومضلَّلٌ به؛ لأنَّ سُنَّة النَّبيِّ ﷺ هي مُبيِّنةٌ للقرآن، مُبيِّنةٌ لمجمله، ومُقيِّدةٌ لمطلقه، ومُخصِّصةٌ لعمومه، فكثيرٌ من الأحكام الشَّرعيَّة ذُكرت في القُرآن علىٰ سبيل الإجمال، وبيَّنتها السُّنَّة أعظمَ بيانٍ.

ولهذا يقول النَّبيُّ ﷺ مُحذِّرًا من هذا المسلك الوخيم: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحرِّموه، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «يردُّون النَّاس».

أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»(١).

فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ السُّنَّةَ أصلٌ، ومَنْ أبىٰ مِن السُّنَّة فإنَّه يُعلَمُ مِن حالِه أنَّه زنديقٌ ومُبتدعٌ، أو فيه مِن الزَّندقةِ والبدعة ما فيه، وبالله التَّوفيقُ.

قولُه: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأَهواءَ كُلَّها رَدِيَّةٌ تَدْعُو إلىٰ السَّيفِ...» إلخ:

معنىٰ ذلك: أنَّ المذاهبَ المُبتدعة تدعُو إلىٰ الخرُوج علىٰ السُّلطان؛ فالرَّافضةُ يُكفِّرون الصَّحابةَ ما عدا عليَّ بن أبي طالبٍ وعددًا قليلًا معه لا يتجاوزون أصابعَ اليدِ الواحدةِ، أمَّا غيرُهم فهم يُكفِّرونهم بدءًا بأبي بكرٍ وعُمر، وانتهاءً بكلِّ صحابيٍّ، ولهم أقوالٌ سَيِّئةٌ يخالفون بها الحقَّ.

فالنَّبيُّ ﷺ يشهدُ للعشرة بالجنَّة(٢)، والرَّافضة يقولون: أبو بكرٍ وعمر صنمَا قُريشٍ، ويُفسِّرون الجبتَ والطَّاغوتَ بأبي بكرٍ وعُمر، ويزعمون أنَّ عليًّا وبنيه معصومون، ويساوُونهم بالأنبياء، ويتَّهمون جبريل بأنَّه أُرْسِلَ إلىٰ عليٍّ، فعدل بالرِّسالة إلىٰ مُحمَّدٍ، ولهم أقوالٌ قبيحةٌ جدًّا، فتَخوُّن الخليلين جبريل ومحمَّد - صلَّىٰ الله عليهما وسلَّم - من أعظم الكفر.

والمعتزلة من أصولهم: جواز الخروج علىٰ الوُلَاة، ويُسمُّونه الأمر بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر، ويزعمون بأنَّ كلام الله مخلوقٌ، ويتَّفقون مع الجهميَّة علىٰ تعطيل الأسماء والصِّفات، ويزعمون بأنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرة... إلىٰ غير ذلك مِن العقائدِ الَّتي تُخالِفُ ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ والسَّلفُ الصَّالحُ مِن الصَّحابةِ والتَّابعين، رضوان الله عليهم، وحشرنا اللهُ في زُمرتهم، وباللهِ التَّوفيقُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، من حديث المقدام بن معديكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٨٧٠).

(٢) وسيأتي الحديث عن العشرة المشهود لهم بالجنَّة.

التحذير من سبِّ الصَّحابة

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَناوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - ﷺ، وَرَضِيَ الله عَنْهُمْ - فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيءٌ مِنَ البِدَعِ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّ الَّذي أَخْفَىٰ عَنْكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَظْهَرَ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالمَذْهَبِ، فَاسِقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ، ظَالِمًا، وَهُوَ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ[1] فَاصْحَبْهُ، وَاجْلِسْ مَعَه، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ عَابِدًا[2] مُجْتَهِدًا، مُتَقَشِّفًا، مُحْتَرِقًا بِالعِبَادَةِ، صَاحِبَ هَوَىٰ، فَلا تَجْلِسْ مَعَهُ[3]، وَلا تَسْمَعْ كَلامَهُ، وَلا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ[4]، فَإِنِّي لا آمَنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ فَتَهْلِكَ مَعَهُ، رَأَىٰ يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ ابْنَهُ، وَقَدْ خَرَجَ مِن عِنْدِ صَاحِبِ هَوَىٰ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟[5] قَالَ: مِن عِنْدِ[6] عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، لأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِن بَيْتِ هيتي[7] أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَرَاكَ تَخْرُجُ مِن بَيْتِ فُلانٍ وَفُلانٍ[8]،

---

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «وهو علىٰ السُّنَّة».

(٢) وفي نسخة الرَّداديّ: «وإذا رأيتَ الرَّجل مجتهدًا في العِبادة».

(٣) وفي نسخة الرَّداديّ: «فلا تُجالسه، ولا تقعُد معه».

(٤) وفي نسخة الرَّداديّ: «طريقته».

(٥) وفي نسخة الرَّداديّ: «مِن أين جئتَ؟».

(٦) وفي نسخة الرَّداديّ: «مِن عند فُلان».

(٧) وفي نسخة الرَّداديّ: «مِن بيت خُنثىٰ».

(٨) وفي نسخة الرَّداديّ: «بقول فلانٍ وفلان».

وَلأَنْ تَلْقَىٰ اللهَ[(١)] زَانِيًا[(٢)] سَارِقًا خَائِنًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، أَفَلا تَعْلَمُ أَنَّ يُونُسَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الهيتي لا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ البِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّىٰ يَكْفُرَ[(٣)].

الشرح:

إنَّ قولَ البربهاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتضمَّن النَّهي عن الكلام في أحدٍ مِن أصحاب رسولِ الله ﷺ، وَقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[(٤)].

بل الكفُّ عن أصحاب رسول الله ﷺ وعدم الكلام فيهم هو قول أهل السُّنَّة قاطبةً، ومَنْ خالَفَ في ذلك فهو يُدلِّلُ علىٰ نفسِه أنَّه مُبتدعٌ.

وقولُه: «وَإذَا ظَهر لكَ مِن إنسانٍ شَيءٌ مِن البدَع فاحْذرْه؛ فَإِنَّ الَّذِي أَخفَىٰ عنكَ أكثر مِمَّا أظهَرَ»:

هذا فيه تنفيرٌ من أصحاب البدع، وأنَّ أهل البدع يَتسرَّرون ببدعهم، ويتخفَّون بها، بخلاف أهل السُّنَّة، فأهلُ السُّنَّة يَتحاشَوْن التَّسرُّر في أمور الدِّين، ويَرونَ أنَّ ذلك إنَّما هو طريقةُ أهل البدع، وَقَدْ قالَ عُمرُ بنُ عبدِ العزيز: «إذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ دُونَ العَامَّةِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ تَأْسِيسِ

(١) وفي نسخة الرَّداديّ بزيادة: «يا بُنَيَّ».

(٢) وفي نسخة الرَّداديّ بزيادة: «فاسقًا».

(٣) وفي نسخة الرّدادي: «ألا ترىٰ أنَّ يونس بن عبيد قد علم أنَّ الختنىٰ لا يُضلّ ابنه عن دِينه، وأنَّ صاحب البدعة يُضلّه حتَّىٰ يكفر».

(٤) أخرجه البخاريُّ (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخُدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومُسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ضَلَالَةٍ»[(١)]؛ لذلك فإنَّ أهل السُّنَّة يتحاشَوْن التَّخفِّي في أمور الدِّين، ويبتعدون عنه، ويعتبرونه من علامات أهل البدع.

ثمَّ قال: «وإذَا رَأيتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّريق والمذْهب، فَاسِقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ، ظَالمًا، وَهُوَ مِن أهْلِ السُّنَّة، فاصْحَبْهُ، واجْلِسْ معَهُ؛ فإنَّه لا تَضُرُّكَ مَعصِيتُه».

وأقولُ: لم يقُل المُؤلِّف هنا ما قاله إلَّا علىٰ سبيل المفاضلة بين المبتدع والفاسق؛ فالمبتدع يرىٰ أنَّه علىٰ حقٍّ، ويستمرُّ علىٰ ما هو عليه، بينما الفاسق يَعْتبِرُ نفسَه عاصيًا وظالمًا؛ فلذلك ينتظر منه التَّوبة، ولا شكَّ أنَّ صاحبَ الكبائر أقربُ إلىٰ الحقِّ مِن صاحب البدعة.

فلذلك يرىٰ المُؤلِّفُ أنَّ مجالسةَ الفاسق أهونُ وأخفُّ جُرمًا مِن مجالسةِ المبتدع، وليس معنىٰ ذلك أنَّه يأمُر بمجالسةِ الفاسق.

ويُبنَىٰ علىٰ ذلك قوله: «وإذَا رَأيتَ الرَّجلَ عَابدًا مجتهدًا، مُتقشِّفًا، مُحترقًا بالعِبادَةِ، صَاحب هوًىٰ، فَلَا تَجلِسْ معَهُ ولا تَسمَعْ كَلامَه...» إلخ:

وأقولُ: لقد بحثْنا عن كلمة «الهيتي» فلم نجد لها مصدرًا مع أنَّا نظرنا في كتب اللُّغة المُطوَّلة، ولعلَّ المراد بها: «المُخنَّث» نسبةً إلىٰ هيت المخنث الَّذي طرده النَّبيُّ ﷺ عن المدينة كما جاء في «الصَّحيحين»[(٢)] وغيرهما.

---

(١) أخرجه الدَّارميُّ في «السُّنن» (٣١٥ الدَّاراني)، وعبد الله بن أحمد في «زوائده» علىٰ «الزُّهد» (١٦٧٦ شاهين)، واللالكائيُّ في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٥١ طيبة)، والهرويُّ في «ذمِّ الكلام» (٤/ ٤٢٨)، وغيرُهم.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٤٣٢٤) عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبيُّ ﷺ وَعِنْدِي مُخَنَّثٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: «يَا عَبْدَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلَانَ؛ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ». وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا يَدْخُلَنَّ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ». قالَ ابن عُيينة: وقال ابنُ جُريجٍ: المخنَّث: هيت. حدَّثنا محمودُ، حدَّثنا أبو أسامةَ، عن هشام بهذا، وزاد: وهو محاصرُ الطَّائفِ =

أو المرادُ به الحرامُ الذي يجرُّ على النساء بالحرام نسبةً إلى امرأة العزيز حين قالت ليوسف - عليه الصلاة والسلام -: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، أو: ﴿هِيتُ لَكَ﴾ أو: ﴿هِئْتُ لَكَ﴾ هذه كلُّها قراءاتٌ(١)، ومعناها: هلمَّ فقد تهيأتُ لك.

وهذا إنَّما قلتُه اجتهادًا منّي، ولا أدري هل هو صوابٌ أو خطأٌ غير أنَّه هو الذي بلغه علمي، علمًا بأنَّ كلام يُونس بن عُبيد لولده حين رآه خرج مِن عند عمرو بن عبيد القدريِّ هذا فيه أنَّ مَنْ يخالط أصحاب المعاصي الكبائر خيرٌ ممَّن يخالطُ أصحابَ البدع، وكان معهم في بدعهم، ولو كان مجتهدًا في العِبادة، واللهُ التَّوفيق.



=

يدٍ، وأخرجه مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها (٢١٨٠).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٧٩ - ٢٨١ سلامة).

علامةُ صاحب البدعة

فاحْذَرْ ثمَ احْذَرْ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَانْظُرْ مَنْ تُجَالِس، وَمِمَّنْ تَسْمَعُ وَمَنْ تَصْحَبُ؛ فَإِنَّ الخَلْقَ كَأَنَّهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ[1] الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابنَ أَبِي دُؤَادٍ، وَالمِرِّيسِيَّ[2]، وَثُمَامَةَ، أَوْ أَبَا هُذَيلٍ، أَوْ هِشَامًا الفُوطِيَّ، أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَأَشْيَاعِهِمْ، فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَىٰ الرِّدَّةِ، وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيرٍ[3].

الشرح:

وأقولُ: إنَّ قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاحَذَرْ ثُمَ احْذَرْ أَهْلَ زمانِكَ خاصَّةً، وانظُر مَنْ تُجالِسْ، ومِمَّنْ تَسمَعُ، ومَنْ تَصحَبُ»:

في هذا تحذيرٌ لطالب العلم، وأنَّه لا ينبغي أنْ يُجالسَ ولا يصاحب ولا يسمعَ إلَّا ممَّن يثقُ بعلمِه وعقيدتِه.

أمَّا قولُه: «فإنَّ الخَلقَ كُلَّهم كأنَّهم في رِدَّةٍ»، فهذا كان ينبغي ألَّا يقوله، ولا يجوز الحكم علىٰ النَّاس جميعًا، ولكن مَنِ اعتقد مذهب المعتزلة فهو في هذه الحالة يُعَدُّ منهم، ومَنْ عظَّم رؤساء المعتزلة كأحمد بن أبي دؤاد، وبشر المرِّيسي،

---

(١) وفي نسخة الرَّداديِّ: «وانظر إذا سمعتَ الرَّجل يذكرُ ابن أبي دؤاد».

(٢) وفي نسخة الرَّداديِّ: «وبشر المرِّيسي».

(٣) وفي نسخة الرَّداديِّ بزيادة: «ومَن ذَكر منهم».

أو ثمامة بن أشرس، أو أبي الهذيل العلاف، أو هشام الفُوطِي، هؤلاء كلُّهم من رؤساء المعتزلة، فمَنْ رأيته يُعظِّمهم ويأخذ بآرائهم، فإنَّه يلتحق بهم، ويكون في عِدَادهم، ويجب أن يُهجَر كما هُجِرُوا؛ لأنَّه إذا ذكر هؤلاء بخيرٍ فهو واقعٌ فيما وقعوا فيه.

قوله: «إلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ»: هذا استثناءٌ، فكأنَّه لم ينجُ من الرِّدَّة إلَّا القليل مِمَّن عصمَه اللهُ، وهذا الكلام لا نُوَافِقُه عليه، بل إنَّ الأصلَ في المسلمين الإسلامُ، ولا يخرج من الإسلام إلَّا مَنْ تَبيَّنَتْ رِدَّتُه.

فإنْ كان قَدْ وقع في شيءٍ مِن البدع غير المُكفِّرة، أو وقع في شيءٍ من المعاصي، فنحن لا نحكمُ عليه بالكُفر؛ لأنَّ ذلك صعبٌ، وَقَدْ نُهينا عن التَّكفير إلَّا بأمرٍ واضحٍ يكون معنا فيه الدَّليل، سواءٌ كان ما نُكفِّره به قولٌ أو فعلٌ أو اعتقادٌ؛ أي: أنَّا لا نُكفِّره إلَّا بما اتَّضحَ أنَّه فيه باعترافه، أو ثبتَ عليه بقول الثِّقاتِ مِن النَّاس، وبالله التَّوفيقُ.



المحنة في الإسلام بدعة

وَالمِحْنَةُ فِي الإِسْلَامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ هَذَا العِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»(١). وَقَوْلِهِ: «لا تَقْبَلُوا الحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ»(٢)، فَتَنْظُرَ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ، لَهُ مَعْرِفَةٌ، صَدُوقًا، كَتَبْتَ عَنْهُ، وَإِلَّا تَرَكْتَهُ.

الشرح:

وأقولُ: قولُ المؤلِّف: «المحنةُ في الإسلام بدعةٌ» يعني: أنْ يُمتَحن الرَّجل حتَّىٰ يُعرَف: هل هو من أهل السُّنَّة أم لا؟

والظَّاهرُ: أنَّ عمومَ النَّاس علىٰ عُموم الإسلام، ولا نمتحن أحدًا إلَّا إذا أظهر لنا خلاف مذهب أهل السُّنَّة، بأنْ يكونَ مُتهاونًا بالإرجاء، أو بمعتقد الجهميَّة، أو الصُّوفيَّة، أو الرَّافضة، أو ما أشبه ذلك، فهو يُسأل عمَّا هو مُتَّهمٌ به.

---

(١) قال الشَّيخُ الرَّداديُّ: «وقد صحَّ هذا مِن قول الإمام محمَّد بن سِيرين رَحِمَهُ اللَّهُ، أخرجه مسلم في «المقدمة» (١/ ١٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٧٨)، والخطيب البغدادي في «الكفاية» (ص١٦١)، والرَّامهرمزيُّ في «المحدِّث الفاصل» (ص٤١٤)».

(٢) أخرجه الرَّامهرمزيُّ في «المحدِّث الفاصل» (ص٤١١ الفكر)، وابن عديّ في «الكامل» (١/ ٢٥٦ الكتب العلمية)، والخطيب في «الكفاية» (١/ ٢٥٧ - ٢٥٨ الفحل)، وفي «تاريخه» (٩/ ٣٠٢ الكتب العلمية)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٣١ العلميَّة)، مِن حديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا بلفظ: «لَا تَأْخُذُوا الْعِلْمَ إِلَّا عَمَّنْ تُجِيزُونَ شَهَادَتَهُ». وسُئل الإمام أحمدُ عنه كما في «المنتخب مِن العلل للخلال» لابن قدامة (١/ ١٢٣ الفاروق) فقال: «ليس بِصحيحٍ، هذا حديثٌ موضوعٌ مِن قِبَلِ صالحِ بنِ حسَّانَ، هذا رجلٌ مدينيٌّ، متروكُ الحديثِ». وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٠٩٠): «باطلٌ».

فإنْ كان مرجئًا يُسأل: هل الإيمان يزيدُ وينقصُ؟ وهل هو اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؟ أم يكفي فيه التَّصديق؟

وإذا كان معتزليًّا يُسأَل عن الأصول الخمسة الَّتي عند المعتزلة.

وإذا كان جَهْميًّا سُئِل عن الصِّفات، وعن القول في كتاب الله.

وإن كان رافضيًّا سُئِلَ عن أهل البيت: هل هم معصومون أو لا؟

وقولُه: «إِنَّ هَذَا العِلْمَ دِينٌ؛ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ»:

هذا قاله مُحمَّدُ بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلىٰ هذا فلا يُؤخَذ العلم إلَّا عن أهل السُّنَّة وأهل الحديث، بل وأصحاب الاستقامة فيهم دون غيرهم، وبالله التَّوفيق.



التحذير من الكلام والجدال والمراء والقياس والمناظرة في الدِّين

وَإِذَا أَرَدْتَ الاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّة قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الكَلامَ، وَأَصْحَابَ الكَلامِ، وَالجِدَالَ، وَالمِرَاءَ، وَالقِيَاسَ، وَالمُنَاظَرَةَ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ - وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ - يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي القَلْبِ، وَكَفَىٰ بِهِ قَبُولًا، فَتَهْلِكُ، وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، وَلا بِدْعَةٌ، وَلا هَوًىٰ وَلا ضَلالَةٌ إِلَّا مِنَ الكَلامِ، وَالجِدَالِ، وَالمِرَاءِ، وَالقِيَاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ البِدْعَةِ، وَالشُّكُوكِ، وَالزَّنْدَقَةِ.

الشرح:

أقولُ: في هذه الفقرة تحذيرٌ من الكلام، والمراد به المنطق الَّذي وقع فيه كثيرٌ من النَّاس في الأزمنة المُتقدِّمة، وأجهدُوا أنفسهم إجهادًا عظيمًا مِن أجل أنْ يصلُوا إلىٰ الحقيقةِ - كما زعموا -، ولكنَّهم لم يصلُوا إلىٰ حقيقةٍ، لذلك فقد نَدِمَ كثيرٌ ممَّن انغمسُوا في الكلام، حتَّىٰ إنَّ بعضَهم ليتمنَّىٰ أنْ يموتَ علىٰ دين العجائز، وهو اعتقاد العوام، حتَّىٰ قال بعضُهم(١):

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَىٰ ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

---

(١) وهو أبو الفتح محمَّد بن أبي القاسم الشّهرستاني كما في أوَّل كتابه: «نهاية الإقدام» (ص٧ الكتب العلمية)، وهو يقول في وصف حال أهل الكلام.

لذلك؛ فقد أوصىٰ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحذَّر من الكلام وأصحاب الكلام، وحذَّر من الجدال والمراء والقياس، والمناظرة في الدِّين، وبيَّن أنَّه كثيرًا ما يقدح الشَّكَّ في قلب المناظر، فيهلك بسببه، وأخبر أنَّه ما كانت قطُّ زندقةٌ، ولا بدعةٌ، ولا هوًى، ولا ضلالةٌ إلَّا مِن الكلام والجدال والمراء والقياس، وهي أبواب البدع والشُّكوك والزَّندقة.

وأقول: إنَّ هذا يحصل في الأغلب بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وزعمهم أنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ لا تُوصِلُ إلىٰ الحقيقة، فلمَّا فعلُوا ذلك إعراضًا منهم عن شريعة الله، واعتقدُوا الحقائق في كلام الفلاسفة عند ذلك عاقبهم الله، كما قال - جلَّ وعلا -: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وبالله التَّوفيق.



لزومُ الآثارِ نجاةٌ

فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالآثَارِ وَأَصْحَابِ الأَثَرِ وَالتَّقْلِيدِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، يَعْنِي: لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، وَمَنْ قَبْلَنَا لَم يَدَعُونَا فِي لَبْسٍ فَقَلِّدْهُمْ وَاسْتَرِحْ، وَلا تُجَاوِزِ الأَثَرَ وَأَهْلَ الأَثَرِ، وَقِفْ عِنْدَ مُتَشَابِهِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ[١]، وَلا تَقِسْ شَيْئًا[٢]، وَلا تَطْلُبْ مِن عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ البِدَعِ، فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، وَلا تُمَكِّنْهُمْ مِن نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ مَعَ[٣] فَضْلِهِ لَمْ يُجِبْ أَحَدًا[٤] مِن أَهْلِ البِدَعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا، فَيَقَع فِي قَلْبِي شَيْءٌ»[٥].

الشرح:

وأقولُ: قول المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّما هُوَ بِالتَّقْلِيدِ»:

---

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «المتشابه» بدون قوله: «القُرآن والحديث».

(٢) وفي نسخة الرَّداديّ: «ولا تفسِّر».

(٣) وفي نسخة الرَّداديّ: «في فضله».

(٤) وفي نسخة الرَّداديّ: «رجلًا» بدل «أحدًا».

(٥) أخرجه الدَّارميُّ في «سُننه» (١/ ٣٨٩ - ٣٩٠) رقم (٤١١)، وابنُ وضَّاح في «البدع» (٢/ ١٠٦ مكتبة ابن تيمية)، والفريابيُّ في «القدَر» رقم (٣٧٣)، والآجريُّ في «الشَّريعة» رقم (١٢١)، وابنُ بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (٢/ ٤٤٥) رقم (٣٩٨)، واللَّالكائيُّ في «أُصول الاعتقاد» رقم (٢٤٢).

أقول: رحم الله المُؤلِّف؛ فإنَّ اتِّباع النَّبيِّ ﷺ وأصحابه، واتِّباع الآثار ليس بتقليدٍ، وإنَّما التَّقليدُ هو متابعةُ مَنْ ليس بمعصومٍ علىٰ غير دليلٍ.

أمَّا متابعة النَّبيِّ ﷺ فهو الَّذي أمرنا الله به، وما كان ينبغي له أن يُسمِّيَ هذا تقليدًا.

وكذلك متابعة الصَّحابة ومَنْ بعدهم من السَّلف المُتَّبعين للآثار لم تكن متابعتهم تقليدًا، وإنَّما هي متابعةٌ للدَّليل إلَّا أنَّ العاميَّ الَّذي يُتابع العالمَ السُّنِّيَّ، ولا يعرفُ مأخذَه ولا دليله، هذا هو التَّقليدُ.

أمَّا مَنْ تابَع العُلماءَ قبلَه بحيث عرَف أدلَّتهم، وأخَذَ بها، وتابعَهم علىٰ ذلك، فإنَّ هذا هو المطلوب من العلماء، وهو أنَّهم يبحثون عن الأدلَّة مِن مَظانِّها، ويعملون بها، فهم يكونون بذلك مجتهِدين؛ مَنْ أصابَ منهم فله أجران، ومَن أخطأَ فلهُ أجرٌ.

أمَّا قولُه: «وَقِفْ عندَ مُتشابهِ القُرآنِ والحديثِ، وَلَا تَقِسْ شَيئًا، ولا تَطْلُبْ مِن عندِكَ حِيلةً تَرُدُّ بها علىٰ أهل البدَع»:

فمعنىٰ ذلك أنَّك لا تتكلَّف الرَّدَّ علىٰ المبتدع، ولا تجهد نفسك بمحاورته ومناظرته، فإنَّه يخاف عليك في ذلك، وليس هذا يكون لكلِّ النَّاس، بل مَنْ آنَس مِن نفسِه القُوَّة والقُدرة والعلم علىٰ مناظرتهم بحُجَجٍ يَقْرعهم بها كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فالظَّاهر أنَّ ذلك جائزٌ، وبالله التَّوفيق.



مِن علامة الجهميّ الزعمُ بتعظيم الله وتنزيهه

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللهَ، إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَدْفَعَهُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعَظِّمُ اللهَ وَيُنَزِّهُهُ[(١)]. إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرُّؤْيَةِ، وَحَدِيثَ النُّزُولِ، وَغَيْرَهُ، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا قَالَ: إِنَّا[(٢)] نُعَظِّمُ اللهَ أَن يَنْزِلَ[(٣)] مِن مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرْ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَىٰ هَذَا الحَالِ، وَحَذِّرِ النَّاسَ مِنْهُم، وَإِذَا سَأَلَكَ الرَّجُلُ[(٤)] مِنْهُم عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا البَابِ[(٥)] وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ فَكَلِّمْهُ وَأَرْشِدْهُ، وَإِذَا جَاءَكَ يُنَاظِرُكَ؛ فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّ فِي المُنَاظَرَةِ المِرَاءَ وَالجِدَالَ وَالمُغَالَبَةَ وَالخُصُومَةَ وَالغَضَبَ، وَقَدْ نُهِيتَ[(٦)] عَنْ جَمِيعِ هَذَا، وَهُوَ يُزِيلُ عَن طَرِيقِ الحَقِّ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَن أَحَدٍ مِن فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ جَادَلَ أَوْ نَاظَرَ أَوْ خَاصَمَ.

---

(١) وفي طبعة: «ويتزهّد» كما ذكر ذلك الرّدادي وفقه الله.

(٢) وفي طبعة: «إنَّا نحن نعظم الله». كما ذكر ذلك الردادي وفّقه الله.

(٣) وفي نسخة الرّداديّ: «أن يزول».

(٤) وفي نسخة الرّداديّ: «أحد».

(٥) وفي نسخة الرّداديّ: «الكتاب».

(٦) وفي نسخة الرّداديّ بعد قوله: «وقد نهيت عن هذا» زيادة: «جدًا يخرجان جميعًا من طريق الحقّ».

قَالَ الحَسَنُ[١]: «الحَكِيمُ لا يُمَارِي وَلا يُدَارِي، حِكْمَتُهُ يَنْشُرُهَا[٢]؛ إِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ»[٣].

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الحَسَنِ، فَقَالَ: أَنَا أُنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الحَسَنُ: «أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَاذْهَبْ فَاطْلُبْهُ»[٤].

وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا؟ وَيَقُولُ الآخَرُ: أَلَم يَقُل اللهُ كَذَا؟ فَخَرَجَ مُغْضَبًا، فَقَالَ: «أَبِهَذَا أَمَرْتُكُمْ؟ !»[٥] أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ؟ ! أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَه بِبَعْضٍ؟ !»[٦] فَنَهَاهُمْ عَنِ الجِدَالِ[٧]، وَكَانَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَكْرَهُ المُنَاظَرَةَ، وَمالِكُ بنُ أَنَسٍ، وَمَنْ فَوْقَهُ، وَمَنْ دُونَهُ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا[٨]، وَقَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الخَلْقِ، قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -:

---

(١) وفي نسخة الرَّدادي: «الحسن البصري».

(٢) وفي نسخة الرَّدادي: «ولا يداري في حكمته أن ينشرها».

(٣) قال الشَّيخ الرَّداديّ حفظه الله: «أخرجه نُعيم بنُ حمَّاد في «زوائده على الزُّهد» لابن المبارك (٣٠)، وابنُ بطَّة في «الإبانة الكبرى» (٦١١)، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ مبهمٌ». اهـ

(٤) قال الشَّيخُ الرَّداديّ: «أخرجه الآجريُّ في «الشَّريعة» (ص٥٧)، واللَّالكائيُّ في «السُّنَّة» (٢١٥)، وابن بطَّة في «الإبانة الكبرى» (٥٨٦)، وهو صحيحٌ». اهـ

(٥) وفي رواية عند الإمام أحمد: «أمرتم».

(٦) قال الشَّيخُ الرَّداديّ: «الحديث صحيح؛ أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥، ١٩٦)، وابن ماجه في المقدِّمة، باب في القدر (٨٥)، واللَّالكائيُّ في «السُّنَّة» (١١١٨، ١١١٩)، وصحَّحه البوصيريُّ في «زوائد ابن ماجه» (١/ ١٤)، والألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حاشية شرح الطَّحاوية» (ص٢١٨). » اهـ. قال الشَّيخُ القحطانيُّ: «وفي «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد فقرة (٨٦)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١/ ٢٦٠)». اهـ.

(٧) وفي طبعة: (فنهى عن الجدال). والحديث أخرجه ابن ماجه (٨٥)، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنَّة» (٤٠٦).

(٨) قال الشَّيخ الرَّداديّ: «انظر المصادر الآتية، ففيها مزيدٌ من البيان: «سُنن الدَّارمي» (١/ ٧٧)، و«السُّنَّة» =

﴿مَا يُجَادِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤].

وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: مَا ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ[١] نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢]. فَقَالَ: «لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا[٢] لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ»[٣]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المُؤْمِنُ لا يُمَارِي، وَلا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَدَعُوا المِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ»[٤]، انتهى.

الشرح:

وأقولُ: إنَّ قولَ البربهاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجلَ يقولُ: إنَّا نحنُ

= للالكائي (١/ ١١٤ - ١٥٠)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطَّة (٤٨٣ - ٥٤٩)، و«الفقيه والمتفقِّه» للخطيب البغدادي (١/ ٢٣٠)، و«الحجَّة» للأصبهاني (١/ ٣١١)». اهـ.

(١) وفي نسخة الرَّداديِّ: «النشطات».

(٢) قال الشَّيخ القحطاني: «محلوقًا، وذلك أنَّ سيما الخوارج التحليق». انظر تفصيل ذلك في آخر كتاب «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد». اهـ.

(٣) قال الشَّيخُ الرَّداديّ: «الرَّجل الَّذي سأل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه هو صَبِيغٌ، وقصَّته صحيحةٌ مشهورةٌ؛ أخرجها الدَّارميُّ (١/ ٥١)، وابن وضَّاح في «البدع» (ص٥٦)، والآجريُّ في «الشَّريعة» (ص٧٣)، واللَّالكائيُّ في «السُّنَّة» (ص٦٣٤ - ٦٣٦)، وابن بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (١/ ٤١٤ - ٤١٥)». اهـ

والقصَّة كما أخرجها الدَّارميُّ (١٤٦) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: صَبِيغٌ، قَدِمَ المَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ القُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ رضي الله عنه، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ العَرَاجِينِ، فَضَرَبَهُ، وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، «فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّىٰ دَمِيَ رَأْسُهُ»، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.

(٤) الحديث قال عنه الشَّيخُ الرَّداديُّ: «ضعيفٌ جدًّا؛ أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (٨/ ١٧٨ - ١٧٩)، والآجريُّ في «الشَّريعة» (ص٥٥ - ٥٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (١/ ١٥٦، ٧/ ٢٥٩): «وفيه كثير بن مروان، وهو ضعيفٌ جدًّا». وقال في (١/ ١٠٦): «وفيه كثيرُ بن مروان كذَّبه يحيىٰ والدَّارقطنيُّ». وانظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٤٠٩)»، ثمَّ قال الرَّداديّ وفَّقه الله: «تنبيه: وقع اسم كثير بن مروان عند الآجريِّ مُصحَّفًا إلىٰ حكيم بن مروان»! اهـ.

نُعظِّمُ اللهَ، إذا سمعَ آثارَ رسولِ اللهِ ﷺ، فاعلمْ أنَّه جهميٌّ يُريدُ أنْ يَرُدَّ أثرَ رسولِ اللهِ ﷺ، ويَدْفَعَهُ بهذه الكَلِمَةِ، وهُوَ يَزْعُمُ أنَّه يُعظِّمُ اللهَ ويُنزِّهُهُ.

إذا سمعَ حديثَ الرُّؤيةِ وحديثَ النُّزولِ وغيرَه أفَلَيسَ قد رَدَّ أثرَ رسولِ اللهِ ﷺ إذا قالَ: إنَّا نحنُ نُعظِّمُ اللهَ أنْ ينزلَ مِنْ موضعٍ إلى موضعٍ، فقدْ زعمَ أنَّهُ أعلمُ باللهِ مِنْ غيرِهِ، فاحذَرْ هؤلاءِ؛ فإنَّ جُمهورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقةِ وغيرِهِمْ على هذا الحالِ، وحذِّرِ النَّاسَ منهم».

الظَّاهر منه أنَّه شاع هذا في زمنه عند مَنْ يُعطِّلون صفات الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّهم يزعمون أنَّ ذلك من باب التَّعظيم لله عَزَّوَجَلَّ، وهم يزعمون أنَّهم يُنزِّهونه مِن النُّزول والصُّعود والاستواء وما أشبه ذلك، ويَرُدُّون آثار رسول الله ﷺ مِن أجل ذلك.

وما هذه إلَّا خدعةٌ تعلَّموها من شيوخهم المبتدعة، فهم يخدعون الجاهل بقولهم: إنَّا نُعظِّم الله، ويَرُدُّون آثار رسول الله ﷺ بهذه الحيلة، وهم مع ذلك يتركون آثار رسول الله ﷺ ويتركون كتاب الله حينما يُلبِّسون على النَّاس هذا التَّلبيس.

ولا والله، ما عظَّم اللهَ مَنْ ردَّ خبرَه وترَك أمرَه، ولا عَظَّم رسولَه ﷺ مَنْ فعَلَ ذلك في سُنَّته، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

فهذا تحذيرٌ من هذا الإمام من هؤلاء الجَهَلة الضَّالِّين الَّذين يتركون قولَ الله وقولَ رسولِه ﷺ، ويأخذون بآرائهم أو آراء شيوخهم، فأيُّ تعظيمٍ لله ولرسوله قام به مَنْ يفعل ذلك؟ !

فنسألُ اللهَ أنْ يُعافينا مِمَّا ابتلاهم، علمًا بأنَّهم إذا عطَّلوا صفاتِ الله عَزَّوَجَلَّ يكونون قَدْ جرَّدوه من صفات الكمال، وجعلوا له صفات الجماد الَّذي لا يتحرَّك، والعياذ بالله!

قوله: «وَإِذَا سَأَلَكَ الرَّجلُ منهم عن مَسْأَلةٍ في هَذَا البَاب وَهُوَ مُسترشِدٌ، فَكَلِّمْهُ وَأَرْشِدْهُ، فإذا جَاءَكَ يُناظرُك فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّ في المناظَرَةِ المراءَ وَالجِدَالَ والمغَالَبَةَ والخُصُومَةَ والغَضَبَ، وَقَدْ نُهيتَ عن جميع هذا، وهو يُزيل عن طَرِيقِ الحقِّ، ولم يَبْلُغنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهائنا وعُلمائِنَا أَنَّه جَادَلَ أَوْ نَاظَرَ أَوْ خَاصَمَ».

وأقولُ: قول المُؤلِّف هاهنا فيه تحذيرٌ من الجدال والخصام والمناظرة والمغالبة.

وَقَدْ يُقالُ: إنَّ فيه تفصيلًا:

١- إن كان الإنسان يغلب علىٰ ظنِّه أنَّه سيغلب في المناظرة لحفظه للنُّصوص الَّتي تدين خَصْمَه، فالظَّاهر أنَّه يجوز له ذلك، وكذلك فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لقد ناظر كثيرًا من فئات البدع والآراء الضَّالَّة؛ فغلبهم وجادلهم وخاصمهم فبهرهم.

٢- أمَّا إذا كان الإنسان يجد من نفسه الضَّعف عند استحضار الأدلَّة، والضَّعف في شَخصيَّته، فإنَّ استحضار الأدلَّة قَدْ يكون في بعض المواضع يحتاج إلىٰ شَخصيَّةٍ تُعزِّزه، فإنَّه في هذه الحالة ينبغي له أن يترك المناظرة.

هذا هو الأَوْلَىٰ في نظري؛ أخذًا بما قرأناه عن ترجمة الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما أثر عن عليِّ بن أبي طالبٍ في إرساله لابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لمناظرة الحروريَّة[1].

أمَّا ما رواه عن الحسن أنَّه قال: «الحَكِيمُ لَا يُمارِي وَلَا يُدَارِي، حِكْمَتُه يَنْشُرُهَا،

---

(١) انظر قصَّة مُناظرة ابن عبَّاس للخوارج في: «السُّنن الكُبرىٰ» للنَّسائيِّ رقم (٨٥٢٢)، و«المستدرك» للحاكم (٢/ ١٦٤ رقم ٢٦٥٦)، و«السُّنن الكُبرىٰ» للبيهقيِّ رقم (١٦٧٤٠). وقال الحاكم: «هَذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط مُسلمٍ، ولم يخرِّجاه».

إِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ، حَمِدَ اللهَ»[١].

فهذا لا بأسَ به علىٰ وجهٍ ممَّا قُلناه، ليستعمل الإنسان البيانَ، وليجتنب المناظرة والمغالبة، ولينشر الحقَّ من طريق الدُّروس والبيان الَّذي يستطيع عليه، ولا يترك المجال لأهل البدع؛ فإنَّ في عمله هذا مدافعةً عن الدِّين الإسلاميِّ وعن السُّنَّة بقدر ما يستطيع هذا، والتَّوفيقُ مِن اللهِ.

إنَّ الدَّاعيةَ إلىٰ الدِّين الحقِّ بحاجةٍ إلىٰ كثرة الدُّعاء، واللُّجوء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُعينَه ويُثبِّته ويُوفِّقه.

ثمَّ إنَّ الحكاية الَّتي حكاها عن الحسن، إنْ صَحَّت فهي جَيِّدةٌ، أي قولُه: «أنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَلَسْتُ بحاجَةٍ أَنْ أُناظِرَ عليه، أو أُخاطرَ به، فإنْ كُنْتَ يا أيُّها المُبتدعُ قَدْ أَضْللتَ دِينَك، فاذهبْ فابحثْ عنه أَوْ اطْلُبْهُ».

أمَّا قوله: «وَسَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ قومًا علىٰ بَاب حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَقُل اللهُ كَذَا، وَيَقُولُ الآخَرُ: أَلَمْ يَقُل اللهُ كَذَا، فَخَرَجَ مُغْضَبًا، وَقَالَ: أَبِهَذَا أَمَرْتُكُمْ، أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَضرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَنَهَاهُمْ عَنْ الجِدَالِ»:

قال المُعلِّقُ[٢]: أخرجه أحمدُ في «المسند» (٢/ ١٧٨ - ١٨١)، وابن ماجه في المقدمة رقم الحديث (٨٥)، وصَحَّحه صاحب «الزَّوائد» علىٰ ابن ماجه.

ففي هذا الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ خاف علىٰ أُمَّته من أنْ يضربوا كتاب الله بعضه ببعضٍ، وطالب العلم بحاجةٍ أن يعرف الآيات المتعارضة، والتَّوفيق بينها إن كان التَّوفيق ممكنًا، وأن يعرف النَّاسخَ من المنسوخ، والمطلقَ من المُقيَّد،

(١) سبق بيان ضعفِ هذه الرِّواية.

(٢) أي: القحطانيّ.

والعامَّ من الخاصِّ، فإذا تعلَّم هذه المسائل وهضَمَها، فإنَّه ينبغي له أنْ يعمَلَ بها ويعلِّمَها غيرَه.

ولا شكَّ أنَّ تَرْك الجدال أَوْلَىٰ، إلَّا أنَّ المناقشة الَّتي تحصل من قومٍ يريدون أن يَتوصَّلوا إلىٰ الحقِّ، وإلىٰ القول الرَّاجح في المسألة، من دون رغبةٍ في ظهور الشَّخصيَّة، أو الرِّياء للنَّاس، وحبِّ الاستعلاء، ففي هذه الحالة لا شيء في ذلك.

ومثل ذلك الجدال في الحجِّ إذا كان الجدال مقصودًا به التَّوصُّل إلىٰ الحقِّ، والبحث عنه، والأخذ به، فهذا لا يمنع إنْ شاء الله.

قوله: «**وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ المناظَرَةَ، وَمَالِكُ بنُ أَنس وَمَنْ فَوقَهُ وَمَنْ دُونَهُ إلىٰ يَوْمِنَا هَذَا**[١]، وقول الله تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]»:

قد تقدَّم أن قلت ما ترجَّح لي في المناظرة، وهو الَّذي أعتقدُ أنَّه الحقُّ.

أمَّا الاستدلال بالآية علىٰ منع الجدال بالكُلِّيَّة، فهذا فيه نظرٌ؛ لأنَّ هذه الآية نازلةٌ في جدال الكُفَّار للمؤمنين؛ إذ إنَّ قصدَهم أنْ يغلبُوا المؤمنين بجدالهم الَّذي يُريدون به نُصرةَ الباطل.

قولُه: «**وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فَقَالَ مَا:** ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا﴾؟ **فَقَالَ: لَوْ كُنْتَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ**»[٢].

وأقولُ: شبيهٌ بهذه الرِّواية ما ورَد في قصَّة صبيغ بن عِسل العراقي عند الإمام الدَّارميِّ في «مقدّمته»: جعل يسأل عن أشياء من القُرآن في أجناد المسلمين حتَّىٰ قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلىٰ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلمَّا أتاه

(١) تقدم قريبًا تخريج هذا الأثر.

(٢) تقدَّم قريبًا تخريج هذا الأثر.

الناس بالكتب يقرأ، فقال: أين الرجل؟ قال: في الرحل.

قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك منه العقوبة الموجعة، فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة، وأرسل عمر إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له.

قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد - والله - برئت.

فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ألا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه أن قد حسنت توبته، فكتب عمر أن ائذن للناس بمجالسته[1].

قوله: «وقال النبي ﷺ: المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمماري يوم القيامة. ودعوا المراء لقلة خيره».

قال محققه[2]: انظر تخريجه في مجمع الزوائد (١/١٥٦ و٧/٢٥٩).

قلت: هذا الحديث لا أدري الآن من خرجه[3]، ولكن يغنينا عنه الحديث الصحيح: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» رواه أبو داود وغيره[4]، والله الموفق.

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٠) [illegible] عن أبي أمامة رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٧٣).

أربعة أهواء هي أصل الفرق

وَلا يَحِلُّ لِرَجُلٍ[(١)] أَنْ يَقُولَ: فُلانٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ، حَتَّى يَعْلَمَ[(٢)] أَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ، لا يُقَالُ لَهُ: صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّهَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: «أَصْلُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوًى: أَرْبَعَةُ أَهْوَاءٍ، فَمِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ الأَهْوَاءِ تَشَعَّبَتْ[(٣)] الاثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، وَالشِّيعَةُ، وَالْخَوَارِجُ»[(٤)]، فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَى أَصْحَابِ[(٥)] رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْبَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَدَعَا لَهُمْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشَيُّعِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَمَنْ قَالَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِرْجَاءِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَمَنْ قَالَ: الصَّلاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرَ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَمَنْ قَالَ: الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

---

(١) في نسخة الرضواني: «ولا يحل لامرئ مسلم».

(٢) في نسخة الرضواني: «حتى يعلم منه».

(٣) في نسخة الرضواني: «انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى».

(٤) انظر: «الإبانة الكبرى» لابن بطة (١/ ٣٧٩/ ٢٧٨).

(٥) في نسخة الرضواني: «على جميع أصحاب».

الشرح:

وأقول: إنَّ صاحبَ السُّنَّة هو مَنْ سلَّمه اللهُ عَزَّوَجَلَّ من هذه الأهواء، وكان آخذًا بالسُّنن الَّتي جاءتْ عن النَّبيِّ ﷺ، وعن أصحابه، على طريقة المحدِّثين، ومَنْ قلَّدهم مِن العوامِّ.

وَقَدْ ذكر البربهاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ صاحبَ السُّنَّة هو: «مَنِ اجتمعَتْ فيه خصالُ السُّنَّة» بِأَنْ يكون سليمًا من الأهواء المذكورة جميعًا.

والمعروف أنَّ أصول البدع خمسةٌ، وهي:

١- الجهميَّة.

٢- الشِّيعة.

٣- الخوارج.

٤- المرجئة.

٥- القَدريَّة.

والمقصود بالقدريَّة: أصحاب الاعتزال الَّذين يُقَال لهم: العقلانيُّون، فلم يذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجهميَّة، ولعلَّه ممَّن يرى أنَّهم ليسُوا من أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ.

وَقَدْ ذكر قول عبد الله بن المبارك: «أصلُ اثنين وسبعينَ هوًى: أربعةُ أهواءٍ، فمن هذه الأربعة الأهواء تَشعَّبَت الاثنان وسبعون هوًى...».

ثمَّ قال: «فمَنْ قَدَّم أبا بكرٍ وعُمر وعُثمان وعَليًا على أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ ولم يَتكلَّم في البَاقِينَ إلَّا بخَيرٍ، ودَعَا لهُم؛ فقدْ خَرَجَ مِن التَّشيُّع أوَّلِه وآخِرِه»: والمعروفُ أنَّ الشِّيعة لهم فرقٌ، فهو قَدْ خرج من ذلك إذا قال بهذا القَولِ في الصَّحابةِ.

«ومَنْ قَالَ: الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ، يَزيدُ ويَنقُص، فَقَدْ خَرَجَ مِن الإرْجَاءِ كُلِّهِ أَوَّلِهِ

وَآخِرِهِ»؛ لأنَّ مَنِ اعتقد أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ، واعتقد الفرق بين المؤمنين ومنازلهم في الإيمان، فإنَّه حينئذٍ يكون قَدْ خرج من الإرجاء، والمقصود بالإرجاء: تأخير العمل، وأنَّه ليس من الإيمان(١).

ولهذا نرىٰ أنَّ البخاريَّ في كتاب (الصَّحيح) قَدْ ردَّ علىٰ المرجئة ردودًا مقنعةً لِمَنْ أراد الحقَّ، ولسْنا الآن بمثابة تفصيل ذلك، فمن شاءه فليقرأ كتاب الإيمانِ للبخاريِّ في «صحيحه».

ثمَّ قال: «وَمَنْ قَالَ: الصَّلاة خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَاجرٍ، والجِهَاد مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَم يَرَ الخُرُوجَ علىٰ السُّلْطَانِ بالسَّيفِ، وَدَعَا لهم بالصَّلاحِ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَولِ الخَوَارِجِ أَوَّلِهِ وآخِرِهِ»:

وأقولُ: إنَّ الخروج علىٰ السُّلطان تارةً يكون بالسَّيف، وتارةً يكون بالمنازعة والإثارة، وكلُّ ذلك مُحرَّمٌ.

وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ الخروجَ علىٰ وُلَاة الأمر بجميع أنواعه؛ سواءٌ كان بالكلمة بذِكْر مساوئ الوُلَاةِ، ونشْر ما يَصدُر عنهم مِنَ الشَّرِّ، وكَتْم ما عندهم مِن الخير والفضائل، فيجبُ علىٰ كلِّ مُسلمٍ أنْ يحذَر هذا، وكذلك الخروج عليهم بالسَّيف.

والمهمُّ أنَّ قولَ المُؤلِّف: «وَلَمْ يَرَ الخُرُوجَ عَلَىٰ السُّلْطَان بالسَّيْفِ»: ربَّما يكون فيه مَنْفذٌ لِمَنْ يريد الشَّرَّ، ويقول: إنَّ الكلمة إنَّما هي أمرٌ بمعروفٍ، ونهيٌ عن منكرٍ، فلا تكون خروجًا، وهذا باطلٌ؛ فالمُحرَّم منازعة السُّلطان؛ أي: ذوي السُّلطان سلطانهم، والمُحرَّم إثارةُ العامَّة عليهم، والمُحرَّم نشر مساوئهم، وكتم ما عندهم من الخير، لينتشر بغضُهم في قلوب النَّاس، هذا كلُّه مُحرَّمٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة.

---

(١) أي: أنَّ الإيمان عند مرجئة الفقهاء: اعتقاد بالقلب، ونطقٌ باللِّسان فقط.

قَولُه: «ومَنْ قَالَ: المقَادِيرُ كلُّها مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، خيرُها وشَرُّها، يُضِلُّ مَنْ يشاءُ، ويهدِي مَنْ يَشَاءُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَولِ القَدَرِيَّةِ أوَّلِهِ وآخِرِه، وَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ»:

وأقولُ: سبق لنا أنَّ القَدريَّة قسمان:

أ - القدريَّة النُّفاة: وهم الَّذين يقولون: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يُقدِّر الكفر، ولم يُقدِّر الفسوق والفواحش، وأنَّ هذه الأعمالَ هي مِن أعمال العباد خارجةٌ عن قَدَر الله.

وهذا هو قول عامَّة المعتزلة، ومِن لوازم هذا القول: أنَّ العبدَ خَالِقٌ لأفعاله، ومِن لوازمه: نسبة اللهِ إلىٰ العجز - جلَّ وتَقدَّس عن ذلك -، ومِن لوازمه: أنَّه يقع في مُلكِه ما لم يشأه ولم يُرِدْه، وهذا كلُّه لا يجوز، والقائلونَ بهذا القول فرُّوا من شيءٍ، ووقعوا فيما هو أشدُّ منه.

ب - أمَّا القدريَّة الغُلاة: وهم الَّذين يقولون: إنَّ العبدَ ليس له تَصرُّفٌ، وأنَّ تصرُّفَه قهريٌّ.

وهؤلاء هم القَدريَّة المجبرة، ويقالُ: إنَّهم انقرضُوا.

والمهمُّ: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: إنَّ المقاديرَ كلَّها من الله؛ خيرَها وشرَّها، حُلْوَها ومُرَّها، فهو يقدر الخير كونًا، ويُريدُه شرعًا، ويُقدِّرُ الشَّرَّ كونًا، ولا يُريده شرعًا، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ﴾ [الزُّمر: ٧].

فالقَدَر الكونيُّ: هو القدَرُ العامُّ الَّذي كتبه اللهُ في اللَّوح المحفوظ، وهذا يشمل الكفر والإيمان، والطَّاعة والعصيان، والبرَّ والفسوق.

والقَدَر الشَّرعيُّ: هو ما أنزل اللهُ في كتبه، وبلَّغه إلىٰ الأمم علىٰ أَلْسِنَة رسُلِهِ، والَّذي يريده الله من العباد أنْ يُؤمنُوا بالكتب والرُّسل، وآخرُ الكتُب القُرآن،

وآخرُ الرُّسل رسولُنا محمَّد بنُ عبد الله صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وباتِّباع الكتُب والرُّسل تَضْمن النَّجاة، وبترك ذلك يَتعرَّض العبد لما لا طاقة له به من العذاب، وبالله تعالىٰ التَّوفيق.



بعض أقوال الرافضة الشنيعة

وَبِدْعَةٌ[(١)] ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللهِ العَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ لا شَكَّ فِيهِ، مَنْ يُؤْمِنُ[(٢)]، وَيَقُولُ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه حَيٌّ، وَسَيَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَىٰ بنُ جَعْفَرٍ، وَيُعَظِّمُونَ[(٣)] الأَئِمَّةَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الغَيْبَ، فَاحْذَرْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللهِ العَظِيمِ[(٤)].

قَالَ طُعْمَةُ بنُ عَمْرٍو[(٥)]، وَسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شِيعِيٌّ، لا يُعَدَّلُ، وَلا يُكَلَّمُ، وَلا يُجَالَسُ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَىٰ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ قَدَّمَ الأَرْبَعَةَ[(٦)] عَلَىٰ جَمِيعِهِمْ[(٧)]، وَتَرَحَّمَ عَلَىٰ البَاقِينَ، وَكَفَّ عَنْ زَلَلِهِمْ، فَهُوَ عَلَىٰ طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ وَالهُدَىٰ فِي هَذَا البَابِ.

---

(١) وفي طبعة ذكرها الشيخ الرّدادي: «وكلّ بدعة».

(٢) وفي طبعة ذكرها الشيخ الرّدادي: «والّذين يُؤمنون بالرّجعة، ويقولون: عليٌّ بن أبي طالب».

(٣) وفي نسخة الرّدادي: «تكلّموا فيه»، أي: في عليٍّ رضي الله عنه وذرّيته، وأنّه هو وأحفاده هم الأئمّة المعصومون، وأنّهم يعلمون الغيب... إلىٰ غير ذلك مما هو معروفٌ عن معتقدات الشّيعة الإماميّة.

(٤) وفي نسخة الرّدادي زيادة قوله: «ومَن قال بهذا القول».

(٥) وفي نسخة الرّدادي: «طعمة بن عمر»، والصّواب: طعمة بن عمرو.

(٦) وفي نسخة الرّدادي: «ومن قدّم الثلاثة» - المقصود بالثّلاثة: أبو بكر الصّدّيق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النّورين رضي الله عنهم، والرّابع: هو أبو السّبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والله أعلم.

(٧) وفي نسخة الرّدادي: «علىٰ جماعتهم».

❁ الشرح:

قوله: مَنْ يؤمنُ بهذه التُّرُّهات وهو قول الرَّافضة أو الشِّيعة أو بعض فرقهم من قولهم: إنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ لم يمُت، وأنَّ الرَّعد صوته، والبرق سوطه هذه تُرَّهاتٌ كاذبةٌ؛ فالرَّعد موجودٌ قبل وجود عليِّ بن أبي طالبٍ وبعده، والبرق كذلك.

وكذلك الَّذين يعتقدون أنَّ المهديَّ المنتظر في غيبةٍ قصيرةٍ أو طويلةٍ، وأنَّه سيُبعَث، وأنَّه سيُعاقِب الَّذين أخذوا حقَّ أهلِ البيت، كلُّ هذه تُرَّهاتٌ باطلةٌ فالمهديُّ المنتظر الَّذي يزعمونه، ويزعمون أنَّه دخل السِّرداب في تاريخ (٢٦٠ هـ)، وأنَّه إلى الآن في غيبته.

وقولهم عن عليِّ بن أبي طالبٍ: «إنَّه لم يمُتْ»، وقولهم عن هؤلاءِ الَّذين ذكرهم المؤلِّف أو كلُّ أئمَّة الجعفريَّة: «إنَّهم يعلمون الغيب»، هذا كلُّه اعتقادٌ باطلٌ، ومَنِ اعتقده كفَرَ.

ومَنِ اعتقَدَ أنَّ فُلانًا سيُبعَثُ قبل يوم القِيامةِ؛ فقد كذَّب الله في خبره، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ لِنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٥ - ٩٧]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فمَنْ يقول بهذه الأقوال الباطلة[١] لم يُؤمن بكتاب الله، فكان لذلك كافرًا.

إنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتُبه، ورُسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدرِ خيرِه وشرِّه.

وإنَّ مِن مُقتضيات الإيمان أنَّ اللهَ منفردٌ بعلم الغيب، فمَنْ أعطىٰ علْمَ الغَيب لغيره، فهو كافرٌ بالله تعالىٰ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]. إلىٰ غير ذلك من الآيات، فهؤلاء الَّذين قالوا هذه الأقوال لا شكَّ في كُفرهم، وبالله التَّوفيقُ.

أمَّا قولُه: «**وَبِدْعَةٌ ظَهَرَتْ**» أو «**وكُلُّ بدعةٍ ظهرت هي كفرٌ بالله العَظِيمِ**»، فهذا القول فيه تجاوزٌ لا يقرُّ عليه المُؤلِّف؛ فليس كلُّ بدعةٍ تكون كفرًا، ولكن البدع تنقسم إلىٰ قسمين:

أ- مُكفِّرةٌ. ب- مُفسِّقةٌ.

ولا يجوز أن نحكم عليها[٢] جميعًا بأنَّها كفرٌ، فإنْ قصد أنَّ القول بأنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ لم يمت، وأنَّه في السَّحاب، وأنَّ الرَّعد صوته، والبرق سوطه، فهذه البدعة مَنِ اعتقدها فهو كافرٌ، ولسنا نقول بأنَّ كلَّ بدعةٍ كفرٌ، ولا المُؤلِّف يقول ذلك، هذا بيانٌ للاحتمال الوارد في قول المُؤلِّف المذكور.

قوله: «**قَالَ طعمَةُ بنُ عَمْرو، وسُفيانُ بن عُيَينَةَ: مَنْ وَقَفَ عندَ عُثمانَ وعَليٍّ؛ فهو شيعيٌّ لا يُعدَّل، ولا يُكلَّم، ولا يُجالَس. ومَنْ قدَّم عليًّا علىٰ عُثمانَ؛ فهُوَ رَافضيٌّ**

(١) أي: ما ذكره المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن اعتقادات الشِّيعةِ، وما علَّق عليه شيخُنا النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن شطحاتهم.

(٢) أي: البدع.

قَدْ رفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ومَنْ قَدَّمَ الأربعَةَ علىٰ جميعهم، وتَرحَّم علىٰ الباقِينَ، وكَفَّ عن زَلَلِهِمْ؛ فهو علىٰ طَريق الاستقامةِ والهُدَىٰ في هذا الباب»:

وأقولُ: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة: تقديم الأربعة الخلفاء علىٰ ترتيبهم: أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عُثمان، ثمَّ عليٌّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ بقيَّة العشرة، ثمَّ مَنْ هاجر الهجرتين، ثمَّ مَنْ هاجر إلىٰ المدينة، ثمَّ أصحاب بدرٍ، ثمَّ أصحاب بيعة الرِّضوان، ثمَّ مَنْ أسلم وهاجر قبل الفتح، ثمَّ مَنْ أسلم وهاجر بعد الفتح، ثمَّ صغار الصَّحابة.

هذا ترتيب الصَّحابة في الأفضليَّة، وأنَّه يجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أنْ يَترضَّىٰ عنهم، ويكفَّ عن زَلَلهم، هذه طريقة السَّلف الصَّالح في أصحاب النَّبيِّ ﷺ، أمَّا غيرُهم من الشِّيعة والخوارج وغيرهم فإنَّهم ضَالُّون في حقِّ أصحاب رسول الله ﷺ، مبتدعون، يجب الحذر منهم ومن أقوالهم الشَّنيعة، وترقيعاتهم الفظيعة، وبالله التَّوفيق.



طريق أهل السُّنة الحقُّ

وَالسُّنَّةُ: أَن تَشْهَدَ أَنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجنَّة أَنَّهُمْ مِن أَهْلِ الجنَّة لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا تُفْرِدْ بِالصَّلاةِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ فَقَطْ، وَتَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَمَنْ قتلَهُ كَانَ ظَالِمًا، فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الكِتَابِ وَآمَنَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا، وَلَمْ يَشُكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا؛ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ[1]، كَامِلٌ قَدِ اكْتَمَلَتْ فِيهِ الجَمَاعَةُ، وَمَنْ جَحَدَ حَرْفًا مِمَّا فِي هَذا الكِتَابِ، أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ شَكَّ ووَقَفَ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوًىٰ، وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ القُرْآنِ أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ مُكَذِّبًا، فَاتَّقِ اللهَ وَاحْذَرْ، وَتَعَاهَدْ إِيمَانَكَ.

الشرح:

أقولُ: السُّنَّة أنْ نشهدَ لمَنْ شهدَ له رسولُ الله ﷺ بالجنَّة؛ كالعشرة المشهود لهم بالجنَّة[2]،..

(١) وفي نسخة الردادي: «السُّنَّة».

(٢) كما في حديث عبد الرَّحمن بن حُميد، عن أبيه: «أنَّ سَعِيدَ بنَ زَيدٍ حدَّثَه في نَفَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ! فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي باللهِ! أَبُو الأَعْوَرِ في الجنَّةِ». قال أبو عيسى: «أَبُو الأَعْوَرِ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ. وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ: «هُوَ أَصَحُّ مِنَ الحَدِيثِ الأَوَّلِ». والحديث أخرجه التِّرمذيُّ =

وثابت بن قيس بن شمَّاس(١)، والمرأة السَّوداء الَّتي كانت تُصْرَع(٢).

أمَّا غير هؤلاء فلا نشهد لأحدٍ بالجنَّة، ولا نشهد علىٰ أحدٍ بالنَّار(٣)، ولا نقطع لأحدٍ بإحدىٰ المنزلتين، ولكنَّا نرجُو للمُطيع، ونخافُ علىٰ العاصي.

وحقُّ الصَّحابة: التَّرضِّي عنهم، وحقُّ الأنبياءِ: الصَّلاة والسَّلام عليهم، وحقُّ غيرهم: التَّرحُّم إذا كان من أهل الخير والصَّلاح، والتَّرحُّم علىٰ المسلمين عمومًا، هذه هي طريقة أهل السُّنَّة.

= (٣٧٤٨)، وأخرج نحوه أبو داود (٤٦٤٩)، وابنُ ماجه (١٣٣)، وغيرُهم مِن أهل الحديث. وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٦١١٨ و٦١١٩).

(١) كما في الحديث الَّذي أخرجه البخاريُّ (٣٦١٣)، ومُسلمٌ (١١٩) واللَّفظُ له، عن أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَىٰ؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَىٰ، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

(٢) كما في الحديث المتَّفق عليه، واللَّفظ للبُخاريّ: عن عَطَاءِ بن أبي رَبَاح رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ لي ابْنُ عَبَّاس: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَت النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي! قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا». أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلمٌ (٢٥٧٦).

(٣) كما في حديث أمّ العلاء حين سمعها النَّبيُّ ﷺ وهي تقولُ لعُثمان بن مظعون رضي الله عنهما حين مرض ومات: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ! فَقَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟**»، فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللهِ الْيَقِينُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ**». قَالَتْ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا. وفي رواية: «**وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي**»، رواه البخاري (٢٦٨٧) و(١٢٤٣).

ويجوز أن نُصلِّيَ علىٰ الآل والصَّحب تبعًا لرسول الله ﷺ إذا صلَّينا عليه، ولا يجوز أن نُفْرِدَ أحدًا بالصَّلاة والتَّسليم عليه، هذا في الشِّعار المتداول بين المسلمين؛ لأنَّ الصَّلاة والسَّلام من خصائص الأنبياء، والتَّرضِّي من خصائص الصَّحابة، وسائر النَّاس يُدْعَىٰ لهم بالرَّحمة.

قوله: «ولا نُفْرِدُ بالصَّلاةِ علىٰ أحدٍ إلَّا رسول الله ﷺ فقط»:

أقولُ: يجوز أن نُصلِّي علىٰ الآل والصَّحب تبعًا كما تقدَّم، ولا يجوز أن نعمل ذلك مع أحدٍ منهم بالانفراد، ونعتقد أنَّ مَنْ يخصُّون عليًّا بالصَّلاة والسَّلام عليه أنَّهم مبتدعةٌ.

أمَّا إنْ أراد أحدٌ الدُّعاء، فقال لأخيه وصاحبه: رضي الله عنك، فإنَّ ذلك يجوز علىٰ سبيل الدُّعاء في الحالات النَّادرة، لا أنْ يُتَّخذ شعارًا.

قوله: «وتَعلم أنَّ عُثمانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، ومَنْ قَتَلَه كانَ ظَالمًا»:

لا شكَّ أنَّ ذلك هو الَّذي ينبغي اعتقادُه في قَتْل عُثمان، وأنَّ الخوارجَ الَّذين قتلُوه كانوا ظالمين له، خارجين عليه، يُعدُّون مِن المبتدعة.

قَوله: «فمَنْ أَقَرَّ بما في هذا الكِتَاب، وآمَن بِهِ، وَاتَّخذَهُ إمَامًا، ولم يَشُكَّ في حَرْفٍ مِنْهُ، ولم يجْحَدْ حَرْفًا منهُ؛ فهُوَ صاحبُ سُنَّةٍ وجماعةٍ، كَامِلٌ قَدْ اكتمَلَتْ فيهِ الجماعةُ، ومَنْ جَحَدَ حَرْفًا ممَّا في هذا الكِتَاب، أَوْ شَكَّ في حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ شَكَّ فِيهِ، أَوْ وَقَفَ، فَهُو صَاحبُ هوًىٰ»:

وأقول: قَدْ سبق أنْ قال البربهاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مثل هذا أو قريبًا منه في كتابه هذا، وقلتُ: ليته لم يقل هذا الكلام، فإنَّ هذا الوصف لا يجوز أن يُقَال إلَّا في القُرآن.

أمَّا ما كَتَبه أحدٌ من النَّاس فلا ينبغي أن يُوصَف بهذا الوصف؛ لأنَّا جعلنا

العصمة لكاتبه من الخطأ، وهذا غير صحيحٍ، فقوله هذا فيه مبالغةٌ عظيمةٌ باطلةٌ.

وَقَدْ قال الإمام مالكٌ: «كلٌّ يُؤخَذُ مِن قولِه ويُردُّ إلَّا صاحب هذا القبر، وأشارَ إلىٰ قبر رسولِ اللهِ ﷺ»(١).

وكان ينبغي له ألَّا يُبالغَ هذه المبالغة، ولا يصف كتابه بهذا الوصف الَّذي لا يُوصَف به إلَّا كتاب الله، وأنَّه لا شكَّ أنَّ عملَه هذا خطأٌ، فإنَّه قَدْ سوَّىٰ كتابَه هذا بالقُرآن.

ونحن معه نقول: إنَّ مَنْ شكَّ أو جَحَد حرفًا من القرآن، أو في شيءٍ جاء عن رسول الله ﷺ مِن طرقٍ صحيحةٍ لا شكَّ فيها؛ فإنَّه إذا كذَّب بشيءٍ مِن ذلك، لقيَ اللهَ مُكذِّبًا بذلك الأمر الَّذي كذَّب به.

وسُنَّة رسولِ الله ﷺ لا يجوز جَحْدُها، ولا القدح فيها، ولا ضرب الأمثال لها، ولكن لا نقول ذلك إلَّا فيما صحَّ عنه صِحَّةً لا شكَّ فيها.

أمَّا غير ذلك، فإنَّه يحتمل الصِّحَّة وغيرها، ولو كان الأمر علىٰ ما تكلَّم به المحدِّثون في بعض الأحاديث، فقَولُه: «أو في شَيءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»:

---

(١) قال الإمامُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في «صفة صلاة النَّبيِّ ﷺ» (ص٤٩): «نسبة هذا «ليس أحدٌ بعدَ النَّبيِّ ﷺ إلَّا ويُؤخذُ مِن قوله ويُترَكُ إلَّا النَّبيّ ﷺ» إلىٰ مالكٍ هو المشهور عند المتأخِّرين، وصحَّحه عنه ابنُ عبدِ الهادي في «إرشاد السَّالك» (٢٢٧/ ١)، وقد رواه ابنُ عبد البرِّ في «الجامع» (٢/ ٩١)، وابنُ حزم في «أصول الأحكام» (٦/ ١٤٥و١٧٩) مِن قولِ الحكَم بن عُتَيبة ومجاهد، وأورده تقيُّ الدِّين السُّبكي في «الفتاوىٰ» (١٤٨/١) من قول ابن عبَّاس مُتعجِّبًا من حُسنِه، ثُمَّ قال: «وأخذ هذه الكلمة من ابن عبَّاس مجاهدٌ، وأخذَهما منهما مالكٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واشتهرتْ عنه».

قلتُ - أي: الألبانيُّ -: «ثُمَّ أخذَها عنهم الإمام أحمد؛ فقد قال أبو داود في «مسائل أحمد» (ص٢٧٦): سمعتُ أحمدَ يقول: ليس أحدٌ إلَّا يؤخذُ مِن رأيه ويُترك ما خلا النَّبيّ ﷺ». اهـ.

كان يَنبغِي أنْ يُقيِّدَه بما صحَّ.

قَولُه: «لَقِيَ الله مُكَذِّبًا» أي: بما كذَّب به، وليس بكلِّ ما جاء عن الله وعن رسولِه ﷺ.

قولُه: «فاتَّقِ الله، وَاحْذَرْ، وتَعَاهَدْ إيمَانَكَ»: هذا حقٌّ ونحن معه فيه.



الطَّاعة في المعروف

وَمِنَ السُّنَّةِ[1] أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا الوَالِدَيْنِ[2] وَالخَلْقَ جَمِيعًا، لا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَاكْرَهْ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ.

وَالإِيمَانُ بِأَنَّ التَّوْبَةَ فَرِيضَةٌ عَلَى العِبَادِ، أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِن كَبِيرِ المَعَاصِي وَصَغِيرِهَا.

الشرح:

وأقولُ: قَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «لا طَاعَةَ لمخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ»[3]؛ فمَنْ أمرك بمعصيةٍ فلا تطعه فيها حتَّى ولو كان أبوك أو أمُّك.

قَولُه: «وَلا يُحبُّ عَلَيهِ أَحَدًا، وَاكْرَه ذَلِكَ كُلَّهُ»: أي لا تحبَّ أحدًا وأنت ترى عليه آثار المعصية باديةً، وأَوْثَقُ عُرَى الإيمان: الحبُّ في الله، والبغض في الله.

وأقولُ: إنَّ الحبَّ في الله والبغض في الله أمرٌ واجبٌ لا يتمُّ الإيمان إلَّا به، ولكنَّه يختلفُ مِن شخصٍ إلى شخصٍ، ومِن حالةٍ إلى حالةٍ؛ فمَنْ عرفت منه الاستقامة على الشَّريعةِ، والبُعد عن مخالفتها، وجب عليك أن تُحبَّه بكلِّ قلبك، ومَنْ كان عنده أصل الإسلام، وعنده مخالفاتٌ (كبائر أو صغائر)، فعليك أن

---

(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «ألَّا تعين أحدًا».

(٢) وفي نسخة الرَّداديّ: «ولا أولي الخير».

(٣) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٨/ ١٧٠) (١٥٠٩١)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على «المشكاة» (٣٦٩٦).

تُحبّه بقدر ما فيه مِن أصل الإسلام، وتبغضه على ما عنده مِن المخالفة، هذا هو الواجب على كلِّ شخصٍ، وبالله التَّوفيق.

هذا ظاهر الأوامر الرَّبَّانيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]. فقد نادى الله المؤمنين باسم الإيمان، وأمرهم بالتَّوبة إليه توبةً نصوحًا؛ أي: توبةً خالصةً لا يشوبُها شكٌّ ولا رياءٌ، ولا يُقصَد منها عرَضٌ مِن الأعراض الدُّنيويَّة القاصرة، وإنَّما يكون المقصود منها التَّوبة الَّتي تجُبُّ ما قبلها، وتكون نافعةً لصاحبها، وفي الآية الأخرى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، وفي الحديث عند مسلم من حديث ابن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ». رواه مسلمٌ(٢).

وبالجملة: فإنَّ التَّوبةَ واجبةٌ مِن كلِّ المعاصي حتَّىٰ يَلقىٰ العبدُ ربَّه وهو طاهرٌ نظيفٌ، أو يحمل حملًا خفيفًا، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بعض الآثار الواردة في وجوب لزوم السُّنة

وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجنَّة؛ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَضَلالَةٍ، شَاكٌّ فِيمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ، وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ[1] رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ قَصَّرَ فِي العَمَلِ»[2]. وَقَالَ بِشْرُ بنُ الحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنَّةُ هِيَ الإِسْلامُ، وَالإِسْلامُ هُوَ السُّنَّةُ»[3]. وَقَالَ فُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْت رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّة، فَكَأَنَّمَا أَرَىٰ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِذَا رَأَيْت رَجُلًا مِن أَهْلِ البِدَعِ فَكَأَنَّمَا أَرَىٰ رَجُلًا مِنَ المُنَافِقِينَ»[4]. وَقَالَ يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو اليَوْمَ إِلَىٰ السُّنَّة، وَأَعْجَبُ مِنْهُ المُجِيبُ إِلَىٰ السُّنَّة[5]»[6]. وَكَانَ ابنُ عَوْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ عِنْدَ المَوْتِ: «السُّنَّةَ السُّنَّةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالبِدَعَ، حَتَّىٰ مَاتَ»[7].

---

(١) وفي طبعة ذكرها الشيخ الرَّداديّ: «أصهاري».

(٢) أخرجه بنحوه الهرويُّ في «ذمّ الكلام وأهله» (٤/ ١١٩ - ١٢١) رقم (٨٧٩ و٨٨٠ و٨٨١).

(٣، ٤) لم أجده.

(٥) وفي نُسخة الرَّداديّ زيادة: «فيَقبلُ».

(٦) لم أجده بهذا اللَّفظ. لكنْ أخرَج ابنُ بطَّة في «الإبانة» (١/ ١٨٥) (٢٠)، واللَّالكائي في «السُّنَّة» (٢١، ٢٢، ٢٣)، وأبو نُعيم في «الحِلية» (٣/ ٢١)، عن يُونس بن عُبيدٍ قال: «أصبَحَ مَن إذا عُرِّفَ السُّنَّةَ عرفَها غرِيبًا، وأغربُ منهُ مَن يُعرِّفُها».

(٧) لم أجده.

الشرح:

وأقولُ: في هذه الفقرة قرَّر المؤلِّف أنَّ مَنْ لم يشهد لمَنْ شهدَ له رسولُ الله ﷺ بالجنَّة، فهو صاحبُ بدعةٍ وضلالةٍ، شاكٌّ فيما قال رسول الله ﷺ، وإنَّ الواجب علىٰ العبد تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر به مع اليقين أنَّ كلَّ ما قاله علىٰ طريق التَّشريع فهو وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ.

وأهلُ السُّنَّةِ يُثبتون الجنَّة لمَنْ أثبتها له رسول الله ﷺ، ويَتيقَّنون بقلوبهم أنَّ كلَّ ما يقوله - صلوات الله وسلامه عليه - مِن الغَيبيَّات فهو واقعٌ كما أخبر، لا يَتخلَّف أبدًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النَّجم: ٣، ٤].

ثمَّ في الآثار الَّتي حكاها أمر بلزومِ السُّنَّة واتِّباعها، والإيمان بها وعدم مخالفتها، وفي ذلك إخبارٌ بأنَّ أصحاب السُّنَّة هم العُلماء والعُظماء، وإنْ حصل مِن بعضِهم تقصيرٌ في العمل، فاتِّباعهم لرسولِ الله ﷺ واقتفاؤهم لآثاره، وعملهم بها ظاهرًا وباطنًا، وتعظيمهم لها سرًّا وعلنًا هو دليلٌ علىٰ أنَّهم هم أهل الحقِّ، ومَنْ عداهم مِن أهل البدع فهو علىٰ خطَرٍ عظيمٍ وإنْ اجتهد في العمل، وبالله التَّوفيق.



الاعتصام بالسُّنة نجاة

وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَرُئِيَ فِي المَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لأَبِي عَبْدِ اللهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ عَنِ السُّنَّة»[(١)]. وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ السُّنَّة مَسْتُورًا فَهُوَ صِدِّيقٌ، الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ[(٢)]»[(٣)]. وَقَالَ سُفيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ أَصْغَىٰ بِأُذُنِهِ إِلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، خَرَجَ من عِصْمَةِ اللهِ، وَوُكِلَ إِلَيْهَا». يَعْنِي: إِلَىٰ البِدَعِ»[(٤)].

الشرح:

قوله: «وَقَالَ أَحمدُ بنُ حُنبل: مَاتَ رَجلٌ مِن أَصْحَابي، فرُئِيَ في المنَام؛ فقَالَ: قُولُوا لأَبي عَبْدِ اللهِ: عَلَيْكَ بالسُّنَّةِ؛ فإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَني رَبِّي عَزَّوَجَلَّ عَنْ السُّنَّة»:

أقولُ: الرُّؤيا الَّتي ذكرت لأبي عبد الله لعلَّها من الرُّؤيا الصَّالحة، وإنَّ الاعتصام بالسُّنَّة والمتابعة لها والعمل بها، والموالاة عليها والمعاداة مِن أجل تَرْكها، والحبّ لأصحابها وحَمَلتها، والبغض لمَنْ أعرض عنها، هذا من المأمورات الَّتي تطابق

---

(١) لم أجدْه.

(٢) وفي نُسخة الرَّدادي: «ويُقالُ: الاعتصامُ بالسُّنَّة نَجاةٌ».

(٣) الأثر بطُوله لم أجده، وأمَّا الجزءُ الأخير منه: «الاعْتِصَامُ بالسُّنَّةِ نَجَاةٌ»، فقد جاء عن الزُّهريِّ. أخرجه الدَّارميُّ في «سُننه» (٩٧)، وابنُ بطَّة في «الإبانة» (١/ ٣٢٠) (١٦٠)، واللَّالكائيُّ في «أُصول الاعتقادِ» (١٥)، وغيرُهم.

(٤) الأثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦، ٣٤) وابن بطَّة في «الإبانة الكُبرىٰ» (٢/ ٤٦١) (٤٤٤).

عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بتعظيم نبيِّه، وتعظيم ما جاء به نَبيُّه ومُتابعته، والعمل عليه؛ فقال - جلَّ من قائل -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

والله تعالىٰ يقولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...»(١).

ويقول: «فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٩٣٧).

بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

ويقول ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»(٢).

ويقول: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»(٣).

إلىٰ غير ذلك ممَّا ورد في السُّنَّة؛ أي: في الحثِّ علىٰ تعلُّمها وحملها، وإبلاغها إلىٰ الغير، وفي ضمن ذلك وعيدٌ لمَنْ أعرض عنها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَتبيَّن من هذه الآيات والأحاديث وجوب اتِّباع سُنَّة النَّبيِّ ﷺ والرَّغبة فيها، واليقين بأنَّها خير سبيل.

قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

أقولُ: ما عظَّم سُنَّة رسول الله ﷺ أحدٌ إلَّا عَظَّمه المؤمنون، وما أعرض عنها وزهَّد فيها أحدٌ إلَّا كان حَرِيًّا أنْ يُهِينَه اللهُ ويخزيَه ويُذلَّه.

---

(١) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٧٣٥)، وفي «الإرواء» (٢٤٥٥).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٥٨)، وابنُ ماجه (٢٣٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (١٨٧)، و«صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نسأل اللهَ أنْ يجعلَنا من المُعظِّمين لها، المُتَّبعين لأوامرها، والمُجْتَنبين لزواجرها، والمُصدِّقين لأخبارها، والمشتغلين بها في جلِّ أوقاتنا.

ومِن هذا تعلمُ أنَّ هذه الرُّؤيا وافقَتْ ما أمَرَ اللهُ به في كتابه، وما أمر به رسوله ﷺ في سُنَّته.

قوله: **وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ الرِّياحيِّ** - تابعيٌّ مِن كبار التَّابعين، لقي جُلَّ الصَّحابةِ، وقرَأ عليهم، وتَعلَّم السُّنن منهم -: «**مَنْ مات علىٰ السُّنَّة مستورًا، فهو صِدِّيقٌ، والاعتصام بالسُّنَّة نجاةٌ**»: وهذا القول أيضًا يُعتَبر من الحثِّ علىٰ اتِّباع السُّنَّة.

كما أنَّ قول سفيان الثَّوريِّ: «مَنْ أصغىٰ بأُذُنِهِ إلىٰ صاحبِ بدعةٍ، خرج من عصمة الله، وَوُكِلَ إليها»، يعني: البدعة، وهو مِن الأقوال الَّتي تزجرُ عن الرُّكون إلىٰ البدع وأهلها، والإصغاء إلىٰ أصحابها، فليس ذلك شأن المؤمنين، ولا طريقتهم، وبالله التَّوفيق.

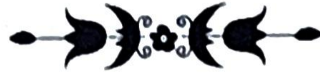


الحذر من التعامل مع أهل البدع والأهواء

وَقَالَ دَاوُدُ بنُ أَبِي هِنْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَوْحَىٰ اللهُ - تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ - إِلَىٰ مُوسَىٰ بنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لا تُجَالِسْ أَهْلَ البِدَعِ، فَإِنْ جَالَسْتَهُمْ تَحاكَّ[1] فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أُكْبِبْتَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[2].

الشرح:

هذا القول فيه مبالغةٌ، ولعلَّه مِمَّا أُخِذَ من التَّوراة.



(١) وفي نسخة الرَّداديّ: «فحاك في صدرك».

(٢) قال الشيخُ الرَّدادي وفَّقه الله: «أخرج ابن وضَّاح في «البدع» نحوه (ص٤٩) عن محمَّد بن أسلم، وأخرج الآجريُّ في «الشَّريعة» نحوه (ص - ٥٧)، وابن بطَّة في «الإبانة الكُبرى» (٥٥٦) نحوه، عن خُصيف بن عبد الرَّحمن الجزريّ». اهـ.

كيفيَّة التعامل مع المبتدع

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، لَمْ يُعْطَ الحِكْمَةَ»[(١)].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «لا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ»[(٢)].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الإِسْلامِ مِنْ قَلْبِهِ»[(٣)].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَجُزْ فِي طَرِيقٍ غَيْرِهِ»[(٤)].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَىٰ هَدْمِ الإِسْلامِ، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ؛ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ؛ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ؛ لَم

---

(١) قال الشَّيخ الرَّدادي: «الأثر أخرجه اللالكائي في «السُّنة» (٢٦٣، ١١٤٩)، وابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٤٣٩) وإسناده حسن». اهـ.

(٢) قال الشَّيخُ الرَّدادي: «أخرجه اللَّالكائيُّ في «السُّنَّة» (٢٦٢)، وابن بطَّة «الإبانة الكبرىٰ» (٤٤١، ٤٥١)، وإسناده حسن». اهـ.

(٣) قال الشَّيخُ الرَّداديّ: «وأخرجه اللالكائي (٢٦٣)، وابنُ بطَّة (٤٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص١٦)، وإسنادُه صحيحٌ». اهـ.

(٤) قال الشَّيخُ الرَّداديّ: «أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابنُ بطَّة (٤٩٣)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص١٦)، وإسناده صحيح».

يَزَلْ فِي سَخَطٍ مِنَ اللهِ حتَّىٰ يَرْجِعَ»[١].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ جَلسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، وَرَّثَهُ العَمَىٰ»[٢].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «آكُلُ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، وَلا آكُلُ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأُحِبُّ أَن يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِن حَدِيدٍ»[٣].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «إِذَا عَلِمَ اللهُ مِن الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ؛ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ[٤]، وَلا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا[٥]، وَمَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا، وَمَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، آمَنَهُ اللهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، رَفَعَهُ اللهُ فِي الجنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، فَلَا تَكُنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللهِ أَبَدًا»[٦].

---

(١) قال الشَّيخ الرَّداديّ: «أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص١٦) إلىٰ قوله: «فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا»، وإسناده صحيح، وليس عندهما أيضًا قوله: «ومن تبسم ...». » اهـ

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٩) (٤٣٧)، واللالكائيُّ في «أصول الاعتقاد» (٢٦٤طيبة).

(٣) قال الشَّيخ الرَّدادي: «أخرجه اللالكائي (١١٤٩)، وأبو نعيم (٨/ ١٠٣)، وأخرج ابن بطَّة (٤٧٠) الشطر الثاني منه، وإسناده صحيح». اهـ.

(٤) قال الشَّيخ الرَّدادي: «أخرج هذا الشَّطر أبو نعيم في «الحِلية» (٨/ ١٠٣) بإسنادٍ صحيحٍ، وعنده: «رَجَوتُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ». » اهـ.

(٥) قال الشيخ الردادي: «أخرج نحوه أبو نعيم (٨/ ١٠٤) بإسنادٍ صحيحٍ، وأخرجه ابن بطّة بلفظه (٤٢٩) بإسنادٍ لا بأس به». اهـ.

(٦) لم أجِدْه عن الفُضيل، وورد نحوه مرفوعًا عن ابن عمر، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٩ - ٢٠٠ السَّعادة)، وغيره. ولا يصحُّ. انظُر «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٥٠٤ - ٥٠٥ برقم ٩٣ المعلِّمي).

وسئل عنه شيخ الإسلام فقال - كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ٣٤٦) -: «هذا الكلام معروفٌ عن الفُضيل بن عِياض».

الشرح:

قَولُ البَربهاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ الفُضَيلُ بنُ عياض: مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ لَمْ يُعْطَ الحِكْمَةَ»:

هذا مِن الزَّجْر عن مجالسة أصحاب البدع، ومِن بعض عُقوبات مَنْ جالسهم.

وقَولُه: **«وقالَ الفُضيلُ بنُ عياضٍ: لا تَجلسْ مَعَ صَاحِبِ بدْعَةٍ؛ فَإنّي أَخَافُ عَليكَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيكَ اللَّعْنَةُ»:**

أقولُ: هذا أيضًا من الزَّجر عن مجالسة أهل البدع، فإنَّه لا يُؤمَن أن تنزل عليهم اللَّعنة بسبب بِدَعِهم، فيكون مَنْ حضر معهم من أهل السُّنَّة له نصيبٌ من تلك اللَّعنة، كما أنَّ مَنْ حضر مجالس الخير، ومجالس السُّنَّة، ومجالس الحقِّ، فإنَّ له نصيبًا من خيرها.

وَقَدْ جاء في الحديثِ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ لِلهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهم رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ.**

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ.

قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.

قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ.

قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْهَا.

قَالَ: يَقُولُ: فَكَيفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ.

قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا.

قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لهَا مَخَافَةً.

قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الملَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّما جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». متَّفقٌ عليه[(١)].

وأقول: كما أنَّ مَنْ جالس أهل السُّنَّة فإنَّه لا يَشْقىٰ بمجالستهم، بل ينال خيرًا من ذلك، فكذلك مَنْ جالس أصحاب البدعة فإنَّه ينالُه نصيبٌ من السُّخط الَّذي ينزلُ عليهم. نسأل الله أنْ يعصمَنا من البدع، وأنْ يجعلَنا مِن المُتَّبعين للسُّنن، والمبتعدين عن البدع.

وقَولُه: «مَنْ أحبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ»:

هذا فيه زجرٌ أيضًا من محبَّة أصحاب البدع، وإنَّ محبَّة أصحاب البدع علىٰ ما عندهم من البدع أمرٌ يخالف ما أمر الله به، فلذلك لعلَّه يَتعرَّض لإحباط العمل كلِّه، أو شيءٍ منه، ولعلَّه يَتعرَّض لإطفاء جذوة الإيمان مِن قلبِه، وضعف نُور الإيمان فيه، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

وقَولُه: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَجُزْ فِي طَرِيقٍ غيره»:

بمعنىٰ أنَّك تجاوز عنه وابتعد عنه، ولعلَّ الصَّواب: إذا جلسَ صاحبُ بدعةٍ في طريقٍ، فجُزْ في طريقٍ غيره.

وقَولُه: «قَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَىٰ هَدْمِ الإِسْلَام، وَمَنْ تَبسَّم فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بما أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مُبْتَدِعًا فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبعَ جِنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ، وَقَالَ الفُضَيلُ بنُ عياض: آكُلُ مَعَ يَهُودِيٍّ أو نَصْرَانيٍّ، وَلَا آكُلُ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ»:

وأقولُ: هذا من الزَّجْر عن معاشرة المبتدع والأكل معه، واتِّباع جنازته إذا مات، والنَّهي عن تزويجه علىٰ كريمتك، والانبساط إليه، كلُّ ذلك منهيٌّ عنه، وهو من الزَّجر عن معاشرة المبتدع كما قلنا.

قَولُه: «وقَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: إِذَا عَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّه مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ، غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ، وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا»:

يعني: أنَّ مُمَالأَةَ السُّنِّيِّ للبدعيِّ تُعتَبر من النِّفاق؛ لأنَّ الأصل أنَّ صاحب السُّنَّة يجبُ أنْ يُبغضَ المبتدعَ، ويبغضَ عملَهُ.

وقَولُه: «وَمَنْ أَعْرَضَ بوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا، وَمَنِ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللهُ يومَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ رَفَعَهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ؛ فَلَا تَكُنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللهِ أَبَدًا»:

معنىٰ ذلك: لا تصاحب صاحب البدعة، ولا تُؤاخيه في الله.

وأقول: إنَّ بعضَ هذا الكلام فيه نظرٌ؛ فرِفْعة الدَّرجات في الجنَّة لا تكون إلَّا عن توقيفٍ، وعلىٰ العموم فالزَّجر حاصلٌ عن مصاحبة أصحاب البدع، والرِّضا بعملهم.

نسأل الله أنْ يجعلَنا من أهل السُّنَّة، وأَنْ يُعِيذَنَا مِنَ البِدَع؛ صَغِيرِهَا وكَبِيرِها. والحمد لله علىٰ الانتهاء من شرح هذا الكتاب.

وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.



الخاتمة

الحمدُ لله حَمْدًا حَمْدًا، والشُّكر لله شُكْرًا شُكْرًا، وأُصلي وأُسلِّم علىٰ خير خَلْقه محمَّدٍ ﷺ وعلىٰ آله وصَحْبه، صلاةً وسلامًا كثيرًا دَوَام اللَّيل والنَّهار.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فإنْ كان لي من مقالٍ في خِتام هذا الشَّرح البهيِّ لشيخنا النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ والَّذي أشكرُ اللهَ فيه أوَّلًا وآخرًا علىٰ ما مَنَّ به من إتمام تبييض هذا الشَّرح البديع لشيخنا ووالدنا الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ، والذي أجاد في شرح هذا المتن وأفاد؛ فجزاه الله خيرًا، وأسألُ اللهَ أن يُثيبه علىٰ ذلك أعظمَ ثواب.

وأحمدُ الله تعالىٰ علىٰ أنْ قُمت بتبييضه، وعزو الآيات التي فيه إلىٰ مَظَانِّها من السُّوَر، وتخريج الأحاديث إلىٰ مصادرها من كتب السُّنَّة، والإحالة علىٰ آثار السَّلف الَّتي ذُكِرَتْ في ثنايا هذا البحث إلىٰ مَراجعها من الكتب - إنْ وَجَدْتُ لها مَصدرًا، وإن كان المقام يَحتاج إلىٰ توضيح فائدة وضَّحتُها بقدر الاستطاعة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

ثمَّ أُكرِّر شُكري وتقديري إلىٰ كلِّ من كانت له يدُ طُولىٰ في مُساعدتي لإخراج هذا الشَّرح الرَّائع بأجمل هيئة، وأبهىٰ صُورة، وأَبَىٰ اللهُ أنْ تكونَ العصمةُ إلَّا لرسوله ﷺ.

فإنْ وَجَدَ القارئُ خطأً في هذا الكتاب فلا يَبخل بتوضيحه وبيانه، فالكمال

عزيز، والله المستعان.

وأخيرًا: نرجو الدُّعاء بظهر الغيب للمَاتن البربهاريِّ بالرَّحمة والمغفرة من الله، ولشارحِه شيخِنا النَّجميِّ، ولكاتب الأسطر، ولجميع مَن ساهم في إنجاز هذا الكتاب الجليل القَدْر، ولبقية المسلمين - بالهداية والتوفيق لما يُحبُّه اللهُ ويرضاه.

ونسأله تعالىٰ أنْ يَختمَ لنا جميعًا بخاتمة السَّعادة، وأنْ نكونَ مِن أهل الجِنان، والفائزين برضا الكريم الرَّحمن، وأنْ ننجوَ جميعًا مِن عذاب الله في دار البُؤس والجحيم.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ خاتم النَّبيِّين والمُرسلين، وعلىٰ أَتْبَاعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين.

سطرها المُعلِّم

حسن بن محمد بن منصور دغريري

٦ / ١١ / ١٤٢٢هـ



فتحُ الرَّبِّ الغنيِّ
بتوضيح شرح السُّنَّة للمُزنيِّ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن إبراهيم الدغريري

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء وسَيِّد المرسلين، نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وأصحابه ومَنِ اهْتَدىٰ بهداه واسْتنَّ بسُنَّته إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فيسرُّنا أَنْ نُقدِّم لكم «شرح السُّنة» للشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأصل هذا الشَّرح دروسٌ ألقاها في دورة الشَّيخ عبد الله بن محمد القرعاوي العلميَّة الثَّامنة بجامع المكتبة السَّلفيَّة بصامطة.

وَقَدْ قُرِئ علىٰ الشَّيخ من الكتاب الَّذي حَقَّقه الشَّيخ جمال عزُّون، وَقَدْ قمتُ بالآتي:

١- ترجمة الإمام إسماعيل بن يحيىٰ المزني، وقَدِ اختصرتُها من التَّرجمة الَّتي جمعها الشَّيخ جمال عزُّون.

٢- إثبات متن «شرح السُّنَّة» للإمام المزني كامِلًا في أوَّل الكتاب، لأهمِّيَّة ذلك.

٣- إثباتُ الآياتِ القُرآنيَّة بالرَّسم العُثمانيِّ، وعزوها إلىٰ مواضعها في المصحف الشَّريف.

٤- تخريج الأحاديث وعزوها إلىٰ مصادرها.

٥- بيان درجة الحديث قَدْر المستطاع.

٦- إضافة بعض التَّعليقات، ونقل بعضها من التَّعليقات الَّتي قام الشَّيخ

جمال عزُّون بإضافتها في تحقيقه للرِّسالة المذكورة.

٧- التَّعريف بالأعلام الَّذين وَرَد ذِكْرهم في الشَّرح بترجمةٍ مختصرةٍ.

٨- وضعُ عناوين لفقرات الكتاب المشروح تيسيرًا علىٰ القارئ حتَّىٰ يَصلَ إلىٰ بُغيته بيُسرٍ.

واللهَ أسألُ أنْ يجعل هذا العملَ خالصًا لوجهه الكريم، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه، ومَنِ اتَّبَعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

كتبه تلميذُه

حسن بن إبراهيم هادي دغريري



ترجمة المزني

١- كنيته، اسمه، نسبه:

هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشَّافعي.

والمزني - بضمِّ الميم، وفتح الزَّاي، وفي آخرها النُّون -: هذه النِّسبة إلىٰ مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، واسم مزينة: عمرو، وإنَّما سُمِّي باسم أُمِّه مزينة بنت كلب بن وبرة، ومزينة هي أمُّ القبيلة المشهورة.

٢- مولده وأسرته:

مولده في سنة موت اللَّيث بن سعد سنة خمسٍ وسبعين ومئة، ويظهر أنَّ أسرته كانت مُحبَّةً للعلم وأهله، تحرص علىٰ تنشئة أفرادها تنشئةً علميَّةً صالحة، فقَدْ ذكر العلماء أختًا للإمام المزني، وأنَّها كانت تحضر مجلس الشَّافعيِّ، ونقل عنها الرَّافعي في الزَّكاة، وذكرها ابن السبكي والإسنوي في «الطبقات».

وكذلك الربيع بن سليمان المرادي، فهو أخٌ للمزني من الرَّضاعة، وابن أخته أبو جعفر الطَّحاوي الإمام المشهور صاحب «العقيدة الطَّحاويَّة».

٣- شيوخه:

من أبرز مشايخه الَّذين أَخَذ عنهم:

١- محمد بن إدريس الشَّافعي (ت٢٠٤هـ).

٢- علي بن معبد بن شداد البصري (ت٢١٨هـ).

٣- نعيم بن حماد الخزاعي (ت٢٢٨هـ).

٤- أصبغ بن نافع (ت٢٢٥هـ).

ويعود قلَّة مشايخه إلىٰ أمرين:

أحدهما: ملازمته الشَّديدة لشيخه الشَّافعيِّ. **الثَّاني**: أنَّه لم تكن له رحلةٌ إلىٰ البلدان الإسلاميَّة، بل كان يكتفي بعلماء مصر ومَنْ يَرِدُ إليها من العلماء.

٤- تلاميذه:

أَخَذ عن المزني خَلْقٌ كثيرٌ، ومن أبرز تلاميذه:

١- إمام الأئمَّة أبو بكر بن خزيمة (ت٣١١هـ).

٢- أبو جعفر الطَّحاوي (ت٣٢١هـ).

٣- أبو القاسم بن بشار الأنماطي شيخ ابن سريج (ت٢٨٨هـ).

٤- شيخ البصرة زكريا بن يحيىٰ السَّاجي (ت٣٠٧هـ).

٥- أبو الحسن بن جوصا (ت٣٢٠هـ).

٦- أبو نعيم بن عدي (٢٥١هـ).

٧- أبو محمد عبد الرَّحمن بن أبي حاتم الرَّازي (ت٣٢٧هـ).

٥- مصنفاته:

كثير من كتب المزني مفقودةٌ، وقد أشار إلىٰ بعضها المترجمون له، ومن كتبه:

١- إفساد التَّقليد.

٢- الأمر والنَّهي علىٰ معنىٰ الشَّافعيِّ.

٣- التَّرغيب في العلم.

٤- الجامع الكبير.

٥- الجامع الصَّغير.

٦- الدَّقائق والعقارب.

٧- شرح السُّنَّة، وهو كتابنا هذا.

٨- المبسوط في الفروع.

٩- المختصر الكبير.

١٠- مختصر المختصر، المشهور بـ «مختصر المزني».

وقَدْ تعب المزنيُّ في تأليف هذا الكتاب كثيرًا بحيث استغرق في تأليفه عشرين سنةً، قال محمد بن إسحاق: سمعتُ المزنيَّ يقول: «مكثتُ في تأليف هذا الكتاب عشرين سنةً، وألَّفته ثلاث مَرَّاتٍ، وغَيَّرته». [مناقب الشافعي (٢/ ٣٤٩)]

وَقَدْ مدح العلماء هذا الكتاب كثيرًا حتَّىٰ إنَّ الإمام المزنيَّ - وهو مؤلفه - قال: «لو أدركني الشَّافعيُّ لسمع مَنِّي هذا المختصر». [مناقب الشافعي (٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦)].

وقال أبو العباس بن سريج: «وهو أصل الكتب المُصنَّفة في مذهب الشَّافعيِّ، وعلىٰ مثاله رَتَّبوا، ولكلامه فَسَّروا وشرحوا». [الوافي بالوفيَّات للصَّفديّ (٩/ ٢٣٨)]

١١- المسائل المعتبرة.

١٢- معتقد أو عقيدة أحمد بن حنبل.

١٣- المنثورات.

١٤- نهاية الاختصار.

١٥- الوثائق.

١٦- الوسائل.

٦- وفاته:

قال ابن خَلِّكان: «تُوفي لستٍّ بقيت من شهر رمضان سنة أربعٍ وسِتِّين ومئتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشَّافعيِّ، بالقرافة الصغرىٰ بسفح المقطم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكر ابن زولان في «تاريخ الصغير» أنَّه عاش تسعًا وثمانين سنةً، وصلَّىٰ عليه الرَّبيع بن سليمان المُؤذِّن صاحب الشَّافعيِّ». [وفيات الأعيان (١/ ٢١٨)].

وَقَدْ ذَكَر البيهقيُّ في «مناقب الشَّافعيِّ» عن عليِّ بن محمد بن أبي سليمان المصري أنَّ المزنيَّ مات سنة أربعٍ وسِتِّين ومئتين، ويُقَال: كان ابن سبعٍ وثمانين، وصلَّىٰ عليه العَبَّاس بن أحمد بن طولون. [مناقب الشَّافعيّ (٢/ ٣٥٧)].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

متن شرح السنة للمزني

أَخْبَرَنَا[1] الفَقِيهُ الإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبو العِزِّ؛ يُوسفُ بنُ عمرَ بن أبي نصْر الهكاريّ - في شهر صفَر سنَةَ ستّ عشْرَة وستّمائةٍ - قال: حدَّثنا الشَّيخُ الإمامُ الحافظُ الثِّقةُ بقيَّةُ السَّلفِ أبو إسْحَاقَ؛ إبْرَاهيم بن عُثمانَ بن عيسىٰ بن درباس الماراني مِن لَفْظِه بالموصل - في تَاسِع عشر مِن جُمَادىٰ الأُولَىٰ، سَنَةَ إحْدَىٰ عَشْرَة وستِّمائةٍ - قال: أَخْبَرَنا الشَّيخُ الصَّالحُ العَالمُ أبو عبدِ الله؛ محمَّد بن أحمدَ بن حمَد بن مُفرج بن غِياث الأرْتاحيّ بِقراءَتِي عليهِ بفُسطاط مصر - قال: أخْبرنَا الشَّيخُ المُسنِدُ العَالمُ أبو الحسَن؛ عليّ بن الحُسين بن عُمر الموصلي الفرَّاء فيما أذِن فيه لي (ح)، قال الشَّيخُ إبراهيمُ بنُ عُثمانَ: وأخبرنا الشَّيخُ الإمامُ الفقيهُ الحافظُ أبو طاهر؛ أحمد بن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن سِلفة الأصبهاني السِّلفيّ في كتَابه إليْنا مِن الإسْكندريَّة، في رَبيع الآخر سَنة أرْبَع وسَبْعِينَ وخَمْسمائة، قالَ: أَخبرنَا الشَّريفُ أبو محمَّد عبدُ الملِك بنُ الحسَن بنِ بتنة الأنْصَاريّ بمكَّة، بقِراءَتي عَليهِ في سنةِ تسْع وتِسْعين وأربعمائةٍ، قَالا: أَخْبَرَنا أبو عبدِ اللهِ الحُسين بنُ عليّ النَّسويّ الفَقِيه - قَدِمَ عَلْينَا مكَّةَ -، أَخبرنِي

(١) قائل: «أخبَرنا»، هو عزُّ الدِّين أبو محمَّد عبد الرَّزَّاق بن رزق الله الرّسعني الحنبلي (ت ٦٦٠هـ). انظر: «شرح السُّنَّة» (ص٧١)، بتحقيق: د. جمال عزُّون.

أَبُو محمَّد إسْمَاعيلُ بنُ رجاء بن سعيد العَسْقَلانيُّ بعَسْقَلان، أخبرني أَبُو الحُسين محمَّد بنُ أحمدَ بن عبدِ الرَّحمن الملطيّ، وأبو أحمد محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحيم القيسرانيّ، قالا: أخْبَرنا أحْمدُ بن بكْر اليازُوريّ، قال: حدَّثني الحسنُ بنُ عليٍّ اليازُوريّ الفقيه، حدَّثني عليُّ بن عبد الله الحُلوانيّ، قال: كَنْتُ بطَرَابلُس المغرب، فذَكَرْتُ أنا وأصحابٌ لنا السُّنَّةَ إلىٰ أَنْ ذَكَرْنَا أَبَا إبراهيم المزنيّ رحمه الله، فَقَالَ بعضُ أَصْحَابنا: بلغَنِي أنَّه يَتكلَّمُ في القُرآنِ، ويقِفُ عندَه، وذَكَرَ آخرُ أنَّه يقُولُه، إلىٰ أنْ اجتمَعَ معنَا قومٌ آخرُونَ، فغمَّ النَّاسَ ذَلكَ غمًّا شديدًا، فكَتَبْنا إليه كتابًا نريدُ أنْ نَستعْلِمَ منهُ، فَكَتَبُ إلينا (شرح السُّنَّة) في القَدَر، والإرْجَاء، والقُرْآن، والبَعْث، والنُّشُور، والمَوَازِين، وفي النَّظَر، فكتَب إلَينَا:

عَصمَنا اللهُ وإيَّاكُم بالتَّقوَىٰ، ووفَّقَنا وإيَّاكُم لموافقةِ الهُدَىٰ.

أمَّا بعدُ: فإنَّكَ - أصلَحَك اللهُ - سَألتَني أنْ أُوَضِّحَ لكَ مِن السُّنَّة أمْرًا تَصبرُ نفسَك علىٰ التَّمسُّك بِهِ، وتَدرَأُ بِهِ عنكَ شُبَهَ الأَقاوِيل، وزَيْغ مُحدثاتِ الضَّالِّينَ.

وَقَدْ شرحتُ لكَ مِنهاجًا موضَّحًا مُنيرًا لم آلُ نفسِي وإيَّاك فيهِ نُصحًا، بَدَأتُ فيهِ بحمدِ اللهِ ذِي الرُّشد السَّدِيدِ.

الحمدُ لله أحقّ مَنْ ذُكِرَ، وأَوْلىٰ مَنْ شُكِرَ، وعَليهِ أُثْنِي، الواحِد الصَّمَد، الَّذي ليس له صَاحبةٌ ولا ولَدٌ، جلَّ عن المثِيلِ، فلا شَبيهَ لهُ وَلا عَديلَ، السَّميع البصير، العَلِيم الخَبير، المَنِيع الرَّفِيع.

عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ فِي مَجْدِهِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلْمِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالأُمُورِ، وَأَنْفَذَ فِي خَلْقِهِ سَابِقَ المَقْدُورِ، وَهُوَ الجَوَادُ الغَفُورُ، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

فَالْخَلْقُ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلْمِهِ، وَنَافِذُونَ لِمَا خَلَقَهُمْ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ نَفْعًا، وَلا يَجِدُونَ إِلَىٰ صَرْفِ المَعْصِيَةِ عَنْهَا دَفْعًا.

خَلَقَ الخَلْقَ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَانَتْ بِهِ، وَخَلَقَ المَلَائِكَةَ جَمِيعًا لِطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ: فَمِنْهُمْ مَلائِكَةٌ بِقُدْرَتِهِ لِلعَرْشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْهُمْ رُسُلًا إِلَىٰ رُسُلِهِ، وَبَعْضٌ مُدَبِّرُونَ لِأَمْرِهِ.

ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لِلأَرْضِ خَلَقَهُ، وَنَهَاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ قَدْ نَفَذَ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بِأَكْلِهَا، ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْهَا، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ فَأَغْوَاهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ أَكْلَهُ لَهَا إِلَىٰ الأَرْضِ سَبَبًا، فَمَا وَجَدَ إِلَىٰ تَرْكِ أَكْلِهَا سَبِيلًا، وَلا عَنْهُ لَهَا مَذْهَبًا.

ثُمَّ خَلَقَ لِلجَنَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَهْلًا، فَهُمْ بِأَعْمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقُدْرَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ يَنْفُذُونَ، وَخَلَقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أَهْلًا، فَخَلَقَ لَهُمْ أَعْيُنًا لا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَآذَانًا لا يَسْمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لا يَفْقَهُونَ بِهَا، فَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الهُدَىٰ مَحْجُوبُونَ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدَرِهِ يَعْمَلُونَ.

وَالإِيمَانُ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ [مَعَ اعْتِقَادِهِ بِالجَنَانِ، قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ]، وَهُمَا سِيَّانِ وَنِظَامَانِ وَقَرِينَانِ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، لا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالمُؤْمِنُونَ فِي الإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ، وَبِصَالِحِ الأَعْمَالِ هُمْ مُتَزَايِدُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الإِيمَانِ، وَلَا يُكَفَّرُونَ بِرُكُوبِ كَبِيرَةٍ وَلَا عِصْيَانٍ، وَلَا نُوجِبُ لِمُحْسِنِهِمُ الجِنَانَ بَعْدَ مَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَىٰ مُسِيئِهِمْ بِالنَّارِ».

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمِنْ لَدُنْهُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ.

وَكَلِمَاتُ اللهِ، وَقُدْرَةُ اللهِ، وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ، كَامِلاتٌ غَيْرُ مَخْلُوقَاتٍ، دَائِمَاتٌ أَزَلِيَّاتٌ، وَلَيْسَتْ بِمُحْدَثَاتٍ فَتَبِيدُ، وَلا كَانَ رَبُّنا نَاقِصًا فَيَزِيدُ.

جَلَّتْ صِفَاتُهُ عَنْ شَبَهِ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، وَقَصُرَتْ عَنْهُ فِطَنُ الوَاصِفِينَ، قَرِيبٌ بِالإِجَابَةِ عِنْدَ السُّؤَالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعزُّزِ لا يُنَالُ، عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مَوْجُودٌ وَلَيْسَ بِمَعْدُومٍ وَلا بِمَفْقُودٍ.

والخَلْقُ مَيِّتُونَ بِآجَالِهِمْ عِنْدَ نَفَادِ أَرْزَاقِهِمْ، وَانْقِطَاعِ آثَارِهِمْ. ثُمَّ هُمْ بَعْدَ الضَّغْطَةِ فِي القُبُورِ مُسَاءَلُونَ.

وَبَعْدَ البِلَىٰ مَنْشُورُونَ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، وَلَدَىٰ العَرْضِ عَلَيْهِ مُحَاسَبُونَ، بِحَضْرَةِ المَوَازِينِ، وَنَشْرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَوْ كَانَ غَيْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الحَاكِمَ بَيْنَ خَلْقِهِ؛ لَكِنَّهُ اللهُ يَلِي الحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ بِمِقْدَارِ القَائِلَةِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ كَمَا بَدَأَهُ لَهُمْ مِنْ شَقَاوةٍ وَسَعَادَةٍ يَوْمَئِذٍ يَعُودُونَ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

وَأَهْلُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ فِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَّاتِ يَتَلَذَّذُونَ، وَبِأَفْضَلِ الكَرَامَاتِ يُحْبَرُونَ.

فَهُمْ حِينَئِذٍ إِلَىٰ رَبِّهِم يَنْظُرونَ، لا يُمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلا يَشكُّونَ، فَوُجُوهُهُمْ بِكَرَامَتِهِ نَاضِرةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ بِفَضْلِهِ إِلَيْهِ نَاظِرَةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ وَ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]. وَأَهْلُ الجَحْدِ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ، وَفِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

و﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦] إِلَّا مَنْ شَاءَ مِنَ الْمُوحِّدِينَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا.

وَالطَّاعَةُ لِأُولِي الْأَمْرِ فِيمَا كَانَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَرْضِيًّا، وَاجْتِنَابُ مَا كَانَ عِنْدَ اللهِ مُسْخِطًا، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عِنْدَ تَعَدِّيهِمْ وَجَوْرِهِمْ، وَالتَّوْبَةُ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَيْمَا يَعْطِفُ بِهِمْ عَلَىٰ رَعِيَّتِهِمْ.

وَالْإِمْسَاكُ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ فِيمَا أَحْدَثُوا مَا لَمْ يَبْتَدِعُوا ضَلَالًا، فَمَنِ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا، كَانَ عَلَىٰ أَهْلِ الْقِبْلَةِ خَارِجًا، وَمِنَ الدِّينِ مَارِقًا، وَيُتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَيُهجَرُ وَيُحْتَقَرُ، وَتُجتَنبُ غِدَّتُهُ، فَهِيَ أَعْدَىٰ مِنْ غِدَةِ الْجَرَبِ.

وَيُقَالُ بِفَضْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَخْيَرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. وَنُثَنِّي بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَجَلِيسَاهُ فِي الْجَنَّةِ.

وَنُثَلِّثُ بِذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ بِذِي الْفَضْلِ وَالتُّقَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

ثُمَّ الْبَاقِينَ من الْعشرَة الَّذين أوْجبَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ الْجنَّة، ونُخْلِص لكلِّ رَجُل مِنْهُم من الْمحبَّة بِقَدْر الَّذِي أوجَبَ لَهُم رَسُول الله ﷺ مِن التَّفْضِيل، ثُمَّ لِسَائِر أَصْحَابه مِن بعدهمْ رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

ويُقَالُ بِفَضْلِهِمْ، وَيُذكَرونَ بِمَحَاسِنِ أَفْعَالِهِمْ، وَنُمْسِكُ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فَهُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهم، ارْتَضَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَجَعَلَهُمْ

أَنصارًا لِدِينِهِ، فَهُمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، وَأَعْلامُ المُسْلِمِينَ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَلا يَتْرُكُ حُضُورَ صَلاةِ الجُمُعَةِ، وَصَلاتُهَا مَعَ بَرِّ هَذِهِ الأُمَّةِ وَفَاجِرِهَا لازِمٌ، مَا كَانَ مِنَ البِدْعَةِ بَرِيًّا، فَإِنِ ابْتَدَعَ ضَلالًا فَلا صَلاةَ خَلْفَهُ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَدْلٍ أَوْ جَائِرٍ، وَالحَجُّ.

وَإِقْصَارُ الصَّلاةِ فِي الأَسْفَارِ، وَالاخْتِيَارُ فِيهِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالإِفْطَارِ فِي الأَسْفَارِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

هَذِهِ مَقَالاتٌ وَأَفْعَالٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا المَاضُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ، وَبِتَوْفِيقِ اللهِ اعْتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدْوَةً وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكَلُّفَ فِيمَا كُفُوا، فَسُدِّدُوا بِعَوْنِ اللهِ وَوُفِّقُوا، لَمْ يَرْغَبُوا عَنْ الاتِّبَاعِ فَيُقَصِّرُوا، وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ تَزَيُّدًا فَيَعْتَدُوا.

فَنَحْنُ بِاللهِ وَاثِقُونَ، وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ رَاغِبُونَ.

فَهَذَا شَرْحُ السُّنَّةِ تَحَرَّيْتُ كَشْفَهَا، وَأَوْضَحْتُهَا؛ فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلقِيَامِ بِمَا أَبَنْتُه مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ عَلَىٰ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسْبَاغِ الطَّهَارَةِ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَىٰ الاسْتِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَىٰ أَهْلِ الجِدَاتِ، وَالحَجِّ عَلَىٰ أَهْلِ الجِدَةِ وَالاسْتِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهْرِ لأَهْلِ الصِّحَاتِ، خَمْسُ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَعْدِ الصَّلَوَاتِ: صَلاةُ الوَتْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَرَكْعَتِي الفَجْرِ، وَصَلاةُ الفِطْرِ وَالنَّحْرِ، وَصَلاةُ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا نَزَلَ، وَصَلاةُ الاسْتِسْقَاءِ مَتَىٰ وَجَبَ.

وَاجْتِنَابِ المَحَارِمِ، وَالاحْتِرَازِ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغِيبَةِ، وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَأَنْ يُقَالَ عَلَىٰ اللهِ مَا لا يُعْلَمُ، كُلُّ هَذَا كَبَائِرُ مُحَرَّمَاتٌ.

وَالتَّحَرِّي فِي المَكَاسِبِ، وَالمَطَاعِمِ، وَالمَحَارِمِ، وَالمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ،

وَاجْتِنَابِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ المُحرَّماتِ.

فَمَنْ رَعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ الحِمَىٰ، فَمَنْ يُسِّرَ لِهَذَا فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ هُدَىٰ، وَمِنَ الرَّحْمَةِ عَلَىٰ رَجَاءٍ، وَوفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ سَبِيلِهِ الأَقْوَمِ، بِمَنِّهِ الجَزِيلِ الأَقْدَمِ، وَجَلَالِهِ العَلِيِّ الأَكْرَمِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَعَلَىٰ مَنْ قَرَأَ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَلا يَنَالُ سَلَامُ اللهِ الضَّالِّينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

نَجَزْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِه الطَّاهِرَاتِ، وَسَلَّمْ كَثِيرًا كَثِيرًا.





مدخل

عصمَنا اللهُ وإيَّاكم بالتَّقوىٰ، ووفَّقنا وإيَّاكم لموافقةِ الهدىٰ.

أمَّا بعدُ: فإنَّك - أصلَحك الله - سألتني أنْ أُوضِّح لك مِن السُّنَّة أمرًا تصبرُ نفسَك علىٰ التَّمسُّك به، وتدرأُ به عنك شُبَه الأقاويل، وزَيْغ مُحدثات الضَّالِّين.

وَقَدْ شرحتُ لك منهاجًا موضَّحًا منيرًا لم آلُ نفسي وإيَّاك فيه نصحًا، بدأتُ فيه بحمْدِ الله ذي الرُّشد السَّديدِ.

الحمدُ لله أحقُّ مَنْ ذُكِرَ، وأَوْلىٰ مَنْ شُكِرَ، وعليه أُثْني، الواحد الصَّمد، الَّذي ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، جلَّ عن المثيل، فلا شبيه له ولا عديل، السَّميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرَّفيع.

الشرح:

❁ قال المُؤلِّف: «**الحمدُ لله أَحقُّ مَنْ ذُكِرَ**»: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

❁ قوله: «**وأَوْلَىٰ مَنْ شُكِرِ**»، الدليل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

❁ قوله: «**وعليه أُثني**»: أي: أُثني عليه بمحامده، وما له من الإجلال والتَّعظيم.

❁ قوله: «**الواحد الصَّمد**»: من أسمائه: الواحد، والأحد، والصَّمد، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]. فالله سبحانه أحدٌ

في ذاته، وأحدٌ في صفاته، غالبٌ لا يُغلَب، وقاهرٌ لا يُقهَر، وعزيزٌ لا يُضام في عِزِّه، ولا يحتاجُ إلىٰ مُعِينٍ ولا وزيرٍ.

❁ **قوله: «ليس لهُ صَاحبةٌ ولا ولدٌ، جلَّ عَن المثِيل»**، أي: ليس له شبيهٌ، ولا نظيرٌ، جلَّ عن الصَّاحبة والولد، وعن المثيل، قال سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورىٰ: ١١]، وقال سُبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ [الجن: ٣].

❁ **قوله: «فلا شبيهَ لهُ ولا عَدِيل»**: يعني ليس هناك أحدٌ يعدله، والعديلُ: هو النَّظير والمساوي، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]؛ فهو سبحانه الَّذي فعَل هذه الأمور؛ خلق السَّموات والأرض، وخلق الشَّمس والقمر، وخلق الظُّلمات والنُّور، ومع ذلك فإنَّ المشركين يعدلون به غيره ممَّن لم يخلقوا شيئًا وهم يُخلقون.

❁ **قوله: «السَّميع»**: أي بسمعٍ يسمعُ جميعَ الأصوات.

❁ **قوله: «البصير»**: أي الَّذي نفَذ بصرُه كلَّ المُبْصَرَات.

❁ **قوله: «العليمُ»**: أي الَّذي أحاط علمُهُ بجميع المعلومات ممَّا في الأرض والسَّموات، وغير ذلك من المخلوقات.

❁ **قوله: «الخبير»**: الخبير مرادفٌ للعليم، من الخبرة وهو العلمُ، أو تمامُ العلم.

❁ **قوله: «المنيع»**: معناه الممتنع عن كلِّ مَنْ يقصده، فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ذو العِزَّة والعظمة، وذو القوَّة والقهر لغيره.

❁ **قوله: «الرَّفيع»**: معناه مأخوذٌ من الرِّفعة، والرِّفعة يقصد بها رِفْعة المكان،

ورِفْعة المكانة، وهو الَّذي اتَّصف بهما.

فرفعةُ المكان: كونه استوىٰ علىٰ العرش.

ورِفعةُ المكانة: أنَّه هو الإله الحقُّ الَّذي تخضع لجبروته وعِزَّته وكماله كلُّ المخلوقات. وبالله التَّوفيق.



العلوّ

عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ فِي مَجْدِهِ بِذاتِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلْمِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ أَحاطَ عِلْمُهُ بِالأُمُورِ، وَأَنْفَذَ فِي خَلْقِهِ سَابِقَ المَقْدُورِ، وَهُوَ الجَوَادُ الغَفُورُ، و﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

الشرح:

قال المزنيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الله سبحانه: «عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ فِي مَجْدِهِ بِذَاتِهِ»:

وأقولُ: إنَّ علوَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليه أدلَّةٌ كثيرةٌ؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وقال جلَّ من قائل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال ﷺ لجاريةِ مُعاويةَ بن الحكم: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[١].

وأهل السُّنَّة يعتقدون بأنَّ الله مستوٍ علىٰ عرشه، عالٍ علىٰ خَلْقِه، بائنٌ منهم بذاته، وهو معهم بعلمه وهيمنته وقهره وغلبته.

قوله: «وهُو دَانٍ بعِلْمِهِ مِنْ خَلْقِه»: أي أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُطَّلعٌ علىٰ عِبادِه، يَعلمُ وساوس الصُّدور، وخفايا الضَّمائر، ومكنون القُلوب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

فأخبر باطِّلاعه علىٰ وساوس النُّفوس، وقربه من كلِّ عبدٍ قربًا به يكون أقرب إلىٰ عبده من حبل الوريد.

وحبل الوريد: هو العِرْق المحيط بالعنق، وقال - جلَّ من قائل -: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

❁ **قوله: «أَحاطَ علمُه بالأُمور، وأنفذَ في خَلْقِه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور و﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]»:**

أقول: هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، كما سبق: أنَّهم يعتقدون أنَّ الله فوق عرشه بذاته، وأنَّه مع خَلْقِه بعلمِهِ، وأنَّ قضاءه فيهم نافذٌ، وقَدَرَه فيهم جارٍ، يهدي مَنْ يشاء بفضله، ويضلُّ مَنْ يشاء بعدلِهِ، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون.

وبالله التوفيق.



القضاء والقدر

فَالْخَلْقُ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلْمِهِ، وَنَافِذُونَ لِمَا خَلَقَهُمْ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ نَفْعًا، وَلَا يَجِدُونَ إِلَىٰ صَرْفِ الْمَعْصِيَةِ عَنْهَا دَفْعًا.

الشرح:

أقول: خَلَق الله العباد، وأَنْفَذ فيهم مشيئته، وحَكَم فيهم بعدله، لكنَّه قَدْ جعل لعباده مشيئةً واختيارًا، فهم يختارون الطَّاعة أو المعصية، وهم يختارون سبيل السَّعادة أو الشَّقاوة؛ ولكنَّهم في ذلك لا يخرجون عن إرادته، ولا يَستقلُّون بمشيئتهم عن مشيئته، أمره[1] فيهم نافذٌ، وقَدَره عليهم جارٍ، وكلٌّ منهم إلىٰ ما كتبه لهم أو عليهم صائرٌ.

ونؤمن بأنَّ الله لا يظلم أحدًا، وأنَّ النَّاس أنفسهم يظلمون، فمَنْ هُدِيَ فهو بفضل الله هُدِيَ، ومَنْ شَقِيَ فهو بعدله شَقِيَ، وهم مع ذلك جعل الله لهم الاختيار والمشيئة الَّتي يدينهم بها، له فيهم الحكمة البالغة، وله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

ونعتقد بأنَّ القدريَّة ضَالُّون، وهم ينقسمون إلىٰ قسمين:

١ - نفاة القَدَر: الَّذين يقولون: لا قَدَر، أو يقولون: إنَّ الله خلق الخير، ولم

---

(١) **المقصود به:** الأمر الكوني القدري.

يخلق الشَّرَّ، وقدَّر الطَّاعة، ولم يُقدِّر المعاصي.

هؤلاء مذهبهم باطلٌ(١)، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبرنا بأنَّه خلق العباد، وقدَّر أعمالهم، وهم لا يمكن أن يخرجوا عن قَدَر الله تعالىٰ، فمَنْ قال: إنَّ الله خَلَق الخيرَ، ولم يخلق الشَّرَّ؛ فقد ضلَّ.

والإرادة إرادتان:

١ - إرادةٌ شَرعيَّةٌ.

٢ - إرادةٌ قَدريَّةٌ كَونيَّةٌ.

قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

فمَنْ قال بهذا القول الَّذي سبقت الإشارة إليه(٢)، فقد أَثْبَتَ خالقين، وَقَدْ أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن الجنِّ أنَّهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فالعمل يُنْسَب إلىٰ العباد كسبًا واختيارًا مع أنَّهم لا يخرجون عن قَدَر الله فيهم، وبهذا الكسب والاختيار يؤاخذهم الله.

والدَّليل علىٰ ذلك: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

---

(١) هذا ردٌّ علىٰ القدرية الذين يزعمون أنَّ الله لا يعلمُ المعاصيَ حتَّىٰ تكون! وقد سأل المزنيُّ شيخَه الشَّافعيَّ فقال: «يَا أبَا عبدِ الله، مَن القدريَّةُ؟ فقال: هم الَّذينَ يَزعمون أنَّ اللهَ لا يعلمُ المعاصيَ حتَّىٰ تكونَ».
أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٥٤) بإسناده. [عزُّون].

(٢) أي أنَّ الله خلَق الخير ولم يخلُق الشَّرَّ، وقدَّر الطَّاعةَ ولم يقدِّر المعاصي.

ومِنْ لوازم قولهم: أنَّه يقع في مُلْك الله ما لا يريده، فيكون مغلوبًا، وهذا القول قولٌ باطلٌ.

وأصحاب هذا القول ردَّ عليهم ابن عمر[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين قال له ذلك الرَّجل: «إِنَّه قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤونَ القُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ - وذكر شأنهم -، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ. قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بَرَآءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بالقَدَرِ»[٢].

وفي الجانب الآخر:

٢- القدريَّة المجبرة: الَّذين يقولون: «إنَّ العبد مجبورٌ علىٰ أعمال الشَّرِّ، مجبورٌ علىٰ الكفر والشِّرك» وَكَذَبوا، فمَذْهبُهُم هذا باطلٌ، ومن لوازم ذلك أنَّ الله قَدْ ظلمهم حيث جَبَرَهم علىٰ الكفر والشِّرك، ويُعذِّبهم علىٰ ذلك، وَرَدُّ ذلك في آياتٍ من كتاب الله؛ قال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]. وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصّلت: ٤٦]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فالله عَزَّوَجَلَّ عدلٌ، لا يُعذِّب أحدًا إلَّا بذنبِهِ، والله عَزَّوَجَلَّ قَدْ جعل للعباد كسبًا واختيارًا يعاقبهم أو يثيبهم عليه، قال تعالىٰ في أهل النَّار: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطَّاب العدويّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أبو عبد الرَّحمن، ولد بعد البعثة النبويَّة بيسير، واستُصغر يوم أُحدٍ، وهو ابن أربع عشرة سنةً، وهو أحدُ العبادلة المُكثرين من الصَّحابة، وكان مِن أشدِّ النَّاس اتِّباعًا للأثر، مات سنة ثلاثٍ وسبعين في آخرها، أو أوَّل الَّتي تليها.

(٢) أخرجه مسلم (٨).

أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٦]، وقال في أهل الجنَّة: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٩]. وبالله التوفيق.



الملائكة

خَلَقَ الخَلْقَ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَانَتْ بِهِ، فَخَلَقَ المَلَائِكَةَ جَمِيعًا لِطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُمْ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ: فَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ بِقُدْرَتِهِ لِلعَرْشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْهُمْ رُسُلًا، وَبَعْضٌ مُدبِّرُونَ لِأَمْرِهِ.

الشرح:

أقول: الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان السِّتَّة، كما أنَّ الإيمان بالقَدَر ركنٌ من أركان الإيمان.

فالملائكة خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ وجميعَ الخَلْق من غير حاجةٍ إليهم، ولكن خَلَقَهم لحكمةٍ، وأوجدهم لغايةٍ يريدها منهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالملائكة كلُّهم مَجْبولون علىٰ طاعته - جلَّ وعلا -، لا يعصونه طرفةَ عينٍ، فمنهم حَمَلة العرش، ومنهم الملائكة الكُروبيُّون الَّذين هم حولَ العرش، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

ومنهم ملائكةٌ جعلهم الله رسلًا يأمرهم بأمره فيأتمرون، ومنهم الحَفَظة، ومنهم المُعقِّبات، ومنهم خُزَّان الرِّيح، ومنهم خَزَنة النَّار، ومنهم خَزَنة الجنَّة، ومنهم ملائكة البحار، ومنهم ملائكة الجبال، ومنهم ملائكةٌ مُوكَّلون بالسَّحاب،

ومنهم ملائكةٌ في السَّموات يعبدون الله؛ قال ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لله»(١).



(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذرّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

فائدة: من أنواع الملائكة أيضًا غير ما ذُكر: الملائكةُ الموكلون بسؤال الميت إذا وُضع في قبره، يأتيه ملكان يسألانه عن ربِّه ودينه ونبيِّه، وملكُ الموتِ الموكَّل بقبض الأرواح عند الموت، والملائكةُ الذين يتتبَّعون مجالس الذِّكر، والملائكةُ الموكَّلون بالأجنَّة في الأرحام؛ إذا تمَّ للإنسان أربعة أشهر في بطن أمِّه بعث الله إليه ملكًا وأمَرَه بكتْب رِزقِه وأجلِه وعمَلِه وشقيٌّ أو سعيدٌ، وغيرهم كثير.

وقد ذكر أسماء بعض الملائكة كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، كما قد يتحول الملك بأمر الله تعالىٰ إلىٰ هيئة رجل كما حصل لجبريل حين أرسله الله تعالىٰ إلىٰ مريم فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، وحين جاء إلىٰ النَّبي ﷺ وهو جالس في أصحابه بصفة رجل شديد بياض الثِّياب، شديد سواد الشَّعر، لا يُرىٰ عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه أحد من الصَّحابة، وكذلك الملائكة الَّذين أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم ولوطٍ كانوا علىٰ صورة رجالٍ.

آدم عليه السلام

ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لِلأَرْضِ خَلَقَهُ، وَنَهَاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ قَدْ نَفَذَ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بِأَكْلِهَا، ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْهَا، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِ عَدوَّهُ وَأَغْوَاهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ أَكْلَهُ لَهَا إِلَى الأَرْضِ سَبَبًا، فَمَا وَجَدَ إِلَى تَرْكِ أَكْلِهَا سَبِيلًا، وَلَا عَنْهُ لَهَا مَذْهَبًا.

الشرح:

أقول: خلقَ الله آدم بيده، ولم يباشر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيئًا بيده إلَّا ثلاثًا: خَلَق آدم بيده، وكَتَب التَّوراة لموسىٰ بيده، وغَرَس جَنَّة عدنٍ بيده[1].

وَقَدْ تحدَّث القرآن عن خَلْق آدم في أوَّل سورة (البقرة)، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

والمهمُّ: أنَّ الله خلقه للأرض، ولو لم يكن كذلك ما جعل عُمُره مُقدَّرًا بالسِّنين، فكان عُمُره ألف سنةٍ، مَكَث مئتين وخمسين سنةً في السَّماء، ثمَّ أكل من الشَّجَرة بإغواءٍ من إبليس - عليه لعنة الله، ونعوذ بالله منه - حيث سَلَّطه الله

---

(١) أخرجه الآجريُّ في «الشَّريعة» (ص ٣٠٣) عن حكيم بن جابر قال: «أخبرتُ أنَّ ربَّكُم عَزَّوَجَلَّ لم يمَسَّ إلَّا ثلاثةَ أشياءَ: غرس الجنَّة بيده، وجعَل تُرابها الورس والزَّعفران، وجبالها المسك، وخلَق آدمَ عليه السلام، وكَتَب التَّوراةَ لموسَىٰ عليه السلام»، وعثمان بن سعيد في «ردِّه علىٰ بشر المريسي» (١/ ٢٦٥) عن كعب الأحبار من قوله، وانظر: «مختصر العلوِّ» للألباني (٧٥). والورس: نبت أصفر يُصبغ به.

عليه وعلىٰ زوجه، فقاسمهما أنَّه لهما من النَّاصحين: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ثمَّ أهبطهما الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الأرض بعد أنْ بيَّن لهما عداوة الشَّيطان، فكانت تلك إرادته.

ولقد قال بعض السَّلف: خلق الله آدم للأرض، وذلك أنَّه سُئِلَ: هل خلق الله آدم للأرض أم للسَّماء؟ فقال: بل للأرض[1].

وكان في إغوائه مصلحةٌ:

أوَّلًا: ليعرف عاقبة المخالفة لأمر الله.

ثانيًا: ليَتبيَّن عَدُوَّه اللَّدودَ حتَّىٰ يكون علىٰ حذرٍ منه، هو وذُرِّيَّته.

ثالثًا: لينفذ فيهما[2] القضاء المقدور، فيهبطوا إلىٰ الأرض، وتكون علىٰ الأرض معركة الصِّراع بين الحقِّ والباطل، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يُضِيع أهلَ الحقِّ، ولا يتركهم بدون بيانٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦]. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرج أبو داود (٤٦١٣) عن خالد الحذَّاء، قال: «قلتُ للحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَخْبِرْنِي عَنْ آدَمَ، أَلِلسَّمَاءِ خُلِقَ أَمْ لِلْأَرْضِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ لِلْأَرْضِ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ لَوْ اعْتَصَمَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ بُدٌّ. قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣]. قَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَفْتِنُونَ بِضَلَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ الجَحِيمَ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أي: آدم وحواء عليهما السَّلام.

الجنَّة والنَّار

ثُمَّ خَلَقَ لِلجَنَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَهْلًا، فَهُمْ بِأَعْمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقُدْرَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ يَنْفُذُونَ، وخَلَقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أَهْلًا، فَخَلَقَ لَهُمْ أَعْيُنًا لا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَآذَانًا لا يَسْمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لا يَفْقَهُونَ بِهَا، فَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الهُدَىٰ مَحْجُوبُونَ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدَرِهِ يَعْمَلُونَ.

الشرح:

أقول: خَلَق الله الجنَّة والنَّار قبل أن يخلق آدم، وخَلَق للجنَّة أهلًا، وللنَّار أهلًا؛ فأهل الجنَّة مُيسَّرون لعملها، وأهل النَّار كذلك، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠][(١)].

وقال جلَّ من قائل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا

---

(١) معنىٰ حديث صحيح أخرجه البخاريُّ (١٣٦٢) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية».

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١ - ٣].

وقال الصَّحابة للنَّبيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَىٰ فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتْ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «لَا؛ بَلْ شَيءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]»[(١)].

فأهل الجنَّة يُيَسَّرون لعمل أهل الجنَّة، وأهل النَّار يُيَسَّرون لعمل أهل النَّار.

فقول المُؤلِّف: «ثُمَّ خلَقَ للجنَّة مِن ذُرِّيَّته»: أي: من ذُرِّيَّة آدم أهلًا، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون.

وكذلك قوله: «وخَلَقَ مِنْ ذُرِّيَّته للنَّار أَهْلًا...» إلىٰ آخر ما قال المُؤلِّف: والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ وصف الكُفَّار بأنَّهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

والمهمُّ، أنَّ أهل الجنَّة قَدْ عُلموا عند الله، ويُيَسِّرهم في الدُّنيا لعملها، وأهل النَّار قَدْ عُلموا عند الله، ويُيَسِّرهم في الدُّنيا لعملها. وبالله التوفيق.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٠) من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الإيمان

وَالإِيمَانُ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ مَعَ اعْتِقَادِهِ بِالجَنَانِ، قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ، وَهُمَا سِيَّانِ وَنِظَامَانِ وَقَرِينَانِ، لا نُفرِّقُ بَيْنَهُمَا، لا إِيمَانَ بِلَا عَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالمُؤْمِنُونَ فِي الإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ، وَبِصَالِحِ الأَعْمَالِ هُمْ مُتَزَايِدُونَ، وَلا يَخْرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الإِيمَانِ، وَلا يُكفَّرُونَ بِرُكُوبِ كَبِيرةٍ وَلا عِصْيانٍ، وَلا نُوجِبُ لِمُحْسِنِهِمْ الجَنَانَ بَعْدَ مَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلا نَشْهَدُ عَلَىٰ مُسِيئِهِمْ بِالنَّارِ».

الشرح:

أقول: تعريف الإيمان: الإيمان اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالعصيان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١]. وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]. إلىٰ غير ذلك.

وأجمع أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ ما تقدَّم ذِكْره: أنَّ الإيمان: اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، وأنَّه يزيد وينقص، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية(١)، وكلَّما ازداد العبد في الطَّاعة، ازداد إيمانُهُ كمالًا وقوَّةً، وكلَّما وقع

---

(١) انظر: «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ١٩٨ طيبة)، و«التَّمهيد» لابن عبد البرِّ (٩/ ٢٣٨)، و«مجموع =

القرآن

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمِنْ لَدُنْهُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ(١).

الشرح:

القرآنُ كلام الله، منه بدأ، وإليه يعودُ، هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، يعتقدون أنَّ القرآن كلام الله، وأنَّه محفوظٌ من التَّحريف والنَّقص والزِّيادة، وأنَّه سيبقىٰ، فإذا فسدَ النَّاس في آخر الزَّمان، واقتربت السَّاعة، حينئذٍ يُسرىٰ عليه فيُسلَب مِن المصاحف، ومِنْ صدور الرِّجال، وذلك قُبيل قيام السَّاعة.

وقد جاء في الحديث: «**وَيُسْرىٰ عَلَىٰ كِتَاب الله عَزَّوَجَلَّ في لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ في الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ...**»(٢).

أنزل اللهُ القرآن لهدايةِ البشريَّة، وَقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ، أومن أَوْ آمنَ عَلَيهِ البَشَرُ؛ وَإِنَّما كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) وقد قال أبو عوانة: «دخلتُ علىٰ إبراهيمَ المزنيِّ في مرضِه الَّذي ماتَ فيهِ، فقُلتُ له: مَا قولُك في القُرآنِ؟ فقالَ: كَلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ. فقلتُ: هَلَّا قلتَ قبلَ هذا؟ قالَ: لم يَزَل هذا قولي، وكَرِهتُ الكلامَ فيه؛ لأنَّ الشَّافعيَّ كان ينهىٰ عن الكَلام فيه. يعني: البحث والجدال في ذلك. أخرجه الحاكمُ في ترجمةِ أبي عَوانة. قلتُ - أي: الحاكم -: «سمعتُ يحيىٰ بن منصور القاضي يقولُ: سمعتُ أبا عَوانة رَحِمَهُ ٱللَّهُ... به». كذا في «العلوّ» (ص ٥٧). وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مُختصره» (ص ٢٣٣): «الإسناد جيِّدٌ». [عزون].

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) من حديث حذيفة، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨١ و٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

القرآن أعظم معجزةٍ على الإطلاق، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٥ - ٣٧].

اللَّهمَّ اجعلْنا مِن المؤمنين بكتابك، المُتَّبعين لهديه، المُمْتثِلين لأوامره، المجتنبين لمناهيه، المُصدِّقين بأخباره.

ولَقَدِ ابتُلي المسلمون في أوائل القرن الثَّالث بالدَّعوة إلىٰ القول بخلق القرآن بسبب أنَّ المعتزلة أقنعوا الخليفة المأمون(١) بذلك، وبأن يدعو العلماء إلىٰ ذلك، ومَنِ امتنع منهم عن القول به سُجن، ومنهم مَن أقنعوه بقتْلِه، فأُدخل العُلماء السُّجونَ؛ فمنهم مَنْ مات في السِّجن، ومنهم مَنْ ورَّىٰ بشيءٍ من القول بخلق القرآن، ومنهم من أُخرج مِن السِّجن بعْد زمنٍ طويل.

وثَبَتَ الإمامُ أحمدُ بن حنبل(٢)، وضُرب في ذلك حتَّىٰ أُغمي عليه، ومكث في السِّجن، ومنع من التَّحديث، وكانت هذه فتنةً عظيمةً، لقي النَّاس فيها من الشَّرِّ ما لَقوْا.

---

(١) هو: المأمون عبد الله بن هارون الرَّشيد، العبَّاسي، القرشيّ، الهاشميّ، أبو جعفر، أمير المؤمنين، وُلد في ربيع الأوّل سنةَ سبعين ومئة، تولّىٰ الخلافة في المحرّم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومئة، واستمرّ في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر، وقد كان فيه تشيّعٌ واعتزالٌ وجهلٌ بالسُّنَّة الصَّحيحة؛ لأنَّه اجتمع بجماعة منهم: بشر بن غياث المريسي فخدعوه، وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يحبُّ العلم، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الدّاخل، وراج عنده الباطل ودعا إليه، وحمل النّاس عليه قهرًا. توفِّيَ بطرسوس في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومئتين، وله من العمر نحو من ثمانٍ وأربعين سنةً.

(٢) أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمَّة، وُلد سنة أربع وستِّين ومئة، امتُحنَ بالقول بخلْق القُرآن فصَبرَ، وحُبس ومُنعَ مِن التَّحديثِ زَمنًا، وهو ثابتٌ ثبوتَ الجبال الشَّوامخ، فكان إمامَ أهل السُّنَّة بحقٍّ، تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وأربعين ومئتين.

وَقَدْ قال الإمام أحمدُ بنُ حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجميعُ أهل السُّنَّة والجماعة: «مَنْ قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومَنْ قال: لفظي بالقُرآن مخلوقٌ فهو مُبتدعٌ»؛ بل وكَفَّره بعضهم، ثمَّ بعد ذلك أنقذ الله أهل الإسلام بولاية المُتوكِّل على الله[1]، فعزَّ فيه أهل الإسلام، وعُلماء الإسلام، وذلَّ في عهده المبتدعة، والحمد لله ربِّ العالمين. وبالله التَّوفيق.



(١) هو جعفر بن المعتصم بن الرَّشيد بن محمَّد المهدي بن المنصور العبَّاسي، وُلدَ سنةَ سبع ومئتين، وبُويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، قُتل سنةَ سبع وأربعين علىٰ يدِ ولَده المنتصر، وله من العُمر أربعون سنةً، وكانتْ مدَّةُ خِلافته أربعَ عشرة سنةً وعشرة أشهر وثلاثة أيَّام.

الصِّفات

وَكَلِمَاتُ اللهِ، وَقُدْرَةُ اللهِ، وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ، كَامِلاتٌ غَيْرُ مَخْلُوقَاتٍ، دَائِمَاتٌ أَزَلِيَّاتٌ، وَلَيْسَتْ بِمُحْدَثَاتٍ فَتَبِيدُ، وَلا كَانَ رَبُّنا نَاقِصًا فَيَزِيدُ.

جَلَّتْ صِفَاتُهُ عَنْ شَبَهِ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، وَقَصُرَتْ عَنْهُ فِطَنُ الوَاصِفِينَ، قَرِيبٌ بِالإِجَابَةِ عِنْدَ السُّؤالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعَزُّزِ لا يُنَالُ، عَالٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ[1] مَوْجُودٌ، وَلَيْسَ بِمَعْدُومٍ وَلا بِمَفْقُودٍ.

الشرح:

نقول: إنَّ صفات الله تَوْقيفيَّةٌ، يجب أنْ نصفَه بما وصفَ به نفسَه في كتابه، وبما وصفه به رسولُه ﷺ في سُنَّته، نُثبتُ ما أثبتَ الكتابُ والسُّنَّة، ونَتوقَّفُ عند ذلك.

نُؤمِنُ بما دلَّت عليه هذه الصِّفات مِن المعاني، إلَّا أنَّه يجبُ أنْ نعتقد بأنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ جَلَّت عن صفات المخلوقين، وعَزَّتْ عن مشابهة المحدَثين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورىٰ: ١١].

نؤمن بأنَّ له سمعًا يسمعُ به جميع المسموعات، وله بصرًا يرىٰ به جميع

(١) قال الذَّهبيُّ في «العلوّ» (ص ١٣٥): «واعلم أنَّ لفظةَ «بائن» كثُر وُرودُها في عقيدة السَّلف في قولهم: «هو تعالىٰ علىٰ عرشه، بائنٌ مِن خلقِه» وحكاها أبو زُرعة، وأبو حاتم الرَّازيان عن العُلماء في جميع الأمصار، وإنَّما نطَق بها العُلماء بهاتين اللَّفظتين: «بذاته، وبائن» بعد أنْ لم تكونا معروفتَين في عهد الصَّحابة رضي الله عنهم لما ابتدع الجهمُ وأتباعُه القولَ بأنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ، فاقتضتْ ضرورة البيان أنْ يتلفَّظ هؤلاء الأئمَّة الأعلام بلفظ «بائن» دون أنْ يُنكِرَه أحدٌ منهم». انظر: «مختصر العلوّ» (ص ١٨) للعلَّامة الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. [عزُّون]

المُبْصَرَات، وأنَّه حيٌّ لا يموتُ، ليس لحياته ابتداءٌ، وليس لها انتهاءٌ، ولا يجري عليها الفناء، وكلُّ مخلوقٍ سُبق بالعدم، ثمَّ لا بدَّ له من الفناء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن: ٢٦، ٢٧].

ونؤمنُ بأنَّ الاتِّفاق في أسماء الصِّفات لا يلزم منه الاتِّفاق في الحقائق، فإذا قلنا: إنَّ الله حيٌّ، والمخلوق حيٌّ، فإنَّ حياة المخلوق سُبقت بالعدم، وسيلحقُها الفناء، أمَّا صفات الله عَزَّوَجَلَّ فليستْ كذلك، وهكذا نقول في سائر الصِّفات، فإذا أثبتْنا لله وجهًا، فنحن نُثبتُ له وجهًا يليق بجلاله، وإذا أثبتنا له يدًا، فنحن نؤمن أنَّ له يدًا تليق بجلاله، وهكذا نقولُ في سائر صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

ثمَّ إنَّ الصِّفات تنقسم إلىٰ قسمين:

صفاتٍ ذاتيَّةٍ: وهي الوجه، والعينان، والسَّمع، والبصر، واليدان، والسَّاق، والرِّجل، والقدم، والأصابع، والعلم، والقدرة، والعزَّة، والحكمة، والعلوّ، والعظمة.

وأمَّا الصِّفات الفعليَّة: فنحن نؤمن بأنَّه خالقٌ، وما سواه مخلوقٌ، ونؤمن بأنَّه استوىٰ علىٰ عرشه استواءً يليق بجلاله، وأنَّه بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، **وأنَّه ينْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الأَوْسَطِ أَوْ الأَخِيرِ مِنْ كُلِّ لَيلَةٍ**(١).

فالخَلْق والاستواء والنُّزول، هذه صفاتٌ فعليَّةٌ.

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قَريبٌ بالإجابةِ عندِ السُّؤالِ**»: هذه الفقرة يشهد لها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١١٤٥)، و«صحيح مسلم» (٧٥٨).

فهو قريبٌ مِن النَّاس بعلْمِه وإحاطتِه وهيمنتِه، بائنٌ منهم بذاتِه، عالٍ بذاته علىٰ عرشه، وعرشه فوق سمواته، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ، واللهُ أعلمُ.





الآجال

والخَلْقُ مَيِّتُونَ بِآجَالِهِمْ عِنْدَ نَفَادِ أَرْزَاقِهِمْ، وَانْقِطَاعِ آثَارِهِمْ.

الشرح:

أقول: كلٌّ يموت بأجلِه؛ هذا يموت علىٰ فراشه، وهذا يُقتَل، وهذا يُلْدغ، وهذا يموت بحادثٍ مروريٍّ، وهكذا كلٌّ له ما قُدِّرَ له؛ لكن هذا السَّبب قُدِّر في اللَّوح المحفوظ، ولا يَتعدَّاه أبدًا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم أنَّك في يوم غدٍ[(١)] الحادي والعشرين من شهر ربيع الثَّاني في سنةِ ألفٍ وأربع مئةٍ وثلاث وعشرين من الهجرة يعلم أنَّك ستأكل كذا، أو ستشرب كذا، وستمشي إلىٰ كذا، هذا كلُّه مكتوبٌ عند الله عَزَّوَجَلَّ، ومتىٰ تكون نهايتك يا عبد الله؟ فعندما تنتهي أرزاقك وينتهي أثرك - أي: الخطوات الَّتي ستخطوها إذا انتهيت - جاءك الموت، وإذا متَّ، عندئذٍ تقوم قيامتُك أيُّها الإنسانُ.

وَقَدْ جاء في حديث البراء بن عازبٍ[(٢)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كيف يأتي مَلَك الموت إلىٰ

---

(١) لأنَّ الدَّرس كان في اليوم العشرين من شهر ربيع الثاني، سنة ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين من الهجرة.

(٢) هو البراءُ بنُ عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاريّ الأوسيّ، صحابيٌّ ابنُ صحابيّ، نزَل الكوفة، استُصغر يوم بدر، وكان هو وابنُ عمر لِدَة، مات سنة اثنتين وسبعين. و«لدة»: أي: وُلِدا في عام واحد.

الإنسان الصَّالح والمسيء والمؤمن والكافر(١)، ثمَّ بعد الموت ماذا يكون في القبر؟

القبر منزلةٌ بين منزلتين، الإنسان يكون حملًا، ثمَّ يُولَد فيكون طفلًا، ثمَّ بعْد ذلك يُفْطَم وهو ما زال في الطُّفولةِ، ثمَّ يكون غلامًا مراهقًا، ثمَّ يكون محتلمًا، ثمَّ بعد ذلك يكون مُكلَّفًا، ثم شابًّا ثمَّ كهلًا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، وقال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

فهذه الأطوارُ الَّتي يمرُّ بها الإنسان منها ما يكون وقت الإعداد، كالطِّفل يكون حينئذٍ يعدُّ لحياته، ولهذا يدرس الأطفال في حال الطُّفولة، ومَنْ يَسَّر الله له

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتين أو ثلاثًا. زاد في حديث جرير هاهنا، وقال: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟». قال هنَّاد: قال: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ». زاد في حديث جرير: «فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. ثمَّ اتَّفقا. قال: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قال: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوحِهَا وَطِيبِهَا». قال: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ». قال: «وَإِنَّ الْكَافِرَ»، فذكر موته، قال: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ». قال: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا». قال: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

زاد في حديث جرير قال: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَم مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَو ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا». قال: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ المشرقِ والمغربِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا». قال: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على «المشكاة» (١٣١).

مَنْ يُعلِّمه الخير خرج خَيِّرًا، ومَنْ قَيَّض الله له مَنْ يُعلِّمه الشَّرَّ - والعياذ بالله - خرج شِرِّيرًا.

بعدَ ذلك يكون شابًّا، ثمَّ كهلًا ثمَّ يموت، هذه مراحل في الحياة، وبعدها الموت، وبعد الموت البرزخ، وهو وسطٌ بين الدُّنيا والآخرة (فاصلٌ)، لكن يلاقي فيه العبد ما سيلقاه بعد قيام القيامة، يُلاقي بعضه أهل الشَّقاء، يَلْقَونه في قُبورهم، وفي الحياة البرزخيَّة يَلْقَوْنَ - والعياذ بالله - مِن العذاب ما يَلْقَوْنَ.

ويكون ذلك من مُقدِّمات العذاب الأخرويِّ كما في حديث سمرة[(١)] الَّذي في «صحيح البخاريِّ»[(٢)]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنكُمْ رُؤْيَا؟». قُلْنَا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَينِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِه كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ. - قال بعض أصحابنا عن مُوسىٰ: - إِنَّه يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أو صَخْرَةٍ -، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَىٰ هَذَا حَتَّىٰ يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيهِ

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، حليف الأنصار، صحابي مشهور، له أحاديث، مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين.

(٢) محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، أبو عبد الله البخاريّ، جبلُ الحفظ وإمام الدُّنيا في فقه الحديث، وُلد سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفِّي سنة ستٍّ وخمسين ومئتين، وله اثنتان وستُّون سنةً.

فَضَرَبَهُ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاه ضَيِّقٌ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ وَسَطِ النَّهَرِ - قال يزيد ووهب بن جرير، عن جرير بن حازم - وَعَلَىٰ شَطِّ النَّهَر رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَر، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَينَا رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيوخٌ وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ.

قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا.

وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ، فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ الأُولَىٰ الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ

الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ؛ فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ». اهـ[(١)].

وفي القبر يكون سؤالُ نكيرٍ ومنكرٍ: مَنْ ربُّك؟ ما دينُك؟ ما هذا الرَّجل الَّذي بُعِثَ فيكم؟

وكذلك الضَّغطة في القبر، جاء في الحديث: «**لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ**[(٢)] **بْنُ مُعَاذٍ**»[(٣)]. وهذا حديثٌ - فيما أعلم - صحيحٌ.

نسألُ الله أنْ يعفوَ عنَّا، وأنْ يغفرَ لنا. وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

(٢) هو سعد بن النُّعمان الأنصاري، الأشهلي، أبو عمرو، سيِّد الأوس، أسلم قبل الهجرة علىٰ يد مصعب بن عمير، شهد بدرًا، واستشهد مِن سهم أصابه بالخندق سنة خمس من الهجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٥٥) (٢٤٣٢٨)، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٦٩٥).

النُّشور والحساب

وَبَعْدَ البِلَىٰ مَنْشُورُونَ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، وَلَدَىٰ العَرْضِ عَلَيْهِ مُحَاسَبُونَ، بِحَضْرَةِ المَوَازِينِ، وَنَشْرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَوْ كَانَ غَيْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الحَاكِمَ بَيْنَ خَلْقِهِ(١)؛ لَكِنَّهُ اللهُ يَلِي الحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ بِمِقْدَارِ القَائِلَةِ فِي الدُّنْيَا(٢)، وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ كَمَا بَدَأَهُ لَهُمْ مِنْ شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ يَوْمَئِذٍ يَعُودُونَ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

---

(١) هذا أحدُ الأقوال في تفسير قولِه تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]. قال الشَّوكانيُّ في «فتح القدير» (٥/ ٣٥٧): «يعني: أنَّ مقدار الأمر فيه لو تولَّاه غيرُ الله سبحانه خمسون ألفَ سنة، وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة، وقيل: إنَّ مدَّة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار، ثُمَّ يستقرُّ بعد ذلك أهلُ الجنَّة في الجنَّة، وأهل النَّار في النَّار. وقيل: إنَّ مقدارَ يوم القيامة علىٰ الكافر خمسون ألف سنة، وعلىٰ المؤمنين مقدار ما بين الظُّهر والعصر...». [عزُّون].

(٢) أخرج الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٤)، ومِن طريقه البيهقي كما في «نهاية ابن كثير» (١/ ٢٣٥)، والدَّيلميُّ في «مسند الفردوس» (٤/ ٣٣٧)، كما في «الصَّحيحة» (٥/ ٥٨٤) عن سُويد بن نصر: حدَّثنا ابنُ المبارك، عن مَعمَر، عن قَتادةَ، عن زُرارةَ بن أبي أَوفَىٰ، عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ: «**يَوْمُ القِيَامَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ**». قال الحاكمُ: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد علىٰ شرط الشَّيخَين، إنْ كانَ سويد بن نصر حَفِظَه علىٰ أنَّه ثقةٌ مأمونٌ، فقد أخبرنا الحسنُ بن محمَّد بن حليم: أنبا أبو المُوجِّه: أنبأ عبدانُ: حدَّثنا عبدُ الله بن مَعمر، عن قتادةَ، عن زُرارةَ بن أبي أوفىٰ، عن أبي هُريرةَ قال:... فذكَره. موقوف عليه». قال العلَّامة الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٥/ ٥٨٤): «ووافقه الذَّهبيُّ علىٰ ما قال، وأرىٰ أنَّ الموقوف في حُكم الرَّفع، بل هو أَوضحُ وأَبينُ، واللهُ أعلمُ، لكن سُويد ليس علىٰ شرط الشَّيخَين، وإنْ كان ثقةً، وهو رواية ابن المباركِ». [عزُّون].

الشرح:

أقولُ: هذه الخليقة لها أجلٌ، تمضي أيَّام الدُّنيا شيئًا فشيئًا حتَّىٰ تنتهي، فإذا انتهتْ أيَّام الدُّنيا، أمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ إسرافيل فينفخ في الصُّور نفخة الفزع، فتطول، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ(1)﴾ [ص: ١٥].

ثمَّ بعدها نفخة الصَّعق الَّتي يموت النَّاس بعدها، وهذه النَّفخة الَّتي يموت بها كلُّ حيٍّ، ولا يبقىٰ أحدٌ من الأحياء بعد ذلك، ويأتي تأويل قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ثمَّ بعد ذلك يكون من الأحداث من نَسْفِ الجبالِ، وطيِّ السَّموات والأَرَضين، ثمَّ يأمر الله السَّماء فتمطر علىٰ الأرض مطرًا كمنيِّ الرِّجال، فينبت النَّاس في قبورهم كما ينبت البقل، فإذا تكاملوا وجاء وَعْد البعث عندئذٍ يأمر الله عَزَّوَجَلَّ إسرافيل فينفخ في الصُّور بعد أن تُجمَع له الأرواح في فوهته، فتطير الأرواح إلىٰ أجسادها، كلُّ روحٍ تعرف جَسَدَها أين كان، وتذهب إليه فتدخل فيه.

ثمَّ يقومون من قبورهم حين تنشقُّ عنهم الأرض، وحينئذٍ يَتَّجهون إلىٰ أرض المحشر: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨]. الله أكبر! فيجتمعون للحكم بينهم في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، ويقفون فيه موقفًا طويلًا، وهو الَّذي أشار إليه القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

ثمَّ يمشي المؤمنون بعضهم في بعضٍ، فيقولون: اذهبوا إلىٰ مَنْ يشفع لكم

---

(١) **الفواق**: فُسِّر بتفسيرين: ١ - بضمِّ الفاء، أي: قدْر ما بين الحلبتَين للنَّاقة. ٢ - وبفتح الفاء، أي: راحة. **انظر**: «زاد المسير» (٣/ ٥٦٢ الكتاب العربي).

إلىٰ ربكم؛ فيذهبون إلىٰ آدم، ثمَّ إلىٰ نوحٍ، ثمَّ إلىٰ إبراهيم، ثمَّ إلىٰ موسىٰ، ثمَّ إلىٰ عيسىٰ، ثمَّ إلىٰ مُحمَّدٍ - صلوات الله وسلامه عليهم - وكلُّهم يحيل إلىٰ الآخر.

فإذا جاؤوا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قال: **«أَنا لَهَا، أَنا لَهَا، فَيَذْهَبُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَيَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيهِ قَدْرَ جُمُعَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّي، أُمَّتِي أُمَّتِي»**[1]. وحينئذٍ يأمر الله بفصل القضاء.

ويقع ما ذُكِرَ فيه من تَطايُرِ الصُّحف، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله، وتُوزَن الأعمالُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٤]، وليس بعد الدُّنيا من دارٍ إلَّا الجنَّة أو النَّار.

وبالله التوفيق.



(١) **حديث الشفاعة**: أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).



الجنَّة

وَأَهْلُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ فِي الجَنَّةِ يَتَمَتَّعونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَّاتِ يَتَلَذَّذُونَ، وَبِأَفْضَلِ الكَرَامَاتِ يُحْبَرونَ.

الشرح:

أقول: الجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطَر على قلبِ بَشَرٍ[1]. الجنَّة مَنْ دخلها يحيا فلا يموت، يصحُّ فلا يسقم، يشبُّ فلا يهرم، ينعم فلا ييأس[2].

الجنَّة ما هي إلَّا ريحانةٌ تهتزُّ، ونهرٌ مطَّردٌ، وثمرةٌ ناضجةٌ، وقصرٌ مشيدٌ، وامرأةٌ حسناء، وحبورٌ لا يشبهه حبورٌ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٨].

ما هو ثمنُ هذه الجنَّة؟ ثمنُها طاعةُ الله، وطاعةُ رسوله ﷺ علىٰ فَهْم السَّلف الصَّالح: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ

---

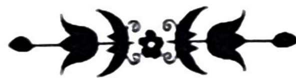
(١) أخرج البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحِينَ مَا لا عَينٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَر»، فَاقرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]».

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ».

﴿وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]. هذا هو ثمنُ الجنَّة، هذا هو السَّبب المُوصِّل إليها، أمَّا مَنْ أطاع فلانًا وفلانًا، وتابع فلانًا وعلانًا في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّه سيندمُ يومَ القِيامةِ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

يُقال لك يا عبدَ الله: اتَّبعْ كتاب الله، اتَّبعْ سُنَّة رسولِ الله ﷺ، اتَّبع السَّلف الصَّالح من التَّابعين وأتباع الأتباع مِن أصحاب القرون الثَّلاثة الَّتي زكَّاها نبيُّ الهدىٰ وقائد الغرِّ المُحجَّلين إلىٰ الجنَّة؛ فتقولُ: لا، وتُعرضُ مِن أجْل أنْ تتبع أصحاب البدع علىٰ بِدَعِهِمْ، وأصحاب الضَّلالات علىٰ ضلالاتهم، ألَا تعلمُ أنَّ المُتحابِّين يوم القيامة والأتباع والمتبوعين والقادة والمرؤوسين يلعن بعضهم بعضًا، والولاية تنقلب عداوةً، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]، والآيتان بعدها من سورة (سبأ) (٣٢ - ٣٣).

فاتَّقِ اللهَ في نفسِك يا عبدَ الله، وتَابع الحقَّ تنجو وترشدُ، وتنالُ في الجنَّة أحسن مقعدٍ. بالله التوفيق.



الرُّؤيـة

فَهُمْ حِينَئِذٍ إِلَىٰ رَبِّهم يَنْظُرون، لا يُمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلا يَشكُّونَ، فَوُجُوهُهُمْ بِكَرَامَتِهِ نَاضِرةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ بِفَضْلِهِ إِلَيْهِ نَاظِرةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ وَ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرّعد: ٣٥]. وَأَهْلُ الجَحْدِ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ[١]، وَفِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦] إِلَّا مَنْ شَاءَ مِنَ المُوَحِّدينَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا.

الشرح:

أقولُ: المؤمنون ينظرون إلىٰ رَبِّهم نَظَرَ تَلذُّذٍ ونعيمٍ، كما جاء في الحديث: **«بَيْنَمَا أَهْلُ الجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيهِمْ مِنْ فَوقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ. قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ**

---

(١) عن المزنيّ قال: سمعتُ إبراهيم بن هرم القرشيّ يقولُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]: فلمَّا حَجَبَهم في السّخطِ كان في هذا دليلٌ علىٰ أنَّهم يرونَه في الرِّضا. فقال له أبو النَّعيم القزوينيّ: يا أبا إبراهيمَ، بِهِ تقولُ؟ قال: نَعَمْ، وَبِهِ أَدينُ. فقام إليه عصام، فقبَّل رأسَه، وقال: يا سيِّد الشَّافعيِّين، اليوم بَيَّضْتَ وُجُوهنَا». أورده المقريزي في كتاب «المقفّىٰ الكبير» (٥/ ٣٤٦)، وأورده مختصرًا البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٥٣). [عزّون].

اللهِ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨]. **قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَىٰ شَيءٍ مِنَ النَّعِيم مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيهِ حَتَّىٰ يَحْتَجِب عَنْهُم، وَيَبْقَىٰ نُورُهُ وَبَرَكَتُه عَلَيهِمْ فِي دِيَارِهِمْ**»[1].

هذا قولُ أهل السُّنَّة والجماعة مُستدلِّين بالآيات الدَّالَّة علىٰ ذلك، منها قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. الأُولَىٰ من النَّضارة، وهي الحسن والبهاء، والثَّانية من النَّظَر.

في نعيمٍ دائمٍ مقيمٍ: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

هذه عاقبةُ المؤمنين المُوحِّدين المُتَّبعين لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ المُتَّبعين لسَلَف الأُمَّة؛ الصَّحابة والتَّابعين.

أمَّا أهلُ الجَحْد، فقد أفصحَ عنهُم بقوله: «**وَأَهْلُ الجَحْدِ عَنْ رَبِّهم يَوْمَئِذٍ محجُوبُونَ، وفِي النَّار يُسْجَرون**، - أي: يحرقون ويعذّبون -: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]».

خالدون دائمًا أبدًا مؤبّدًا ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٤)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (٢/ ٢١٥).

مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

قال: «خَلَا مَنْ شَاءَ اللهُ مِن المُوَحِّدين إِخْرَاجَهُم مِنْهَا»: صَحَّت الأخبار بالتَّواتر أنَّ المُوحِّدين، منهم مَنْ يعفو الله عنه فيدخله الجنَّة بدون عذابٍ، ومنهم مَنْ يدخل النَّار فيموتون موتةً، فيأتي الشَّافعون فيدخلون عليهم فيجدونهم قَدِ احترقوا حتَّىٰ صاروا حُممًا[1]، فلا يعرفونهم إلَّا بمواضع السُّجود[2]، وحرامٌ علىٰ مواضع السُّجود أن تأكلها النَّار.

ومواضعُ السُّجود سبعةٌ: الجبهةُ، والأنفُ، والكَفَّان، والرُّكبتان، وأطراف القدمين، هذه مواضع السُّجود السَّبعة حرامٌ علىٰ النَّار أَكْلُها. وبالله التَّوفيق.



(١) معنىٰ حديث صحيح أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم

وَالطَّاعَةُ لأُولِي الأَمْرِ فِيمَا كَانَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَرْضِيًّا، وَاجْتِنَابُ مَا كَانَ عِنْدَ اللهِ مُسْخِطًا، وَتَرْكُ الخُرُوجِ عِنْدَ تَعَدِّيهِمْ وَجَوْرِهِمْ، وَالتَّوبَةُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَيْمَا يَعْطِفُ بِهِمْ عَلَىٰ رَعِيَّتِهِمْ[(١)].

الشرح:

أقولُ: أنَّ طاعةَ وُلَاة الأمور في الحقِّ واجبةٌ، ويحرم عصيانهم إذا هم أمروا بما أمَرَ اللهُ به مِن الحقِّ، لكن إذا أمرُوا بمعصيةٍ فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، هكذا يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**لا طَاعَةَ لمخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»[(٢)].

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَترْك الخُرُوج عند تَعدِّيهمْ وَجورِهِمْ، والتَّوبَة إلىٰ**

---

(١) قال ابن أبي العزّ في «شرح الطَّحاويَّة» (٢/ ٥٧٨): «وأمَّا لزوم طاعتهم، وإنْ جارُوا؛ فلأنَّه يترتَّب علىٰ الخروج عن طاعتهم مِن المفاسد أضعاف ما يحصل مِن جَوْرِهم؛ بل في الصَّبر علىٰ جَورهم تكفيرُ السَّيِّئات، ومُضاعفةُ الأُجور؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ ما سَلَّطهم علينا إلَّا لفسادِ أعمالنا، والجزاءُ مِن جنس العمل، فعلينا الاجتهادُ في الاستغفار والتَّوبة وإصلاح العمل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشُّورىٰ: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النِّساء: ٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فإذا أراد الرَّعيَّة أنْ يتخلَّصوا مِن ظُلم الأمير الظَّالم، فليتركوا الظُّلم». [عزّون].

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٠) (١٥٠٩١)، وصحّحه الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٦٩٦).

الله عَزَّ وَجَلَّ كيما يعطفُ بهم على رَعِيَّتِهِمْ»:

الخروج على وُلَاة الأمور مُحرَّمٌ، وَقَدْ وردتْ فيه أحاديثُ صحيحةٌ وصريحةٌ، منها:

١- في «صحيح مسلمٍ»[١]، عن نافعٍ[٢] قال: جاء عبد الله بن عمر[٣] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلى عبد الله بن مطيع[٤] حين كان من أمر الحرَّة ما كان زمَنَ يزيد بن معاوية[٥]، فقال: اطْرَحُوا لأَبي عبد الرَّحمَن وِسَادَةً، فَقَالَ: إنِّي لم آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُه، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[٦].

٢- وعن ابْنِ عبَّاسٍ[٧] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا

---

(١) هو مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيري النّيسابوري، أبو الحسن، أحد الأئمَّة، من حفَّاظ الحديث، صاحب «الصَّحيح» الَّذي هو تلو «صحيح البخاري» عند أكثر العلماء، مات سنة إحدىٰ وستين ومئتين، وله سبع وخمسون سنةً.

(٢) هو نافع مولىٰ ابن عمر، أبو عبد الله المدني، أصله من بلاد المغرب، أحد الثّقات النّبلاء، والأئمة الأجلاء، قال البخاري: «أصحُّ الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر». مات سنة سبع عشرة ومئة علىٰ المشهور.

(٣) تقدَّمتْ ترجمته.

(٤) عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني، له رؤية، وكان رأس قريش يوم الحرّة، وأمّره ابن الزُّبير علىٰ الكوفة، ثُمَّ قُتل معه سنة ثلاث وسبعين.

(٥) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد، وُلِدَ سنة خمسٍ أو ستٍّ أو سبع وعشرين، ولي الخلافة سنة ستِّين، ليس بأهلٍ أنْ يُروىٰ عنه، مات سنة أربع وستِّين.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٧) عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلِّب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وُلِدَ قبل الهجرة

فَلْيَصْبِرْ عَلَيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاس خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[١].

٣- وعن أبي هريرة[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحت رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ؛ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَنْصُرَ عَصَبِيَّةً، فَقُتِلَ، فَقَتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[٣].

٤- وعن حذيفة بن اليمان[٤] قال: «قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي شَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بخَيرٍ، فَنَحْنُ فيهِ، فَهَلْ مِن وَرَاءِ هَذَا الخَيرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلك الشَّرِّ خيرٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الخَير شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: كَيفَ؟ قَالَ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهتَدُونَ بهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»، قلتُ: كيفَ أَصْنَعُ

=

بثلاث سنين، ودعا له رسولُ الله ﷺ بالفهم في القُرآن، فكان يُسمَّىٰ بالبحر والحبر؛ لسعة علمه، مات سنة ثمان وستِّين بالطَّائف، وهو أحد المُكثرين من الصَّحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصَّحابة.

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٠٥٤ و٧١٤٣)، ومسلمٌ (١٨٤٩).

(٢) هو عبد الرَّحمن بن صخر - علىٰ الصَّحيح - الدُّوسيّ الصَّحابي الجليل، أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة، حافظ الصّحابة روىٰ (٥٣٧٤) حديثًا، توفِّي سنة سبع، وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنةً.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٤) حذيفة بن اليمان: واسم اليمان: حسيل، ويقال: حسل العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، مات في أوّل خلافة عليٍّ سنة ستٍّ وثلاثين.

يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ للأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[(١)].

٥- وعن عرفجة[(٢)] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[(٣)].

٦- وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ[(٤)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخِرَ مِنْهُمَا»[(٥)].

٧- وعن أُمِّ سلمة[(٦)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»[(٧)].

٨- وعن عوف بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٨)] عن رسول الله ﷺ قال: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٢) عرفجة بن شريح، أو شراحيل، أو شريك، أو ضريح، الأشجعي، صحابي، اختُلف في اسم أبيه، روىٰ له مسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٤) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استُصغر يوم أُحد، ثم كان أول مشاهده الخندق، روىٰ أحاديث كثيرة، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٦) هند بنت أبي أميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزوميَّة، أمُّ سلمة، أمُّ المؤمنين، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد أبي سَلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث. وعاشَتْ بعد ذلك ستِّين سنةً، ماتتْ سنة اثنتين وستِّين، وقيل: سنة إحدىٰ، وقيل: قبل ذلك، والأوَّل أصحُّ.

(٧) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٨) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفانيّ، أبو حمّاد، ويقال غير ذلك، صحابيٌّ جليلٌ مشهورٌ، =

الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِندَ ذَلِكَ؟ قَال: **«لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيهِ والٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»**[(١)].

٩- وعن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] قال: «دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فبايعْنَاهُ، فَكَانَ فيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: **«إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**[(٣)].

١٠- وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[(٤)] الطَّويل مرفوعًا: **«وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ**

=

شَهد مُؤتةَ مع خالد بن الوليد والأمراء قبله، وشهد الفتح وكانت معه رايةُ قومه يومئذ، وشهد فتح الشَّام، وسكن دمشق، ومات سنة ثلاث وسبعين.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) عبادة بن الصَّامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النُّقباء، بدريٌّ مشهورٌ، مات بالرَّملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلىٰ خلافة معاوية، قال سعد بن عفير: «كان طوله عشرة أشبار».

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهيمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المُكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرَّة علىٰ الأصحّ بالطَّائف، علىٰ الرَّاجح عند ابن حجر، ورجَّح الشيخُ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه مات سنة خمس وستّين بمصر. راجع «تحقيق المسند» (٩/ ١٨٨).

فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخرِ»[(١)].

والخروج عليهم ينقسم إلىٰ قسمين:

١- خروجٌ فعليٌّ بالسَّيف، وما في معناه.

٢- خروجٌ قوليٌّ بأن يتكلَّم الإنسان في وُلَاة الأمر، ويقدح فيهم، ويُذمِّهم دعوةً إلىٰ الخروج عليهم.

هذا كلُّه لا يجوز؛ لأنَّ الخروجَ القوليَّ سببٌ للخروج الفعليِّ، فلا يجوزْ للعبد أن يعمل شيئًا من ذلك، إنْ أنكر شيئًا فليكتب كتابةً سِريَّةً فيها نصيحةٌ لوُلَاة الأمر، وتَبْرَأ ذِمَّتُهُ عند ذلك، هذا هو العمل الَّذي ينبغي وهو النَّصيحة[(٢)].

أمَّا صنيع المبتدعة، وهو الخروج الفعليُّ بالقول علىٰ وُلَاة الأمر، وغالبًا أنَّ ما يقال عنهم لا يثبت إلَّا القليل منه، حتَّىٰ وإنْ ثبَت فلا يجوز الكلام فيه، ولا إفشاؤه، ولا الخوض فيه، فإذا رأيت الرَّجل يقول: فلانٌ فيه كذا وكذا من وُلَاة الأمور، فَاعْلَمْ أنَّه علىٰ بدعةٍ وضلالةٍ، حتَّىٰ ولو كان الشَّيء الَّذي قاله صحيحًا، والنَّاسُ لا يَسْلمُ أحدٌ منهم مِن الخطأ، فلا يجوزُ إفشاءُ هذا الكلام، ولا نقلُه، ولا تداولُه، كيفَ والكثيرُ ممَّا يُشَاعُ ويُعْلمُ ويَتكلَّمُ فيه فئاتٌ مِن النَّاس مِن الجُهَّال والطُّلَّاب هذا أكثره كذبٌ وافتراءٌ وباطلٌ، وبالله التَّوفيق.



---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) لما أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٠٩٦) عن عياض بن غنم أنَّه قال لهشام بن حكيم: «أَلَمْ تَسْمَعْ بقولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّىٰ الَّذِي عَلَيهِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنة» (١٠٩٦).

الإمساك عن تكفير أهل القبلة

وَالإِمْسَاكُ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنْهُمْ فِيمَا أَحْدَثُوا مَا لَمْ يَبْتَدِعُوا ضَلالًا، فَمَنِ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا، كَانَ عَلَىٰ أَهْلِ القِبْلَةِ خَارِجًا، وَمِنَ الدِّينِ مَارِقًا، وَيُتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، وَيُهجَرُ وَيُحْتَقَرُ، وَتُجتَنَبُ غِدَّتُهُ، فَهِيَ أَعْدَىٰ مِنْ غِدَةِ الجَرَبِ.

الشرح:

نقول: الإمساك عن تكفير أهل القبلة واجبٌ، لا يُكفَّر أحدٌ من المسلمين بذنبٍ ارتكبه، إلَّا أنْ يستحلَّ حُكمًا مُجْمَعًا عليه، فإنْ كان مُجْمَعًا علىٰ حلِّه، وحرَّمه، فإنَّه يكفر بهذا، وإنْ كان مُجْمَعًا علىٰ تحريمه، وأحلَّه، فإنَّه يَكْفُر إجماعًا؛ كمَنِ استحلَّ الزِّنا مثلًا، أو شُرْب الخمر، أو غير ذلك من الأشياء المُحرَّمة.

لكن لو عمل هذا الشَّيء مرَّاتٍ فإنَّه لا يجوز أن نُكفِّره، لا نقول: إنَّه كافرٌ، إلَّا إذا قال: إنَّه يعتقد أنَّ هذا حلالٌ؛ لكن لو اسْتَحلَّه استحلالًا فعليًّا فإنَّا لا نُكفِّره.

الدَّليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فسَمَّىٰ المتقاتلين إخوةً مع أنَّ بعضَهم يسفكُ دمَ بعضٍ.

وجاء في «صحيح البخاريِّ» عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بسكْرانَ،

فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَمِنَّا مَنْ يَضرِبُه بيدِه، ومِنَّا مَنْ يَضربُه بنعلِه، وَمِنَّا مَنْ يَضربُه بثوبِه، فلمَّا انْصرفَ قالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ، أَخْزَاه الله. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ»[١].

فَسمَّاه أخًا مع أنَّه يشربُ الخمر عدَّة مرَّاتٍ، كما في بعض الرِّوايات[٢]، فنحن نقول: إنَّ مَنْ فعل كبيرةً، ولو كرَّرها عِدَّة مرَّاتٍ، فإنَّا لا نُكفِّره بهذا الفعل، وإنَّما نُكفِّره لو استحلَّ هذا الفعلَ.

❁ قولُ المؤلِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والبراءةُ منهُم فيمَا أَحْدَثُوا»: المُحدِثُ تجبُ البراءةُ منه، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا»[٣].

والمراد بالمُحْدِث: الَّذي يأتي بحدَثٍ مِن الكبائر العِظَام، وكأنَّه يستحلُّه، فهذا يُتبرَّأ منه، ومن الإحداث: إحداثُ البدع.

❁ قوله: «مَا لم يَبْتَدِعُوا ضَلَالًا»: مَن ابتدعَ في الدِّين بدعةً فإنَّه يُعتبر قَدْ ضلَّ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٤].

❁ قوله: «فَمَنْ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا، كَانَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ خَارِجًا، ومِنَ الدِّينِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

(٢) أخرج البخاري (٦٧٨٠) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٤) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والتِّرمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (٢٤٥٥).

مَارِقًا»، أي: لا نقولُ: إنَّه كافرٌ، إلَّا إذا كانت البدعةُ مُكفِّرةً، كالقول بخَلْق القُرآن، أو نفي الصِّفات، أو تعطيلها، أو ما أشبه ذلك.

وكذلك مَنْ يرى الخروج على وُلَاة الأمر، فإنَّه مبتدعٌ بدعةً مُضلَّةً، ويُعتبر مارقًا؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْم مِنَ الرَّمِيَّة»[1].

❁ قوله: «ويُتقرَّبُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالبَراءةِ مِنْهُ، ويُهجَرُ ويُحْتَقَرُ وتُجتَنَبُ غدتُه فَهِي أَعْدَى مِنْ غُدَة الجَرَبِ»:

الظَّاهر أنَّ المقصود: وتُجتَنَب مَودَّته أو بدعته، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]. والغدة: يمكن أن يُعبَّر بها عن الجرثومة، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

الصَّحابة

ويُقَالُ بِفَضْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَهُوَ أَفْضَلُ الخَلْقِ(١) وَأَخْيَرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. ونُثَنِّي بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبْرِهِ.

ونُثَلِّثُ بِذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ بِذِي الفَضْلِ وَالتُّقَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

ثمَّ البَاقِينَ مِنَ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ أَوْجَبَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ الْجنَّةَ، وَنُخْلِصُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِن الْمحبَّةِ بِقَدْرِ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ مِن التَّفْضِيل، ثُمَّ

(١) يعني: من هذه الأمَّة؛ لأنَّ أفضل الخَلْق هم الأنبياء، وبعدَهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عُثمانُ بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أبو عبد الله، أبو عمرو، أمير المؤمنين، ذو النّورين، أحد السَّابقين الأوَّلين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المُبشَّرة، أسلم قديمًا علىٰ يدي الصِّدِّيق، وهاجر الهجرتين، لم يشهد بدرًا؛ لأنَّه أقام علىٰ تمريض زوجته رقيَّة، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها، وبايع عنه رسول الله ﷺ يوم الحديبية، تولّىٰ الخلافة بعد عمر بموافقة بقية أهل الشورىٰ، واستُشهد في ذي الحجّة بعد عيد الأضحىٰ سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون، وقيل: أكثر، وقيل: أقلّ.

(٣) عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم الهاشمي - حيدرة، أبو تراب، أبو الحسنين - ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وزوّج ابنته، من السَّابقين الأوَّلين، ورجَّح جمعٌ أنَّه أوَّل مَن أسلم؛ فهو سابق العرب، وهو أحد العشرة، تولّىٰ الخلافة في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السُّنَّة، وله ثلاث وستّون سنة علىٰ الأرجح.

لِسَائِر أَصْحَابه مِنْ بَعْدِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

ويُقَالُ بِفَضْلِهِمْ، وَيُذْكَرونَ بِمَحَاسِنِ أَفْعَالِهِمْ، وَنُمْسِكُ عَنِ الخَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فَهُمْ خِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ بَعْدَ نَبيِّهم، ارْتَضَاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبيِّهِ، وَجَعَلَهُمْ أَنْصَارًا لِدِينِهِ، فَهُمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، وَأَعْلَامُ المُسْلِمِينَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

الشرح:

أقول: ترتيب الصَّحابة:

أوَّلًا الخلفاء الرَّاشدون، ثمَّ بعدَهم بقيَّة العشرة الَّذين شهد لهم النَّبيُّ ﷺ أنَّهم في الجنَّة، وهم: الزُّبير بن العوَّام[١]، وأبو عُبيدة بن الجرَّاح[٢]، وطلحة بن عُبيد الله[٣]، وسعد بن أبي وقَّاص[٤]، وسعيد بن زيد[٥]، وعبد الرَّحمن بن

(١) الزُّبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّىٰ بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، أسلم وعمره خمس عشرة سنةً، وقيل: أقلّ، وقيل: أكثر، هاجر الهجرتين، شهد المشاهد كلَّها، قتله عمرو بن جرموز سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل.

(٢) عامر بن عبد الله بن الجرَّاح بن هلال بن أهيب بن ضبَّة بن الحارث بن فهر القرشي، الفهري، أمين هذه الأمَّة، أبو عُبيدة بن الجرَّاح، أحد العشرة، أسلم قديمًا، وشهد بدرًا وما بعدها، مات شهيدًا بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنةً.

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرَّة التَّيمي، أبو محمَّد المدني، يُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفيَّاض؛ لكثرة جُوده، أسلَم قديمًا علىٰ يدي أبي بكر، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، استُشهد يوم الجمل سنة ستّ وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستِّين.

(٤) سعد بن أبي وقاص، مالك بن أهيب أو وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق الزُّهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وأحد السِّتَّة أصحاب الشُّورىٰ، أسلَم قديمًا، وكان أوَّل مَن رمىٰ بسهم في سبيل الله، شهد بدرًا وما بعدها، مات بالعقيق سنةَ خمس وخمسين علىٰ المشهور، وهو آخرُ العشرةِ وفاةً.

(٥) سعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل العدويّ القرشيّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو سنتين.

عوفٍ[١] رضي اللّٰه عنهم أجمعين.

وبعد هؤلاء العشرة نقول: أفضلُ الصَّحابة هم الَّذين هاجرُوا الهجرتَين: هجرة الحبشة، وهجرة المدينة. وبعد هؤلاء أهل بدرٍ، وبعدهم أهل بيعة الرّضوان، ثمَّ مَنْ أسلم قبل الفتح وقَاتَل، ثمَّ مَنْ أسلم بعد الفتح وقَاتَل، ثُمَّ صغار الصَّحابة، هذا ترتيبهم.

❁ قولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ويُقَال بفَضْلِهِمْ**»: أي: مَنْ له فضيلةٌ فيجب أنْ تُعلمَ فضيلتُه، وإلَّا فصحبتُه للنَّبيِّ ﷺ هي فضيلةٌ.

❁ قولُه: «**ويُذْكَرُونَ بمَحاسِن أَفْعَالهم، ونُمْسِكُ عَنْ الخَوض فيمَا شَجَرَ بينَهُمْ**»، أي: لا يجوز أن نعلن الخوض والتَّكلّم فيما شَجَر بين الصَّحابةِ؛ لأنَّ ذلك ربَّما قَدْ يَجرُّك إلىٰ أنْ تلوم بعضَهم في بعض المواقف، وهم ليسوا بمعصومين.

فالواجب أن يكون مَوْقِفُنا منهم موقفَ احترامٍ وإكبارٍ وإجلالٍ وتفضيلٍ، وباللّٰه التوفيق.



---

(١) هو عبد الرَّحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، القُرشيّ الزّهريُّ، أسلم قديمًا علىٰ يدي أبي بكر، وهاجر هجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين.

الصَّلاة وراء الأئمَّة والجهاد معهم والحجّ

وَلَا نَتْرُكُ حُضُورَ صَلَاةِ الجُمُعَةِ، وَصَلَاةٌ مَعَ بَرِّ هَذِهِ الأُمَّة وَفَاجِرِهَا لَازِمٌ، مَا كَانَ مِنَ البِدْعَةِ بَرِيئًا، فَإِنِ ابْتَدَعَ ضَلَالًا فَلَا صَلَاةَ خَلْفَهُ(١)، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَدْلٍ أَوْ جَائِرٍ، وَالحَجُّ.

الشرح:

أقول: هذه الكلمة: «فَإِنْ ابْتَدَعَ ضَلَالًا، فَلَا صَلَاةَ خَلْفَهُ»: كفىٰ بالدَّعوة إلىٰ القول بخَلْق القرآن ضلالًا، وَقَدْ وقعتْ في عهد الأئمَّة: أحمد بن حنبل(٢)،

(١) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٨٠): «إذا ظهر من المُصلِّي - أي: إمام الصَّلاة - بدعة أو فجور، وأمكن الصَّلاة خلف مَن يُعلمُ أنَّه مبتدعٌ أو فاسقٌ مع إمكان الصَّلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يُصحِّحون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشَّافعي وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد، وأما إذا لم يمكن الصَّلاة إلَّا خلف المبتدع أو الفاجر؛ كالجمعة الَّتي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعةٌ أخرىٰ؛ فهذه تُصلَّىٰ خلف المبتدع والفاجر عند عامَّة أهل السُّنَّة والجماعة. وهذا مذهب الشَّافعيِّ وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيره، من أئمَّة أهل السُّنَّة بلا خِلافٍ عندهم». [عزون].

ثم قال في (ص ٢٨١): «وقد كان الصَّحابة - رضوان الله عليهم - يُصلُّون خلف من يعرفون فجورَه، كما صلَّىٰ عبد الله بن مسعود وغيره من الصَّحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلَّىٰ مرَّة الصّبح أربعًا، وجلَده عُثمان بن عفَّان علىٰ ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصَّحابة يُصلُّون خلف الحَجَّاج بن يوسف، وكان الصَّحابة والتَّابعون يُصلُّون خلْف ابن أبي عُبيد، وكان متَّهمًا بالإلحاد وداعيًا إلىٰ الضَّلال».

(٢) تقدَّمت ترجمته.

وعلي بن المديني[(١)]، ويحيىٰ بن معين[(٢)]، وأبي عُبيد القاسم بن سلام[(٣)]، والبُخاري[(٤)]، وإن كان صغيرًا حينذاك، وغيرهم مِن أهل العلم.

ومع ذلك لم يَنْهَوا عن الصَّلاة خلف مَنْ دَعَوْا إلىٰ بدعة القول بخَلْق القُرآن، لم يَنْه السَّلفُ عن ذلك، فإذا كان إمامًا فالصَّلاة وراءه أمرٌ مطلوبٌ؛ لأنَّ تَرْك ذلك يوجب اختلاف الكلمة، وربَّما يُؤدِّي إلىٰ التَّقاتل، وما أشبه ذلك.

إذًا، فالمبتدع إذا كان إمامًا ودعَا إلىٰ بدعةٍ فلا يُقال: إنَّك لا تُصلِّي خلفه مطلقًا، بل إنْ أمكنَك أنْ تجدَ مَلاذًا فاذهبْ عنه ما أمكنَك، وإلَّا فصلِّ خلفه، صلِّ أوَّلًا الصَّلاة في بيتك، ثمَّ اذهب فصلِّ معه نافلةً، كما قال النَّبيُّ ﷺ، وهذا خاصٌّ بوُلَاة الأمر.

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والجهَادُ مَعَ كُلِّ إمَامٍ عَدْلٍ أَوْ جَائِرٍ والحجّ**»:

أقول: الحجُّ بقيادة الإمام هو الَّذي حصل من أئمَّة الإسلام، فرأوا ذلك، سواءٌ كان الإمامُ عادلًا أو جائرًا، فالزَّكاةُ تُدفَع إليه، والجهادُ تحت لوائِه، والصَّلاةُ وراءه، والحجّ بقيادته، كلُّ هذا لازمٌ لمَنْ تحت يده[(٥)]، وبالله التوفيق.

---

(١) عليُّ بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السَّعدي مولاهم، أبو الحسن بن المدينيّ البصريّ، ثقةٌ ثبتٌ إمامٌ، أعلمُ أهل عصره بالحديث وعلله، حتَّىٰ قال البخاريُّ: «ما استصغرتُ نفسِي إلَّا عند عليّ بن المديني». وقال فيه شيخه ابن عُيينة: «كنتُ أتعلَّمُ منه أكثرَ ممَّا يتعلَّم مِنِّي». وقال النَّسائي: «كأنَّ الله خلقه للحديث». مات سنة أربع وثلاثين ومئتين.

(٢) يحيىٰ بن معين بن عَون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقةٌ حافظٌ مشهورٌ، إمامُ الجرح والتَّعديل، وُلد سنة ثمان وخمسين ومئة، وتوفِّي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين بالمدينة النَّبويَّة، وله خمس وسبعون سنةً.

(٣) أبو عُبيد القاسم بن سلام البغدادي، أحد أئمَّة اللُّغة والفقه والحديث والقُرآن والأخبار وأيَّام النَّاس، وله كتاب «الأموال»، وكتاب «فضائل القرآن ومعانيه»، مات سنة أربع وعشرين ومئتين.

(٤) تقدَّمتْ ترجمتُه.

(٥) قال ابنُ أبي العزِّ في «شرح الطَّحاويَّة» (٢/ ٥٩١) عند قول الطَّحاويِّ: «والحجُّ والجهادُ ماضيان مع

قصر الصَّلاة والاختيار
بين الصِّيام والإفطار في الأسفار

وقَصْر الصَّلَاةِ فِي الأَسْفَارِ، والتَّخْيير فِيهِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالإِفْطَارِ فِي الأَسْفَارِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

الشرح:

أقول: القصر: سُنَّةٌ، وليس بواجبٍ، ولا بشرطٍ لصِحَّة صلاة المسافر؛ بل إنَّ المسافر إذا صَلَّىٰ تمامًا فقد أخطأ السُّنَّة، وصلاتُه صحيحةٌ.

كذلك الإفطار في الأسفار، فلك أنْ تصومَ، ولك أنْ تُفطر، والفطرُ أرجحُ، وإذا حصل علىٰ المسافر من الصَّوم مَشقَّةٌ، كان الصَّومُ مَكرُوهًا، وإذا كانت المَشقَّةُ شديدةً قَدْ يصلُ ذلك إلىٰ تحريم الصَّوم، إذا كان يَخْشَىٰ علىٰ نفسه من الاستمرار فيه، ويجبُ عليه الفطرُ، وإذا قرب المجاهدون من العَدُوِّ، ودنا وقتُ لقاءِ العَدُوِّ، وجب عليهم الفطر[1]، هذا في صيام الفريضة.

=

أولي الأمر مِن المسلمين؛ بَرِّهم وفاجرهم - إلىٰ قيام السَّاعةِ، لا يُبطلها شيءٌ ولا ينقضها»، قال: «لأنَّ الحجَّ والجهادَ فرضان يتعلّقان بالسَّفر، فلا بدَّ مِن سائس يسوس النَّاس فيهما، ويقاوم العدوّ، وهذا المعنىٰ كما يحصل بالإمام البر - يحصل بالإمام الفاجر». [عزُّون].

(١) أخرجه مسلمٌ (١١٢٠) عن قزعة قال: «أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، وَهُوَ مَكْثُورٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، قُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ عَمَّا يَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ عَنْهُ سَأَلْتُهُ: عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ؟ فَقَالَ: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ،**

أمَّا صيام التَّطوُّع فالعبد فيه بالخيار؛ لقول النَّبيِّ ﷺ لمَّا سأله حمزة بن عمرو الأسلمي(١) عن الصِّيام في السَّفر: «**إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ**»(٢). وهذا يُخاطَب به مَنْ لا يجد مَشقَّةً في الصِّيام، فإنْ وَجَد مَشقَّةً كان الأفضل في حَقِّه الفطر؛ لقوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّومُ فِي السَّفَرِ**»(٣).

وإذا تولَّىٰ المفطرون العمل، وخِدْمةَ الصَّائمين كانُوا أكثرَ أجرًا مِن أهل الصِّيام، فعن أنسٍ(٤) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في السَّفر، فَمِنَّا الصَّائمُ، وَمِنَّا المفْطِرُ. قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنزِلًا في يَوم حَارٍّ، أَكْثَرُنَا ظِلًّا صَاحِبُ الكِسَاءِ، وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بيَدِهِ، قَالَ: فَسَقَطَ الصُّوَّامُ وَقَامَ المفطِرُونَ، فَضَرَبُوا الأَبْنِيَةَ، وَسَقَوْا الرِّكَابَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَومَ بِالأَجْرِ**»(٥)، وبالله التوفيق.



=

وَ**الفِطْرُ أَقْوَىٰ لَكُمْ**» فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالفِطْرُ أَقْوَىٰ لَكُمْ، فَأَفطِرُوا**» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَصُومُ، مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، فِي السَّفَرِ».

(١) حمزة بن عمرو بن عويمر الأسلمي، أبو صالح، أو أبو محمَّد المدني، صحابيٌّ جليلٌ، شهد فتح الشَّام، وكان هو البشير للصِّديق يوم أجنادين. قال الواقديُّ: «وهو الَّذي بشَّر كعْبَ بنَ مالك بتوبة الله عليه، فأعطاه ثوبيه». مات سنة إحدىٰ وستين، وله إحدىٰ وسبعون. وقيل: ثمانون.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خَدَمه عشر سنين، صحابيٌّ مشهورٌ، مات بالبصرة سنة ثلاثٍ وتسعين علىٰ الصَّحيح، وقد جاوَزَ المئةَ.

(٥) أخرجه مسلم (١١١٩)، وأخرجه البخاري بنحوه (٢٨٩٠).

اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات

هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأَفْعَالٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا المَاضُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ، وَبِتَوْفِيقِ اللهِ اعْتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدْوَةً وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكَلُّفَ فِيمَا كُفُوا، فَسُدِّدُوا بِعَوْنِ اللهِ وَوُفِّقُوا، لَمْ يَرْغَبُوا عَنِ الاتِّبَاعِ فَيُقَصِّرُوا، وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ تَزَيُّدًا فَيَعْتَدُوا.

فَنَحْنُ بِاللهِ وَاثِقُونَ، وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ رَاغِبُونَ.

الشرح:

أقول: ما أحسن هذه الخاتمة الَّتي ختم بها المزنيُّ عقيدته! وبأنَّه رضي لنفسه بما رضي به القوم لأنفسهم، فقال حاكيًا ما سبق ذِكْره: بأنَّ التَّابعين قَدِ اعتصمُوا وتَابَعوا مَنْ قبلهم في هذه العقيدة، وتركُوا التَّكلُّف، فسُدِّدوا بعون الله ووفِّقوا، فالحمد لله علىٰ ذلك، وله الشُّكر علىٰ هذه العقيدة الواضحة المسالك، وبالله نعتصم، وعليه نَتوكَّل، ونسأله - جلَّ شأنه - أن يحشرنا في زُمْرَة سَلفِنا الماضين، وأنْ يدخلنا مدخلهم في جنَّات النَّعيم، مع مَنْ ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].



المحافظة على أداء الفرائض والرَّواتب واجتناب المحرَّمات

فَهَذَا شَرْحُ السُّنَّةِ تَحرَّيْتُ كَشْفَهَا، وَأَوْضَحْتُها؛ فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلقِيَامِ بِمَا أَبَنْتُه مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ عَلَىٰ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسْبَاغِ الطَّهَارَةِ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَىٰ الاسْتِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَىٰ أَهْلِ الجِدَاتِ، وَالحَجِّ عَلَىٰ أَهْلِ الجِدَةِ وَالاسْتِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهْرِ لأَهْلِ الصِّحَّاتِ، خَمْسُ صَلَواتٍ سَنَّها رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَعْدِ الصَّلَوَاتِ: صَلاةُ الوَتْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَرَكْعَتا الفَجْرِ، وَصَلَاةُ الفِطْرِ والنَّحْرِ، وَصَلَاةُ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا نَزَلَ، وَصَلَاةُ الاسْتِسْقَاءِ مَتَىٰ وَجَبَ.

وَاجْتِنَابِ المَحَارِمِ، وَالاحْتِرَاز مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغِيبَةِ، وَالْبَغْي بِغَيْرِ الحَقِّ، وَأَنْ يُقَالَ عَلَىٰ اللهِ مَا لا يُعْلَمُ، كُلُّ هَذَا كَبَائِرُ مُحرَّمَاتٌ.

الشرح:

أقولُ: هذا كلامُ - المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ - صاحب العقيدة، وَوصِيَّته بتَحرِّي هذه العقيدة والسَّير عليها، فمَنْ وَفَّقه لله للقيام بذلك، وأعانه عليه، فذلك من فضل الله عليه، ومَنْ تَأَخَّر عن ذلك، أو تساهل في بعضه، فأمره إلىٰ الله.

وأنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأمر بالتَّحرِّي والمحافظة علىٰ الطَّهارة، والبعد عن النَّجاسة ما استطاع العبد إلىٰ ذلك سبيلًا، وإسباغ الوضوء، والعمل علىٰ ما شرع في الغسل

من غسل الجنابة وغيرها.

وَقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَىٰ المكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[(١)].

وأداء الصَّلوات الخمس المفترضة في المساجد كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

فَإِنْ لم تستطع أداءها في المساجد فعندئذٍ يجوز لك الصَّلاة في البيت.

كذلك أيضًا الصَّلاة قائمًا، وهذا ركنٌ في الفرائض، لا تصحُّ صلاتك في الفرائض قاعدًا ما دمت قادرًا علىٰ القيام، وَقَدْ أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال النَّبيُّ ﷺ لعمران بن حصينٍ[(٢)]: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»[(٣)].

وأنَّه يأمر ويُحرِّض علىٰ أداء الزَّكاة الواجبة المفروضة علىٰ أصحاب الأموال بِنُصُبها المعروفة في الشَّرع، فإن كانت في الوَرِق فهي تجب في مئتي

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر، وشهد غزوات، وكان من سادات الصحابة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

(٣) أخرجه البخاري (١١١٧).

درهمٍ فأكثر، وإن كانت في الذَّهب فتجب في عشرين مثقالًا فأكثر، وإن كانت في المواشي ففي الإبل ما دون خمسٍ وعشرين في كلِّ خمسٍ شاة، فإذا بلغت خمسًا وعشرين إلىٰ خمسٍ وثلاثين ففيها بنت مخاض، فإذا بلغت ستًّا وثلاثين إلىٰ خمسٍ وأربعين ففيها بنت لبون، فإذا بلغت ستًّا وأربعين إلىٰ سِتِّين ففيها حِقَّة، فإذا بلغت إحدىٰ وسِتِّين إلىٰ خمسٍ وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستًّا وسبعين إلىٰ تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدىٰ وتسعين إلىٰ عشرين ومئة ففيها حِقَّتان، فإذا زادت علىٰ عشرين ومئة ففي كلِّ أربعين بنت لبون، وفي كلِّ خمسين حِقَّة.

وفي الغنم إذا كانت أربعين إلىٰ عشرين ومئة شاةٌ، فإذا زادت علىٰ عشرين ومئة إلىٰ مئتين شاتان، فإذا زادت علىٰ مئتين إلىٰ ثلاث مئة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت علىٰ ثلاث مئة ففي كلِّ مئةٍ شاة.

وفي البقر في ثلاثين منها تبيعٌ أو تبيعةٌ، وفي أربعين مُسنَّة، ثمَّ في كلِّ ثلاثين تبيع، وفي كلِّ أربعين مُسنَّة.

وتجب الزَّكاة في الحبوب كلِّها إذا بلغت خمسةَ أوسقٍ.

والحجُّ واجبٌ علىٰ أهل الاستطاعة بوجود الزَّاد والرَّاحلة ووجود النَّفَقة لأهله إلىٰ أن يعود.

وصومُ شهر رمضان فرضٌ واجبٌ علىٰ مَنْ قَدَر عليه حال كونه سليمًا من الأمراض ومقيمًا بين الأهل.

وأنَّه يُوصِي بصلاة الوتر، وصلاة اللَّيل، والمحافظة عليها كلَّ ليلةٍ، والمحافظة علىٰ ركعتي الفجر، وصلاة العيدين (عيد الفطر، وعيد النَّحر)، وصلاة كسوف

الشَّمس والقمر، وصلاة الاستسقاء إذا أمر بها الإمام، أو بدت الحاجة إليها.

وأنَّه يوصي باجتناب المحارم (أي: المُحرَّمات)؛ من فروجٍ مُحرَّمةٍ، وأموالٍ مُحرَّمةٍ؛ لا يجوز أن تُستَباح الفروج بالزِّنا، ولا الأموال بالسَّرقة، والنَّهب، أو الغشِّ، أو بالكذب والدَّجل والتَّضليل.

وأنَّه يرىٰ تحريم النَّميمة والكذب والغيبة والبغي بغير الحقِّ، وينهىٰ أنْ يقولَ العبدُ علىٰ الله ما لا يعلم؛ لأنَّ الله قرَنَ القول عليه بلا علمٍ بالشِّرك به، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ويُوصي بأنَّ هذه كلَّها كبائرُ مُحرَّماتٌ، يجب تَجنُّبها، والبعد عنها، وبالله التوفيق.



وجوب تحرِّي الحلال واجتناب الشُّبهات

والتَّحرِّي فِي المَكَاسِبِ، وَالمَطَاعِمِ، وَالمَحَارِمِ، وَالمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ، وَاجْتِنَابِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ المُحرَّماتِ.

فَمَنْ رَعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِي الحِمَىٰ.

الشرح:

أقولُ: الواجب علىٰ الإنسان أنْ يَتحرَّىٰ في المكاسب، فَيُقْدِمُ علىٰ الحلال البيِّنِ حلُّه، ويترك الحرام والمشتبه، فالتَّحرِّي في المكاسب والمطاعم والمشارب والملابس كلُّ ذلك مِن الورع الَّذي أوجبه الله علىٰ عباده المؤمنين.

وكذلك اجتناب المُحرَّمات كما قَدْ سبق.

❁ قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمحارمُ**»: يقصد به: الزَّواج.

❁ قوله: «**واجتناب الشَّهوات**»: يعني: تَجنُّب هذه الأشياء، فإنَّك إذا تَمشَّيت معها، أَوْرَدَك الشَّيطان بها المهالك.

❁ قوله: «**فمَنْ رَعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ؛ فَإِنَّه يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِي الحِمَىٰ**»:

وأقولُ: نعم، كما في حديث النُّعمان بن بشيرٍ[(١)] - رضي الله تعالىٰ عنهما -

---

(١) النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاريُّ الخزرجيُّ، له ولأبويه صحبةٌ، وكان أوَّل مولود وُلد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار في جمادىٰ الأولىٰ سنة اثنتين من الهجرة، وليَ إمرةَ الكوفةِ، ثُمَّ سكن الشَّام، ووَلي قضاءَها، قُتل بحمص سنة خمس وستِّين، وله أربعٌ وستُّون سنةً.

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَام، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[(١)].

فاجتناب الشُّبهات مأمورٌ بها، وما أكثر الشُّبُهات في زماننا هذا، وبالأخصِّ في البُيُوعات البنكيَّة، فينبغي احتراز المسلم عن كلِّ ما شكَّ في حلِّه، ولو لم تتبيَّن حُرْمته، فإنَّه بذلك يَحْتاط لدينِهِ، ويجعل بينه وبين المُحرَّمات حاجزًا، وهو الشُّبهات، فإنَّه إذا اجتنب الشُّبهات، اجتنب المُحرَّمات، وإذا وقع في الشُّبهات وتساهل فيها، فإنَّه يوشك أن يقع في المُحرَّمات.



(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) واللَّفظُ له.



الخاتمة

فَمَنْ يُسِّرَ لِهَذَا فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ هُدًى، وَمِنَ الرَّحْمَةِ عَلَىٰ رَجاءٍ، وفَّقنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ سَبِيلِهِ الأَقْوَمِ، بِمَنِّهِ الجَزِيلِ الأَقْدَمِ، وَجَلَالِهِ العَلِيِّ الأَكْرَمِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَعَلَىٰ مَنْ قَرَأَ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَلا ينَالُ سَلامُ اللهِ الضَّالِّينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

نَجزَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَصَلَوَاتهُ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِه الطَّاهِرَاتِ، وَسَلَّمْ كَثِيرًا كَثِيرًا.

الشرح:

❁ قوله: «فَمَنْ يُسِّر لهذا، فإنَّه مِنَ الدِّين علىٰ هُدًى، ومِن الرَّحمة علىٰ رجاءٍ»:

اللَّهمَّ يَسِّرنا لكلِّ خيرٍ، وجَنِّبنا كلَّ شرٍّ وضيرٍ، أنت وَليُّنا والقائم بأمورنا، نسألك أن تدفع عنَّا جميع الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن تقينا شَرَّها، وتُوفِّقنا للاستقامة علىٰ الحقِّ إِنِ ابْتُلِينا بها، بِمَنِّك وكَرَمك يا أرحم الرَّاحمين.

وصلَّىٰ الله وسَلَّم علىٰ نَبيِّنا وحبيبنا وقائدنا وقدوتنا وعلىٰ آله وصحبه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين.



بُلوغ الأماني

بشرحِ عقيدةِ ابن أبي زيد القيرواني

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة لابن أبي زيد القيرواني

اسمُه ونسبُه وكنيتُه:

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الإمام، العلَّامة، القدوةُ، الفقيهُ، عالم أهل المغرب، أبو محمد عبد الله بن أبي زيدٍ القيرواني المالكي».

مولدُه:

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقيروان سنة (٣١٠هـ).

نشأتُه:

نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ صغره علىٰ طلب العلم، وحاز رياسة الدُّنيا والدِّين، كما قال القاضي عياض، ورحل إليه من الأقطار، ونجب أصحابه، وكَثُرَ الآخذون عنه، وهو الَّذي لخَّص المذهب المالكي، وملأ البلاد مِن تواليفه، حتَّىٰ إنَّه كان يُعدُّ مالكًا الصَّغير.

عقيدتُه:

قال الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ طريقة السَّلف في الأصول، لا يدري الكلام ولا يتأوَّل، فنسأل الله التَّوفيق».

شيوخُه:

تتلمذَ علىٰ جمٍّ غفير مِن العلماء والفقهاء، ونذكر بعضًا مِمَّن أخذ عنه، أو

سمع منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، فقد أخذ عن:

- محمَّد بن مسرور الحجَّام.
- محمَّد بن الفتح.
- الحسن بن نصر البسوسي. وخلق كثير.

تلاميذُه:

لا شكَّ أنَّ مَنْ تخرَّج على الجمِّ الغفير مِن العلماء، وكانت لديه العقليَّة المتفتِّحة أنْ يتخرَّج على يديه الكمُّ الهائل من العلماء وطلبة العلم، فممَّن حظوا بشرف الدِّراسة على يديه:

- الفقيه عبد الرَّحيم بن العجوز.
- عبد الله بن غالب السّبتي.
- عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري.
- أبو بكر أحمد بن عبد الرَّحمن الخولاني. وخلق كثير.

تصانيفُه:

ملأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ البلادَ مِنْ تواليفِه، فَقَدْ صَنَّف:

- كتاب النَّوادر والزِّيادات، في نحو المائة جزءٍ.
- واختصر المدوَّنة، وعلى هذين الكتابين المعوَّل في التَّفَقُّه بالمغرب.
- كتاب الاقتداء بمذهب مالك.
- كتاب إعجاز القرآن.
- رسالته في الرَّدِّ على القدريَّة.
- مقدِّمة رسالته في التوحيد والعقيدة الَّتي هي ضمن كتابه: الرِّسالة في فقه

مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والَّتي تُعتبرُ مقدِّمة في تصنيفه للفقه المالكي، وقد قام شيخنا أحمد بن يحيىٰ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشرحها.

إلىٰ غير ذلك مِن التَّواليف العديدة، الَّتي لا يُمكنُ حصرُها، وقيل: إنَّه وضع رسالته المشهورة، وله سبع عشرة سنة، وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا برٍّ وإيثارٍ وإنفاقٍ علىٰ الطَّلبةِ وإحسانٍ.

وفاتُه:

قال الحبَّال: «تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النِّصف مِن شعبان سنة (٣٨٩هـ)، ولمَّا توفِّي رثاه بعضُ الشَّعراء».

ترجمتُه:

انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (١٧/ ١٠)، «تذكرة الحفَّاظ» (٣/ ١٠٢١)، «شذرات الذَّهب» (٣/ ١٣١)، «معجم المؤلِّفين» (٦/ ٧٣)، «الدِّيباج المذهَّب» (ص١٣٦ - ١٣٨).



نصُّ مقدِّمة مؤلِّف الرِّسالة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ اللهِ بنُ أَبِي زَيدٍ القَيرَوَانِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَأَرضَاهُ -:

الحَمدُ للهِ الَّذِي ابتَدَأَ الإِنسَانَ بِنِعمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الأَرحَامِ بِحِكمَتِهِ، وَأَبرَزَهُ إِلَىٰ رِفقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِن رِزقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَم يَكُن يَعلَمُ، وَكَانَ فَضلُ اللهِ عَلَيهِ عَظِيمًا، وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنعَتِهِ، وَأَعذَرَ إِلَيهِ عَلَىٰ أَلسِنَةِ المُرسَلِينَ الخِيَرَةِ مِن خَلقِهِ، فَهَدَىٰ مَن وَفَّقَهُ بِفَضلِهِ، وَأَضَلَّ مَن خَذَلَهُ بِعَدلِهِ، وَيَسَّرَ المُؤمِنِينَ لِليُسرَىٰ، وَشَرَحَ صُدُورَهُم لِلذِّكرَىٰ، فَآمَنُوا بِاللهِ بِأَلسِنَتِهِم نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِم مُخلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتهُم بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُم، وَوَقَفُوا عِندَ مَا حَدَّ لَهُم، وَاستَغنَوا بِمَا أَحَلَّ لَهُم عَمَّا حَرَّمَ عَلَيهِم.

أَمَّا بَعدُ:

أَعَانَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ عَلَىٰ رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ، وَحِفظِ مَا أَودَعَنَا مِن شَرَائِعِهِ.

فَإِنَّكَ سَأَلتَنِي أَن أَكتُبَ لَكَ جُملَةً مُختَصَرَةً مِن وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ مِمَّا تَنطِقُ بِهِ الأَلسِنَةُ، وَتَعتَقِدُهُ القُلُوبُ، وَتَعمَلُهُ الجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالوَاجِبِ مِن ذَلِكَ؛ مِنَ السُّنَنِ مِن مُؤَكَّدِهَا وَنَوَافِلِهَا وَرَغَائِبِهَا، وَشَيءٍ مِنَ الآدَابِ مِنهَا، وَجُمَلٍ مِن أُصُولِ الفِقهِ وَفُنُونِهِ عَلَىٰ مَذهَبِ الإِمَامِ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - وَطَرِيقَتِهِ، مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشكَلَ مِن ذَلِكَ مِن تَفسِيرِ الرَّاسِخِينَ وَبَيَانِ المُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبتَ فِيهِ مِن تَعلِيمِ ذَلِكَ لِلوِلدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُم حُرُوفَ القُرآنِ؛ لِيَسبِقَ إِلَىٰ قُلُوبِهِم

مِن فَهمِ دِينِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرجَىٰ لَهُم بَرَكَتُهُ وَتُحمَدُ لَهُم عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبتُكَ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوتُهُ لِنَفسِي وَلَكَ مِن ثَوَابِ مَن عَلَّمَ دِينَ اللهِ أَو دَعَا إِلَيهِ.

وَاعلَم أَنَّ خَيرَ القُلُوبِ أَوعَاهَا لِلخَيرِ، وَأَرجَىٰ القُلُوبِ لِلخَيرِ مَا لَم يَسبِقِ الشَّرُّ إِلَيهِ، وَأَولَىٰ مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الخَيرِ إِلَىٰ قُلُوبِ أَولَادِ المُؤمِنِينَ؛ لِيَرسَخَ فِيهَا، وَتَنبِيهُهُم عَلَىٰ مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيهَا، وَمَا عَلَيهِم أَن تَعتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُم وَتَعمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُم، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللهِ يُطفِئُ غَضَبَ اللهِ، وَأَنَّ تَعلِيمَ الشَّيءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقشِ فِي الحَجَرِ.

وَقَد مَثَّلتُ لَكَ مِن ذَلِكَ مَا يَنتَفِعُونَ - إِن شَاءَ اللهُ - بِحِفظِهِ، وَيَشرُفُونَ بِعِلمِهِ، وَيَسعَدُونَ بِاعتِقَادِهِ وَالعَمَلِ بِهِ.

وَقَد جَاءَ أَن يُؤمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبعِ سِنِينَ، وَيُضرَبُوا عَلَيهَا لِعَشرٍ، وَيُفَرَّقَ بَينَهُم فِي المَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ يَنبَغِي أَن يُعَلَّمُوا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ العِبَادِ مِن قَولٍ وَعَمَلٍ قَبلَ بُلُوغِهِم؛ لِيَأتِيَ عَلَيهِمُ البُلُوغُ وَقَد تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِن قُلُوبِهِم، وَسَكَنَت إِلَيهِ أَنفُسُهُم، وَأَنِسَت بِمَا يَعمَلُونَ بِهِ مِن ذَلِكَ جَوَارِحُهُم.

وَقَد فَرَضَ اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ القَلبِ عَمَلًا مِنَ الِاعتِقَادَاتِ، وَعَلَىٰ الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَسَأُفَصِّلُ لَكَ مَا شَرَطتُ لَكَ ذِكرَهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقرُبَ مِن فَهمِ مُتَعَلِّمِيهِ، إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِيَّاهُ نَستَخِيرُ، وَبِهِ نَستَعِينُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

بابُ ما تَنْطِقُ بِهِ الألسنةُ، وتَعْتَقِدُهُ الأفئدةُ مِنْ واجِبِ أُمورِ الدِّيانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ، أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ، وَلا وَلَدَ لَهُ، وَلا وَالِدَ لَهُ، وَلا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلا شَرِيكَ لَهُ.

لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

خَلَقَ الإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ، وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً.

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ؛ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ.

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ، وَلا صِفَةٍ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ.

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ.

عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ.

لا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًىٰ، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ.

الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَىٰ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا.

وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كِبَارِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَىٰ مَشِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَنْ عَاقَبَهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ؛ فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَىٰ أَرْضِهِ، بِمَا

سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا؛ لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا.

وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِم، فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ لا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلا يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلا قَوْلَ وَعَمَلَ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَلا قَوْلَ وَعَمَلَ وَنِيَّةَ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

وَأَنَّهُ لا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ

﴿ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧].

وَأَنَّ عَلَىٰ الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -.

وَيَجِبُ أَلَّا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ.

وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

والطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.

وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



نظم مقدِّمة الرِّسالة

للشَّيخ أحمد بن عليّ بن مُشرَّف الأحسائيّ المالكيّ المتوفَّىٰ سنة (١٢٨٥هـ) - نقلًا مِن دِيوانِه (ص١٧):

الْحَمْـدُ للهِ حَمْـدًا لَيْـسَ مُنْحَصِـرًا ... عَلَـىٰ أَيَادِيـهِ مَـا يَخْفَـىٰ وَمَـا ظَهَـرَا
ثُـمَّ الصَّـلَاةُ وَتَسْـلِيمُ الْمُهَـيْمِنِ مَـا ... هَـبَّ الصَّبَـا فَـأَدَرَّ الْعَـارِضُ الْمَطَـرَا
عَلَىٰ الَّـذِي شَـادَ بُنْيَانَ الْهُـدَىٰ فَسَمَا ... وَسَـادَ كُـلَّ الْـوَرَىٰ فَخْـرًا وَمَـا افْتَخَـرَا
نَبِيِّنَـــا أَحْمَـــدَ الْهَـــادِي وَعِتْرَتِـــهِ ... وَصَحْبِـهِ كُـلِّ مَـنْ آوَىٰ وَمَـنْ نَصَـرَا
وَبَعْـدُ فَالْعِلْـمُ لَـمْ يَظْفَـرْ بِـهِ أَحَـدٌ ... إِلَّا سَمَـا وَبِأَسْبَـابِ الْعُـلَا ظَفِـرَا
لَاسِيَّـمَا أَصْـلَ عِلْـمِ الـدِّينِ إِنَّ بِـهِ ... سَعَـادَةَ الْعَبْـدِ وَالْمَنْجَـىٰ إِذَا حُشِـرَا

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسنُ من واجب أمور الدِّيانات

وأَوَّلُ الْفَـرْضِ إِيـمَانُ الْفُـؤَادِ كَـذَا ... نُطْقُ اللِّسَانِ بِمَا فِي الذِّكْرِ قَدْ سُطِرَا
أَنَّ الْإِلَـــهَ إِلَـــهٌ وَاحِـــدٌ صَمَـــدٌ ... فَـلَا إِلَـهَ سِـوَىٰ مَـنْ لِلْأَنَـامِ بَـرَا
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ لَيْسَ لَنَـا ... رَبٌّ سِـوَاهُ تَعَـالَىٰ مَـنْ لَنَـا فَطَـرَا
وَأَنَّـــهُ مُوجِـــدُ الْأَشْيَـــاءِ أَجْمَعِهَـــا ... بِـــلَا شَرِيـــكٍ وَلَا عَـــوْنٍ وَلَا وُزَرَا
وَهْـوَ الْمُـنَزَّهُ عَـنْ وِلْـدٍ وَصَـاحِبَةٍ ... وَوَالِـدٍ وَعَـنِ الْأَشْبَـاهِ وَالنُّظَـرَا
لَا يَبْلُغَـنْ كُنْـهَ وَصْـفِ اللهِ وَاصِفُـهُ ... وَلَا يُحِيـطُ بِـهِ عِلْـمًا مَـنِ افْتَكَـرَا

وَأَنَّــهُ أَوَّلٌ بَــاقٍ فَلَيْــسَ لَــهُ ... بَـدْءٌ وَلا مُنْتَهَـىٰ سُبْحَـانَ مَـنْ قَـدَرَا

حَـيٌّ عَلِيـمٌ قَدِيـرٌ وَالْكَـلَامُ لَـهُ ... فَـرْدٌ سَمِيـعٌ بَصِيـرٌ مَـا أَرَادَ جَـرَىٰ

وَأَنَّ كُرْسِيَّــهُ وَالْعَـرْشَ قَـدْ وَسِعَـا ... كُـلَّ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِيـنَ إِذْ كَـبُرَا

وَلَـمْ يَـزَلْ فَـوْقَ ذَاكَ الْعَـرْشِ خَالِقُنَـا ... بِذَاتِـهِ فَاسْـأَلِ الْوَحْـيَيْنِ وَالْفِـطَرَا

إِنَّ الْعُـلُوَّ بِـهِ الأَخْبَـارُ قَـدْ وَرَدَتْ ... عَـنِ الرَّسُـولِ فَتَـابِعْ مَـنْ رَوَىٰ وَقَـرَا

فَاللهُ حَقًّا عَلَىٰ الْمُلْكِ احْتَوَىٰ وَعَلَىٰ الْـ ... ـعَرْشِ اسْتَوَىٰ، وَعَنِ التَّكْيِيفِ كُنْ حَـذِرَا

وَاللهُ بِالْعِلْـمِ فِـي كُـلِّ الأَمَاكِـنِ لَا ... يَخْفَـاهُ شَـيْءٌ سَمِيـعٌ شَـاهِدٌ وَيَـرَىٰ

وَأَنَّ أَوْصَافَــهُ لَيْسَــتْ بِمُحْدَثَــةٍ ... كَـذَاكَ أَسْمَـاؤُهُ الْحُسْنَىٰ لِمَـنْ ذَكَـرَا

وَأَنَّ تَنْزِيلَــهُ الْقُــرْآنَ أَجْمَعَــهُ ... كَلَامُـهُ غَيْـرُ خَلْـقٍ أَعْجَـزَ الْبَشَـرَا

وَحْـيٌ تَكَلَّـمَ مَوْلَانَـا الْقَدِيمُ بِـهِ ... وَلَـمْ يَـزَلْ مِـنْ صِفَـاتِ اللهِ مُعْتَـبَرَا

يُتْلَىٰ وَيُحْمَلُ حِفْظًا فِي الصُّدُورِ كَمَا ... بِالْخَطِّ يُثْبِتُـهُ فِـي الصُّحْـفِ مَـنْ زَبَـرَا

وَأَنَّ مُوسَــىٰ كَلِـيمُ اللهِ كَلَّمَــهُ ... إِلَهُـهُ فَـوْقَ ذَاكَ الطُّـورِ إِذْ حَضَـرَا

فَــاللهُ أَسْمَعَــهُ مِــنْ غَـيْرِ وَاسِطَــةٍ ... مِـنْ وَصْفِـهِ كَلِمَـاتٍ تَحْتَـوِي عِبَـرَا

حَتَّـىٰ إِذَا هَـامَ سُكْـرًا فِـي مَحَبَّتِـهِ ... قَـالَ الْكَلِيـمُ: إِلَهِـي أَسْـأَلُ النَّظَـرَا

إِلَيْـكَ. قَـالَ لَـهُ الرَّحْمَـنُ مَوْعِظَـةً ... أَنَّـىٰ تَـرَانِي وَنُـورِي يُدْهِـشُ الْبَصَـرَا؟

فَـانْظُرْ إِلَـىٰ الطُّـورِ إِنْ يَثْبُـتْ مَكَانَتَـهُ ... إِذَا رَأَىٰ بَعْضَ أَنْوارِي فَسَـوْفَ تَـرَىٰ

حَـتَّىٰ إِذَا مَـا تَجَلَّـىٰ ذُو الْجَـلَالِ لَـهُ ... تَصَدَّعَ الطَّورُ مِنْ خَـوْفٍ وَمَـا اصْطَـبَرَا

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرّه

وَبِالْقَضَاءِ وَبِالأَقْدَارِ أَجْمَعِهَا ... إِيمَانُنَا وَاجِبٌ شَرْعًا كَمَا ذُكِرَا
فَكُلُّ شَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ فِي أَزَلٍ ... طُرًّا وَفِي لَوْحِهِ الْمَحْفُوظِ قَدْ سُطِرَا
وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَمٍّ وَ مِنْ فَرَحٍ ... وَمِنْ ضَلَالٍ وَ مِنْ شُكْرَانِ مَنْ شَكَرَا
فَإِنَّهُ مِنْ قَضَاءِ اللهِ قَدَّرَهُ ... فَلَا تَكُنْ أَنْتَ مِمَّنْ يُنْكِرُ الْقَدَرَا
وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَ مَا ... يَجْرِي عَلَيْهِمْ فَعَنْ أَمْرِ الْإِلَهِ جَرَا
فَفِي يَدَيْهِ مَقَادِيرُ الأُمُورِ وَعَنْ ... قَضَائِهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوَرَىٰ صَدَرَا
فَمَنْ هَدَىٰ فَبِمَحْضِ الْفَضلِ وفَّقهُ ... وَمَنْ أَضَلَّ بِعَدْلٍ مِنْهُ قَدْ كَفَرَا
فَلَيْسَ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ يَكُونُ سِوَىٰ ... مَا شَاءَهُ اللهُ نَفْعًا كَانَ أَوْ ضَرَرَا

فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

وَلَمْ تَمُتْ قَطُّ مِنْ نَفْسٍ وَمَا قُتِلَتْ ... مِنْ قَبْلِ إِكْمَالِهَا الرِّزْقَ الَّذِي قُدِرَا
وَكُلُّ رُوحٍ رَسُولُ الْمَوْتِ يَقْبِضُهَا ... بِإِذْنِ مَوْلَاهُ إِذْ تَسْتَكْمِلُ الْعُمُرَا
وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَتَنٌ ... مِنْ حِينِ يُوضَعُ مَقْبُورًا لِيُخْتَبَرَا
وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ فِي ... جَنَّاتِ عَدْنٍ كَطَيْرٍ يَعْلَقُ الشَّجَرَا
لَكِنَّمَا الشُّهَدَا أَحْيَا وَأَنْفُسُهُم ... فِي جَوْفِ طَيْرٍ حِسَانٍ تُعْجِبُ النَّظَرَا
وَأَنَّهَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ سَارِحَةٌ ... مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي تَجْنِي بِهَا ثَمَرَا
وَإِنَّ أَرْوَاحَ مَنْ يَشْقَىٰ مُعَذَّبَةٌ ... حَتَّىٰ تَكُونَ مَعَ الْجُثْمَانِ فِي سَقَرَا

فصلٌ في البعث بعد الموتِ والجزاءِ

وَأَنَّ نَفْـــخَةَ إِسْرَافِيـــلَ ثَانِيَـــةً فِي الصُّورِ حَـقًّا فَيَحْيَا كُلُّ مَنْ قُبِرَا
كَمَـا بَـدَا خَلْقَهُـم رَبِّـي يُعِيدُهُـمُ سُبْحَانَ مَنْ أَنْشَأَ الْأَرْوَاحَ وَالصُّـوَرَا
حَـتَّىٰ إِذَا مَـا دَعَـا لِلْجَمْـعِ صَارِخُهُ وَكُـلُّ مَيْـتٍ مِنَ الْأَمْـوَاتِ قَـدْ نُشِـرَا
قَـالَ الْإِلَـهُ: قِفُـوهُمْ لِلسُّـؤَالِ لِكَـيْ يَقْتَـصَّ مَظْلُـومُهُمْ مِـمَّنْ لَـهُ قَهَـرَا
فَيُوقَفُـونَ أُلُـوفًـا مِـنْ سِنِينِهِـمُ وَالشَّمْـسُ دَانِيَـةٌ وَالرَّشْـحُ قَـدْ كَثُـرَا
وَجَـاءَ رَبُّـكَ وَالْأَمْـلَاكُ قَاطِبَـةً لَهُـمْ صُفُـوفٌ أَحَاطَـتْ بِالْـوَرَىٰ زُمَـرَا
وَجِـيءَ يَوْمَئِـذٍ بِالنَّـارِ تَسْحَبُـهَا خُزَّانُهَـا فَأَهَالَـتْ كُـلَّ مَـنْ نَظَـرَا
لَهَـا زَفِيـرٌ شَـدِيدٌ مِـنْ تَغَيُّظِهـا عَلَـىٰ الْعُصَـاةِ وَتَرْمِـي نَحْـوَهُم شَـرَرَا
وَيُرسِـلُ اللهُ صُـحْفَ الخَلْـقِ حَاوِيَـةً أَعْمَـالَهُمْ كُـلَّ شَـيْءٍ جَـلَّ أَوْ صَـغُرَا
فَمَـنْ تَلَقَّتْـهُ بِـالْيُمْنَىٰ صَـحِيفَتُهُ فَهْـوَ السَّـعِيدُ الَّـذِي بِـالْفَوْزِ قَـدْ ظَفِـرَا
وَمَـنْ يَكُـنْ بِالْيَـدِ الْيُسْـرَىٰ تَنَاوَلَهـا دَعَـا ثُبُـورًا وَلِلنِّيـرَانِ قَـدْ حُشِـرَا
وَوَزْنُ أَعْمَـالِهِمْ حَقًّـا فَـإِنْ ثَقُلَـتْ بِـالْخَيْرِ فَـازَ، وَإِنْ خَفَّـتْ فَقَـدْ خَسِـرَا
وَأَنَّ بِالْمِثْـلِ تُجْـزَىٰ السَّـيِّئَاتُ كَمَـا يَكُونُ فِي الْحَسَنَاتِ الضِّعْفُ قَدْ وُفِـرَا
وَكُـلُّ ذَنْـبٍ سِـوَىٰ الْإِشْـرَاكِ يَغْفِـرُهُ رَبِّـي لِمَـنْ شَـا وَلَـيْسَ الشِّـرْكُ مُغْتَفَـرَا
وَجَنَّـةُ الْخُلْـدِ لَا تَفْنَـىٰ وَسَـاكِنُهَا مُخَلَّـدٌ لَـيْسَ يَخْشَـىٰ الْمَـوْتَ وَالْكِبَـرَا
أَعَـدَّهَا اللهُ دَارًا لِلْخُلُـودِ لِمَـنْ يَخْشَـىٰ الْإِلَـهَ وَلِلنَّعْمَـاءِ قَـدْ شَـكَرَا
وَيَنْظُـرُونَ إِلَـىٰ وَجْـهِ الْإِلَـهِ بِهَـا كَمَا يَرَىٰ النَّاسُ شَمْسَ الظُّهْرِ وَالْقَمَـرَا

كَـذَلِكَ النَّـارُ لا تَفْنَـىٰ وَسَـاكِنُهَا أَعَـدَّهَا اللهُ مَوْلانَـا لِمَـنْ كَفَـرَا
وَلا يُخَلَّـدُ فِيهَـا مَـنْ يُوَحِّـدُهُ وَلَوْ بِسَفْكِ دَمِ الْمَعْصُومِ قَدْ فَجَرَا
وَكَـم يُنَجِّـي إِلَهِـي بِالشَّـفَاعَةِ مِـنْ خَيْـرِ الْبَرِيَّـةِ مِـنْ عَـاصٍ بِهَـا سُجِرَا

فصلٌ في الإيمان بالحوض

وَأَنَّ لِلْمُصْـطَفَىٰ حَوْضًـا مَسَـافَتُهُ مَـا بَيْنَ صَنْعَا وَبُصْرَىٰ هَكَذَا ذُكِرَا
أَحْلَـىٰ مِـنَ الْعَسَلِ الصَّـافِي مَذَاقَتُـهُ وَأَنَّ كِيزَانَـهُ مِثْـلُ النُّجُـومِ تُـرَىٰ
وَلَـمْ يَـرِدْهُ سِـوَىٰ أَتْبَـاعِ سُـنَّتِهِ سِيمَاهُمُ: أَنْ يَرَىٰ التَّحْجِيلَ وَالْغُرَرَا
وَكَـمْ يُنَحَّـىٰ وَيُنْفَـىٰ كُـلُّ مُبْتَـدِعٍ عَـنْ وِرْدِهِ وَرِجَـالٌ أَحْـدَثُوا الْغِيَـرَا
وَأَنَّ جِسْـرًا عَلَـىٰ النِّيـرَانِ يَعْبُـرُهُ بِسُرْعَةٍ لِمَـنْ لِمِنْهَاجِ الْهُدَىٰ عَبَرَا
وأَنَّ إِيمَانَنَـا شَـرْعًا حَقِيقَتُـهُ قَصْـدٌ وَقَـوْلٌ وَفِعْـلٌ لِلَّـذِي أَمَـرَا
وَأَنَّ مَعْصِـيَةَ الـرَّحْمَنِ تُنْقِصُـهُ كَمَـا يَزِيـدُ بِطَاعَـاتِ الَّـذِي شَكَرَا
وَأَنَّ طَاعَـةَ أُولِـي الأَمْـرِ وَاجِبَـةٌ مِـنَ الْهُـدَاةِ نُجُومِ الْعِلْمِ وَالأُمَرَا
إِلَّا إِذَا أَمَـرُوا يَوْمًـا بِمَعْصِـيَةٍ مِـنَ الْمَعَاصِـي فَيُلْقَىٰ أَمْرُهُمْ هَدَرَا
وأَنَّ أَفْضَـلَ قَـرْنٍ لِلَّـذِينَ رَأَوا نَبِيَّنَـا وبِهِـمْ دِيـنُ الْهُـدَىٰ نُصِـرَا
أَغْنِـي الصَّـحَابَةَ رُهْبَـانٌ بِلَـيْلِهِمُ وَفِي النَّهَارِ لَدَىٰ الْهَيْجَا لُيُوثُ شَرَا
وَخَيْـرُهُمْ مَـنْ وَلِـي مِـنْهُمْ خِلافَتَـهُ وَالسَّبْقُ فِي الفَضْلِ لِلصِّدِّيقِ مَعْ عُمَرَا
وَالتَّـابِعُونَ بِإِحْسَـانٍ لَهُـمْ وَكَـذَا أَتْبَـاعُ أَتْبَـاعِهِمْ مِمَّـنْ قَفَـا الأَثَـرَا
وَوَاجِـبٌ ذِكْـرُ كُـلٍّ مِـنْ صَحَابَتِهِ بِـالْخَيْرِ وَالْكَـفُّ عَمَّـا بَيْنَهُمْ شَجَرَا

فَلَا نَخُضْ فِي حُرُوبٍ بَيْنَهُمْ وَقَعَتْ ... عَنِ اجْتِهَادٍ وَكُنْ إِنْ خُضْتَ مُعْتَذِرَا
وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي الدِّينِ مُفْتَرَضٌ ... فَاقْتَدْ بِهِمْ وَاتْبَعِ الآثَارَ وَالسُّوَرَا
وَاتْرُكْ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ فَكَمْ ... ضَلَالَةٍ تُبِعَتْ وَالدِّينُ قَدْ هُجِرَا
إِنَّ الْهُدَىٰ مَا هَدَىٰ الْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا ... بِهِ الْكِتَابُ كِتَابُ اللهِ قَدْ أَمَرَا
فَلَا مِرَاءَ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ ... وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا
نَهَاكَ فِي مَذْهَبِ الأَسْلَافِ قَافِيَةً ... نَظْمًا بَدِيعًا وَجِيزَ اللَّفْظِ مُخْتَصَرَا
يَحْوِي مُهِمَّاتِ بَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ مِنْ ... رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدِ الَّذِي اشْتَهَرَا
وَالْحَمْدُ للهِ مَوْلَانَا وَنَسْأَلُهُ ... غُفْرَانَ مَا قَلَّ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا كَثُرَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَنْ عَمَّ بِعْثَتُهُ ... فَأَنْذَرَ الثَّقَلَيْنِ الْجِنَّ وَالْبَشَرَا
وَدِينُهُ نَسَخَ الأَدْيَانَ أَجْمَعَهَا ... وَلَيْسَ يُنْسَخُ مَا دَامَ الصَّفَا وَحِرَا
مُحَمَّدٍ خَيْرِ كُلِّ الْعَالَمِينَ بِهِ ... خَتْمُ النَّبِيِّينَ وَالرُّسْلِ الْكِرَامِ جَرَا
وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَحَدٍ ... وَمَنْ أَجَازَ فَحَلَّ قَتْلُهُ هَدَرَا
وَالآلِ وَالصَّحْبِ مَا نَاحَتْ عَلَىٰ فَنَنٍ ... وَرْقَا، وَمَا غَرَّدَتْ قُمْرِيَّةٌ سَحَرَا



شرح مقدّمة مؤلّف الرّسالة

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ -: **الحَمْدُ للهِ الَّذِي ابْتَدَأَ الإِنسَانَ بِنِعمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ.**

الشرح:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمُرْسلين نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين:

لقد امتنَّ اللهُ علىٰ الإنسان بخلقه له، وتعليمه إيَّاه، فقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرَّحمن: ١ - ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

فدلَّت هذه الآياتُ علىٰ عِناية الله بهذا الإنسان، ولُطفه به، ورحمتِه له؛ حيث ابتدأ خلقه في الرَّحِم، وصوَّره علىٰ أحسن صورة، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقال سبحانه: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ - ٦].

ففي هذه الآيات إخبار من الله عَزَّوَجَلَّ بتصويره للكائن الإنسانيِّ، وأنَّه خلقه في أحسن صورة، وجعله في أفضل هيئة.

الهداية والإضلال بيد الله

وَأَبرَزَهُ إِلَىٰ رِفقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِن رِزقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَم يَكُن يَعلَمُ، وَكَانَ فَضلُ اللهِ عَلَيهِ عَظِيمًا، وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنعَتِهِ، وَأَعذَرَ إِلَيهِ عَلَىٰ أَلسِنَةِ المُرسَلِينَ الخِيَرَةِ مِن خَلقِهِ، فَهَدَىٰ مَن وَفَّقَهُ بِفَضلِهِ، وَأَضَلَّ مَن خَذَلَهُ بِعَدلِهِ.

الشرح:

* **قوله:** «**وَأَبرَزَهُ إِلَىٰ رِفقِهِ**»؛ يعني: أنَّ الإنسانَ يُخلق ضعيفًا، فجُبل أهله علىٰ الرَّحمة به، والرِّفق به.

* **قوله:** «**وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِن رِزقِهِ**»؛ أي: هو سبحانه يرزقه باللّبن من حلَمة الثَّدي، وبعد أنْ يشتدَّ ويخرج له الأسنان أعطاه رزقًا آخر يليق بحاله؛ وهو الطَّعام الَّذي يعيش عليه أمثالُه.

* **قوله:** «**وَعَلَّمَهُ مَا لَم يَكُن يَعلَمُ**» وقد أشرنا فيما سبق إلىٰ الآيات الدَّالَّة علىٰ ذلك، ومن ذلك أيضًا قوله - جل وعلا -: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

* **قوله:** «**وَكَانَ فَضلُ اللهِ عَلَيهِ عَظِيمًا**» حيث تفضَّل عليه بالسَّمع، والبصر، واللِّسان الناطق، والعقل المُفكِّر، والجوارح الَّتي يتحرَّك بها؛ فيمشي، ويبطش، ويعمل، ويصنع.

* **قوله:** «**وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنعَتِهِ**»؛ أي: نبَّهه بذلك علىٰ حِكمة ربِّه وقُدرته علىٰ أنَّه خلقه

لعبادته، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ﴾ [الطُّور: ٣٥ – ٣٧].

* قولُه: «وَأَعذَرَ إِلَيهِ عَلَىٰ أَلسِنَةِ المُرسَلِينَ...» في هذه الجملة بيَّن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل رُسلَه من بني آدم إليهم فدعاهم إلىٰ توحيده، وإفراده بالعبادة، ونبَّههم علىٰ أنَّ العبادة هي الحكمة في أصل الإيجاد، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥ – ٣٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّاريات: ٥٦].

ثُمَّ بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ النَّاس بعد الرسالات انقسموا إلىٰ قسمين: فريق تابعوا الرسل، وآمنوا بما جاؤوهم به، فكانوا مهتدين، وفريق كذَّبوا وأبوا فكانوا مخذولين ضالِّين، فهو قد هدىٰ مَن وفَّقه بفضلِه، وأضلَّ مَن خذَله بعدلِه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].



أقسام النَّاس بعد الرِّسالات

وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسرَىٰ، وَشَرَحَ صُدُورَهُم لِلذِّكرَىٰ، فَآمَنُوا بِاللهِ بِأَلسِنَتِهِم نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِم مُخلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتهُم بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ.

وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُم، وَوَقَفُوا عِندَ مَا حَدَّ لَهُم، وَاستَغنَوا بِمَا أَحَلَّ لَهُم عَمَّا حَرَّمَ عَلَيهِم.

الشرح:

* **قوله: «وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسرَىٰ، وَشَرَحَ صُدُورَهُم لِلذِّكرَىٰ..»** أقول: بيَّن المؤلِّف علىٰ التَّفصيل ما يلزم في الإيمان من اتّفاق القلوب والألسنة والجوارح علىٰ مقتضاه؛ فالقلب يعتقد ويؤمن ويُصدِّق، واللّسان ينطق موافقةً للقلب علىٰ مُقتضىٰ ما صدَّق به، والجوارح تعمل علىٰ مُقتضىٰ ما أمرت به من أفعالٍ وتُروكٍ.

* **قولُه: «وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُم، وَوَقَفُوا عِندَ مَا حَدَّ لَهُم»**؛ أي: ما علَّمهم من شرائع الإيمان، تعلَّموا ذلك، ووقفوا عند ما حَدَّ لهم - أي: من الصفات -، أي من صفات الله عَزَّوَجَلَّ العُليا، وأسمائه الحسنىٰ، فوقفوا عند ما بيَّن لهم، وكتم عنهم الكيفية، فآمنوا بما أخبرهم به، وتركوا ما سكت عنه، ولم يتجاوزوه كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لمن قال له: بأنَّ الله قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]. كيف استوىٰ؟

فقال: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه

بدعةٌ»[(١)].

فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ المؤمنين آمنُوا بما بيَّنه الله لهم، وتوقَّفوا عند ما حُدَّ لهم ولم يتجاوزوا ذلك.

* قوله: «وَاستَغنَوا بِمَا أَحَلَّ لَهُم عَمَّا حَرَّمَ عَلَيهِم»، أقول: دلَّ ذلك علىٰ عبوديَّتهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حيث آمنوا بما أخبر به، وتعلَّموا ما أمرهم بتعلُّمه، ووقفوا عند ما حدَّ لهم، وأخذوا ما أحلَّ لهم، وامتنعوا عما حرّم عليهم، فكانوا عبادَ الله حقًّا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤] الآيات...

هذا هو شرح هذه المقدِّمة، أمَّا بعد هذا فقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدَّافع الَّذي حمله علىٰ كتابة هذه الجُملة المُختصرة؛ فقال:



---

(١) أخرجه بنحوه البيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين).

ورواه البيهقي أيضًا في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ برقم ٨٦٦) عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك فدخل رجل فقال، فذكر نحوه. وصحَّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوِّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابت عن مالك». وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد». وصحَّحه الألبانيّ في «مختصر العلوّ»: ص (١٤١ - ١٤٢). وانظر للتَّوسّع كتابَ: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» للشيخ عبد الرَّزَّاق العبَّاد حفظه الله.

الدَّافع إلى كتابة هذه العقيدة

أمَّا بعدُ: أعانَنا الله وإيَّاك على رِعاية ودائعِه، وحفظِ ما أودعَنا مِن شرائعِه.

الشرح:

أقول: الودائع تُفسَّر بالأمانات التي اؤتمن عليها الإنسان في خلْوته وجلْوته مِن أداء العبادة، والتَّطهُّر حقَّ الطَّهارة، وحفظ الحَواسِّ والجوارح عمَّا حرَّم اللهُ؛ وفي الحديث: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ للهِ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا...**» الحديث[١].



(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٣٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٣٥).

مُجملُ ما اشتملتْ عليه هذه العَقيدةُ

فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَن أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِن وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ مِمَّا تَنطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ القُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ: مِنَ السُّنَنِ مِن مُؤَكَّدِهَا وَنَوَافِلِهَا وَرَغَائِبِهَا، وَشَيْءٍ مِنَ الآدَابِ مِنْهَا، وَجُمَلٍ مِن أُصُولِ الفِقْهِ وَفُنُونِهِ عَلَىٰ مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَطَرِيقَتِهِ.

الشرح:

هذا قول المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ، ونحنُ نقولُ: إنَّ التَّفقُّهَ علىٰ ما صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ علىٰ مذهب أيِّ إمام كان، فمَن وافقه الدَّليل منهم فقولُه المُقدَّم، ومَن خالف الدَّليل بشيء من التَّأويل، أو عدم صحَّة الدَّليل عِند المستدلِّ، أو ما أشبه ذلك من الأمور الَّتي تحملُ ذلك الإمام علىٰ عدم القول بالدَّليل في مسألةٍ مَا؛ فنحن نعذرُه، ونقولُ: إنَّه لم يترك الدَّليل إلَّا لأنَّه لم يبلغه، أو أنَّه أوَّله، أو تعارض مع غيره عنده، ونحن نهيب بالأئمَّة ونكرمهم عن أن يكونوا قد تركوا الدَّليل عامدين بدون عذر[١]، ولا عيب علىٰ من ترك قول ذلك الإمام الذي خالف الدليل، لا عيب عليه في تلك المخالفة؛ لأنَّ كلًّا يؤخذ من قوله ويُردُّ إلَّا رسول الله ﷺ.

وكلُّنا نؤمن بأنَّنا جميعًا إنَّما كُلِّفنا بمتابعة الرَّسول ﷺ لا بمتابعة غيره، وأنَّ

---

(١) انظر أعذار الأئمة في تركهم للأخذ بالحديث النبوي في: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٩) وما بعدها، ط الرِّئاسة العامَّة.

من عَظُم شأنُه من الأئمة وكثُر أتباعُه منهم إنَّما حصَل ذلك لأنَّ التابعين له ظنُّوا أنَّه من المتَّبعين لرسول الله ﷺ في كلِّ شيءٍ إلَّا ما خفِيَ عليه من غير قصدٍ ولا تهاونٍ، وقد تبيَّن مِن هذا أنَّ الواجبَ علينا جميعًا هو اتِّباع الدَّليل، سواء كان الدَّليل مع مالكٍ، أو الشَّافعيِّ، أو أحمد بن حنبل، أو أبي حنيفةَ أو غيرهم.



وجوبُ الأخذِ بفهمِ الرَّاسخين في العِلْم

مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشكَلَ مِن ذَلِكَ مِن تَفسِيرِ الرَّاسِخِينَ وَبَيَانِ المُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبتَ فِيهِ مِن تَعلِيمِ ذَلِكَ لِلوِلدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُم حُرُوفَ القُرآنِ، لِيَسبِقَ إِلَىٰ قُلُوبِهِم مِن فَهمِ دِينِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرجَىٰ لَهُم بَرَكَتُهُ وَتُحمَدُ لَهُم عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبْتُكَ إِلَىٰ ذَلِكَ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللهِ، أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

الشرح:

* قوله: «**مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشكَلَ مِن ذَلِكَ مِن تَفسِيرِ الرَّاسِخِينَ وَبَيَانِ المُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبتَ فِيهِ مِن تَعلِيمِ ذَلِكَ لِلوِلدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُم حُرُوفَ القُرآنِ**».

أقولُ: يقصدُ المؤلِّف من هذا: أنَّ الواجب أنْ نأخذ من تفسير الرَّاسخين في العلم والمُتَفَقِّهين في الدِّين ما يناسب تلك المسألة ممَّا يجعل الإنسان عارفًا لتلك المسألة، وما قيل فيها، غيرَ أنَّ الواجب عليه أن يَتَّبِعَ ما ترجَّح عنده إنْ كان مُؤَهَّلًا، وأنْ يُعَلمه لمن وُكِّل إليه تعليمهم مِن الأطفال والصِّغار أو الشَّباب الَّذين يُريدون معرفة الحقِّ ليَتَّبِعوه.

* قوله: «**لِيَسبِقَ إِلَىٰ قُلُوبِهِم مِن فَهمِ دِينِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرجَىٰ لَهُم بَرَكَتُهُ وَتُحمَدُ لَهُم عَاقِبَتُهُ**». يعني: أنَّ الأطفالَ الَّذين يُعَلَّمون العقيدة الصَّحيحة مِن الصِّغر أنَّ تلك العقيدة الصَّحيحة تحتلُّ قلوبهم، فتثبتُ فيها، وتمنع ما يُعرض عليها مِن المُحدَثات الَّتي تَرُدُّها الشَّرائع، وقد أشار حديثُ حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

إلىٰ ذلك؛ فقال فيما رواه عن النَّبيِّ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا -، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»(١).

وقد أشار المؤلف إلىٰ أنَّ خيرَ القُلوب أوعاها للخير، فقال بعد قوله: «فأجبتك إلىٰ ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علَّم دين الله، أو دعا إليه».



(١) أخرجه مسلم (١٤٤).

أهمِّيَّةُ تعليم الصِّبيان العقيدة الصَّحيحة

وَاعلَم أَنَّ خَيرَ القُلُوبِ أَوعَاهَا لِلخَيرِ، وَأَرجَىٰ القُلُوبِ لِلخَيرِ مَا لَم يَسبِقِ الشَّرُّ إِلَيهِ، وَأَولَىٰ مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الخَيرِ إِلَىٰ قُلُوبِ أَولَادِ المُؤمِنِينَ؛ لِيَرسَخَ فِيهَا، وَتَنبِيهُهُم عَلَىٰ مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيهَا، وَمَا عَلَيهِم أَن تَعتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُم وَتَعمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُم، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللهِ يُطفِئُ غَضَبَ اللهِ، وَأَنَّ تَعلِيمَ الشَّيءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقشِ فِي الحَجَرِ.

وَقَد مَثَّلتُ لَكَ مِن ذَلِكَ مَا يَنتَفِعُونَ - إِن شَاءَ اللهُ - بِحِفظِهِ، وَيَشرُفُونَ بِعِلمِهِ، وَيَسعَدُونَ بِاعتِقَادِهِ وَالعَمَلِ بِهِ.

وَقَد جَاءَ أَن يُؤمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبعِ سِنِينَ، وَيُضرَبُوا عَلَيهَا لِعَشرٍ، وَيُفَرَّقَ بَينَهُم فِي المَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ يَنبَغِي أَن يُعَلَّمُوا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ العِبَادِ مِن قَولٍ وَعَمَلٍ قَبلَ بُلُوغِهِم؛ لِيَأتِيَ عَلَيهِمُ البُلُوغُ وَقَد تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِن قُلُوبِهِم، وَسَكَنَت إِلَيهِ أَنفُسُهُم، وَأَنِسَت بِمَا يَعمَلُونَ بِهِ مِن ذَلِكَ جَوَارِحُهُم.

وَقَد فَرَضَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ القَلبِ عَمَلًا مِنَ الاعتِقَادَاتِ، وَعَلَىٰ الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَسَأُفَصِّلُ لَكَ مَا شَرَطتُ لَكَ ذِكرَهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقرُبَ مِن فَهمِ مُتَعَلِّمِيهِ، إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِيَّاهُ نَستَخِيرُ، وَبِهِ نَستَعِينُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ

العَظِيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

الشرح:

* **قوله: «وَاعلَم أَنَّ خَيرَ القُلُوبِ أَوعَاهَا لِلخَيرِ، وَأَرجَىٰ القُلُوبِ لِلخَيرِ مَا لَم يَسبِقِ الشَّرُّ إِلَيهِ»**؛ يعني: أنَّ القلوب التي يَسبقُ إليها الشَّرُّ تتأثر به غالبًا، وأنَّ القلوبَ الَّتي يأتي إليها الخيرُ، وهي خاليةٌ صافيةٌ فهي الَّتي يُرجىٰ تقبُّلها لذلك الخيرِ والعمل به.

* **قوله: «وَأَولَىٰ مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الخَيرِ إِلَىٰ قُلُوبِ أَولَادِ المُؤمِنِينَ؛ لِيَرسَخَ فِيهَا، وَتَنبِيهُهُم عَلَىٰ مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيهَا»**. قوله: **«لِيُرَاضُوا عَلَيهَا»** مِن الرِّياضة، وهي التَّمرينُ علىٰ الشَّيء.

* **قوله: «وَمَا عَلَيهِم أَن تَعتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُم وَتَعمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُم، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللهِ يُطفِئُ غَضَبَ اللهِ، وَأَنَّ تَعلِيمَ الشَّيءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقشِ فِي الحَجَرِ»**، وأقول: هذا كلامٌ حقٌّ - إنْ شاء الله - إذا قصدَ به تعليم الصِّغار العقيدةَ الصَّحيحة حتَّىٰ ينجوا في مستقبلهم من قَبول المحدثات والبدع والضَّلالات.

* **ثم قال: «وَقَد مَثَّلتُ لَكَ مِن ذَلِكَ مَا يَنتَفِعُونَ - إِن شَاءَ اللهُ - بِحِفظِهِ، وَيَشرُفُونَ بِعِلمِهِ، وَيَسعَدُونَ بِاعتِقَادِهِ وَالعَمَلِ بِهِ، وَقَد جَاءَ أَن يُؤمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبعِ سِنِينَ، وَيُضرَبُوا عَلَيهَا لِعَشرٍ، وَيُفَرَّقَ بَينَهُم فِي المَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ يَنبَغِي أَن يُعَلَّمُوا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ العِبَادِ مِن قَولٍ وَعَمَلٍ قَبلَ بُلُوغِهِم؛ لِيَأتِيَ عَلَيهِمُ البُلُوغُ وَقَد تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِن قُلُوبِهِم، وَسَكَنَت إِلَيهِ أَنفُسُهُم، وَأَنِسَت بِمَا يَعمَلُونَ بِهِ مِن ذَلِكَ جَوَارِحُهُم، وَقَد فَرَضَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ القَلبِ عَمَلًا مِنَ الاعتِقَادَاتِ،**

وَعَلَىٰ الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَسَأُفَصِّلُ لَكَ مَا شَرَطتُ لَكَ ذِكرَهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقرُبَ مِن فَهمِ مُتَعَلِّمِيهِ، إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِيَّاهُ نَستَخِيرُ، وَبِهِ نَستَعِينُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا».



بداية العقيدة

* قَالَ أَبُو مُحَمَّد عَبد الله بن أَبِي زَيدٍ القَيرَوانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بابُ ما تَنْطِقُ بِهِ الألْسِنَةُ، وتَعْتَقِدُهُ الأفئِدَةُ مِنْ واجِبِ أُمورِ الدِّيانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ، أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرح:

* **قوله: «بابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ؛ مِنْ ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ»:**

قلت: ومعنىٰ الإيمان بالقلب، أي: التَّصديق بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُؤَكِّدًا ذلك بالنُّطق باللِّسان أنَّ اللهَ إلهٌ واحدٌ لا إلهَ غيرُه، وهذا معنىٰ لا إله إلا الله.

فكلمة «لا إله إلَّا اللهُ» مركبة من جملتين: جملة النَّفي، وجملة الإثبات.

فجملة النَّفي: «لا إله»، وهي مُؤَلَّفة من «لا» النافية ومنفيِّها، فـ: «لا» كلمة نفي، و«إلهَ»: نكرة تشمل جميع الآلهة؛ إذْ إنَّ النَّكرة إذا كانت في سياق النفي فهي

تعمُّ، ومِن أجل ذلك اقتضىٰ هذا النَّفيُ أنَّه نفيٌ لجميع الآلهة؛ أي: نفي لجميع المعبودات، ثمَّ بعد ذلك جاء الإثبات: «إلَّا الله» بـ «إلَّا» الاستثنائيَّة، وهذا مقتضىٰ قوله: «أنَّ اللهَ إلهٌ واحدٌ لا إلهَ غيرُه»، ومصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* أمَّا قولُه: «وَلا شَبِيهَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ لَهُ، وَلا وَلَدَ لَهُ، وَلا وَالِدَ لَهُ، وَلا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلا شَرِيكَ لَهُ»؛ فهذا نفيٌ لكونه مُتولِّدًا من غيره، أو غيره متولِّدٌ منه، ونفي للأشباه والنُّظراء والمُعِينِين والوزراء، ونفي للصاحبة والشريك، وهذا النفي تضمَّنته سورة (الإخلاص): ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] أي: المقصود في الحوائج، ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤].

ثمَّ يأتي بعد ذلك الجملة الأخرىٰ النَّافية لابتداء وجوده، ولانتهاء ديموميته، وانقضاء ربوبيته؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ»، وهذا المعنىٰ تثبته الآية الثَّالثة مِن سُورة (الحديد)، حيثُ يقولُ فيها عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وفي الحديث الصَّحيح، عن النَّبيِّ ﷺ: «اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»(١).

* قوله: «لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

يقرِّر المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عجزَ المخلوقين عن بلوغ وَصْفه، وعجزَهم عن الإحاطة بأمره، وأنَّهم مأمورون بالتَّفكُّر في آياته؛ أمَّا ذاتُه فلا تفترضها الأذهان، ولا تبلغُها المقاييس؛ فالقلوب عاجزةٌ أنْ تتصوَّر صِفتَه، والأذهانُ كالَّةٌ أنْ تُحيطَ بمعرفتِه، فلا يقدر العباد أن يَعْلمُوا مِن صفاته وأسمائه ونعوت ذاته إلّا ما عَلَّمَهم إيَّاه، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ معرفته هو الغاية التي ينبغي أنْ ينتهيَ إليها كلُّ مخلوقٍ، ولقد قرَّر ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.





علوُّ اللهِ وعلمه

الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

الشرح:

تَضمَّنَ قولَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ اللهَ موصوفٌ بصفاتِ الكمالِ، فكُلُّ وَصْفٍ وَصَفَ الله به نفسه فهو في غاية الكمال، فإذا وصفْنا الله بأنَّه عالمٌ كما وصف ذلك في قوله سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، فإنَّ معنىٰ ذلك: أنَّ اللهَ له الوصفُ الأعلىٰ في العلم والاطِّلاع، كذلك له الوصف الأعلىٰ في الخبرة حينما نقول: (الخبير)، فهو خبير ببواطن الأمور وظواهرها.

* **قوله: «المُدَبِّر القدير»**: موصوف بأنه يُدَبِّر هذا الكون، ويُصَرِّفه ويُجْرِيه علىٰ ما قد قَدَّرَهُ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* **قوله: «السَّمِيع البَصِير»**: هاتان الصِّفتان وصفَ اللهُ بهما نفسَه ووَصَفه بهما رسولُه ﷺ، فإذا وصفْناه بالسَّميع فإنَّ معنىٰ ذلك أنَّه سميعٌ لكلِّ مسموع حتَّىٰ ما يخفىٰ علىٰ النَّاس يسمعُه، وما تخفىٰ رُؤيتُه علىٰ النَّاس يُبْصرُه، فعندما نَصِفُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بأنَّه السَّميعُ البصيرُ؛ فإنَّ هذا الوصفَ يقعُ علىٰ أكمل صِفةٍ فيه وأعلاها، والإنسانُ موصوفٌ بأنَّه سميعٌ بصيرٌ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ

أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

فإذا اتفقت صفة الله وصفة العبد في الأسماء؛ فهل يلزم من ذلك اتِّفاقهما في الحقائق؟ الجواب: لا.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، [وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ] فَكَانَ يَخْفَىٰ عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]»(١).

فسمعُ الإنسان يحجُبه البُعْدُ، وتحجُبه الحُجُب، وسَمْعُ اللهِ لا يحجُبُه شيء، وكذلك بَصَرُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرىٰ ما في تضاعيف الأرض، وما في أجواف البِحار، يرىٰ كلَّ شيء، فنحن إذا وصفنا الله بأنَّه سميع بصير، فإنَّ له أكمل وصف في ذلك وأعلاه - جلّ شأنه وتقدّست أسماؤه -.

* **قولُه: «العَلِيُّ»**: أي له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عُلُوُّ الذَّات، وعُلُوُّ القدر، وعُلُوُّ القهر؛ فهو عالٍ علىٰ عرشه بذاته، وهو مُستعلٍ علىٰ كلِّ شيءٍ مِن خلْقِه بقُدرته، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

* **قوله: «وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ»**؛ بمعنىٰ أنَّه مُطَّلعٌ علىٰ كلِّ مكانٍ، لا يخلو مِن علْمِه مكانٌ.

---

(١) أخرجه البخاريُّ تعليقًا في كتاب التَّوحيد، باب: وكان الله سميعًا بصيرًا، والنَّسائي (٣٤٦٠)، وابنُ ماجه (١٨٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٧/ ١٧٥)، و«صحيح وضعيف سُنن النَّسائي».

بيان شُمول علمه ودقّته

خَلَقَ الإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ(١)، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ، وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(٢).

الشرح:

في هذه الفقرة بيانُ شمول عِلمِه ودِقَّته، بحيث لا تغيب عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورقةٌ تسقط من شجرتها إلَّا ويعلمُ الشجرةَ أين مكانها مِن الأرض، ويعلمُ الورقةَ أينَ مكانُها من الشجرة، وما من حَبَّةٍ تُلقىٰ في الأرض إلَّا ويعلمُ أين وقعتْ، كُلُّ ذلك معلومٌ عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لهذا فإنَّ الواجب علىٰ العبد أنْ يُؤْمن بهذا كُلِّه، ويعتقدَ صِحَّتَه، ويعتقدَ كمالَ عِلم رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، بل نُؤمنُ أنَّ كُلَّ ما يقع في الكون فهو مُدَوَّن في أمِّ الكتاب، لا يَشِذُّ عن علمه شيءٌ(٣).

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال جلّ في علاه: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

صفة الاستواء لله تعالى

عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ، وَعَلَىٰ الْمُلْكِ احْتَوَىٰ.

الشرح:

* **قوله:** «علىٰ العرش استوىٰ»، لا شَكَّ في ذلك، كما أخبَر بِذَلك عن نفسه في سبعة مواضع من القرآن[1]، وأهل العلم من سلف هذه الأمّة يقولون: استوىٰ استواءً يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نؤمنُ بذلك، ونكِلُ كيفيّةَ الاستواء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قيل لمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوىٰ؟ فأطرق مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتَعَجَّب من هذا السُّؤال العجيب، وعلاه العرق، ثمَّ رفعَ رأسَه، وقال: «الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، وأنت رَجُل سوءٍ؛ أَخْرِجوه»[2].

---

(١) في سورة (الأعراف): الآية ٥٤، و(يونس): الآية ٣، و(الرعد): الآية ٢، و(طه): الآية ٥، و(الفرقان): الآية ٥٩، و(السجدة): الآية ٧، و(الحديد): الآية ٤.

(٢) أخرجه بنحوه البيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين).

ورواه البيهقيُّ أيضًا في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ برقم ٨٦٦) عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك فدخل رجلٌ فقال، فذكر نحوه. وصحّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابتٌ عن مالك». وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد». وصحّحه الألبانيُّ في «مختصر العلوّ»: ص (١٤١ - ١٤٢). وانظر للتّوسّع كتاب: «الأثر المشهور عن الإمام مالك

* أما قوله: «وَعَلَىٰ الْمُلْكِ احْتَوَىٰ»؛ فهذه الجملة يُلاحظ علىٰ المؤلِّف فيها، فيُنتقَدُ عليه هذا التعبير؛ إذ إنَّ قوله: «وعلىٰ الملك احتوىٰ» كأنَّه يُشعِر بمُنازع لله فيه، وليس كذلك، والذي نَظُنُّه أنَّ ذلك جرىٰ علىٰ لسانه من باب التجنيس[1]، وإلَّا فَمَن هو المُنَازع لله حتىٰ يكون اللهُ قد احتوىٰ علىٰ المُلك بعد المُنازعة؟ !

فالله عَزَّوَجَلَّ لا مُنازعَ له، فهو الخالقُ لهذا الكون، والمُنشئُ له، والحافظُ له بمَن فيه، قال - جلَّ مِن قائل -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١]، وقال - جل من قائل -: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال - جلَّ شأنه -: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال في موضع آخر: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٤].

والمهمُّ أنَّ قوله: «وعلىٰ الملك احتوىٰ» كان ينبغي ألَّا تُقال؛ لأنَّها تشعر بِضِدِّ احتوىٰ اللهُ علىٰ المُلك بعدَه، ولا ينبغي أنْ نُقِرَّ مثلَ هذا، واللهُ أعلم.



=

رحمه الله في صفة الاستواء» للشَّيخ عبد الرَّزَّاق العبَّاد حفظه الله.

(١) التَّجنيس ضربٌ مِن ضُروب البلاغةِ، ومعناه: تشابُه كلمتَين في اللَّفظ مع الاختلاف في المعنىٰ، وهو علىٰ عدَّة أنواع، منها: التَّجنيس اللاحق، وهو: أنْ يختلفا بحرفٍ أو حرفين مع عدم التَّقارب في المخرج، وهو مُراد الشَّيخ هنا، وذلك مثل (استوىٰ واحتوىٰ). انظر: «مفتاح العلوم» للسَّكاكي (١/ ٤٢٩ الكتب العلمية).

لله الأسماءُ الحسنى

وَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ.

الشرح:

هذا قيدٌ للأسماء؛ بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُسَمَّىٰ بأسمائه الحُسنىٰ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذا يدُلُّنا علىٰ أَنَّا لا نُسَمِّي الله عَزَّوَجَلَّ إلّا بأسمائه الحُسنىٰ التي تتضمن الكمال المطلق له - جَلَّ وعلا -، وعلىٰ هذا فإنَّه لا يجوز أن نُسمِّي الله عَزَّوَجَلَّ بأسماء لا تتضمّن ذلك، فإذا كان الاسم بانفراده يُفهَم منه نقصٌ لم يجز أن نُسمِّيَه به علىٰ انفراده، فهناك أسماء تُذكر علىٰ سبيل المقابلة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠ - ٥١]، وقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦].

فهذه الأسماء والصِّفات لا يساق منها اسمٌ بانفراده؛ لأنَّه يُوهم النَّقص، وإنَّما ذُكرت علىٰ سبيل المقابلة؛ أي: أنَّ الله يقابل مكرهم وخداعهم وكيدهم بمثله، فلا يجوز أن نصفَ اللهَ بأنَّه ماكرٌ، أو خادع، أو كائد؛ لأنَّ هذا الاسمَ، أو تلك

الأسماء تُوهم نقصًا.

وكذلك ما كان لا يتضمَّن كمالًا فهو كذلك أيضًا، كقوله - جلَّ وعلا -: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فـ«شيء» هنا نكرةٌ دخل فيها اللهُ ذو الجلال والإكرام وغيرُه، فلا يجوز أن نُسمِّيَه بأنَّه شيءٌ؛ لأنَّ ذلك لا يتضمَّن مدحًا.

وكذلك حديث: «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ»(١)، فلا نسميه شخصًا، لأنَّ ذلك لا يتضمن مدحًا.

وعلىٰ هذا فإنَّ الواجب علينا أن نُسَمِّيَ الله عَزَّوَجَلَّ بالأسماء الَّتي تتضمَّنُ المدحَ؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].



(١) أخرجه مسلم (١٤٩٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لله الصِّفاتُ العُلا

وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَىٰ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً.

الشرح:

الصِّفات الواردة في القرآن والسُنَّة التي ينبغي أن نَصِف الله بها مُعتقِدين لكمالها، وعُلُوِّها، فإذا اتَّفَقت مع بعض صفات المخلوقين فنحن نُؤمن أنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ متضمنةٌ العُلُوَّ والكمال في تلك الصِّفات، فإذا وصَفْنا اللهَ بأنَّه حيٌّ، ووصفنا المخلوق بأنَّه حيٌّ، فيجبُ أنْ نعتقدَ الفرْق بين حياة الخالق والمخلوق.

فحياة الخالق كاملةٌ لا نَقْصَ فيها بوجهٍ مِن الوجوه، بخلاف حياة المخلوق، فكلُّ مخلوق حياته محاطةٌ بالعدم السابق، والفناء اللّاحق، وهي أيضًا مُفتقرةٌ إلىٰ مَن أوجدها، ويقوم بوجودها، فمثلًا الإنسان حياتُه متوقِّفةٌ علىٰ ما جعلها الله عَزَّوَجَلَّ متوقفة عليه، فهي لا تبقىٰ إلَّا بوجود ما قَدَّر اللهُ بقاءها عليه.

فالإنسان والحيوان حياتُهما متوقِّفة علىٰ ثلاثةِ أمورٍ هي: الأكلُ، والشُّربُ، والرَّاحة - التي هو النوم -، والملائكةُ خلقهم الله علىٰ ما خلقهم عليه فهم لا يحتاجون إلىٰ أكل، ولا إلىٰ شرب كما يحتاجها الإنس والجنُّ؛ ولكنَّهم مفتقرون في وجودهم إلىٰ الله الذي أوجدهم.

والمهمُّ أنَّا إذا وصفنا الله بصفاته الَّتي وَصَف نفسَه بها في كتابه، أو علىٰ لسان

رسوله فإنَّا نعتقد بأنَّ صفاته غايةٌ في الكمال وعلوِّ الشأن.

* قوله: «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ»؛ أي: أنَّه لم يزل مُتَّصفًا بصِفاته الذَّاتيَّة، وصِفاته الفعليَّة.

والصِّفاتُ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أوَّلًا: صفاتٌ ذاتيةٌ محضةٌ: كصفة السَّمع والبصر، وصفة الوجه واليدين، وصفة الكفَّين والأصابع والرِّجل والسَّاق والقدم.

ثانيًا: صفاتٌ ذاتيةٌ فعليةٌ: كصفة الكلام، والخَلْق وما أشبه ذلك.

ثالثًا: صفاتٌ فعليةٌ: كصفة الاستواء وصفة النُّزول، والمجيء، وصفة الإتيان.

فهذه الصِّفات كلُّها يجبُ أن نُثبتها لله عَزَّوَجَلَّ، إثباتًا يليق بجلاله منزهًا عن النقص والحدوث، ولهذا قال المصنف: «تَعَالَىٰ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً».



صفةُ الكلام لله تعالى

كَلَّمَ مُوسَىٰ بِكَلَامِهِ؛ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.

الشرح:

أهل السُّنَّة يقولون: نعتقدُ أنَّ الله يتكلَّم بكلام قديم النَّوع حادثِ الآحاد، ومعنىٰ ذلك: أنَّ الكلام صفةٌ لله هو مُتَّصِفٌ بها، فهو يتكلَّم متىٰ شاء وكيف شاء.

فقولهم: «قديم النَّوع»؛ يعني: أنَّ الكلام صفةٌ لله ثابتةٌ لجَلَالِه، موجودةٌ بوجوده الذي ليس له ابتداءٌ، ولا يكون له انتهاء.

أمَّا قولُهم: «حادث الآحاد»، فمعناه: أنَّ الكلام يَحْدُث منه سُبحانه متىٰ شاء، وفي الوقت الذي يشاء، فهو مَوصوف بالكلام، ومَنْ لا يتكلَّم فهو ناقص، ومن عنده نقص فكيف يمكن أنْ يكون إلهًا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد وصف أقوامًا من النَّاس بأنَّ لهم قلوبًا لا يفقهون بها، ولهم أعينًا لا يُبصرون بها، ولهم آذانًا لا يسمعون بها، فمَن لم يكن موصوفًا بالفهم والبصر والسَّمع فهو ناقص؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

والكلام عدمه نقصٌ، ووجودُه كمالٌ في حقِّ الإنسان، فلو أنَّ قومًا أرادوا أن يُمَلِّكُوا عليهم ملكًا فاختاروا ذلك المَلِك، بأن يكون أبكمَ لا يتكلَّم، وأعمىٰ لا

يُبْصر، وأصمَّ لا يسمع، وضعيف الفهم لا يفهم، أيكونون قد أصابوا؟!

الجواب: لا، فكيف يُوصف جبَّارُ السَّموات والأرض وخالقُهما ومُنشِئُهما علىٰ غيرِ مِثالٍ سبق بأنَّهُ لا يتكلَّم، أيَصِحُّ أن يكون إلهًا لا يتكلَّم؟! **الجواب**: لا.

وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]. فوصفُه بأنَّه مُحدثٌ إنَّما هو بالنسبة للمخلوقين، أمَّا باتِّصاف قائله بِهِ فليس بمُحدثٍ، بل إنَّ الكلامَ صِفةٌ له - جل وعلا - علىٰ ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال - جلَّ مِن قائل -: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

فذَمَّ اللهُ المُنافقين بعدَم السَّمع، وعدمِ الكلام وهو البكم، وعَدمِ البصر وهو العمىٰ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فهذه الآيات مُثْبِتة لكلام الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما يليق بجَلاله، وأنَّ هذه الصفةَ قديمة بقِدَمه، باقيةٌ ببَقائه، كاملةٌ بكمال المُتَّصِف بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي الحديث: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١).

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فهذا من حيث اتِّصافه بالكلام.

والقرآنُ كلام الله عَزَّوَجَلَّ أنزله على عبده ورسوله ﷺ؛ ليكون تشريعًا لعباده إلىٰ يوم القيامة، وقد وَصَف به نفسه، وأضافه إليه؛ حيث يقول - جلّ من قائل -: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

فمَن زعَم أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فهو كافرٌ بهذه الآيات الَّتي سردناها.

وقد اتَّفق أهل السُّنَّة والجماعة مِن أهل الحديث والفقه علىٰ أنَّ من قال: القرآنُ مخلوق؛ فإنه كافر[١].

وكذلك من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، وبعضهم كفَّر من قال ذلك[٢]؛ ولكن الأكثر علىٰ وصفه بالابتداع[٣]؛ ومن وقف فلم يقل: مخلوق، ولا غير مخلوق، ولم يجزم بأنَّه كلام الله فهو مبتدع أيضًا.

ولقد وقف الإمام أحمد ومن معه من أهل السُّنَّة موقف الصَّرامة من الواقفة[٤]، ومِمَّن صرَّح بأنَّ لفظه بالقرآن مخلوق؛ حيث هجروهم ومنعوا أخذ العلم عنهم وإن كانوا علماء؛ وإنَّما كان ذلك منهم لأجل قطع الطريق علىٰ من

(١) **انظر**: «رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد» للسجزي (ص ١٥٣ الجامعة الإسلامية)، و«الحجة علىٰ تارك المحجّة» للمقدسي (٢/ ٤٨٤ عالم الكتب).

(٢) **انظر**: «شرح أصول الاعتقاد» لِلَّالكائي (٢/ ٣٨٥ طيبة).

(٣) **انظر**: «شرح السُّنَّة» للبربهاري (ص٩٥ المنهاج).

(٤) **الواقفة**: هم الذين وقفوا في القرآن، فقالوا: لا نقول مخلوقٌ هو ولا غير مخلوق، **انظر**: «الردّ علىٰ الجهمية» للدارمي (ص١٧٥ المكتبة الإسلامية)، و«النقض علىٰ المريسي» للدارمي (ص٢١١ المكتبة الإسلامية)، وقد أنكر عليهم أهلُ السنّة كالإمام أحمد وغيرُه إنكارًا شديدًا وعدّوهم من الجهمية، بل شرٌّ من الجهمية، **انظر**: المصدرين السابقين، و«السنّة» للخلّال (٥/ ١٢٩ الراية)، و«السنّة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٩ ابن القيم)، و«شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٢/ ٣٥٧).

يريد التلاعب في القرآن فأطلق أنَّ لفظه بالقرآن مخلوق؛ حيث إنَّ اللفظ يشمل فعلَ العبد، ويشمل القرآنَ الذي هو كلام الله، فمن ذلك كان موقفهم من هذا النَّوع من النَّاس موقف القُوَّة والصَّرامة.

وقد نهىٰ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن إتيان الحسين بن علي الكرابيسي، وعن أخذ العلم عنه، ومنع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يسمح بدخول داود الظاهري عليه من أجل أنَّه وقف، وأمثال هؤلاء الذين وقفوا(١).

ولهذا قال المصنّف: «**وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيد، وَلا صِفَةٍ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَد**».



(١) انظر: «الإبانة» لابن بطة (٥/ ٣٢٩ - ٣٣٠ الراية)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (٨/ ٣٧٠ الكتب العلمية).

صفة التَّجلِّي لله تعالى

وَتَجَلَّىٰ لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ.

الشرح:

أي تَجَلَّىٰ اللهُ للجَبَل فصار دكًّا من جلاله، يشير المصنف في هذه الجملة إلىٰ قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[1].



(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الإيمانُ بالقدرِ خيرِه وشرِّه

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ الله رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ، عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجَرَىٰ عَلَىٰ قَدَرِهِ، لا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

الشرح:

الإيمانُ بالقدر خيرِه وشَرِّه، ركن من أركان الإيمان السِّتة، لا يؤمن أحدٌ إلَّا بالإيمان بذلك، وقد روىٰ مسلم في صحيحه(١): أنَّ عبد الله بنَ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بينما هو داخلٌ المسجد اكتنفه رجلان من أهل البصرة، فقال أحدهما - وظنَّ أنَّ صاحبه سَيَكِلُ الكلام إليه -: قال: إنَّه قد ظَهَر قِبَلنا أقوامٌ يقرؤون القرآن، ويَتَقَفَّرون العلم(٢)، يزعمون أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْر أُنُفٌ(٣).

فقال له عبد الله بنُ عمر: «إذَا لَقيتَ أولئِكَ فأخْبرهم أنِّي بَرَاءٌ منهم، وأنَّهم بَرَاءٌ مِنِّي، والَّذي يحلِفُ به عبدُ الله بنُ عُمر لو أنَّ لأحدِهم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما تُقبِّلَ منه حتَّىٰ يُؤْمنَ بالقَدَر خيرِه وشرِّه».

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) يتقفَّرون العلمَ: أي يطلبونه ويتَّبعونه.

(٣) الأمر أُنُفٌ: أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالىٰ، وإنما يعلمه بعد وقوعه.

ثمَّ شرع يُحَدِّث عن أبيه بالحديث الذي حدَّثه عن مجيء جبريل عليه السلام وسُؤاله النَّبِيَّ ﷺ عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان؛ فذَكَر أنَّ أركانَ الإسلام خمسةٌ: شهادة أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ البيت الحرام.

وأنَّ أركان الإيمان سِتَّةٌ: أن تُؤمن بالله، ومَلائكته، وكُتبه، ورُسلِه، واليوم الآخر، وتُؤمن بالقدَر خيره وشرِّه... الحديث.

فالإيمانُ بالقدَر رُكنٌ مِن أركانِ الإيمانِ، ولا يصحُّ إيمانُ عبْدٍ إلَّا بذلك، وقد خالف في ذلك فئتان هما:

- القدريَّة النُّفاة.
- والقدريَّة الغُلاة.

فالقدريَّة النُّفاة: هم الَّذين يزعمون أنَّ الله قدَّر الخير، ولم يُقدِّر الشرَّ، وهذا هو المذهب السائد عند المعتزلة، وهم في زعمهم أنَّهم يُنزِّهون الله عن كونه يُقدِّر الشرَّ ثمّ يُعاقب عليه، ولم يعلموا أنَّهم قد وقعوا فيما هو أشرُّ ممَّا فرُّوا منه، فإنَّهم إذا زعموا أنَّ الله خالقُ الخير، وأنَّ كلَّ إنسانٍ خالقٌ للشرِّ الَّذي يصدرُ منه، مِن كفر، وفجور، ومعاص؛ كبائر أو صغائر، فإنَّ ذلك يستلزم أمورًا:

أوَّلُها: أنَّهم قد أثبتوا خالقَين، فشابهوا المجوس بذلك.

ثانيها: أنَّهم قد نسبوا الله إلىٰ العجز، حينما يكونُ في كونه شيءٌ لم يُقدِّره.

ثالثها: أنَّ ذلك يستلزم أنَّ الله كان مغلوبًا علىٰ أمره، وأنَّ الكفَّار غلبوه، وهذا قولٌ باطلٌ.

وأمَّا القدريَّة الغُلاة: فهم الَّذين يقولون: إنَّ العبدَ مجبورٌ علىٰ ما صدَر منه،

سواء كان كُفرًا، أو إيمانًا، أو طاعةً، أو معصيةً، وزعمُوا أنَّ الإنسانَ بمنزلة الغُصْنِ الذي يُحرَّك، والحَجَر الَّذي يُدحرَج، وهذا القول قولٌ باطلٌ أيضًا.

وكلُّ إنسانٍ من هذه الخليقة كلِّها يُحِسُّ بأنَّه حرٌّ في اختياره، فهو يفعلُ ما يشاء بخيرة نفسه، وأنَّه لا إجبار عليه، وهذان القولان هما قولَا القدريَّة النفاة والغلاة.

أمَّا أهلُ السُّنَّة والجماعة، فإنَّهم يقولون: إنَّ الله - جلَّ وعلا - له إرادتان:

الأولىٰ: إرادةٌ كونيَّةٌ قدريَّةٌ، أراد فيها وقوع الخير والشرِّ، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وكَتَبَ ذلك علىٰ العباد، وكلٌّ منهم صائرٌ إلىٰ ما كُتِبَ له أو عليه بما مَنَحه اللهُ مِن قُدرةٍ، وما رُكِّب فيه من إرادة واختيار.

أمَّا الإرادة الأخرىٰ: فهي الإرادة الشَّرعيَّة، وأنَّ العباد مخلوقون، وأعمالهم مخلوقة أيضًا، يدلُّ علىٰ ذلك قول إبراهيم الخليل لقومه فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥ - ٩٦]؛ فأخبر أنَّ أعمالَهم مخلوقةٌ كما أنَّهم هم مخلوقون، وأنَّ الله يُجازي العباد علىٰ كسبِهم الَّذي فعلوه بِمَحض إرادتهم واختيارهم، وله علىٰ عباده الحُجَّة الدَّامِغَة، وله فيهم الحكمة البالغة.

ويُؤمن أهلُ السُّنَّة والجماعة بأنَّ الله لا يُعذِّبُ أحدًا مِن خَلْقِه إلَّا بذنبٍ، وأنَّ اللهَ لا يظلمُ أحدًا مِن خلْقِه كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، وقال - جلَّ من قائل -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال - جلَّ من قائل -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

فأهل السُّنَّة والجماعة: يعتقدون أنَّ اللهَ خلَق العبادَ وأعمالَهم، وأنَّه يُثيبهم عليها، أو يعاقبهم بسبب كسبهم لها الَّذي صدَر عن محض إرادتهم واختيارهم،

وجلَّ ربُّنا وتقدَّس من أنْ يظلم أحدًا من خلقه.

وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم[١]، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ: **«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»**.

فدلَّت الأدلَّة الشرعية أنَّ الله لا يظلمُ أحدًا مِن خلقه، وأنَّه يُنَزَّه عن نسبة الشَّرِّ إليه إجلالًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قالت الجنُّ حين طُردوا مِن السَّماء: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]؛ فقولهم: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، إنَّما قالوا ذلك تنزيهًا لله عَزَّ وَجَلَّ، مع عِلمِهم بأنَّ الله هو خالقُ الخيرِ والشَّرِّ.

ومن ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: **«لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»**[٢]. فنزَّه النَّبيُّ ﷺ ربَّه عن نسبة الشَّرِّ إليه.

ويُؤمن أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ اللهَ يمنُّ علىٰ مَن يشاءُ مِن عبادِه بالهداية فضلًا منه ورحمةً وكرمًا، وأنَّ الله يُضِلُّ مَن يشاءُ مِن عباده عدلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لذلك فإنَّ الواجب علينا أن نسير علىٰ ضوءِ ما قرَّرَه لنا ربُّنا في كتابه، وما قرَّره لنا نبيُّنا ﷺ في سُنَّته، وألَّا نُحكِّمَ عُقولَنا في هذا الأمر.

ومِن هنا يتبين أنَّ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة هو الحق، وأنَّ المذاهب الأخرىٰ مذاهب ضلال؛ سواءٌ كان فيها غُلُوٌّ أو تقصيرٌ.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مطولًا.

تعلُق القدَر بالعلم السَّابق، ومراتب القدَر، وبيانُ أنَّ الهداية والإضلال بقدَر الله

عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجَرَىٰ عَلَىٰ قَدَرِهِ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ. فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

الشرح:

فنحن نقول: إن الله قدَّر هذه المقادير وقضاها وكتبها في اللوح المحفوظ.

وقول المصنِّف: «عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ». هذا ربّما يكون فيه مدخل لمن يقول: إنَّ العباد يخلُقون أفعالهم بأنفسهم، وأنَّ الله عَلِم منهم أنَّهم سيعلمون ما يعلمون، ولم يكن هذا الاعتقاد خطأً، بل نقول: إنَّ الله قدَّر ما قدَّر في هذه الكائنات، وقضاه في كتابه اللوح المحفوظ - أي: كتب ما قدَّره -.

قوله: «عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قبل كونه»؛ أي: أنَّه علم بكونه قد قدّره وقضاه، ولهذا فقد ورد أنَّ الكِرام الكاتبين يكتبون ما حصل من العباد من أعمالهم القوليّة والفعليّة، وكذلك ما انْعَقدت عليه قلوبُهم، ثمَّ إنَّهم يعرجون بعدما يكتبون ما حصل من العباد مِن أعمالهم القوليَّة والفعليَّة.

فيطبِّقونها علىٰ ما كُتب في اللوح المحفوظ، فيجدونها مطابقة لذلك أكملَ المُطابقة. ثم إنَّ للقدر أربعَ مراتب:

الأولىٰ: عِلْمُ الله عَزَّوَجَلَّ بتقدير المقادير.

الثَّانية: كتابتُها في اللّوح المحفوظ.

الثَّالثة: وقوعُها تحت مشيئته.

الرَّابعة: الخلقُ والإيجاد.

وينقسم القدَر مِن حيثُ التَّفصيل في العلم والكتابة إلىٰ أقسام:

١- القدَر العُمري: وهو حينما يدخل المَلَكَ علىٰ النُّطفة، ويكتب ما قُدِّر لها من شقاوةٍ وسعادةٍ، وما إلىٰ ذلك، وإليه أشار ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله: حدَّثنا الصَّادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ...». الحديث(١).

٢- القدر الحولي: وهذا يكون في ليلة القدر، فيُكتب فيها ما يحدث خلال الحول، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

٣- القدر اليومي: وهو بيان ما يخصُّ كلَّ يوم كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

٤- القدر الأزلي: وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وعلىٰ هذا يكون القدر المتعلق بالكتابة أربعة أقسام: أزلي، وهو القدر العام، والعمري، والحولي، واليومي والثلاثة الأخيرة مأخوذة من الأزلي.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).

* قوله: «**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ**»؛ قد تقدَّم لنا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كتَب مقادير هذا الكون وقضىٰ فيه بما قضىٰ من شقاوة وسعادة، وحياة وموت، وصِحَّة ومرض، وغنىٰ وفقر، وإعزاز وإذلال، وتمليك وسَلْب، فكلُّ شيء قد قضاه وكتبه في لوحه المحفوظ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وصَحَّ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ، فَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ فَقَبَضَ قَبْضَةً فَقَالَ: هَؤُلَاءِ إِلَىٰ النَّارِ وَلَا أُبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَىٰ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ إِلَىٰ الجَنَّةِ بِرَحْمَتِي**»(١).

وتقدَّم لنا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عدلٌ لا يظلم أحدًا مِن خلْقِه، كما قال تعالىٰ - جلَّ من قائل -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. إلىٰ غير ذلك.

وفي الحديث القدسي قال الله - تبارك تعالىٰ -: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١ قرطبة) (٢٧٥٢٨) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَىٰ، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ، كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَىٰ، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ: لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَىٰ: إِلَىٰ النَّارِ وَلَا أُبَالِي»، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٤٩).

(٢) تقدمَّ تخريجه قريبًا.

وعلىٰ هذا فنحن نقول: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُضِلُّ مَن يشاءُ بعدْلِه فيخذله، ويُخلِّي بينه وبين الشَّيطان فيستولي عليه، ويقودُه إلىٰ نار جهنَّم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

فالإضلال قدرٌ من الله والعبد كاسبٌ للضَّلال وفاعلٌ له باختياره وبتأثير الشَّيطان عليه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعاقبُه بهذا الكسب والاختيار.

* قوله: «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ»؛ أي: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا أرادَ بعبدٍ خيرًا يسَّرَ له مَن يقودُه إلىٰ الخير، وإذا أراد اللهُ بعبدٍ شرًّا خلَّىٰ بينه وبين نفسِه وشيطانِه.

وقد قال الصحابة - رضوان الله عليهم -: «أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ هُوَ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَمْ أَمْرٌ مُسْتَأْنَفٌ؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». قَالُوا: فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذَنْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كُتُبِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ ﷺ: «اِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَأَهْلُ السَّعَادَةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»[1].

اللهمَّ إنَّا نستجيرُ بك من الخذلان، ونعوذ بك مِن الانتكاس بعد الاستقامة،

(١) الحديث مرويٌّ عن عدد من الصَّحابة بألفاظٍ مختلفةٍ؛ فرواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، والترمذي (٢١٣٦)، وابنُ ماجه (٧٨) وأحمد (٦٢١) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه أحمد (٥١٤٠) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه مسلم (٢٦٤٨)، وأحمد (١٤٢٥٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه مسلم (٢٦٤٩) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه أحمد (٢٧٤٨٧) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِن الغيِّ بعد الرُّشد، نسألك أن تُثبِّتنا علىٰ الحق حتىٰ نلقاك؛ لهذا قال المصنِّف: «فكُلٌّ مُيسَّرٌ بتَيسِيرِه إِلَىٰ مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ». وكان الأولىٰ أنْ يقول: «مِنْ شَقَاوَةٍ أَوْ سَعَادَةٍ».



اللهُ خالقُ العبادِ وخالقُ أعمالِهم

تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًىٰ، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

الشرح:

إنَّ القائلين بالقَدَر، وهم: القدريَّةُ النُّفاة، يتضمَّن قولهم أنَّه يقع في ملك الله ما لا يريدُ، وهذا مستحيلٌ، لا يكونُ في مُلكه شيءٌ إلَّا وقد أراده؛ بل سبَق أنْ قُلنا: إنَّ اللهَ أراد الكُفر والفُسوق والعصيان كَونًا، ومنعَه شرْعًا، وأنَّ العباد صائرون إلىٰ ما أراده كَونًا.

فالَّذين يقولون: إنَّ الخيرَ مِن الله، والشرَّ من الإنسان؛ جعلوا خالقَين فأشبهوا المجوس، ولزم من قولهم أنْ يكون في ملك الله ما لا يريد، واقتضىٰ هذا القول أنْ يكون اللهُ مغلوبًا، وهذا القول باطل، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

* **قوله: «أَوْ يَكُونَ لأَحَدٍ عَنْهُ غِنًىٰ، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ»:**

قوله: «**أو يكون**» أي: تبارك وتعالىٰ أنْ يكون أحدٌ خالقٌ غيرَه سبحانه الَّذي هو ربُّ العباد وربُّ أعمالِهم، وقد علِمْنا ممَّا سبق أنَّ اللهَ خالقٌ للعباد، وخالقٌ لأعمالهم.

واستدْلَلْنا علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال لقومِه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ

مَا تَنۡحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصَّافَّات: ٩٥ - ٩٦]. فهو الخالق لهم، والمُقَدِّر لحركاتهم وآجالهم، وأنَّ العبادَ صائرون إلىٰ ما قدَّره لهم وعليهم.

أمَّا مِن النَّاحية الشَّرعيَّة فقدْ أرسل إليهم الرُّسل، وأنزل إليهم الكتُب؛ لإقامة الحُجَّة عليهم، وبيان الحقِّ لهم، فمَن تبع الرُّسل وأطاعهم فقد نجَا، ومن خالفهم وعمل علىٰ غير ما جاءوا به فقد هلك.



محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

الشرح:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»(١).

لقد مضتِ الرِّسالات في عمر البشريَّة، فأرسل الله رسلًا إلىٰ أممهم فيهم من قصَّ خبرهم، ومنهم من لم يقصص خبرهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

فنحن نؤمن بأنَّ لله رُسُلًا قصَّهم علىٰ نبيِّه عرَّفنا أخبارهم، وأخبار أممهم، وما آل إليه أمرُهم، وعرَّفنا بأسمائهم، ونعلم أنَّ الله أرسل رسلًا طوىٰ أخبارَهم في علم الغيب، فلم يُطلع عليها أحدًا مِن خلْقِه؛ فلذلك كان خبرُهم مكتومًا، وأمرُهم غير معلوم.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٥٣٥)، ومسلمٌ (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ...» الحديث(١).

أمَّا أمَّة محمَّد ﷺ فقد جعلَها اللهُ آخرَ الأُمم، وجعلَه هو خاتم الرُّسل وآخرهم، وجعل في علماء أمَّته مُجدِّدِين، يُجدِّدون للنَّاس ما اندثر مِن دِينهم، وجعلهم بمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل، وإنَّ رسول الله ﷺ هو خاتم الرُّسل وأفضلهم، كما أنَّ أُولي العزم هم أفضل الرُّسل؛ فكذلك هو أفضل أولي العزم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فلهذا هُم جميعًا يترادّون الشَّفاعةَ، ويرون أنَّ مقاماتهم أقلّ مِن أنْ تُؤهِّلهم لذلك؛ ويكون الرَّسول ﷺ هو صاحبُ الشَّفاعة العظمىٰ الَّتي هي المقام المحمود، وهي الشَّفاعة في فصل القضاء(٢)، والشَّفاعة

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) يشير الشيخ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَمَا لا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا =

الثَّانية في استفتاح باب الجنة(١).

فضَّله اللهُ علىٰ غيرِه مِن الرُّسل، وأنزل عليه كتابه الحكيم، وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلىٰ ذلك بقوله: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا

=

شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ». أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٣٢٧).

(١) أخرج مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

والمقصود بالذي أوتيته هو: القُرآن، فقد شرح رسول الله الدِّين، وبيَّنه بسُنَّته المُكَمِّلة للقرآن والمُفَسِّرة له، ويتكوَّن مِنها الصِّراط المُستقيم الَّذي دعا الله عباده إليه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].



(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بيانُ منزلةِ القرآن

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَىٰ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

الشرح:

أي: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حين أرسل نبيَّه محمَّدًا ﷺ، وختم به الرِّسالات السَّماوية أنزل عليه كتابه الحكيم الَّذي هو القرآن، كتابٌ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهو كتاب عربيٌّ مُبين، جمع الله فيه أخبار مَن مضىٰ، ونبأ ما يأتي، وضرب فيه الأمثال، وبيَّن فيه الحرام والحلال، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ ما أُجمل من الأوامر في القرآن كالصلوات، وأوقاتها، وعدد ركعاتها، وفرضها ونفلها، وبيَّن فيه الزكاة المفروضة وأنصباءَها.

فالسُّنَّة شارحة للقرآن، ومبيِّنةٌ له، ومفصِّلة لمجمله، ولم يتوفَّ اللهُ رسولَه ﷺ حتَّىٰ ترك أُمَّته علىٰ محجَّةٍ بيضاءَ، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالكٌ، وأمرهم باتِّباع ما جاء به في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ

بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

فالصِّراط المستقيم هو الدِّين الَّذي تركَنا عليه بعد أن بيَّنه بأقواله وأفعاله - صلوات الله وسلامه عليه - وقال: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١).

فالزَّوَغَان عن دينه القويم هلكةٌ لمَن فعلَه، نعوذُ بالله أنْ نزيغ بعد الاستقامة: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ويوم القيامة يتحوَّل الصِّراط المستقيم الَّذي كان في الدُّنيا شيئًا معنويًّا، وهو الاستقامة علىٰ الحقِّ الَّذي أتىٰ به الله إلىٰ صراطٍ ممدودٍ علىٰ جِسْر جهنَّم.

فمن استقام علىٰ الصِّراط المعنويِّ في الدُّنيا، مرَّ علىٰ الصِّراط الممدود علىٰ جسر جهنَّم بسهولةٍ ويُسرٍ، ومَن تَلَفَّتَ يمنةً ويسرةً، وأخذَتْه بُنيَّاتُ الطَّريق، فإنَّه سينقطع به ذلك الجسر الَّذي هو ممدودٌ علىٰ متن جهنَّم.

وهو أحدُّ مِن السَّيف، وأدقُّ مِن الشَّعر، مَزْلقة مزلَّة، وعليه كلاليب تخطف النَّاس الَّذين لم يستقيموا عليه في الدُّنيا، وتُلقيهم في نار جهنَّم(٢)، والعياذ بالله، اللهمَّ إنَّا نسألك السَّلامة.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٧١٤٢) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «... ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...».

الإيمانُ باليوم الآخر

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

الشرح:

إنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها كما أخبر الله، وأنَّ الله يبعثُ مَن في القبور(١)، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]. فالبعث كائنٌ ولا بدَّ؛ إذا انقضت أيَّام الدُّنيا، وانقضَتْ الخليقة الَّتي أراد الله خلْقَها علىٰ هذه الأرض.

والبعثُ كائنٌ بعد النَّفخة الَّتي يكون بها الصَّعقُ، ثُمَّ الموت، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لتقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَالرَّجُلَانِ قَدْ نَشَرَا ثَوْبَهُمَا يَتَبَايَعَانِ فَلَا يَبْتَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتقُومَنَّ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَلُوطُ(٢) حَوْضَ إِبِلِهِ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتقُومَنَّ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ قَدْ حَلَبَ لِقْحَتَهُ(٣) فَلَا يَشْرَبُهُ**»(٤).

وذلك أنَّ النَّفخة في الصُّور تعاجلهم عن إدراك هذه الأمور كلِّها، وكلٌّ يموت في مكانه، وتموت الملائكة أيضًا حتَّىٰ حملة العرش، وجبريل، وميكائيل، وإسرافيل الذي ينفخ في الصُّور، وملك الموت الَّذي يقبض الأرواح، ويأتي تأويل

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٧].

(٢) أي: يصلحه ويطيِّنه.

(٣) اللقحة: هي الناقة الحلوب.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (٢٩٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

ويبقىٰ الكون مدّةً طويلةً خاليًا عن أهله، الله أعلم بقدرها، ثمَّ إذا أراد الله قيام السَّاعة أحيا الله إسرافيل - صاحب الصور - بعد أن يُرسل مطرًا كمَنيِّ الرجال أربعين يومًا، فيَنْبت الناس في قبورهم وكلُّ شيء يفنىٰ من الإنسان إلّا عَجب الذَّنَب[1]، فهو يُركَّب منه، فإذا تكاملوا جمع الله الأرواح في فوهة الصور.

ثمَّ يأمر إسرافيل فينفخ فيه، فتطير الأرواح إلىٰ أجسادها، وكلُّ روح تعرف جسدها أين هو فتأتي إليه، وتدخل فيه، ثمَّ تنشق الأرض عنهم، فيقومون من قبورهم[2]؛ ولهذا يقول النَّبيُّ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَإِذَا مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ بَاطِشٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَجُوزِيَ بِالصَّعْقَةِ أَمْ كَانَ مِمَّنْ اِسْتَثْنَىٰ اللهُ؟!»**[3].

---

(١) «عجب الذنب»: أي: العظم اللَّطيف الذي في أسفل الصُّلب، وهو رأس العُصعص، ويقال له: عجم، وهو أوَّل ما يخلق مِن الآدمي، وهو الَّذي يبقىٰ منه ليعاد تركيب الخلق عليه. انظر: «شرح النووي علىٰ مُسلم» (١٨/ ٩٢ إحياء التراث).

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٧/ ٥١١) (٣٧٦٣٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا: «... ثُمَّ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ، قَالَ: ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالصُّورِ فَيَنْفُخُ فِيهِ، قَالَ: وَالصُّورُ قَرْنٌ، قَالَ: فَلَا يَبْقَىٰ خَلْقُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَاتَ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، قَالَ: ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، قَالَ: فَيَرُشُّ اللهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ قَالَ: فَلَيْسَ مِنَ ابْنِ آدَمَ خَلْقٌ إِلَّا فِي الْأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ قَالَ: فَتَنْبُتُ أَجْسَادُهُمْ وَلِحْمَانُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ كَمَنَابِتِ الْأَرْضِ مِنَ الثَّرَىٰ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: ٩] قَالَ: ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالصُّورِ فَيَنْفُخُ فِيهِ، قَالَ: فَتَنْطَلِقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَىٰ جَسَدِهَا فَتَدْخُلُ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ يَقُومُونَ فَيُحَيُّونَ تَحِيَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...» وبنحوه أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثمَّ ينادي مُنادٍ: يا أيُّها النَّاس، هَلُمُّوا إلىٰ ربِّكم فيتبعون ذلك المنادي، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ١ - ٨]. وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]. إلىٰ غير ذلك من الآيات الدَّالَّة علىٰ قيام السَّاعة.

فقيام السَّاعة أمر لابد منه، وحينئذٍ يقفون موقفًا طويلًا تدنو منهم الشَّمس، ويعلوهم العرق، ويشتدُّ الكَرْبُ من هول ذلك اليوم الَّذي وصفه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمّل: ١٧].

ثمَّ إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بعد زمنٍ طويلٍ يأمر بفصل القضاء بعد شفاعة نبيِّنا محمَّد ﷺ، فينادي الله آدم: أَنْ أَخرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَتِكَ، فيقول: مِنْ كَمْ يا رَبِّ؟ فيقول: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ[1]. نسأل الله السلامة.

هذه هي السَّاعة، وهذه بعضُ صفاتها، وحينئذٍ يتفرَّق النَّاس، فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السَّعير، يتفرَّقون تفرُّقًا لا لِقاءَ بعْده، اللَّهمَّ سَلِّمنا فيمَن تُسلِّمُ يا ربَّ العالمين.



---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فضلُ الله على عباده المُؤمنين

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كِبَارِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَىٰ مَشِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]».

الشرح:

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُبيِّن ما فعله اللهُ لعباده المؤمنين من مضاعفة الحسنات، حيثُ جعل الحسنة بعشر أمثالها، إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ، أمَّا السيِّئة فهي بمثلها واحدة أو يعفو، ومن هَمَّ بحسنة ولم يعملها كُتبتْ له حسنة، ومن همَّ بسيِّئة ولم يعملها لم تكتب عليه شيئًا، وهذا من رحمة الله بعباده[١].

وجعل الإتيان بالفرائض مع اجتناب الكبائر مُكفِّرًا للصَّغائر، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: **«أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ[٢] شَيْءٌ؟»** قَالُوا: لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: **«فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»**[٣]، لكن من عمل كبيرة من موجبات دخول النَّار، فسترها

---

(١) يشيرُ الشيخ إلىٰ الحديث الذي أخرجه مسلم (١٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: **«قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**.

(٢) **الدَّرن**: الوسخ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الله عليه، فأمْرُه إلىٰ الله؛ إنْ شاء عفا عنه، وإنْ شاء عذَّبه، أمَّا إن اقترف حدًّا وأقيم عليه، فإنَّ الحد يكون كفَّارة له(١).

وقد بيَّن لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يغفر جميع الذّنوب ما عدا الشّرك بالله، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، فأصحاب الكبائر مصيرهم إلىٰ مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمَّا من مات وهو يشرك بالله عَزَّوَجَلَّ فهو لابد أن يكون من أهل النَّار.

فالمشرك شركًا أكبر مُحرَّم عليه دخول الجنَّة، ومُحَتَّمٌ عليه دخول النَّار، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾(٢) [المائدة: ٧٢].

اللهمَّ سلِّم سلِّم.



(١) أخرج مسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

(٢) وكما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال جلَّ في عُلاه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

خروج الموحِّدين من النَّار

وَمَنْ عَاقَبَهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ؛ فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

الشرح:

* قوله: «وَمَنْ عَاقَبَهُ بِنَارِهِ...» إلخ. المقصود به: أهلُ الكبائر من المُوحِّدين؛ إذ إنَّ أهل الكبائر مِن الموحِّدين تحت المشيئة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر في كتابه أنَّ اجتناب الكبائر موجبٌ لمغفرة ما دونها، فقال - جلَّ وعلا -: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وفي الحديث: «الصَّلَاةُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، وَالْحَجُّ إِلَىٰ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»(١).

هذه أدلَّةٌ تدلُّ علىٰ أنَّ من اجتنب الكبائر أنَّ الله يغفر له ما دونها بأدائه الفرائض وما يتعلَّق بها كالطَّهارة، والمشي إلىٰ المساجد، وانتظار الصَّلاة، وما أشبهَ ذلك(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَىٰ الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ».

وأخرج البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديثه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا بلفظ: «الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ».

(٢) أخرج مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ =

أمَّا مَن لقيَ اللهَ مُصِرًّا علىٰ الكبائر، ومعه أصلُ الإيمان، وأصلُ التَّوحيد الذي يصحُّ به الإسلام، فإنَّ أمره إلىٰ الله: إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنَّة بدون عذاب، وإن شاء عاقبه في النَّار ليطهِّره مِن ذنوبه، ثُمَّ أخرجه منها وأدخلَه الجنَّةَ.

وقد تواترت الأخبار عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ أقوامًا من أُمَّته يتساقطون من فوق الصِّراط، تخطفهم الكلاليب المعلَّقة من فوقه، فترميهم في نار جهنَّم، وأنَّ النَّار تحرق منهم كلَّ أجسادهم ما عدا مواضع السُّجود، فإذا شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يخرجهم منها أذن للشّفعاء فيدخلون عليهم، فيجدونهم قد صاروا حُمَمًا، ولا يعرفونهم إلّا بمواضع السُّجود، فيُخرجونهم منها، ويضعونهم علىٰ نهر الحياة - نهر في أفواه الجنَّة - فيَنْبُتون فيه كما تنبت الحبَّة في حَميل السَّيل...، وردت بذلك أحاديث كثيرة[1].

وأنَّ النَّبيَّ ﷺ يشفع وسائرُ الأنبياء يشفعون، وكذلك الصِّديقون والشُّهداء والصَّالحون كلُّهم يشفعون، وأنَّ اللهَ يُخرج مِن النَّار ثلاثَ حثيات بفضله[2]، وأنَّه يُخرج من النار أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط، فيسكنهم جنَّته[3]، ومع ذلك يبقىٰ فيها

=

الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ».

(١) منها ما أخرجه البخاري (٧٤٣٧) و مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ»**، وقال الترمذي: «حسنٌ غريبٌ»، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٢١٢) تحت رقم (٢١٧٩).

(٣) أخرج مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة: «... **فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا**
=

فضل فيخلق الله أقوامًا ثم يسكنهم فيها(١).

وهذه عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة، وخالفَتْ في ذلك الخوارجُ والمعتزلةُ فأنكرُوا الشَّفاعةَ، وأنكرُوا خُروج الموحِّدين مِن النَّار، وزعموا أنَّ مَن دخَل النَّارَ أنَّه لا يخرجُ منها، والَّذي أوقعهم في ذلك الجهلُ؛ حيث إنَّهم حملُوا الآيات الواردة في الكفَّار على المسلمين الموحِّدين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]. إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي قُصد بها الكفَّار؛ فأخطئوا في ذلك خطأً فاحشًا؛ ترتب عليها مخالفات في العقيدة، استحقُّوا فيها مقت الله وغضبَه؛ لأنَّهم رَدُّوا السُّنَّة بالكلِّيَّة، أو ردُّوا ما عدا المتواتر من السُّنَّة كالمعتزلة.

والحقيقة: أنَّ ما أخبر عنه النَّبيُّ ﷺ مِن أخبار فهي كائنةٌ ولا بدَّ، والله قد شهد لرسوله بأنَّه لا ينطقُ عن الهوىٰ، إنْ هو إلَّا وحيٌ يُوحىٰ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وسواء في ذلك الأوامر والنواهي، أو الأخبار الغيبيَّة، فكلُّ ما أخبر عنه النَّبيُّ ﷺ من المُغَيَّبات وجب الإيمانُ به، واعتقادُ صِدقه وأحقِّيَّته.

والمهمُّ: أنَّ الَّذي أوقعهم في ذلك هو تكذيبُهم للسُّنَّة، فهلكُوا بسبب تكذيبِهم لسُنَّة رسول الله ﷺ.



=

قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...».

(١) **انظر**: صحيح البخاري (٧٣٨٤، ٧٤٣٩) و مسلم (١٨٣، ٢٨٤٨).

الجنَّة دار الخلود للأبرار، وإكرامهم بالنَّظر إلى وجه الله

وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

الشرح:

الجنَّة والنَّار أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهما في كتابه؛ بل في جميع كتبه، وأبدىٰ في ذلك وأعاد وأخبر أنَّه خلق الجنَّة نُزُلًا لأوليائه وأهل طاعته، أكرمهم فيها بما شاء من الكرامات، وأنَّه خلق النَّار وأعدَّها دار هوان ونكال لأعدائه قبل أن يخلق السموات والأرض؛ قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦]. أي: هذه تكرمتهم يوم القيامة، وضيافتهم؛ لأنَّهم كانوا علىٰ الكفر والتكذيب، حتىٰ نقلهم الله بالموت من دار الدنيا إلىٰ دار البرزخ، وهكذا أعدَّ الله لأهل كُلِّ عقيدة ما يستحقون من الجزاء، فالجنَّة دار الرَّاحة والحبور، والنِّعمة وقرَّة العين، والنَّار دار الجحيم والنَّكال، ونسأل الله العفوَ والعافيةَ.

* **قوله: «وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ»**؛ أي: أكرمهم في الجنَّة بالنَّظر إلىٰ وجهه الكريم، والنَّظرُ إلىٰ وجهه الكريم ثابت بالكتاب والسُّنَّة، فالأدلَّة من الكتاب هي قولُ الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

فالنّضرة في الآية الأولىٰ: هي الرونق والحسن والنَّعيم، وأمَّا في الآية الثانية فعدَّاه بـ «إلىٰ»: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، والمراد به: النَّظر إلىٰ وجهه.

ومن الأدلة علىٰ ذلك: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. فقد فسرت الزِّيادة بأنَّها النَّظر إلىٰ وجهه الكريم، هكذا فَسَّر الآية بذلك جماعةٌ من السَّلف[١]، وأهل السُّنَّة يُثبتون ذلك باتِّفاق منهم عليه[٢].

أمَّا الأدلَّة من السُّنَّة، ففي ذلك أحاديث منها:

حديث أبي سعيد الخدري أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ**»، قَالُوا: لَا، قَالَ «**وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**»: قَالُوا: لَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»[٣].

وهناك أحاديث عن غير أبي سعيد؛ فمنها حديث أبي هريرة[٤] أورده ابن أبي عاصم في كتابه السُّنَّة[٥]، ومنها حديث أبي رزين - وهو لقيط بن عامر العقيلي - وحسنه الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب «السُّنَّة»[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٥٥ هجر)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٠ طيبة)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٦٣ سلامة).

(٢) انظر: «الاقتصاد في الاعتقاد» للمقدسي (ص ١٢٥ العلوم والحكم)، و«درء التَّعارض» لابن تيمية (١/ ٢٤٥ جامعة الإمام)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٤) هو عند البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢، ٢٩٦٨).

(٥) برقم (٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥).

(٦) انظر: «ظلال الجنَّة» (١/ ٢٠٠ المكتب الإسلامي) برقم (٤٥٩، ٤٦٠).

الجنَّة الَّتي أهبطَ منها آدمُ، وكونُ النَّار دار خلودٍ للكفَّار

وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَىٰ أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

الشرح:

إنَّ من أهل العلم من قال: إنَّ الجنَّة التي كان فيها آدم هي الجنَّة المعروفة التي خلقها الله للمُؤمنين.

ومن أهل العلم من قال: إنَّها جنَّة غيرها، والقول الأوّل هو الأصحّ؛ بدليل أنَّ موسىٰ عليه السلام لمّا لقي آدم وحاجَّه بقوله: «أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ؟ فَمَا حَمَلَكَ أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي كَلَّمَكَ رَبُّكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، لَمْ يَجْعَل بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَمَا وَجَدْتَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلَقَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَفِيمَ تَلُومُنِي؟! فِي شَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ عليهما السلام»[(١)].

وهذا الدَّليلُ كافٍ في أنَّ الجنَّة الَّتي أُهبط منها هي الجنَّة الَّتي يدخلُ فيها المؤمنون بإقرار آدمَ عليه السلام لموسىٰ عليه السلام في قوله: «فَلِمَ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الجَنَّةِ؟». فلو كان جنَّةٌ غير الجنَّة المعروفة لما كانت لمحاجَّة موسىٰ فائدة.

* **قوله: «وخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ»:**

ما ذكره صاحب العقيدة هنا قد وردت فيه آيات كثيرة تدلُّ علىٰ خُلود الكفَّار في النَّار؛ فمِن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٤٩ - ٥٢].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧ - ٧٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ

ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠٣ - ١١١].

إنَّ هذه الآيات لأعظم دليل علىٰ ما ذكره المُصنّف مِن خلود أهل النَّار فيها، وأنَّهم محجوبون عن رؤيته عَزَّوَجَلَّ في الآخرة.



الإيمانُ بمجيءِ الله يوم القيامةِ

* قوله: «وَأَنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا؛ لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا».

الشرح:

الدَّليل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

فأهل السُّنَّة يُؤمنون بأنَّ الله يأتي يوم القيامة لمحاسبة عباده وجزائهم؛ إذ إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يجمع النَّاس جميعًا: الإنس والجنّ في صعيدٍ واحدٍ يُنْفِذُهم البصرُ، ويُسْمِعهم الداعي، وتدنو الشَّمس منهم(١)، ويكونون في العرق علىٰ قدْر أعمالهم(٢)، يقفون موقفًا طويلًا، وتنزل ملائكة السَّماء الدُّنيا، فتكون صفًّا من ورائهم، وملائكة السّماء الثّانية فتكون صفًّا، وملائكة السّماء الثّالثة، وهكذا تكون الملائكة صفوفًا من وراء الناس، فيقفون موقفًا طويلًا، ثمّ يفزعون،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ... » الحديث.

(٢) أخرج مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَىٰ فِيهِ.

فيطلبون من يشفع لهم إلىٰ ربهم، فيذهبون إلىٰ آدم، فيقول: «لَسْتُ لَهَا، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ»، فيذهبون إلىٰ نوح، فيقول: «لَسْتُ لَهَا، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»، فيذهبون إلىٰ إبراهيم، فيقول: «لَسْتُ لَهَا، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ»، فيذهبون إلىٰ موسىٰ فيقول: «لَسْتُ لَهَا، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ». فيقول: «لَسْتُ لَهَا، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ».

فإذا جاءوا إلىٰ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، فيذهبُ إلىٰ رَبِّهِ، فَيسجد بين يديه قَدْرَ جُمُعَة، ويفتح الله عليه بمحامد يحمده بها، ثم يقال: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ». فحِينئذ يرفع رأسه ويقول: «رَبِّي أُمَّتِي أُمَّتِي»[1].

فيأمر الله بفصل القضاء، ويجيء كما يشاء، وعلىٰ الوجه اللائق بجلاله، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فأهل السُّنَّة والجماعة يُؤمنون بأنَّه يجيء كما يشاءُ، وحينئذٍ يُحاسب النَّاس علىٰ أعمالهم، فتوضع الموازين، وتنشر الصُّحف، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].



(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٤٤٠)، و«صحيح مسلم» (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥).

الإيمان بالميزان

وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]. وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا[(١)].

الشرح:

ويُؤمن أهل السُّنَّة بالموازين؛ فتُوزن الأعمال، أي: توزن دواوين الأعمال، فدواوين الحسنات توضع في كِفَّة، ودواوين السَّيِّئات توضع في كِفَّة، ويوزن أيضًا الأشخاص؛ والدليل على ذلك قول النَّبِيِّ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ الْأَكُولِ الشَّرُوبِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»[(٢)]، ولمَّا صعد عبد الله بن مسعود يجتني سواكًا، وجعل الصَّحابة ينظرون إلىٰ دِقَّة ساقه فيضحكون، قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[(٣)].

* **قوله**: «**وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ**، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]**»، ورواه البيهقي في «الشُّعب» (٥٢٨٢) بزيادة: «**الْأَكُولِ الشَّرُوبِ**».

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٨١)، وابنُ حبَّان (٧٠٦٩)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٢٧٥٠).

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]»: والآية بعدها: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]. وفي هاتين الآيتين دليل على أنَّ الأعمال توزن، أي: دواوين الأعمال كما في حديث البطاقة(١).

* **قوله: «وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا»:**

للميزان كِفَّتان: كِفَّةٌ للحسنات، وكِفَّة للسَّيِّئات، وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ كلَّ إنسانٍ معه قرينان يكتُبان أعماله، قال - جلَّ وعلا -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

فإذا كان يومُ القيامة نزَل على الشَّخص الملكان المُوَكلان به؛ فصاحبُ الحسنات معه ديوانُ الحسنات، وصاحبُ السَّيِّئات معه ديوانُ السَّيِّئات، ثمَّ تُوضعُ الدَّواوين بعد أن توضع الصَّحائف؛ فالمؤمنون توضع صحائفُهم في أيمانهم ومِنْ أمامهم، والمُجرمون تُوضعُ صحائفُهم في شمائلهم، ومِن وراء أظهرهم، وكلٌّ منهم يقرأ ما في صحيفته؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ

---

(١) حديثُ البطاقة أخرجَه التِّرمذيُّ (٢٦٣٩)، وابنُ ماجه (٤٣٠٠). ولفظُه: عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ». وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٣٥).

طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

وهذه الدَّواوين توضع في كِفَّتي الميزان؛ فمَن رجحَتْ حسناتُه على سيِّئاته كان مِن النَّاجين، ومَن رجحتْ سيِّئاته على حسناته كان من المُوبَقين، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].



الإيمان بالصِّراط

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِم، فَناجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

الشرح:

الصِّراطُ: اسمٌ للطَّريق الَّذي رسمَه اللهُ للنَّاس في كتابه، وعلىٰ لسانِ رسولِه، وكذلك في الكتُب الأُولىٰ، والأُمم الأولىٰ، وعلىٰ ألْسِنَةِ رسلِهم، فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رسَمَ لنا طريقًا مُستقيمًا، وأمرَنا أنْ نسيرَ عليه؛ قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ آمرًا عبادَه أنْ يدعوه بالهداية إلىٰ الصِّراط المستقيم، فقال في سورة (الفاتحة): ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ - ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ۝١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَىٰ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ

سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا...» الحديث[1].

فهذا الصِّراط هو الَّذي أشار إليه بقوله: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»[2].

فهو الطَّريق الواضح الَّذي رسمه ﷺ لأمَّته بأقواله، وأفعاله، وجهاده، فمن استقام على هذا الصِّراط فإنَّه سيمرُّ على الصِّراط الأخرويِّ؛ وذلك أنَّ الصِّراط المعنويَّ في الدُّنيا جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صراطًا حسِّيًّا، ونصبه على نار جهنَّم فلا يمكن لأحد أن يصل إلى الجنَّة إلَّا بعد المرور عليه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الصِّراطَ الأخرويَّ: جسرٌ ممدودٌ على متن جهنَّم أحدُّ من السَّيف، وأدقُّ من الشَّعر، وأنَّ النَّاس يقطعونه بأعمالهم فمن استقام على الصِّراط المعنويِّ في الدُّنيا أعانه الله عَزَّ وَجَلَّ، وقطع ذلك الصِّراطَ.

وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ النَّاس يختلفون في السُّرعة عليه؛ فمنهم من يمرُّ كالبرق، وكلمح البصر، وكالرِّياح، وكأجاويد الخيل، وكسعي الرِّجال، ومنهم من يمشي، ومنهم من يُهرول، ومنهم من يكون له شمعة على ظُفر إبهام قدمه اليمنى تشعُّ تارةً فيتقدَّم، وتنطفي فيقف، ومنهم مَن يزحفُ على بطنه تلفحه النَّار من هاهنا، وتلفحه من هاهنا، حتَّى يقطعها، كلُّ هذا سيحصل.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٣٤)، والترمذي (٢٨٥٩)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحّحه لغيره الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (١٠١).

(٢) تقدَّم تخريجه (ص٥١٤).

وكثيرٌ من النَّاس يسقطون مِن فوقه، ومِن فوقه كلاليب كشوك السَّعْدَان[1]، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تَخطِف النَّاس بأعمالهم، فتُلقيهم في نار جهنَّم[2]، وإنَّما يمرُّ على الصِّراط أمَّة الإجابة المُوَحِّدون، أمَّا المشركون، والكفَّار، والمُنافقون نفاقًا اعتقاديًا فهم يساقون إلى النَّار سوقًا، ويدخلون من أبوابها كما قال الله عزَّوجلَّ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣ - ٤٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢].

والمهمُّ: أنَّ الصِّراطَ إنَّما يمرُّ عليه أمَّة الإجابة، أمَّا الكفَّارُ الصُّرحاء، والمشركون شركًا أكبر، والمُلحدون، والمُنافقون نفاقًا اعتقاديًا، فإنَّهم يُساقون إلى النَّار سوقًا.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نَضِلَّ أو نُضَلَّ، ونعوذُ بك مِن خُسران الدُّنيا والآخرة، ونسألك الثَّبات على الحقِّ كما وفَّقتنا إليه.



(١) السَّعدان: نبتٌ له شوكٌ عظيمٌ، ويقال لشوكه: حسك السَّعدان، ويُشبه حلمة الثَّدي.

(٢) انظر الأحاديث فيما ذكره الشَّيخ عن الصِّراط في: «صحيح البخاري» (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، و«صحيح مسلم» (١٨٢، ١٨٣، ١٩٥)، و«مسند أحمد» (٧٧٠٣، ٢٤٨٣٧، ٧٩١٤ قرطبة).



الإيمانُ بالحَوْض

وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ الله ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ لا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

الشرح:

قد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ له حوضًا آنيته أكثرُ مِن عدد نجوم السَّماء؛ فقد روىٰ ابن أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة»، مِن طريق أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن الصَّامت، عن أبي ذرٍّ قال: قلت: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟» قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ[(١)]، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عُمَانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ»[(٢)].

وروىٰ أيضًا بسنده إلىٰ أبي الوازع، وهو: جابر بن عمرو، أنَّه سمِعَ أبا برزة الأسلميَّ يقولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَىٰ صَنْعَاءَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، عَرْضُهُ كَطُولِهِ، فِيهِ مِيزَابَانِ مِثْعَبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ وَذَهَبٍ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ»[(٣)].

---

(١) خصَّ اللَّيلةَ المُظلمةَ المُصحيةَ بالذِّكر؛ لأنَّ النُّجومَ تُرىٰ فيها أكثرُ، والمُرادُ بالمُظلمة: الَّتي لا قمَر فيها مع أنَّ النُّجومَ طالعةٌ، فإنَّ وُجودَ القمَر يستُر كثيرًا مِن النُّجوم.

(٢) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٧٣٨)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٣٠٠).

(٣) «السُّنَّة»، لابن أبي عاصم (٧٢٢)، وقال الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢/ ٣٣٥): «إسناده جيِّد».

وروىٰ من طريق أبي بكر بن أبي شيبة أيضًا، عن أبي سعيد الخدري، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ لِي حَوْضًا، طُولُهُ مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وأورد حديثًا عن حذيفة، قال: «حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ أَبْيَضُ مِثْلُ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ...» الحديث[2].

وروىٰ من طريق ابن أبي شيبة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»[3].

وأخرَج عن حارثةَ رجل مِن خُزاعةَ، أنَّه سَمِع النَّبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ مَا بَيْنَ حَوْضِي مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَصَنْعَاءَ»[4].

وعن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَىٰ حَوْضِي»[5].

والمهمُّ: أنَّ حوضَ النَّبِيِّ ﷺ ثابتٌ من أوجهٍ صحيحةٍ لا شكَّ فيها، وأنَّه يشربُ منه المُؤمنون، ويُذاد عنه أهل النفاق، ففي الحديث: «بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ عَلَىٰ حَوْضِي إِذْ أَقْبَلَ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي أَعْرِفُهُمْ، حَتَّىٰ إِذَا هَمَمْتُ أَنْ أُنَاوِلَهُمْ، خَرَجَ رَجُلٌ

---

(١) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٧٢٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢/ ٣٣٥).

(٢) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٧٢٤)، وحسَّنه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢/ ٣٣٦).

(٣) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٧٢٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢/ ٣٣٦).
وأخرجه أيضًا البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).
وجرباء وأذرح: موضعان، وقيل: هما قريتان بالشَّام، والمرادُ: ضربُ المثل لبُعْد أقطارِ الحوض وسعته.

(٤) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٧٣٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢/ ٣٣٩).

(٥) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (٧٣١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢/ ٣٣٩).

مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، وَقَالَ: هَلُمَّ. فَأَقُولُ: إِلَىٰ أَيْنَ؟ فَيَقُولُ: إِلَىٰ النَّارِ وَاللهِ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُنْحَرِفِينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»(١).

وفي رواية: «إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»(٢).



(١) أخرجه بنحوه البخاري (٦٥٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريّ (٦٥٨٤) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٢٩٥) من حديث أمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الإيمانُ عند أهل السُّنَّة

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلا يَكْمُلُ قَوْلُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلا قَوْلَ وَعَمَلَ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَلا قَوْلَ وَعَمَلَ وَنِيَّةَ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

الشرح:

ما قاله القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قولُ أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الإيمانَ يكون بثلاثة أمور: عقيدة القلب، ونطق اللِّسان بما اعتقده القلب، وعمل الجوارح بما يقتضيه الإيمان، فلا يصحُّ الإيمان إلَّا أنْ يكون هكذا.

وقد نعىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المُنافقين وعابهم وتوعَّدهم بالعذاب الأليم؛ إذ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقد ذمَّ الله المنافقين في سورة (البقرة)، وفي سورة (الأحزاب)، وأمَّا سورة (براءة) فإنَّها تسمَّىٰ: الفاضحة؛ لأنَّها فضحتْ المنافقين، وكشفتْ عمَّا كانُوا يُكِنُّونه، وكما أنَّه لا يكفي النُّطق باللِّسان مع عدم اعتقاد القلب، فكذلك لا يكفي التَّصديق بالقلب ما لم يُصدِّقه اللِّسان والعمل.

وقد عاب الله فرعون وقومه بأنَّهم جحدوا رسالة موسىٰ كِبْرًا وتعاظمًا، مع

أنَّهم استيقنوها بقلوبهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. إذًا؛ فلا بدَّ من توافق القلب واللِّسان والعمل.

فأمَّا القلب فوظيفته الاعتقاد والتَّصديق، وأمَّا اللسان فوظيفته النُّطق بما يُطلب منه النّطق به، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**(١).

فجعل اسْتِيقان القلب شرطًا في صِحَّة النُّطق، كما أنَّ النُّطق يجبُ أنْ يكون إعلانًا لما اعتقده القلب، كما سبقَ لنا أنَّ الله ذمَّ المنافقين بأنَّهم يقولون خلاف ما يعتقدون، فمن عرَّف الإيمان بأنَّه: مجرَّد معرفة الرَّبِّ بالقلب كمرجئة الجهميّة فتعريفه باطل، ومَن عرَّفه بأنَّه التَّصديقُ بالقلْب فقطْ وهم الأشاعرةُ فتعريفُه باطلٌ، ومن عرَّفه بأنَّه الإقرار باللسان فقط وهم الكرَّاميَّة فتعريفه باطل، ومَن عرفه بأنَّه تصديق بالقلب ونطق باللسان وأخرج العمل كمرجئة الفقهاء فهو أيضًا تعريفُه للإيمان غيرُ صحيح.

والمُهمُّ؛ أنَّ الإيمان هو ما تواطأ عليه القلب واللِّسانُ وعملُ الجوارح بما تقتضيه تلك الشَّهادة - أي: شهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله -، فمَن شهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، فلا بدَّ أنْ يعمل بمقتضىٰ هذه الشَّهادة؛ فيقيم الصَّلاة، ويؤتي الزَّكاة، ويصوم رمضان، ويحجّ البيت، ويجتنب المُحرَّمات؛ مِن سفك الدِّماء المُحرَّمة، وإزهاق الأرواح المُحرَّمة، واستحلال

(١) أخرجه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: **«مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»**.

الفروج المُحرَّمة؛ فمن فعل ذلك فهو مسلم.

والمهمُّ؛ أنَّ الإيمان إذا تواطأ عليه القلب واللِّسان وعمل الجوارح، فلا بدَّ أن يكون موافقًا للسُّنَّة، فمن عمل بخلاف السُّنَّة بأنْ ابتدع في الدِّين بدَعًا، فإنَّ عملَه لا يُقبلُ حتى يكون خالصًا صوابًا؛ أي: خالصًا لله، صوابًا على ما شرعه اللهُ على لسان نبيِّه ﷺ.



النَّهيُ عن التَّكفير بالذَّنب

وَأَنَّهُ لا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

الشرح:

التكفير بالذَّنب هو طريقةُ الخوارج والمعتزلة، أمَّا المرجئة فإنَّهم يقولون: لا يضُرُّ مع الإيمان ذنب، بعكس ما عليه الخوارج والمعتزلة، فالخوارج يُكفِّرون بالكبيرة، ويحكمون علىٰ فاعلها بالتَّخليد في النَّار، والمعتزلة يُوافقون الخوارج في أنَّ صاحب الكبيرة يُخلَّد في النَّار؛ ولكنَّهم يقولون: هو في الدّنيا في منزلة بين المنزلتين - أي: لا مسلم ولا كافر -.

أمَّا المرجئة فيقولون: إنَّ الإيمان هو التَّصديق، وهو واحدٌ لا يتفاوت، ولا يزيد، ولا ينقص، ويزعمون أنَّ إيمان أفسق النَّاس هو كإيمان أبي بكر وعمر سواء، وهذا قولٌ باطلٌ.

وقد صرَّح القرآن بزيادة الإيمان، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وفي حديث حنظلة حينما مرَّ علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ. قَالَ: نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْمَعُ مِنْهُ فَيَزْدَادَ إِيمَانُنَا حَتَّىٰ تَكُونَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ كَأَنَّهُمَا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَىٰ أَهْلِينَا فَعَافَسْنَا النِّسَاءَ، وَبَاشَرْنَا

الضَّيْعَاتِ[(١)]، وَلَاعَبْنَا الأَوْلَادَ نَقَصَ إِيمَانُنَا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنَّا لَنَجِدُ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ حَنْظَلَةُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَ: إِنَّا نَكُونُ عِنْدَكَ فَتَصِفُ لَنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَتَّىٰ كَأَنَّهُمَا رَأْيُ عَيْنٍ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِنَا... - الحديث -.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثلاث مرات[(٢)].

والمهمُّ أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة لا يُكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ؛ لأنَّ الله قال في المُتَقاتلين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠].

ولمَّا قال قائلٌ لمَن شرب الخمر: مَا لَهُ أَخزَاهُ اللهُ قَالَ له النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ»[(٣)]، فسمَّاه أخًا. وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فسمَّىٰ القاتِلَ أخًا للمقتول، فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ المُسلم لا يُكفَّر بالذَّنب وإن كان كبيرةً.

وممَّا يدل علىٰ تفاوتِ أهل الإيمان فيه أحاديث الشَّفاعة، وأحاديث الحوض، وأحاديث الصِّراط؛ إذ إنَّ بعضَهم يمُرُّ علىٰ الصِّراط كالبرق، وكلمح البصر، وكالرِّيح، وكجري الخيل، وكسعي الرِّجال، ومنهم من يُهرول، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف علىٰ بطنه، ومنهم من يسقط في نار جهنَّم[(٤)].

---

(١) عَافَسْنَا: أي اشتغلنا بهنَّ وبحقوقهنَّ، والضَّيعات: جمعُ ضيعة، وهي معاش الرَّجل من مالٍ أو حرفةٍ أو صناعةٍ.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم (٢٧٥٠) من حديث حنظلة الأُسيدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هذا كلُّه يدلُّ على تفاوت النَّاس بالإيمان، وبالتَّفاوت بالإيمان تكون السُّرعة على الصِّراط، وعدمها، أو وضعفها، ويكون سقوط بعضهم في النَّار كلُّ ذلك دالٌّ على التَّفاوت.

وكذلك أحاديث الشَّفاعة، وهي أحاديث كثيرة منها: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ**، - أو قال: **مِنْ خَيْرٍ** -، **أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ**، - أو قال: **مِنْ خَيْرٍ** -، **أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ نَوَاةٍ مِنْ إِيمَانٍ**، - أو قال: **مِنْ خَيْرٍ** -، **أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ**، - أو قال: **مِنْ خَيْرٍ** -، **أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**، - أو قال: **مِنْ خَيْرٍ** -، **أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**، - أو قال: **مِنْ خَيْرٍ**»[(١)]. فهذا يدلُّ على تفاوت أيضًا.

وممَّا يدل على تفاوت الإيمان: تفاوتُ المنازل في الجنَّة؛ وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ أَوِ الْغَرْبِيِّ**، فقال الصَّحابةُ - رضوان الله عليهم -: **تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ**. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»[(٢)].

وممَّا يدلُّ على ذاك أنَّ هؤلاء الَّذين يخرجون من النَّار يخرجون وقد صاروا حُممًا إلَّا مواضع السُّجود منهم، فإذا وضعوا على نهر الحياة نبتُوا عليه، كما تنبت الحبَّة في حميل السّيل، ثُمَّ إنَّهم يختمون بخواتم في رقابهم يعرفون بها، أنَّهم قد

(١) التخريج السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

دخلوا النَّار، ويقال لهم: الجَهَنَّمِيُّون، وهؤلاء يُصيبون منازل مُتَدَنِّية بقدر ضعف أعمالهم، وضعف إيمانهم.

فهذه الأدلة كلُّها تدلُّ على تفاوت النَّاس بالإيمان، وأنَّ أهله يتفاوتون فيه تفاوتًا عظيمًا، اللَّهمَّ املأْ قلوبنا إيمانًا بك، وتوكُّلًا عليكَ وإخلاصًا لك، ونصحًا لعبادك. وبالله التوفيق.



حالُ النَّاس في البرزخ

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ؛ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

الشرح:

هذا إخبارٌ عن حال النَّاس في البرزخ؛ فأهلُ الشَّقاوة يُعذَّبُون، وأهلُ السَّعادة يُنَعَّمون، وقد دلَّ علىٰ ذلك أحاديث كثيرة، ومنها حديث سمرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول للنَّاس: «مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ رُؤْيَا الْبَارِحَةَ»، وأنَّه ذات يوم قال: «أَتَانِي آتِيَانِ مِنْ رَبِّي، فَقَالَا لِي: اِنْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَمَرَرْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ، يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِهِ ثُمَّ يَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ، فَيَذْهَبُ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَعُودُ إِلَّا وَقَدْ صَحَّ رَأْسُهُ، فَيُثْلَغُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَىٰ فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَا لِي: اِنْطَلِقْ اِنْطَلِقْ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَرَجُلٌ يُشَرْشِرُ وَجْهَهُ وَمِنْخَرَهُ، وَشِقَّهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَلَا يَنْتَهِي إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ إِلَّا وَقَدْ صَحَّ الْأَوَّلُ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَا: اِنْطَلِقْ اِنْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا مِثْلَ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا جَاءَهُمُ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا - يعني: صاحوا -... إلىٰ آخر ما ذكر.

وفي آخره أنَّهم قالوا له: إِنَّ الرَّجُلَ الذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِفِهْرٍ فَيَتَدَهْدَهُ

الْحَجَرُ، فَيَأْخُذُهُ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ فَذَاكَ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَرَفَضَهُ، وَكَانَ يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَرْشَرُ وَجْهُهُ فَذَاكَ رَجُلٌ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ، يُتَحَدَّثُ بِهَا عَنْهُ فِي الْآفَاقِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ فِي التَّنُّورِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَيَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتَهُ يَسْبَحُ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فَذَاكَ آكِلُ الرِّبَا» إلىٰ آخر ما ذكر من الحديث وهو في «صحيح البخاري»[(١)].

وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ أهل البرزخ إنْ كانوا من أهل السَّعادة يُنَعَّمون، وإن كانوا من أهل الشَّقاوة يُعذَّبون قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. والأخبار في ذلك موجودة في بطون الكتب دالَّةٌ علىٰ ما ذكر، وهذا اعتقادُ أهل السُّنَّة والجماعة.

* **قوله: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ»:**

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن هذه الأدلَّة علىٰ ذلك: حديث البراء بن عازب الطَّويل قال: «توفِّي رجل فحضرْنا، وحضر النَّبيُّ ﷺ، ولمَّا يُلحد قال: فَجلَس النَّبيُّ ﷺ، وجلَسْنا حوْلَهُ، فقال النبي ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِه، فيقول: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا،...» وذكر الحديث «وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ...» وذكر الحديث.

وفيه: «فَيَأْتِيهِ [أي العبد المؤمن] مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي، وَمَالِي».

[وأما الكافر أو المنافق فإنه إذا قيل له]: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»(١).

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٤/ ٢٨٧ قرطبة) (١٨٥٥٧)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصحّحه الألبانيّ في «صحيح

الإيمانُ بالملائكة الكاتبين

وَأَنَّ عَلَىٰ الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ.

الشرح:

الأدلَّة علىٰ أنَّ معنا حفظةً يكتبون أعمالَنا: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

وفي الحديث الصحيح: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).



=

الجامع» (١٦٧٦)، وفي تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٣٠).

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القرون المفضَّلة الثَّلاثة، وبيان الاعتقاد في الصَّحابة

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -، وَيَجِبُ أَلَّا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

الشرح:

ما قاله مؤلِّف العقيدة في هذا المقطع هو عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، الَّذين يرَون أفضلَ القرون القرن الذي بُعث فيهم رسولُ الله ﷺ وآمنوا به، وصحبوه، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم؛ لقوله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»(١).

والقُرون: اسم جنس، ووصفُ قَرْنه بالخيريَّة فيها دالٌّ علىٰ أنَّ أهل قرنه هم أفضل القرون السَّابقة واللَّاحقة، المتقدّمة والمتأخّرة.

فقد اختار الله لنبيّه - صلوات الله وسلامه عليه - أفضل القرون، وبعثه فيهم؛ لقوله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - قَالَ عِمْرَانُ: لا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السِّمَن»(١).

وقد ورَد هذا الحديث بألفاظٍ قريبةٍ مِن هذا، وهو صحيحٌ، إذًا؛ فالخيريَّة جُعلتْ لقرنه، ثم القرن الذي يليه، ثم القرن الذي يليه.

ونحن نحمد الله عَزَّوَجَلَّ أنْ جعلَنا مِن أهل دينِه، وجعلَنا ممَّن عرَف الحقَّ لأهله كما علَّمنا رسول الله ﷺ أنَّ الإلهيّة لا تنبغي إلَّا لله الَّذي خلَق فسوَّىٰ، وقدَّر فهدىٰ، وهذا هو التوحيد الذي أمرَنا الله بتحقيقه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّاريات: ٥٦]، وأنَّ المُتابعة لا تنبغي إلَّا لنبيِّ الهدىٰ - صلوات الله وسلامه عليه -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأنَّ صحابتَه - رضوان الله عليهم - هم الَّذين مثَّلوا الدِّين الحقّ بأفعالهم وواقعهم تطبيقًا للشَّريعة الَّتي تلقَّوها منه ﷺ، فلذلك ينبغي أنْ نكونَ علىٰ طريقتهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فأصحابه هم المؤمنون، وتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة ومتابعة الرَّسول ﷺ فيما شرع وعلم به أمَّته هو المفترض، وهو الَّذي يجبُ اتِّباعه، وقد قال - صلوات الله وسلامه عليه - في حديث الافتراق: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، ولمَّا سُئل عن الواحدة قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه التّرمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

وقال ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»[1].

أمَّا أفضل الصَّحابة: فأفضلهم وأفضلُ الأمَّة على الإطلاق: أبو بكر ﷺ، ثمَّ عمر، ثمَّ عُثمان، ثمَّ علي - رضي الله عنهم أجمعين -، ثمَّ السِّتَّة الباقون من العشرة، ثمَّ من هاجر الهجرتين، ثمَّ أصحاب بدر، ثمَّ أصحابُ الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة، ثمَّ من أسلم وقاتل قبل الفتح، ثمَّ من أسلم وقاتل بعد الفتح، ثم صغار الصحابة، ثمَّ خير الأمَّة العُلماء الَّذين حملوا هذا الدِّين الَّذي حملوه من الصَّحابة، وأتباع الأتباع حملوه من الأتباع وهكذا.

وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّه لا يُذكر أحد من الصَّحابة بسوء، وأنَّ الواجب على المسلمين السُّكوت عمَّا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، ولهذا قال قائلهم:

وَمَا جَرَى بَيْنَ الصِّحَابِ نَسْكُتُ ... عَنْهُ وَأَجْرُ الاجْتِهَادِ نُثْبِتُ[2]



---

(١) تقدَّم تخريجه (ص٥١٤).

(٢) هذا البيت ذكره أحمد بن رسلان الشافعي في «الزبد» (ص ١٥ المعرفة).

السمع والطاعة لأئمة المسلمين

وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ.

الشرح:

يقول المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «والطَّاعة لأئمَّة المُسلمين مِن وُلاة أُمورهم وعلمائهم» هذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، والله تعالىٰ أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر فقال - جلَّ من قائل -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

فعطف الأمر بالطاعة في حقِّ الرَّسول علىٰ حقِّ الله، ثمَّ قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾، ولم يُكرِّر الفعل؛ فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ طاعة ولاة الأمور داخلة في طاعة الله وطاعة رسوله، فهم يطاعون فيما أمر الله به ورسوله؛ إذا أمروا بأمر الله، ونهوا عما نهىٰ الله عنه، فإنْ أمروا بخلاف ذلك فلا طاعة لهم في المعصية، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»(١).

وقال - صلوات الله وسلامه عليه -: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(٢). فحصر

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبرانيُّ في «الكبير» (١٨/ ١٧٠) (٣٨١) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٤) (٢٤٥٥) من حديث النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه أحمد بلفظ: «لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الطَّاعة في المعروف، ومفهوم هذا أنَّهم إنْ أمروا بغير المعروف لم يُطاعوا فيه.

وقد وردَتْ في السُّنّة أحاديثُ كثيرةٌ توجب بل تُحتِّم طاعة ولاة الأمر علمًا بأنَّ: (ولاة الأمر) يفسّر بأصحاب الوِلاية، ويُفسَّر بالعلماء، وهؤلاء تجب طاعتهم - كما قلنا -، فوُلاة الأمر تجب طاعتهم فيما أمروا به ممّا يتعلّق بالولاية ما لم يكن معصية لله.

والعلماءُ تجبُ طاعتُهم فيما أفتوا به، وأخبروا به من أحكام الشرع؛ إذ إنهم العارفون بذلك، والعالمون به، والمُمارسون له، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقد ذُمَّ أولئك النَّفر الَّذين كان معهم رجل في السَّريَّة، أصابته شجَّة فاحتلم، فقال لهم: هل تجدون لي رخصة أن أتيمم؟ قالوا: لا. فاغتسَلَ فمات. وقد جاء في الحديث - علىٰ فرْض صحَّتِه - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ**[1] **السُّؤَالُ...**»[2].

وفي هذه الآيات والأحاديث دليلٌ علىٰ وجوب الرُّجوع إلىٰ أهل العلم في المسائل الدِّينيّة، والأخذ بقولهم فيما أفتوا به.

والأحاديثُ الدَّالَّةُ علىٰ وجوب طاعة وُلاة الأمر كثيرة في الصَّحيحين، وفي أحدهما، وفي السنن الأربع، ومسند أحمد، وغير ذلك؛

---

(١) **العي**: الجهل.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٦٢).

فمنها: حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «**أَمَرَنِي خَلِيلِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(١).

ومنها: حديث عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: «**دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٢).

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٣).

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»(٤). وفي هذا المعنىٰ حديث عرفجة الكلابي.

وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٥).

وله حديث آخر بلفظ: «**سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ**»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٦) بلفظ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ». وأخرج مسلم (١٨٣٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٢)، من حديث عرفجة رضي الله عنه، وقول الشيخ: من حديث أبي سعيد. لعله سبق لسان.

قلت: هو في صحيح مسلم، باب: إذا بويع لخليفتين بلفظ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا». رقم الحديث (١٨٥٣). [النَّجمي].

(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ، فَالأَوَّلِ»(١).

ومنها: حديث عبد الله بن عمر، أنَّه جاء إلىٰ عبد الله بن مطيع يوم الحرة، فقال عبد الله ضعوا للشّيخ وسادة. فقال عبد الله بن عمر: إنِّي لَمْ آتِ لِأَجْلِسَ، وَإِنَّمَا أَتَيْتُ لِأُخْبِرَكَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

وفي حديث عبد الله بن عمرو الطويل: «مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»(٣).

ومنها: حديث عوف بن مالك الأشجعيّ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»(٤). إلىٰ غير ذلك مِن الأحاديث، علمًا بأنَّ هذه الأحاديث الَّتي ذكرتُها بعضها في الصحيحين، وبعضُها في مُسلم.

فهذه الأحاديث وأمثالُها توجبُ علىٰ كلِّ مسلم السَّمع والطَّاعةَ لوُلاة الأمور؛ سواء كانوا مُطيعين أو عصاةً، بررةً أو فُجّارًا، فلا يجوز الخروج عليهم، ولا يجوز مُنازعتُهم؛ بل الواجب السَّمع والطَّاعة لهم.

ثمَّ إنَّ طاعتهم طاعة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ؛ قال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ»[(١)].

وفي روايةٍ: «مَنْ أَطَاعَ الأَمِيرَ»[(٢)]، وهذه الرِّوايةُ فائدتُها أنَّ هذه في الأمراء عامّة، وليس ذلك خاصًّا بالأمير الّذي يُؤَمِّره النَّبيُّ ﷺ، فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ بل ورد في حديث حذيفة بن اليمان: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[(٣)].

ومن قدح في هذه الزّيادة[(٤)]، وأراد أنْ يتعلَّل بذلك للتَّوصل للخروج علىٰ وُلاة الأمر، فإنَّه ضالٌّ مُضلٌّ؛ إذْ إنَّ هذه الزيادة إن ضعفت، فقد أفاد مفادها جميع الأحاديث الّتي سبق ذكرها؛ لذلك فإنَّ هذه العقيدة هي عقيدة المسلمين، عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

ومن زعم أنَّ الإمام إن فسق أو عصىٰ يجوز الخروج عليه، فإنَّ زعمه هذا باطل تردُّه هذه الأحاديث الّتي سردْناها، وهذا القولُ - قول من قال بجواز الخروج علىٰ الإمام الفاسق - قولٌ ضعيفٌ لبعض المخالفين للسُّنَّة - عفا الله عنا وعنهم -.



---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) التَّخريج السَّابقُ نفسُه.

(٣) أخرجه مسلمٌ (١٨٤٧).

(٤) المقصود بالزِّيادة هنا هي: «ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ». والله أعلم.

اتِّباعُ السَّلف واقتفاءُ آثارهم والاستغفارُ لهم

وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.

الشرح:

ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ واجبٌ علىٰ المسلمين؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال في سورة (الحشر): ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاتِّباع سبيل المُؤمنين واجبٌ علىٰ مَن بعدَهم، والمؤمنون هم أصحاب رسول الله ﷺ، ومَن كان بعدهم علىٰ عقيدتهم، وسار سيرهم، أمَّا من أخذ غير سبيل المُؤمنين فإنَّه قدِ اتَّخذَ سبيلًا غريبًا وبعيدًا عمَّا وضعَه رسولُ الله ﷺ لأُمَّته، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١).

فأخبر أنَّ الهلكة في الزَّوغان منها، أي: عن طريقتِه ﷺ الَّتي رسمها لأُمَّته، وعاش عليها صحابتُه، ومَن بعدَهم مِن أهل العلم الَّذين حملُوا شريعته ﷺ من كتابٍ وسُنَّةٍ، وفي حديث الافتراق قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ**

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص٥١٤).

وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١).

وعن بعض السَّلف أنَّه قال: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»(٢).



(١) تقدَّم تخريجه (ص ٥٥١).

(٢) أخرجه الدَّارميُّ (٢٠٥) من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

النَّهيُ عن الجدال في الدِّين، وتركُ المُحدَثات

وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ.

الشرح:

ختم مؤلِّف هذه العقيدة كتابه، أو بالأحرىٰ عقيدتَه بهذه الجملةِ: «**وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ**»؛

فالجدال منهيٌّ عنه وبالأخصِّ الجدال في القرآن، والجدال في الآثار التي جاءت عن النبي ﷺ، فما جاء في القرآن يجب أن نؤمن به ونتَّبعه، وما صحَّ من السُّنَّة كذلك يجب أن نؤمن به ونتَّبعه؛ إذ هما المصدران اللَّذان قرَّر الله بهما شريعة عبده ونبيِّه محمّد ﷺ، فالقرآن هو أصل التشريع، والسُّنَّة مُبيِّنة ومُفسِّرة له، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

* قوله: «**وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ**».

أي: **أنَّ الواجب علىٰ كلِّ طالب علم، بل علىٰ كلِّ مُسلم**: أنْ يتَّبع الآثار الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ وعن السَّلف الصَّالح؛ الَّتي ثبتت من أقوالهم وأفعالهم إذ إنَّهم مثَّلوا الشريعة، وترجموها ترجمةً واقعيَّةً؛ لذلك يَجبُ أنْ نتركَ المُحدثات، وأنْ نتَّبع كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وعلىٰ فهم السَّلف الصَّالح، ونتبرأ من كلِّ ما خالف ذلك.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وأزواجه وذُرِّيَّتِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وأقولُ: رحم اللهُ المؤلِّفَ، لقد نصح وبلَّغ وعلَّم وبيَّن، وإنَّ الواجب متابعتُه علىٰ ذلك؛ لأنَّ ذلك هو الحقُّ فيما نعتقده - وبالله تعالىٰ التَّوفيق -.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



فتح ربِّ البريّات
على كتاب أهمِّ المهمّات

للإمام عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي

تأليف

فضيلة الشّيخ العلّامة
أحمد بن يحيى النّجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن منصور الدَّغريري



مقدِّمة المصنِّف

الحَمْدُ للهِ علىٰ ما له من الأسماء الحسنىٰ، والصِّفات الكاملة، والنِّعم السَّابغة، وأُصلِّي علىٰ مُحمَّدٍ المبعوث لصلاح الدِّين والدُّنيا والآخرة:

أمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ مختصرةٌ احْتوَتْ علىٰ أهمِّ المُهمَّات من أُمُور الدِّين، وأُصُول الإيمان، تدعو الحاجة والضَّرورة إلىٰ معرفتها؛ جعلتُها علىٰ وجه السُّؤال والجواب؛ لأنَّه أقرب إلىٰ الفَهْم والتَّفْهيم، وأوضح في التَّعلُّم والتَّعْليم.





مقدّمة الشارح

الحَمْدُ للهِ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه.

وبعدُ:

فَقَدْ قرأ عليَّ بعضُ طُلَّاب العلم كتاب: «سؤال وجواب في أهمِّ المُهمَّات تعليم أصول الإيمان» للشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحْمن بن ناصر السَّعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وطلبوا منِّي أن أشرح فقرات هذا الكتاب ليَتَّضح للطَّالب، ويَسْتفيد منه الرَّاغب بما يُوضِّح معناه، فاستعنتُ بالله علىٰ ذلك، وأَمْليتُ عليهم ما يراه القارئ في هذه العُجَالة، وقَدْ سَمَّيْتُهُ بـ:

«فتح ربّ البريّات على كتاب أهمّ المهمّات»

وَقَدِ اعْتنَىٰ بإخراجِهِ الشَّيْخ حسن بن محمَّد منصور دغريري، جزاه الله خيرًا.

وأسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ ينفع بذلك، وأَنْ يجعلَه سببًا مِن أسباب النَّجاة يوم القيامة لي ولمَنْ شارك في إخراجِه أو عمل به، وبالله التَّوْفيق.

الشّارح

أحمدُ بن يحيى بن محمَّد النَّجمي

٢٨ / ٩ / ١٤٢٦ هـ



ترجمة للإمام العلَّامة
عبد الرَّحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو الشَّيخ أبو عبد الله عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، وُلِدَ في بلدة عُنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرَّم عام ألف وثلاث مئة وسبع من الهجرة النَّبويَّة، وتُوفِّيَتْ أُمُّه وله أربع سنين، وتُوفِّيَ والده وله سبع سنين، فَتربَّىٰ يتيمًا، ولكنَّه نشأ نشأةً حسنةً.

وكَانَ قَد اسْتَرْعىٰ الأنظار منذ حَدَاثة سِنِّه بذكائِهِ، ورغبتِهِ الشَّديدة في العُلُوم، وقَدْ قرأ القرآن بعد وفاة والده، ثمَّ حفظه عن ظَهْر قلبٍ، وأتقنه وعُمُره أحد عشر سنةً، ثمَّ اشتغل في التَّعلُّم علىٰ عُلماء بلدِهِ، وعلىٰ مَنْ قَدِم بلده من العلماء، فاجتهد وجدَّ حتَّىٰ نال الحظَّ الأوفر من كلِّ فنٍّ من فُنُون العلم، ولمَّا بلغ من العُمُر ثلاثًا وعشرين سنةً، جلس للتَّدْريس، فكان يتعلَّم ويُعلِّم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتَّىٰ إنَّه في عام ألف وثلاث مئة وخمسين صار التَّدْريس ببلدِهِ راجعًا إليه، ومُعوَّل جميع الطَّلَبة في التَّعلُّم عليه.

بعض مشايخ الشَّيخ:

أَخَذَ عن الشَّيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أوَّل مَنْ قرأ عليه، وكان المُؤلِّف يصف شَيْخه بحفظِهِ للحديث، ويَتحدَّث عن وَرَعِهِ، ومَحبَّتِهِ للفقراء مع حاجته؛ ومواساتهم، وكثيرًا ما يأتيه الفقير في اليوم الشَّاتي، فيخلع أحد ثوبيه،

ويُلْبِسه الفقير مع حاجتِهِ إليه، وقلَّة ذات يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن مشايخ المُؤلِّف الشَّيخ محمَّد بن عبد الكريم الشّبل، قرأ عليه في الفِقْه، وعُلُوم العربيَّة وغيرهما، ومنهم الشَّيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة)، قرأ عليه في التَّوْحيد والتَّفْسير، والفقه (أُصُوله وفُرُوعه)، وعُلُوم العَربيَّة، وهو أكثر مَنْ قرأ عليه المُؤلِّف، ولازمه ملازمةً تامَّةً حتَّىٰ تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهم الشَّيخ عبد الله بن عايض، ومنهم الشَّيخ صعب التويجري، ومنهم الشَّيخ علي السناني، ومنهم الشَّيخ علي بن ناصر أبو وادي، قرأ عليه في الحديث، وأخذ عنه الأُمَّهات السِّتَّ وغيرها، وأجازه في ذلك، ومنهم الشَّيخ محمد بن الشَّيخ عبد العزيز المحمد المانع (مدير المعارف في المملكة العربيَّة السَّعوديَّة) في ذلك الوقت، وقَدْ قرأ عليه المُؤلِّف في عنيزة، ومن مشايخه الشَّيخ محمَّد أمين الشّنقيطيّ (نزيل الحجاز قديمًا ثمَّ الزّبير[1]) لمَّا قدم عنيزة وجلس فيها للتَّدريس، قرأ عليه المُؤلِّف في التَّفسير والحديث وعُلُوم العربيَّة؛ كالنَّحْو والصَّرْف ونحوهما.

نبذة من أخلاق المُؤلِّف:

كان علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الأخلاق الفاضلة، مُتواضِعًا للصَّغير والكبير، والغنيِّ والفقيرِ، وكان يقضي بعضَ وقتِهِ في الاجتماع بمَنْ يرغب حُضُوره؛ فيكون مجلسهم ناديًا علميًّا، حيث إنَّه يحرص أن يحتوي علىٰ البُحُوث العلميَّة والاجتماعيَّة، ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمىٰ من هذه البُحُوث النَّافعة الَّتي يشغل وقتهم فيها، فتنقلب مجالسهم العادية عبادةً، ومجالسَ عِلميَّةً،

(١) الزبير: مكان في المدينة، ولعلَّه في نواحي بقيع الغرقد. «المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسِّيرة» لمحمَّد شراب (١/ ٥٢).

ويتكلَّم مع كلِّ فردٍ بما يناسبه، ويبحث معه في المواضيع النَّافعة له (دنيا وأخرىٰ)، وكثيرًا ما يحلُّ المشاكل برضاءِ الطَّرَفين في الصُّلْح العادل.

وكان ذا شفقةٍ علىٰ الفقراء والمساكين والغُرباء، مادًّا يد المساعدة لهم بحسَب قُدرتِهِ، ويستعطفُ لهم المحسنين مِمَّنْ يُعْرف عنهم حبُّ الخير في المناسبات، وكان علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الأدب، والعِفَّة، والنَّزاهة، والحزم في كلِّ أعماله، وكان من أَحْسَنِ النَّاسِ تعليمًا، وأَبْلَغهم تفهيمًا، مُرتِّبًا لأوقاتِ التَّعْليم، ويعمل المناظرات بَيْن تلاميذِهِ المُحصِّلين لشَحْذ أفْكَارهم، ويجعل الجُعْل لمَنْ يحفظ بعضَ المُتُون، وكلُّ مَنْ حفظه، أُعْطِي الجُعْل، ولا يحرم منه أحدٌ.

ويَتشَاور مع تلاميذِهِ في اختيار الأنفع من كُتُب الدِّراسة، ولا يملُّ التَّلاميذ من طُول وقتِ الدِّراسة إذا طال؛ لأنَّهم يَتلذَّذون من مجالستِهِ، ولذا حَصَل له من التَّلاميذ المُحصِّلين عددٌ كثيرٌ.

مكانة المُؤلِّف بالمعلومات[1]:

كانَ ذا معرفةٍ تامَّةٍ في الفقه؛ أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ، وفي أوَّل أمره مُتمسِّكًا بالمذهبِ الحنبليِّ؛ تبعًا لمشايخِهِ، وحفظ بعض المُتُون من ذلك، وكان له مُصنَّفٌ في أوَّل أمره في الفقه، نَظَم نحو أربع مئة بيتٍ، وشرحه شرحًا مختصرًا، ولكنَّه لم يرغب في ظُهُوره؛ لأنَّه علىٰ ما يعتقده أوَّلًا.

وكان أعظم اشتغالِهِ وانتفاعِهِ بكُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، وحصل له خيرٌ كثيرٌ بسببهما في علم الأُصُول، والتَّوحيد، والتَّفسير، والفقه، وغيرها من العُلُوم النَّافعة، وبسبب استنارته بكُتُب الشَّيخين المذكورين

(١) أخذت هذه الكلمة من قول المترجم: «ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه عرف مكانته في المعلومات» اهـ.

صار لا يَتقيَّد بالمذهبِ الحنبليِّ، بل يُرجِّح ما تَرجَّح عنده بالدَّليل الشَّرعيِّ.

ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المُتهوِّسين، هدانا الله وإيَّاهم للصَّواب، والصِّراط المستبين.

وله اليدُ الطولىٰ في التَّفْسير، إِذْ قرأ عدَّة تفاسير، وبَرَع فيه، وألَّف تفسيرًا جليلًا في عِدَّة مُجلَّداتٍ، فَسَّره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت التَّصْنيف، دائمًا يقرأ القرآن الكريم ويُفسِّره ارتجالًا، ويستطرد، ويُبيِّن من معاني القرآن وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة، والمعاني الجليلة، حتَّىٰ إنَّ سامعه يودُّ ألَّا يسكت لفصاحتِهِ، وجزالةِ لفظِهِ وتَوسُّعهِ في سياق الأدلَّة والقصص، ومَنِ اجْتمَع به؛ وقرأ عليه، وبحث معه، عَرَف مكانته في المعلومات، كذلك مَنْ قرأ مُصنَّفاته وفتاويه.

مُصنَّفات المُؤلِّف:

١- تفسير القرآن الكريم المُسمَّىٰ: «تيسير الكريم المنَّان» في ثماني مُجلَّداتٍ، أكملَه في عام (١٣٤٤هـ).

٢- حاشية علىٰ الفقه استدراكًا علىٰ جميع الكُتُب المستعملة في المذهبِ الحنبليِّ.

٣- «إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطُّرُق وأيسر الأسباب»، رَتَّبه علىٰ السُّؤال والجواب، طبع بمطبعة الترقي في دمشق عام (١٣٦٥هـ) علىٰ نفقة المُؤلِّف، ووَزَّعه مجّانًا.

٤- «الدُّرَّة المختصرة في محاسن الإسلام»، طبع في مطبعة أنصار السُّنَّة عام (١٣٦٦هـ).

٥- «الخطب العصريّة القيّمة»، لما آل إليه أَمْر الخَطَابة في بلدِهِ، اجْتهَدَ أَنْ يخطب في كلِّ عيدٍ وجمعةٍ بما يناسب الوقت في المواضيع المُهمَّة الَّتي يحتاج

النَّاس إليها، ثمَّ جَمَعها وطبعها مع «الدُّرَّة المختصرة» في مطبعة أنصار السُّنَّة علىٰ نفقتِهِ، ووَزَّعها مجّانًا.

٦- «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، طبعَها في مطبعة أنصار السُّنَّة عام (١٣٦٦هـ)، ووُزِّعَ مجّانًا.

٧- «تنزيه الدِّين وحَمَلته ورجاله مِمَّا افتراه القصيمي في أغلاله»، طُبع في مطبعة دار إحياء الكُتُب العربيَّة علىٰ نفقة وجيه الحجاز «الشَّيخ محمّد أفندي نصيف» عام (١٣٦٦هـ).

٨- «الحقُّ الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين».

٩- «توضيح الكافية الشَّافية»، وهو كالشرح لنونيّة الشَّيخ ابن القيّم.

١٠- «وُجُوب التَّعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني»، وهذه الثَّلاثة الأخيرة طبعت بالقاهرة السَّلفيَّة علىٰ نفقة المُؤلِّف، ووَزَّعها مجّانًا.

١١- «القول السّديد في مقاصد التوحيد»، طبع في مصر بمطبعة الإمام علىٰ نفقة عبد المحسن أبا بطين عام (١٣٦٧هـ).

١٢- «مختصر في أصول الفقه».

١٣- «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، طبع علىٰ نفقة المُؤلِّف، وجماعة من المحسنين، ووُزِّع مجّانًا، وطبع «الطبعة الأولىٰ» بمطبعة الإمام، الرياض الناضرة.

وله فوائدُ منثورةٌ وفتاوىٰ كثيرةٌ في أسئلةٍ شَتَّىٰ تَرِد إليه من بلدِهِ وغيرها، ويجيبُ عليها، وله تعليقاتٌ شَتَّىٰ علىٰ كثيرٍ مِمَّا يمرُّ عليه من الكُتُب، وكانت الكتابةُ سهلةً يسيرةً عليه جدًّا، حتَّىٰ إنَّه كَتَب من الفتاوىٰ وغيرها شيئًا كثيرًا.

ومِمَّا كَتَب: نظم ابن عبد القوي المشهور، وأراد أن يَشْرحه شرحًا مستقلًّا، فرآه شاقًّا عليه، فجَمَع بينه وبين الإنصاف بخطٍّ يده ليساعد علىٰ فَهْمه، فكان كالشَّرْح له، ولهذا لَمْ نَعُدَّه من مُصنَّفاته.

غايتُهُ من التَّصْنيف:

وكان غاية قَصْده من التَّصْنيف هو نَشْرُ العلم، والدَّعْوة إلىٰ الحقِّ، ولهذا يُؤلِّف، ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مُؤلَّفاته، لا ينال منها عَرَضًا زائلًا، أو يستفيد منها عَرَض الدُّنيا، بل يُوزِّعها مَجَّانًا ليعمَّ النَّفْع بها، فجزاه اللهُ عن الإسلام والمسلمين خيرًا، ووَفَّقنا اللهُ إلىٰ ما فيه رضاه.

وفاتُهُ:

وبعد عُمُرٍ مباركٍ دام قرابة (٦٩) عامًا في خِدمة العلم، انْتقَل إلىٰ جوار ربِّه في عام (١٣٧٦هـ) في مدينة عنيزة من بلاد القصيم، رحمه الله رحمةً واسعةً. اهـ. بتَصرُّفٍ يسيرٍ من مُقدِّمة كتابه «المواهب الرَّبانيَّة من الآيات القرآنية».



الباب الأوَّل

أهمّ المهمات من أصول الإيمان

قال الشَّيخُ عبدُ الرَّحْمن بن ناصر السَّعْدي رَحِمَهُ اللهُ:

السُّؤالُ الأوَّلُ: ما حدُّ التَّوحيد، وما أقسامُه؟

الجوابُ: حدُّ التَّوْحيد الجامع لكلِّ أنواعِهِ هو علمُ العبد واعتقادُهُ واعترافُهُ وإيمانُهُ بتَفرُّد الرَّبِّ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وتَوحُّده في ذلك، واعتقادُ أنَّه لا شريكَ له، ولا مثيلَ له في كمالِهِ، وأنَّه ذو الأُلُوهيَّة والعُبوديَّة علىٰ خَلْقه أجمعين، ثمَّ إفرادُه بأنواع العبادة، فدَخَلَ في هذا التَّعْريف أقسامُ التَّوْحيد الثَّلاثة:

أحدها: توحيدُ الرُّبُوبيَّة: وهو الاعترافُ بانفرادِ الرَّبِّ بالخَلْق والرِّزق والتَّدْبير والتَّربية.

الثَّاني: توحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ: وهو إثباتُ جَمِيعِ ما أثبته اللهُ لنفسِهِ، أو أثبته له رسولُهُ مُحمَّدٌ ﷺ من الأسماءِ الحُسنىٰ، وما دَلَّتْ عليه مِن الصِّفات مِن غير تَشبيهٍ ولا تمثيلٍ، ومِن غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ.

الثَّالثُ: توحيدُ العبادَةِ: وهُو إفرادُ الله وحدَه بأجناسِ العِباداتِ، وأنواعِها، وإفرادها وإخلاصها لله مِن غير إشراكٍ به في شَيءٍ مِنْهَا.

فهذه أقسامُ التَّوْحيد الَّتي لا يَكُونُ العَبْدُ مُوحِّدًا حتَّىٰ يَلتزِمَ بها كلِّها، ويقوم بها.

الشرح:

أقولُ: التَّوحيدُ معناه: اعتقاد تَوحُّد الله، وانفرادُه بكلِّ صفةِ كمالٍ، فله القُدرةُ الَّتي لا يُعْجِزها شيءٌ، وله الحكمةُ العظيمةُ الَّتي تضعُ الأشياء في مواضعها، وله العلمُ الَّذي هو محيطٌ بجميع المعلومات؛ لا يَخفىٰ عليه شيءٌ منها، ولا يفوت عِلْمَه معلومٌ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١ - الحديد: ٣].

فمَنْ آمن بأنَّ اللهَ هو الخالق الرَّازق القدير العليم الَّذي أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، واعتقد بأنَّ اللهَ هو الَّذي خَلَقه، وهو الَّذي يَسَّر له رِزْقَه، وهو الَّذي يُحْصي عليه أَعْمالَه؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]. وأنَّه سيُجْزىٰ كلُّ عبدٍ بما عمل؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ؛ يُوفِّق مَنْ يشاء لأعمال السَّعادة بفضلِهِ، ويخذل مَنْ يَشاءُ بعدْلِهِ، ويملك السَّموات بما فيها؛ فهو مالك السَّمَوات السَّبْع، ومَن فيها، ومالك الأرضين السَّبْع ومَنْ فيها؛ فإذا اعتقد العبد هذا الاعتقاد، واعترف بِرُبُوبيَّة ربِّه عليه؛ فإنَّه يجب عليه حينئذٍ أن يُوحِّده بأفعالِهِ[(١)].

والاعتراف بأُلُوهيَّة ربِّه له يجعله يُوحِّد الله بأعمالِهِ وأفعالِهِ[(٢)] علىٰ مقتضىٰ ما شَرَع علىٰ لسان رسولِهِ ﷺ.

---

(١) أي بأفعال الله تعالىٰ الدَّالَّة علىٰ وجوب عبادتِهِ سُبحانه، وهذا النَّوع من أنواع التَّوحيد يُسمَّىٰ بتوحيد الرُّبوبيَّة هو إفراد الله بأفعاله (الخلق والملك والتدبير وغير ذلك)، والاعتراف لله بتوحيد الرُّبوبيَّة يستلزم العمل بتوحيد الألوهيَّة.

(٢) الضَّميرُ يعودُ - والله أعلمُ - إلىٰ العبد وأفعاله الَّتي يأتي بها علىٰ وجه العِبادة، وتسمَّىٰ بتوحيد الألوهيَّة.

والمُهمُّ أنَّ التَّوْحيد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسامٍ:

١- توحيد الله بأفعالِهِ؛ كالخَلْق والرِّزْق والتَّدْبير.

٢- توحيد الله بأسمائِهِ وصفاتِهِ؛ كالعلم والقُدرة والسَّمْع والبصر، وغير ذلك.

٣- توحيده بأفعالنا[1]؛ وهي العبادة الَّتي كَلَّفنا الله بها، وجعلها سببًا في نجاة مَنْ أتىٰ بها، وسعادته وفوزه بالجنَّة.

وهذه أقسامُ التَّوحيد؛ وهي باختصارٍ:

١- توحيد الرُّبوبيَّة: وهو لا يُدْخِل أحدًا في الإسلام؛ لأنَّ المشركين الَّذين بُعِثَ فيهم رسولُ الله ﷺ كانوا يُقرُّون به، ولم يُدْخِلهم في الإسلام.

٢- توحيد الأسماء والصِّفَات: وهو الإيمان بها علىٰ الوجه اللَّائق بجلال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

٣- توحيد الأُلُوهيَّة: وهو الَّذي صارتْ فيه الخُصُومة بَيْن الرُّسُل وأُمَمِهم، وبالله التَّوْفيق.



(١) إفراد الله بأفعالنا يسمَّىٰ توحيد الألوهيَّة.

السُّؤال الثَّاني: ما هو الإيمانُ والإسلامُ، وأُصولهما الكُلِّيَّة؟

الجواب: الإيمانُ هو التَّصْديقُ الجازمُ لجميع ما أَمَر اللهُ ورَسولُهُ بالتَّصْديق به المُتضمِّن للعمل؛ الَّذي هو الإسلامُ؛ وهو الاسْتِسْلامُ لله وحدَه، والانقيادُ لطَاعتِه.

وأَمَّا أُصولُهما: فهي مَا احْتوَتْ عليه هذه الآيةُ الكَريمةُ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وما فَسَّر به النَّبيُّ ﷺ في حديث جبريل وغيره؛ حيثُ قالَ: «الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، والْيَوم الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ».

والإِسْلَامُ: هُوَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ[(١)].

ففَسَّر الإيمانَ بعقائد القُلُوب، وفَسَّر الإسلامَ بالقيام بالشَّرائع الظَّاهِرَةِ.

الشرح:

أقول: الإيمانُ والإسلامُ يندرج كلٌّ منهما تحت الآخر، ويشملُه إذا ذُكِرَ كلُّ واحدٍ منهما مُنفردًا، أمَّا إنْ ذُكِرَا معًا كما في حديث جبريل، فإنَّه في هذه الحالة يُطْلق الإسلامُ علىٰ الخمسة الأركان المعروفة الظَّاهرة؛ أمَّا الإيمان فيُطْلق علىٰ العقائدِ الباطنةِ، وكلٌّ منها يَدْخلُ تحت الآخر من وجهٍ.

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإسلامُ هو أنْ تشهَدَ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

---

(١) حديث جبريل الطَّويل أخرجه مُسلمٌ (٨) من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأَقُولُ: «هذا يستلزم الاعتقاد بما تَضمَّنه[1] مِن شهادةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، فهذا القول يدخل به العبدُ في الإسلام؛ وهو الشَّهادةُ للهِ بالوَحْدانيَّة، ونَفْيها عَمَّا سواه، والشَّهادة لرسوله ﷺ بالرِّسَالة، فمَنْ لَمْ يقم بهاتين الشَّهَادتين، لَمْ يكُن مُسلمًا، ولا دَخَل في الإسلام، فهما مفتاح الإسلام والإيمان، ومن طريقهما يتمُّ التَّعَامل مع الله عَزَّوَجَلَّ بأداءِ العبادةِ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ نحو ما شَرَع رسولُهُ ﷺ».

وأمَّا بقيَّة الأركان فكلُّها فعليَّةٌ:

أَوَّلُها: الصَّلاة؛ وهي تَتعلَّق بالبدن، ويَشْتركُ فيها اللِّسَانُ والقلبُ والجوارحُ.

وأمَّا الزَّكاة: فهي تَتعلَّق بالأموال؛ أي: بأنْ يُؤدِّيَ العبدُ الفرائض الَّتي فَرَضَها اللهُ في أنواع المال؛ سواءً كانت الزَّكاةُ حُبوبًا أو مواشيَ أو نُقُودًا أو عُرُوض تجارةٍ، كما هو معلومٌ في كُتُب الفِقْهِ.

وأمَّا الرُّكْن الرَّابع؛ فهو صومُ شهْر رمضان بِنيَّة الإمساك عن الطَّعَام والشَّرَاب، والجماع ومُقدِّماته؛ من طُلُوع الفجر الثَّاني إلىٰ غُرُوب الشَّمْس، وهذه الفريضةُ تَعلَّقُ بالشَّهَوات الثَّلاث: المطعم والمشرب والمنكح؛ أي: يُمْسِكُ عنها في هذا الوقت عُبوديَّةً لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ مقتضىٰ شَرْعه الَّذي شَرَع علىٰ لسان رسولِه ﷺ.

والرُّكْن الخامس: هو حجُّ بيت الله الحرام مَرَّةً في العُمُر، وكذلك العُمرة.

أمَّا الإيمانُ: فأركانُهُ سِتَّةٌ؛ وكلُّها تَتعلَّقُ بالاعتقادِ.

فَأوَّلُها: الإيمانُ بالله؛ أي: الإيمان بِوُجُودِهِ، وقُدْرتِهِ علىٰ كلِّ شيءٍ، وعلمه

---

(١) أي: الإسلام.

بكلِّ معلومٍ، وحكمته في خَلْقه، وتدبيره، وما يَتعلَّق بذلك مِن صفاتِ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الوجه اللَّائق بجلالِهِ.

والإيمانُ بأنَّ السَّمَوات السَّبْع، ومَنْ فيها من الملائكة، والأرضين السَّبْع، وما فيها؛ كلّها ملك لله عَزَّوَجَلَّ يَتصرَّف فيها، ويُدبِّرُها، وأنَّ الدُّنيا دارُ ابتلاءٍ يَبْتلي اللهُ فيها عبادَه بالغِنَىٰ والفقر، والحياة والموت، والصِّحَّة والمرض، والإيمان والكُفر.

وأنَّ البعثَ بعد الموت لا بدَّ كائنٌ، وبعد البعث سيتمُّ الحساب علىٰ جميعِ العبادِ، ويُجْزىٰ كلٌّ بما عمل؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، وأنَّ الجنَّة دار المطيعين، وأنَّ النَّار عقاب العاصين.

والإيمانُ بِوُجُود المَلَائكةِ، وأنواعهم، والإيمانُ بالكُتُب المُنزَّلة، والرُّسُل المُرْسلة؛ مَنْ ذُكِر منهم في القُرآن نُؤمِن به علىٰ التَّعْيين، ومَنْ لَمْ يُذْكَر فإنَّا نؤمن بأنَّ لله رسلًا لا نعلمهم، وله سبحانه كُتُبًا لا نعرفها، ونؤمن بالبعث بعد الموت كما تَقدَّم شرحُهُ.

ونُؤمِنُ بالقدرِ خيرِهِ وشَرِّهِ من الله تعالىٰ، وفي ضمن ذلك نؤمن بأنَّ الله عدلٌ لا يجورُ، ولا يظلمُ، ولا يُعذِّبُ أحدًا إلَّا بذنبٍ؛ كما يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النِّساء: ٤٠]، وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصِّلت: ٤٦] إلىٰ غير ذلك، فهذه هي أركان الإيمان السِّتَّة، وكلُّها اعتقاديَّةٌ تَتعلَّق بالقلبِ، والأعمالِ فيها تابعة للعقيدة، وبالله التَّوْفيق.



السُّؤالُ الثَّالثُ: مَا هِيَ أَرْكَانُ الإِيمَانِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وصِفَاتِهِ؟

الجواب: هي ثلاثةٌ:

أَوَّلًا: الإيمانُ بالأسماءِ الحُسنىٰ.

ثَانيًا: الإيمانُ بما دَلَّتْ عليه مِن الصِّفَاتِ.

ثَالِثًا: الإيمانُ بأَحْكَامِ صِفَاتِهِ، ومُتَعَلَّقَاتِهَا، فنُؤمنُ بأنَّه عليمٌ له العلمُ الكاملُ، المحيطُ بكُلِّ شَيءٍ.

وأنَّه قَديرٌ ذو قُدْرَةٍ عَظِيمةٍ يقدر بها علىٰ كُلِّ شَيءٍ، وأنَّه رَحِيمٌ رَحْمَن ذُو رَحمةٍ وَاسِعَةٍ يَرْحم بها مَنْ يشاء، وهكذا بَقِيَّةُ الأسماءِ الحُسْنَىٰ، والصِّفات ومُتعلَّقاتها.

الشرح:

أقولُ: أركانُ الإيمان بأسماءِ الله وصفاتِهِ: هي ثلاثةٌ:

أَوَّلًا: الإيمانُ بالأسماءِ الحسنىٰ كلِّها؛ أي: كلُّ الأسماءِ الحسنىٰ الَّتي وَرَدتْ في كتابِ اللهِ، وسُنَّة رسولِهِ ﷺ؛ كاسم العليمِ، واسْم الحكيم، واسْم السَّميع، واسْم البصير، وهكذا سائر الأسماءِ.

والأسماءُ كثيرةٌ، وَرَدَ فيها: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(١)]. هذا حديثٌ مُتَّفقٌ عليه.

لكن الرِّواية الَّتي فيها التَّسْمية بالتِّسْعة والتِّسْعين روايةٌ للتِّرمذيِّ[(٢)]، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجها الترمذي (٣٥٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً غَيرَ وَاحِدٍ؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ... الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ**»، وضعَّفه الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (١٩٤٥).

صِحَّتها عن النَّبيِّ ﷺ نظرٌ(١)؛ إلَّا أنَّ كلَّ واحدٍ من تلك الأسماء يمكن أن يكون عليه دليلٌ، ولابن منده في كتاب «الإيمان» أدلَّةٌ أَوْرَدها علىٰ الأسماءِ؛ علمًا بأنَّ أسماءَ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُحِيط بها إلَّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يقول النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»(٢).

فهذا يَدلُّنا علىٰ أنَّ الأسماءَ لا تنحصر، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعلِّم بعض عباده شيئًا من تلك الأسماءِ.

ثانيًا: نُؤْمن بما دَلَّتْ عليه تلك الأسماء من الصِّفَات، فـ«العليمُ» دلَّ علىٰ صفةِ العلمِ؛ ولكن صفةُ العلمِ الَّذي هو صفةٌ للهِ؛ علمٌ لا يفوته شيءٌ، ولا يخرج عنه شيءٌ؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهكذا اسم «القدير»؛ فنؤمن بصفة القُدرة لله عَزَّوَجَلَّ الَّتي لا يعجزها شيءٌ؛ واسم «الرَّحيم» نؤمن بصفة الرَّحْمة الَّتي عمَّت المخلوقين جميعًا.

ثالثًا: الإيمان بصفاتِهِ المُسْتخرجَة من تلك الأسماءِ ومُتعلَّقاتِها، فهذا كلُّه يقتضي الإيمانَ بأسماءِ اللهِ وصفاتِهِ، وباللهِ التَّوْفيق.

---

(١) سرْدُ الأسماء المذكورة في رواية التِّرمذيِّ أعلَّه جمعٌ من الأئمَّة الحفَّاظ، وأشار الحافظُ في «الفتح» (١١/ ٢١٥) إلىٰ العلل الموجودةِ في هذه الرِّوايةِ، والَّتي بسببها أعرض الشَّيخان عن إخراجها في «صحيحيهما»، وهي: «الاختلاف، والاضطراب، والتَّدليس، واحتمال الإدراج». وقال ابنُ حزم في «المحلَّىٰ» (٦/ ٢٨٢): «وجاءتْ أحاديثُ في إحصاء التِّسعة والتِّسعين اسمًا مضطربة، لا يصح منها شيء أصلًا».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩١ قرطبة) (٣٧١٢)، وابن حبَّان (٩٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٦٩) (١٠٣٥٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٩٩).

السُّؤال الرَّابع: ما قولكم في مسائل عُلوِّ الله على الخَلْق، واستوائِهِ على العَرْش؟

الجوابُ: نعرفُ ربَّنا بأنَّه عَليٌّ أَعْلىٰ بكُلِّ معنًىٰ واعتبارٍ:

١ - عُلُوّ ذاتٍ.

٢ - عُلُوّ القَدْر والصِّفات.

٣ - عُلُوّ القَهْر.

وأنَّه بائنٌ مِن خَلْقه؛ مُسْتوٍ علىٰ عَرْشِهِ؛ كما وَصَف لنا نفسَه بذلكَ، والاسْتواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، فَقَدْ أخبرَنا أنَّه اسْتَوىٰ، ولَمْ يُخبرنَا عن الكيفيَّة، وكذلك نَقُولُ في جميع صفات الباري: أنَّه أَخبَرَنا بها، ولَمْ يُخبرْنا عن كَيفيَّتها، فعلَيْنا أَنْ نُؤمنَ بكُلِّ مَا أَخْبَرَنا في كتابِهِ، وعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلا نَزيدُ علىٰ ذلكَ، ولا ننقصُ منهُ.

الشرح:

أقولُ: عُلُوُّ الله علىٰ خَلْقه مَعلومٌ بالفطرة، فالعبدُ إذا دعا الله، اتَّجه بقلبِهِ ورُوحِهِ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ رافعًا رأسَه إلىٰ السَّماء، طالبًا المَدَد مِمَّن استوىٰ علىٰ العرش، ويقولُ أهل السُّنَّة بأنَّ الله مستوٍ علىٰ عَرْشه، بائنٌ من خَلْقه، وعلمُهُ بكلِّ مكانٍ.

والاستواء معناه: العلوُّ والاستقرار؛ لأنَّ هذا مقتضىٰ اللُّغَة؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزّخرف: ١٣، ١٤]. فالاستواءُ هنا معناه الاستقرار، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]؛ أي: اسْتقرَّت عليه، فمَنْ أراد أنْ يَتأوَّله بغير هذا المعنىٰ فإنَّه يُعتَبر ضالًّا.

وإنَّ الأشاعرة يَتأوَّلون هذه الصِّفة بأنَّه: «اسْتولَىٰ»، وهذا باطلٌ؛ لأنَّهم

يَسْتدلُّون ببيت الأخطل:

قَـدِ اسْتَــوىٰ بِشْــرٌ عَلَىٰ العِــرَاقِ ... مِــنْ غَيْـرِ سَيْــفٍ أَوْ دَمٍ مِهْــرَاقِ

والأخطلُ نصرانيٌّ خبيثٌ لا يمكن أن يُمثَّل بشِعْرِهِ لتفسير القُرآن.

علمًا بأنَّ الاستيلاء لا يكون إلَّا علىٰ شيءٍ لَمْ يكن العبدُ مستوليًا عليه قبل ذلك، ولهذا أنكر مالك بن أنسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مَنْ قال له: أرأيت قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوىٰ؟ فأطرق الإمام مالك، وعَلَتْه الرُّحضاء - أي: العرق -، ثمَّ رفع رأسَه، فقال: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ، والإيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، والسُّؤَالُ عَنْهُ بدْعَةٌ، وَأَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ، أَخْرِجُوهُ»، فأمر به فأخرج[1].

ومَنْ فَسَّر «الاستواء» بأنَّه الهيمنةُ فهو أيضًا بمعنىٰ «الاستيلاء»، وكلُّ ذلك جهلٌ وضلالٌ، فمَنِ الَّذي كان يُهيمِنُ علىٰ العرش قَبْل خالق العَرشِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

فاستواء الله علىٰ العرش جانبٌ من العُلوِّ؛ وهو عُلُو الذَّات، وبقي جانبان هما:

١- عُلُو القَدْر، وعُلُو الصِّفات: فإذا كان اللهُ عَزَّوَجَلَّ له ذاتٌ لا تُشْبه الذَّوَات،

(١) رواه بنحوه البيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين).

ورواه البيهقيُّ أيضًا في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ برقم ٨٦٦) عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك فدخل رجلٌ فقال، فذكر نحوه. وصحَّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوِّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابتٌ عن مالكٍ». وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد». وصحَّحه الألبانيُّ في «مختصر العلوِّ»: ص (١٤١ - ١٤٢). وانظر للتَّوسّع كتابَ: «الأثر المشهور عن الإمام مالكٍ رحمه الله في صفة الاستواء» للشَّيخ عبد الرَّزَّاق العبَّاد حفظه الله.

فيجب أنْ نعلم بأنَّ له صفاتٍ لا تُشبهُ الصِّفات؛ فإذا وصفنا الإنسانَ بالقُدْرة، فهل الاتِّفَاق في الاسم يَلْزم منه الاتِّفَاق في الحقيقة؟ الجواب: لا، فقُدْرَة الله لا يَتعاصَىٰ عليها شيءٌ[1]؛ أمَّا قُدْرة المَخْلوق فهي بقَدْره.

وهكذا علمُ الله، وهكذا سَائِر الصِّفات، فعلمُ اللهِ شاملٌ لكلِّ معلومٍ، وأمَّا عِلْم الإنسان فهو محدودٌ.

إذًا، فعُلُوُّ القَدْر لله عَزَّوَجَلَّ يلزم منه أيضًا عُلُو الصِّفات له عَزَّوَجَلَّ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ويقولُ: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

٢- عُلُو القَهْر؛ فيجب أن نؤمن بأنَّ الله قاهرٌ لجميع خَلْقه؛ غالبٌ لهم؛ حاكمٌ عليهم؛ يَفْعلُ فيهم ما يشاءُ، ويَحْكم فيهم بما يُرِيدُ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ولهذا فَلَقَ الله البحرَ لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، وأَغْرَق فيه فرعونَ وقومَه[2].

وجعَل النَّار بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم[3].

وأَغْرق بدعوةِ نوحٍ جميعَ أهل الأرض[4]، ونَجَّاه ومَنْ معه في السَّفِينة[5].

---

(١) أي: لا يمتنع عليها - أي قدرة الله - شيء.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: ٥٠].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦].

(٥) قال تعالىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾ [الأعراف: ٦٤].

وأَهْلَك عادًا بالرِّيح العقيم(١).

وأَهْلَك قومَ صالحٍ بالصَّيْحة(٢).

ورَفَع عيسىٰ إلىٰ السَّماء، ونجَّاه من مكر اليهود(٣).

وعَرَج بمُحمَّدٍ حتَّىٰ رَفَعه فوق السَّبْع الطِّباق(٤).

وهذه دلائلُ علىٰ قُوَّة الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقهره لعباده.

الخلاصةُ: أنَّ العُلوَّ يَتنوَّع إلىٰ ثلاثةِ أنواعٍ: عُلو ذاتٍ، وعُلو قَدْرٍ، وعُلو قهرٍ.

ويجب أن نؤمن بذلك كلِّه، وبأنَّ الله مستوٍ علىٰ عرشِهِ؛ بائنٌ من خَلْقِهِ، وعلمُهُ بكلِّ مكانٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المجادلة: ٧].

ولم يُلْجِئنا اللهُ في سؤالِهِ إلىٰ واسطةٍ بيننا وبينه؛ بل قَدْ أخبرنا، وبيَّن لنا بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾ [القمر: ٣١].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩]، وأخرج البخاري (٧٥١٧) حديث المعراج الطويل، وفيه: «ثُمَّ عَرَجَ بِهِ - أي: جبريل عليه السَّلام - إِلَىٰ السَّماءِ السَّابعَةِ...، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوقَ ذَلِكَ بما لا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ، حَتَّىٰ جَاءَ سِدْرَةَ المنتَهىٰ، وَدَنَا للجَبَّار رَبِّ العِزَّة، فَتَدَلَّىٰ حَتَّىٰ كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوسَينِ أَوْ أَدْنَىٰ».

فيا أيُّها الإنسان، ادعُ ربَّك في السِّرِّ والعلنِ، والْجَأْ إليه في كلِّ ما يَهمُّك مِن الأُمُور؛ فهو القادرُ علىٰ تفريج الكُرُبات، وهو المجيبُ للدَّعَوات، إيَّاك أنْ تَلْجَأَ إلىٰ غيرِهِ فتضلَّ وتضيع وتنقطع حتَّىٰ لا يُبَالي بك في أيِّ وادٍ هَلكْتَ، وبالله التَّوْفيق.



السُّؤالُ الخامسُ: ما قولُكم في الرَّحْمة والنُّزُول إلى السَّماء الدُّنيا، ونحوها؟

الجوابُ: نُؤمنُ ونُقِرُّ بكُلِّ ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه مِن الرَّحْمة والرِّضا والنُّزُول والمجيء، وبما وَصَفَه به رَسُولُ الله ﷺ علىٰ وَجْهٍ لا يُماثِلُه فيه أَحَدٌ مِن خَلْقِه؛ فإنَّه لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ، فكمَا أنَّ لله ذاتًا لا تُشْبِهُهَا الذَّوَاتُ، فلَهُ صفاتٌ لا تُشْبِهُهَا الصِّفَاتُ.

وبُرْهَانُ ذَلِكَ: مَا ثَبَتَ مِن التَّفْصِيلاتِ العظيمةِ في الكتاب والسُّنَّة في إثْبَاتِها، والثَّناء علىٰ الله بها، وما وَرَدَ علىٰ وجْهِ العُمُوم في تَنْزِيهِهِ عن المِثْل والنِّدِّ، والكُفْءِ والشَّرِيكِ.

الشرح:

أقولُ: وَصَفَ اللهُ نفسَه بالرَّحْمة[1]، وسَمَّىٰ نفسه رحمانًا ورحيمًا[2]، وأخبر أنَّ له مئةَ رحمةٍ، أنزلَ منها واحدةً، فبها يَتراحم النَّاس، وبها تَرْفع البهيمةُ حافِرَها عن وَلدِها، وأبْقَىٰ تسعًا وتسعين رحمةً يَرْحم بها عباده المؤمنين يوم القيامة[3].

ولا يجوز أن تَتأوَّلَ الرَّحْمة كما يفعلُ الأشاعرةُ؛ بل نؤمنُ بأنَّ صفاتِ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُشْبِهه فيها موصوفٌ من المخلوقين؛ كما أنَّنا نؤمنُ بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنزل

---

(١) ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [الحديد: ٩].

(٢) ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

(٣) أخرج البخاري (٦٠٠٠) ومسلم (٢٧٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».

إلىٰ السَّمَاء الدُّنيا في الثُّلُث الأوسط[١] أو الثُّلُث الأخير[٢] كلَّ ليلةٍ، فيقولُ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ؛ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؛ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»، ونؤمن بأنَّه ينزِلُ إلىٰ السَّمَاء الدُّنيا في عَشيَّة عرفة[٣].

وإذا وصفنا اللهَ بالنُّزول إلىٰ السَّمَاء الدُّنيا، فنحن نثبتُ لَهُ نُزولًا يليقُ بجلالِهِ، ولا يجوزُ أنْ نقولَ: خلا منه العرش أم لم يَخْلُ؟ فإنَّ هذا إنَّما يكون من صفات المخلوقين؛ وهو يصف نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكما أنَّ لله ذاتًا لا تُشْبِهِ الذَّوات، ولا تُشْبِهها الذَّوَات، فكذلك له صفاتٌ لا تُشْبِه صفات المخلوقين، ولا تُشْبِهها صفات المخلوقين.

---

(١) دليلُه قولُه ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّىٰ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ». أخرجه مسلم (٧٥٨)، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) دليله قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرج ابن حبان (٣٨٤٢ التعليقات الحسان) وغيره، عن أبي الزُّبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انظروا إِلَىٰ عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا مِن النَّار مِنْ يَوم عَرَفَةَ»، قال الألبانيُّ: «علَّةُ الحديث أبو الزُّبير؛ فإنَّه مُدلِّس، وقد عنعنه في جميع الطُّرق عنه». «السِّلسلةُ الضَّعيفة» (٢/ ١٢٦) تحت رقم (٦٧٩).

لكنْ أخرج الدَّارقطنيُّ في «النُّزول» (٩٥ - ٩٦ فقيهي)، عن أُمِّ سلمةَ رضي الله عنها - موقوفًا - قالتْ: «نِعْمَ يَوْمٌ يَنْزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قِيلَ: أَيُّ يَوْمٍ هُوَ؟ قَالَتْ: يَوْمُ عَرَفَةَ» وحسَّن إسناده المحقِّق - علي الفقيهي -. وأخرجه أيضًا الدَّارميُّ في «الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة» (١٣٧البدر)، وأبو عُثمان الصَّابوني في «عقيدة السلف» (ص٤٥ مكتبة الوادعي)، واللَّالكائيُّ في «شرح أصول الاعتقاد» (٧٦٨).

وقولُ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبرُهان ذلكَ: ما ثَبَت من التَّفْصيلاتِ العظيمةِ في الكتاب والسُّنَّة في إثباتِها، والثَّناء علىٰ الله بها، وما وَرَدَ علىٰ وَجه العُمُوم في تنْزيهِهِ عنْ المِثْل والكُفْءِ والشَّريكِ»؛ أي: بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نَزَّه نفسَه عن المِثْل، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورىٰ: ١١].

وكذلك النِّدُّ، فهو لا نِدَّ له سبحانه[1].

وكذلك الكُفء؛ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وكذلك الشَّرِيك، فأخبر أنَّه لا شريكَ له في ملكِهِ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وأخبر بأنَّهم لا يَمْلكون نقيرًا[2].

فهذه كلُّها فيها إثباتٌ لصفات الله عَزَّوَجَلَّ، وتنزيهه عن صفات المخلوقين، وتَوحُّده بصفات الأُلُوهيَّة الَّتي لا يُشارِكُهُ فيها أحدٌ، وبالله التَّوفيق.



---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ [النساء: ٥٣].

السُّؤال السَّادسُ: ما قولكم في كلام الله، وفي القُرآن؟

الجوابُ: نقولُ: القُرآنُ كلامُ الله مُنزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، منه بدَأَ، وإليه يعُودُ، واللهُ المُتكلِّم به حقًّا؛ لفظه ومعانِيه، ولم يَزَلْ ولا يَزَالُ مُتكلِّمًا بما شاءَ إذا شاءَ، وكلامُهُ لا يَنفَدُ، ولا له مُنتَهىٰ.

الشرح:

أقولُ: كلامُ اللهِ صفةٌ من صفاتِهِ، أضافَه إلىٰ نفسِهِ بقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال جلَّ مِن قائلٍ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فهذِهِ الآياتُ أضافَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيها كلامَهُ إلىٰ نفسِهِ.

وأهل السُّنَّة والجَمَاعةِ يقولون: نعتقد بأنَّ الله يَتكلَّم بكلامٍ قديمِ النَّوْعِ؛ حادثِ الآحادِ.

قديم النَّوْع أي: نوعُ الكلامِ قديمٌ.

وحادث الآحاد بمعنىٰ: أنَّه يَتكلَّم في الأُمُور الَّتي يحتاج إليها في هذا الكون وسياسته، فيَخْلق خَلْقًا، ويُمِيت أقوامًا، ويعزُّ ذليلًا، ويذلُّ عزيزًا، ويُفْقر غنيًّا، ويُغْني فقيرًا، ويُعْطي ملكًا، ويَسْلب ملكًا.. إلىٰ غير ذلك، فكلامُ اللهِ عامٌّ.

والقرآنُ مِن كلامِ اللهِ، أَنْزلَه علىٰ نَبيِّه مُحمَّدٍ - صلوات الله وسلامه عليه -؛ ليهدي به مَنْ أراد الله له الهداية.

وقَدْ أجمع أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ مَنْ قال: إنَّ القُرآنَ مخلوقٌ؛ فإنَّه

قَدْ كَفَر، وقَدْ ذَكَر اللَّالكائيُّ في كتابه «شرح أُصُول اعتقادِ أهل السُّنَّة والجماعة» هذا القول عمَّن يزيد عن خمس مئةٍ من العلماء في العُصُور المُتقدِّمة ومِنْ جَمِيعِ البلدان.

فدلَّ علىٰ أنَّ ذلك إجماعٌ(١).

وهُمْ يعتقدون أنَّ الكلامَ صفةٌ من صفاتِ الله، يَتكلَّم متىٰ شاء، وكيف شاء، فمَنْ يقول خلاف ذلك فإنَّه مبتدعٌ ضَالٌّ.

فعدمُ الكلامِ نقصٌ في المَخْلوقين، فكيف إذا كان بالخالق؟ !

والكلامُ باستمرارٍ بِلَا تَوقُّفٍ هذا يُعَدُّ عيبًا أيضًا؛ لذلك قالوا: إنَّ اللهَ وَصَفَ نفسَه بالكلام؛ أي: أنَّه مُتكلِّمٌ إذا شاء متىٰ شاء؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

لذلك قالُوا: إنَّ اللهَ يَتكلَّم بكلامٍ قديمِ النَّوْعِ، حادثِ الآحادِ؛ فاللهُ تكلَّم بالتَّوراة، وكَتَبها لعبدِهِ موسىٰ(٢)، وكلَّمه علىٰ الطُّور(٣)؛ لذلك قال: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قوله: «**مِنهُ بَدَأَ، وَإِلَيهِ يَعُودُ**»؛ أي: أنَّ القُرآنَ بدأ مِن الله؛ أي: خرج منه؛ لأنَّه

---

(١) أخرج اللَّالكائيُّ في «شرح أصول الاعتقاد» (٣٩٦ طيبة) عن الحكم بن محمَّد أبي مروان الطبري أنَّه سمع ابنَ عُيينةَ قال: «أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً؛ مِنهُمْ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. قُلْتُ: وَلَقَدْ لَقِيَ ابْنُ عُيَيْنَةَ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ نَفْسٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الحَرَمَيْنِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَالْيَمَنِ».

(٢) أخرج مسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ أَنتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ! فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنتَ مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ؛ أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ».

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢].

هو المُتكلِّمُ به، ولهذا قال بعضُ السَّلَف: «مَا تَقَرَّبَ أَحَدٌ إِلَىٰ اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»[١]؛ يعني: القرآن.

قوله: «وَلَم يَزَلْ وَلا يَزَالُ مُتكلِّمًا بما شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَكَلَامُهُ لا يَنْفَدُ، وَلا لَهُ مُنتَهَىٰ»:

أي يجب أن نؤمن بأنَّ القرآنَ كلامُ الله غير مخلوقٍ، وأنَّه سَيَبْقَىٰ في النَّاس إلىٰ قُرْب السَّاعَة، وأنَّه سَيُسرىٰ عليه ويُسْلَب عندما يتركون العمل به، والعياذ بالله[٢].

هذه عقيدةُ المسلم الَّتي يجب أن يَعْتقدَها، وباللهِ التَّوفيق.

---

(١) أخرجَ أحمدُ في «الزُّهد» (١١٢٣ الكتب العلميَّة)، وابنُه عبد الله في «السُّنَّة» (١١١ ابن القيِّم)، والآجريُّ في «الشريعة» (١٥٧ الدّميجي)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٥٢)، والبيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات»، وغيرهم، عن فروةَ بنِ نوفلٍ، قال: "كُنْتُ جَارًا لِخَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه، فَخَرَجْنَا مَرَّةً مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «يَا هَنَاهْ، تَقَرَّبْ إِلَىٰ اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»".

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ؛ فقدْ أخرج الترمذي (٢٩١١) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «... وَمَا تَقَرَّبَ العِبَادُ إِلَىٰ اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»، وضعَّفه الألباني في «الضعيفة» (١٩٥٧)، وأخرجه الترمذيُّ أيضًا عن عن جُبير بن نفير قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلىٰ اللهِ بأفْضَل ممَّا خَرَجَ مِنْهُ»، يعني: القرآن. وضعَّفه الألباني أيضًا في «الضَّعيفة» (٢٠١٥).

(٢) أخرج ابن ماجه (٤٠٤٩)، عن حذيفة رضي الله عنه. «لَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ» الحديث، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٨٧).

وله شاهد موقوف عن ابن مسعود رضي الله عنه: رواه عبد الرَّزاق في «المصنف» (٣/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة (٦/١٤٥)، والحاكم رقم (٨٥٣٨)، والبيهقيّ في «شعب الإيمان» رقم (١٨٦٩)، والطبراني (٩/ ١٤١)، وغيرهم، ولفظه: «يُسْرَىٰ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَىٰ فِي قَلْبِ عَبْدٍ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ»، وصحَّح إسنادَه الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ١٦).

وأخرج ابنُ نصر في «قيام اللَّيل» (ص١٧٩ المختصر)، والدَّيلميُّ في «مُسند الفردوس» (٥/ ٧٩ - ٨٠ الكتب العلمية) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لَا تقومُ السَّاعةُ حتَّىٰ يُرفعَ القرآنُ من حيثُ جاءَ، فيكون لهُ دويٌّ حولَ العرْش كدويِّ النَّحل، فيَقُول الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: ما لكَ؟ فيقول: منكَ خرجْتُ وإليكَ أعودُ، أُتلَىٰ فلا يُعمَلُ بي؛ فعندَ ذلكَ يُرفعُ القُرآنُ».

السُّؤالُ السَّابعُ: ما هو الإيمانُ المطلقُ، وهل يزيدُ وينقصُ؟

الجوابُ: الإيمانُ اسمٌ جامعٌ لعقائدِ القلبِ، وأعمالِهِ، وأعمالِ الجوارحِ، وأقوالِ اللِّسانِ، فجميعُ الدِّين؛ أصولُهُ وفروعُهُ داخلٌ في الإيمان، ويترتَّب على ذلك أنَّه يزيدُ بِقُوَّة الاعتقادِ وكثرتِهِ، وحُسنِ الأعمالِ والأقوالِ، وكثْرتها، وينقص بضدِّ ذلكَ.

الشرح:

وأقولُ: قَدْ تَقدَّم لنا أنَّ الإيمانَ والإسلامَ يتداخلان، فيُطْلق أحدهما على الآخر؛ فإنْ ذُكِرَ الإيمان، دَخَل فيه الإسلامُ، وإنْ ذُكِرَ الإسلامُ، دَخَل فيه الإيمانُ إلَّا أنَّ الإيمانَ يُطْلقُ على العقائدِ الباطنةِ؛ كما ذكر ذلك في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **«الإيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ»**[1].

أمَّا الإسلامُ، فأُخبر أنَّه هو الأعمالُ الظَّاهرة، فإنَّ النُّطْقَ بالشَّهَادتينِ مع اعتقادِ القلبِ أصلُ الإيمانِ والإسلامِ، ثُمَّ إقامةُ الصَّلَاة، وإيتاءُ الزَّكَاةِ، وصومُ رَمَضان، وحجُّ البيتِ الحرام، هذه الخِصَالُ الخَمْس الظَّاهرة هي الإسلامُ.

وهنا السُّؤال عن الإيمان المطلق، وهل يزيدُ وينقصُ أم لا؟

فأجاب الشَّيخ السَّعْدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ الإيمانَ المطلقَ: **«هو اسْمٌ جَامِعٌ لعَقَائدِ القَلْبِ...»** إلخ.

وأقولُ: إنَّ عقائدَ القلبِ هي الأركانُ السِّتَّة للإيمان الَّتي ذُكِرَتْ في حديث جبريل.

وقوله: **«اسمٌ جامعٌ لعقائدِ القلبِ»**؛ أي: عقيدة الإيمان بالله، وهو الإيمانُ بِوُجُودِهِ، والإيمانُ بِرُبُوبيَّتِهِ، والإيمانُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ، والإيمانُ بِتَوحُّده

(١) حديث جبريل الطَّويل أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بالألُوهيَّة، وأنَّه هو الإله الحقُّ الَّذي يجب أن يُعْبد بأن يُطَاع فلا يُعْصىٰ، ويُذْكَر فلا يُنْسىٰ، ويُشْكر فلا يُكْفر.

والإيمانُ بوُجُودِ الملائكةِ العباد المُكْرَمين الَّذين يقومون بالوظائف الَّتي خصَّصَها اللهُ لكلٍّ منهم.

والإيمانُ بالكُتُبِ الَّتي أُنْزِلَتْ من عند الله، وأشْهرها: التَّوْراة، والزَّبُور، والإنجيل، وصُحُف إبراهيم وموسىٰ، والقرآن الَّذي نَزَل علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ؛ وهو المُهيمن عليها(١).

والإيمانُ بالرُّسُل من أوَّلهم نوحٍ إلىٰ آخِرهم مُحمَّدٍ ﷺ، وأنَّهم مُرْسَلون من عند الله، اصْطَفاهُم اللهُ لرسالتِهِ، والوساطة بينه وبَيْن خَلْقه.

وكلَّفهم بمُهمَّةِ تَبْليغ الأحكامِ الشَّرعيَّة إلىٰ عباده.

والله سبحانه قَدْ أخبرنا بأنَّ الرُّسُل منهم مَنْ قصَّ قِصَّته علىٰ نبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ، ومنهم مَنْ لم يقصَّ قِصَّته(٢). **والمهمُّ**: أنَّهم خُتموا بمُحمَّدٍ ﷺ.

والإيمانُ بالقَدَر خيرِهِ وشَرِّهِ؛ أي: أنَّ القَدَر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَدْ كَتَب في الذِّكْر كلَّ شيءٍ(٣).

فكلُّ مخلوقٍ من المَخْلوقين كَتَب اللهُ أنْ يوجَد في مكانِ كَذَا، وفي زمانِ كَذَا،

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

(٣) أخرج البخاريُّ (٣١٩١) عن عمران بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، وَخَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ»، قال الشَّيخُ حمزةُ محمَّد قاسم كما في (منار القاري شرح مختصر صحيح البخاريّ) (٤/ ١٤٦): «أي: كتب في اللَّوح المحفوظ، جميع ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة». اهـ.

وهل يكون مؤمنًا أو كافرًا؛ برًا أو فاسقًا، وكلٌّ مِن النَّاس صائرٌ إلىٰ ما كُتِبَ له أو عليه.

والإيمانُ باليوم الآخر الَّذي يُجَازي فيه اللهُ العباد بما عملوا.

هَذَا هو الإيمانُ المطلقُ، وهو اسمٌ جامع لعقائدِ القلبِ.

ويشمل الإيمانُ: أعمالَ الجوارح؛ فالقيامُ والرُّكُوعُ والسُّجُودُ والقراءةُ والتَّشهُّدُ والتَّسْبيحُ، كلُّ ذلك من أعمال الإيمان، والإنفاق من الصَّدَقة التَّطوعيَّة والفريضة، كلُّها مِن أعمال الإيمان.

وصوم العبد بِتَرْك شهواتِهِ لله تعالىٰ، ذلك مِن الإيمان، وحفظُ العبد جَوارحَه عن الامتدادِ إلىٰ أموالِ النَّاسِ، ومَشْي العبدِ مِن بيتِهِ إلىٰ المسجدِ لأداءِ الصَّلَوات الخمس، ذلك من الإيمان، وخوف العبد مِن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أَذْنبَ، وتَرْكه للذُّنُوبِ، ذلك من الإيمان، وهكذا.

قال الشَّيخُ السَّعْديُّ: «فجميعُ عَقائِدِ الدِّين؛ أُصولِه وفُرُوعِه، داخلةٌ في الإيمان»؛ أي: كما مثّلنا، وإذا كان اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَدْ شَكَر لبَغِيٍّ من بني إسرائيل حين رأتْ كلْبًا يَلْهثُ، ويأكل الثَّرَىٰ من العطش، فأنزلَتْ خُفَّها بِخِمَارها، وملأته مِن الماءِ، وقَدَّمته لذلك الكلْب، فشَكَرَ اللهُ لها وغَفَر لها بسبب ذلك[1].

وذلك الرَّجُلُ الَّذي قَطَع الغُصنَ الَّذي كان مُتدَلِّيًا يُؤذي المارَّة، فأزاحَه عنهم، فشكَرَ الله له، وغَفَر له[2].

---

(١) يشيرُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ - فَغُفِرَ لَهَا بِهِ». والرَّكِيَّة: البئر، والمُوق: ما يُلبس فوق الخُفِّ.

(٢) يشيرُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاريُّ (٢٤٧٢) ومسلمٌ (١٩١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ =

والإكثار من السُّجُود، ومِن الأعمال الصَّالحة الَّتي تَزيد الإيمانَ قُوَّةً ونَماءً.

وبالعكس من ذلك: الغفلةُ وقِلَّة المبالاة، وعدم الاهتمام بأعمالِ الدِّين، كلُّ ذلك موجبٌ لضعف الدِّين في نفسِ العبدِ حتَّىٰ يَتلاشَىٰ، فلا يَبْقَىٰ منه إلَّا شيءٌ قليلٌ.

ولِهَذَا قالَ أهلُ العِلْم: الإيمانُ يزيد بالطَّاعَات، وينقص بالمعاصي، فجميعُ الطَّاعاتِ تزيد في الإيمان:

فأداءُ الصَّلَاة علىٰ الوجه المطلوب يزيد في الإيمان.

ومذاكرةُ العلمِ تزيد في الإيمان.

وحفظُ السَّمْع عن سماع الخَنَا[1] يزيد في الإيمان.

وحفظُ البصر من النَّظَر في المُحرَّمات يزيد في الإيمان.

وحفظُ اليَدِ عن البطش إلىٰ ما حَرَّم الله يزيد في الإيمان؛ فلا تمتدُّ يدُ المؤمن إلىٰ مالِ غيرِهِ لتأخذه بسرقةٍ أو نهبٍ أو احتيالٍ، أو غير ذلك.

ورِجْل المؤمن لا تمشي إلىٰ المعاصي - فيمتنع عن ذلك؛ إيمانًا بالله، وذلك من الأعمال الَّتي تزيد في الإيمان.

وهكذا يُقَال في سائر الأعمال؛ فمَنِ اعْتقَد أنَّ الإيمانَ قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارحِ، يزيد بالطَّاعَات، وينقص بالمعاصي - مَنِ اعْتقَد هذا الاعتقاد، فَقَدْ خرج من الإرجاء وعقيدة المرجئة.

=

قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». وما أخرجه مسلمٌ (١٩١٤) عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ المُسْلِمِينَ، لا يُؤْذِيهِمْ - فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ».

(١) الفحْش والكلام الفاسد.

ويكفينا من الأدلَّة علىٰ ذلك ما ورَد مِن الأحاديثِ في الشَّفَاعة، وقَدْ جاء في أحاديث عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّ اللهَ يَأْمُرُ بإخْرَاجِ قَوْمٍ عَلَىٰ سَبِيل التَّدَنِّي: «**انْظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زِنَةُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ**»[(١)].

«**ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا**»[(٢)].

«**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ وَزْنِ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[(٣)].

«**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[(٤)].

«**اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا**»[(٥)].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠][(٦)]. وبالله التَّوْفيق.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٦) (١١١٤٣) من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنَّة» (٦٣٤): «إسنادُه جيِّد، وهو علىٰ شرط مسلم»، وأخرجه البخاريُّ (٧٤٣٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا في حديث الرُّؤية، وفيه: «**فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ - فَأَخْرِجُوهُ**».

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٦) وأخرجه مسلم (١٨٣) أيضًا عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَير فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيرًا**»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إنْ لَم تُصَدِّقُوني بهذَا الحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النِّساء: ٤٠]».

السُّؤال الثَّامن: ما حُكم الفاسقِ المِلّي؟

الجوابُ: مَنْ كَانَ مُؤمِنًا، وهُو مصرٌّ علىٰ المعاصي؛ فهُوَ مُؤمنٌ بما معَه مِن الإيمانِ، فَاسقٌ بما تَركه مِن واجباتِ الإيمانِ، ناقصُ الإيمان، مُستحِقٌّ للوَعْد بإيمَانِهِ، وللوَعيدِ بمعَاصِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لا يُخلَّد في النَّار، فالإيمَانُ المُطْلَقُ التَّامُّ يَمْنعُ مِن دُخُولِ النَّار، والإيمانُ النَّاقِصُ يَمْنَعُ مِنَ الخُلُودِ فِيهَا.

الشرح:

وأقولُ: ما قرَّره الشَّيخُ بهذا الجواب علىٰ هذا السُّؤال هو الحقُّ، وهو قولُ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ خلافًا للمرجئة القائلين: «لَا يَضُرُّ مَعَ الإيمانِ ذَنْبٌ»، والخوارج والمعتزلة الَّذين يُسمَّون بالوعيديَّة، ويُخلِّدون بالكبيرة(١)، وأهل السُّنَّة والجماعة خالفوا الخوارج والمعتزلة في ذلك، ذلك لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذمَّ أصحاب المعاصي، وتَوعَّدَهم علىٰ معاصيهم، وعلىٰ كبائرهم، كما يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وكما يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي توعَّد الله فيها أصحاب الكبائر.

ومن الأحاديث قول النَّبيِّ ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا**

---

(١) فالخوارج يكفِّرون مرتكب الكبيرة، والمعتزلة يقولون: الفاسق في منزلة بين المنزلتين؛ لا هو مسلم، ولا هو كافر، هذا في الدُّنيا، أمَّا في الآخرة فهو خالدٌ مخلَّدٌ في نار جهنَّم، عياذًا بالله.

يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ[١] حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». مُتَّفقٌ عليه[٢].

وتأويل ذلك: أنَّ نَفْيَ الإيمانِ عن الزَّاني والشَّارب والسَّارق والمنتهب؛ نفيٌ لكمالِ الإيمانِ، فهو يخرج من الإيمان، ويَبْقىٰ في دائرة الإسلام.

وفي حديثِ عمران بن حُصين: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَينَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَا؛ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا.

فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ، فَائْتِنِي بِهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَشُكَّتْ[٣] عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ!

فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ تَعَالَىٰ[٤]». رواه مسلمٌ[٥].

إلىٰ غير ذلك مِن الأدلَّة الشَّرعيَّة الدَّالَّة علىٰ أنَّ مقترفَ الكبائرِ مذمومٌ وملومٌ بحسب ما اقترف مِن الكبائر إلَّا أنَّه باقٍ علىٰ إسلامِهِ، ويرجو ما يَرْجُوه المُوحِّدون.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في القاتل: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]؛ فَسمَّاه أخًا مع أنَّه قاتلٌ.

وكذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلىٰ

---

(١) النَّهب: الغارة والسَّلْب، أي: لا يَخْتلس شيئًا له قيمةٌ عاليةٌ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أي: فشُدَّت، وفيه: استحبابُ جمع أثوابها عليها وشدِّها بحيث لا تَنكشفُ عورتُها في تقلُّبها، وتكرار اضطرابها.

(٤) أي: أخرجت رُوحها ودفعتها لله تعالىٰ.

(٥) أخرجه مسلم (١٦٩٦).

أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]؛ فسمَّاهم إخوةً مع القتالِ الحاصلِ بينهما.

وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة ﵁ قال: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بسَكْرَانَ، فَأَمَر بضَرْبِهِ، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ؛ أَخْزَاهُ اللهُ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ»[1]؛ فسمَّاه أخًا مع أنَّه شاربُ خمرٍ، ومدمنٌ عليه.

فهذه أدلَّةٌ تدلُّ علىٰ بطلان ما ذهب إليه المرجئة من أنَّه لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، وتدلُّ علىٰ بُطْلان ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من تخليدِ أَصْحابِ الكبائرِ في النَّار.

وكَمْ من الأَدلَّة الواردة في السُّنَّة الَّتي تدلُّ علىٰ أنَّ أَصْحاب الكبائر يُعذَّبون في النَّار، ثمَّ يخرجون منها، ويدخلون الجنَّة؛ من ذلك ما ورد في حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ - أَوْ قَالَ: حَمِيَّةِ السَّيْل»[2]، وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

(٢) «الحِبَّة»: بزر البقول والعُشب تنبت في البراري وجوانب السُّيول. و«حميَّة السَّيل»: معظم جريه واشتداده.

قال ابنُ الأثير: «حميل السَّيل: وهو ما يجيء به السَّيْل من طين أو غُثاء وغيره، فَعِيل بمعنىٰ مفعول، فإذا اتَّفقت فيه حِبَّة واستَقَرَّت علىٰ شَطِّ مَجْرَىٰ السَّيْل؛ فإنَّها تَنْبُت في يوم وليلة، فشُبِّه بها سُرْعة عَوْد أبْدَانِهم =

أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»، مُتَّفَقٌ عليه[(١)].

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، وَقَدِ امْتَحَشُوا[(٢)]، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[(٣)].

وكذلك ما ذُكر في أحاديثِ الشَّفَاعة أنَّه يخرجُ مِن النَّار مَنْ قال: لا إله إلَّا الله، وكان في قلْبه مِن الخير ما يزنُ: «شَعيرَةً»، وفي روايةٍ: «بُرَّةً»، وفي روايةٍ: «حَبَّةَ خردلٍ»، وفي روايةٍ: «ذَرَّة»[(٤)].

فهذه الأحاديثُ كلُّها الَّتي بَلَغتْ حدَّ التَّواتر أفادت أنَّ أهل المعاصي يخرجون من النَّار بشفاعةِ الشَّافعين، وبرحمةِ أَرْحَم الرَّاحِمين، فيدخلون الجنَّة.

=

وأجْسَامِهم إليهم بَعْدَ إحْراق النَّار لها». «النِّهاية» (١/ ٤٤٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: احترقوا.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢).

(٤) أخرج البخاري (٤٤) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يَخرجُ مِنَ النَّار مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِن خَيرٍ، وَيَخْرج مِن النَّار مَن قَالَ: لا إله إلَّا الله، وَفي قَلْبِه وَزْن بُرَّة مِنْ خَير، وَيخرجُ مِنَ النَّار مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ».

ورواية: «حبَّة خردل» أخرجها البخاري (٣٩٧٦) من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

وقَدْ قالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الإيمانَ المطلقَ التَّامَّ يمنعُ مِن دُخُول النَّار، والإيمانَ النَّاقصَ يمنعُ مِن الخُلُود فيها». ويشهد لهذا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فعليك - يا عبد الله - بهذه العقيدة، فهي عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ المستندة إلىٰ الأدلَّة من كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ، والَّتي جرىٰ عليها سَلَفنا الصَّالح رحمهم الله تعالىٰ، وباللهِ التَّوْفيق.



السُّؤال التَّاسع: كم مراتب المؤمنين، وما هي؟

الجوابُ: المؤمنونَ ثلاثةُ أقسامٍ:

١- سَابقُون إلىٰ الخَيرَات؛ وَهُم الَّذين قامُوا بالواجباتِ والمُسْتحبَّاتِ، وترَكُوا المُحرَّمات والمكْروهَات.

٢- ومُقتصدُون، وَهُمْ الَّذين اقْتَصَروا علىٰ أَداءِ الوَاجباتِ، واجْتِنابِ المُحرَّماتِ.

٣- وظَالمونَ لأنفسِهم، وَهُم الَّذِينَ خَلَطوا عَمَلًا صَالحًا وآخرَ سيِّئًا.

الشرح:

وأقولُ: إنَّ هذه القِسْمة هي الَّتي وَرَدتْ في قول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهذه قِسْمةٌ لأهلِ الاسْتِجَابةِ، وَهُم المسلمون علىٰ هذا التَّرْتيبِ:

أوَّلًا: السَّابقون إلىٰ الخيرات، وهم الَّذين قاموا بالواجبات والمستحبَّات، وتركوا المحرَّمات والمكروهات؛ كما قال المؤلِّف.

وثانيًا: المقتصدون، وَهُمُ الَّذين أَدَّوا الفرائضَ، وتركوا المُحرَّمات، وتَقلَّلوا من المُسْتحبَّات.

وثالثًا: الظَّالمون لأنفسهم كما أخبر الله عنهم في قوله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢].

فالسَّابقون بالخيرات ينالون الدَّرجات العُلا بعد الرُّسُل في الجنَّات، كما

وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة (الواقعة) بقولِهِ جلَّ من قائل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٦].

ثمَّ ذَكَر بعدهم أصحابَ اليمين، وَهُمُ المقتصدون، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٣٠].

إلىٰ آخر ما ذُكِر في وَصْفهم، وَسَكَت عن الظَّالمين لأنفسهم؛ لأنَّهم علىٰ خطرٍ.

وهذا هو الحُكْمُ الغالبُ في القُرآن، وَهُو أنَّه يذكرُ المؤمنين بأحسنِ أفْعالِهم، ويذكرُ الَّذين دونَهم مِن المقتصدين.

ويسكتُ - غالبًا - عن الظَّالمين لأنفسهم، وَهُمْ أصحابُ الكبائرِ.

وتارةً يذكر الَّذين يَجْتنبون الكبائرَ، ويذكر مَا لهم[(١)].

أمَّا الَّذين يلمُّون بالكبائر من عُقُوقٍ للوالدين، وقطيعةٍ للرَّحم، وأَخْذٍ للأموال بغير حقٍّ، وانتهاكٍ للأعراض؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَسُوقُهم مَسَاقَ الذَّمِّ[(٢)].

وَقَدْ بيَّنَتِ السُّنَّة أنَّ هؤلاء يُعذَّبون في النَّار بقَدْر ذُنُوبهم، ثمَّ بعد ذلك يَنْجون من عذابِ النَّار، ويخرجون منها حتَّىٰ لا يبقىٰ فيها أحدٌ ولو كان في قلبِهِ مثقالُ

---

(١) كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النَّجم: ٣٢].

(٢) كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمَّد: ٢٢، ٢٣].

ذَرَّةٍ من إيمانٍ.

وقَدْ قسَّم اللهُ عَزَّوَجَلَّ الخَلِيقةَ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ في سورة (الواقعة)، فجعل أهل الاستجابة قسمين: سابقين، وأصحاب يمين.

والقسمُ الثَّالث: أصحابُ الشِّمال الَّذين يموتون علىٰ الكفر من أيِّ نوعٍ كان كُفْرهم؛ سواء كان كُفْرُهم كُفْرَ إلحادٍ؛ كالَّذين ينكرون الخالقَ أو ينكرون البعثَ، أو كُفْرَ خرافةٍ ووَثنيَّةٍ؛ كالَّذين يعبدون مع الله غيره، ويعيشون علىٰ الشِّرْك الأكبر، أو كُفْرَ شكٍّ كالمنافقين الاعْتِقَاديِّين(١).

فهؤلاء كلُّهم مُخلَّدون في النَّار، وقَدْ عمَّهم الله بقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤] إلىٰ آخر ما ذكر من عذابهم.

وقَدْ قَسَّمهم في آخر السُّورة إلىٰ هذه الثَّلاثة الأقسام: قسمان لأُمَّة الاستجابة، والقسم الثَّالث وَهُمُ الكُفَّار بأنواعهم، فقال جلَّ من قائل: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٦].

فهذه هي الأقسام الَّتي قَسَّم الله فيها عبادَه، نسأل الله أَنْ يَجْعلنا من أهل طاعتِهِ وبرِّه، وأهلِ الإيمانِ بِهِ.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: ٧ - ١٠].

السُّؤالُ العاشرُ: ما حُكمُ أفعالِ العِبادِ؟

الجوابُ: أفعالُ العبادِ كلُّها - مِن الطَّاعات والمعاصي - داخلةٌ في خَلْق اللهِ، وقضائِهِ، وقدَرِهِ، ولكنَّهم هُمُ الفَاعلُون لها، لم يجْبرْهم اللهُ عليهَا، مع أنَّها واقِعَةٌ بِمَشِيئتِهِمْ وقُدْرتِهم، فَهِيَ فِعْلُهم حَقيقةً، وهُمُ الموصُوفون بها، المُثابُونَ والمُعَاقبون عليهَا، وهي خَلْقُ الله حَقِيقةً؛ فإنَّ اللهَ خلقَهمْ، وخَلَقَ مَشِيئتَهم وقُدْرَتَهم، وجميعَ ما يقعُ بذَلكَ.

فنُؤمِنُ بجَمِيع نُصُوص الكِتَاب والسُّنَّة الدَّالَّة علىٰ شُمُولِ خَلْقِ اللهِ وقُدْرتِه لِكُلِّ شَيءٍ مِن الأعْيَان والأوصَافِ والأفْعَالِ، كَمَا نُؤْمِنُ بِنُصُوص الكِتَاب والسُّنَّة الدَّالَّة علىٰ أنَّ العِبَادَ هُم الفاعِلُونَ حَقِيقةً للخيرِ والشَّرِّ، وأنَّهم مُختارُون لأفعالِهم؛ فإنَّ اللهَ خَالِقُ قُدْرتِهمْ وإرَادتِهمْ، وهُمَا السَّببُ في وُجُودِ أَفْعالِهم وأَقْوالِهم، وخالقُ السَّبب التَّامِّ، وخالقٌ للمُسبَّب، واللهُ أعظمُ وأعدلُ من أنْ يجبرهم عليهَا.

الشرح:

أقول: الخيرُ والشَّرُّ، والإيمانُ والكفرُ، والطَّاعةُ والمعصيةُ، كُلُّها مَنسوبةٌ إلىٰ اللهِ خَلْقًا وإيجادًا، ومنسوبةٌ إلىٰ العباد فِعْلًا واكتسابًا، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذي خَلَقَ العبادَ، وخَلَقَ قُدْرتَهم وإرادتهم، كما يقولُ - جلَّ مِن قائل - علىٰ لسان إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٩٦].

فأعمالُ العبادِ مُقدَّرةٌ من الله، قَدْ كُتِبَتْ في اللَّوْحِ المحفوظِ، وكَتَبَ اللهُ السُّعَداءَ من عبادِهِ والأشقياءَ، والمُطِيعين والعُصَاةَ، والقَدرُ سِرٌّ مِن أسرار الله، لا يستطيعُ أحدٌ اكْتِشافَه، وأهلُ السُّنَّة يَهابُون التَّعمُّق فيه؛ تَأسِّيًا بِسَلَفِهم الصَّالح، وفي القرآنِ إشاراتٌ تدلُّ علىٰ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يخْذُل أقوامًا، فيُقدِّرُ عليهم الشَّقَاوةَ،

ويجعلُهم مُختارين لها ولأسبابها، كما قال جلَّ مِن قائل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وكما يقولُ جلَّ من قائل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥]، وكما يقول جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فهذِهِ الآياتُ دَالَّةٌ علىٰ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعاقِب بعضَ عبادِه بسبب إعراضهم عن هُداه، وابتعادهم عنه.

ثمَّ إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبرنا بأنَّه لا يظلم عباده، ولكنَّ العباد أنفسهم يَظْلمون، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فالله تعالىٰ يهدي مَنْ يشاء بفضلِهِ، ويضلُّ مَنْ يشاء بعدلِهِ، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والقائلون بالقَدَرِ قسمان:

١- **القَدريَّة الغُلَاة:** وهُمُ المجبرة الَّذين يقولون: إنَّ الله قدَّر الشَّقَاوة علىٰ قومٍ، وعاقبهم بذلك، وهؤلاء نَسبُوا اللهَ إلىٰ الظُّلم، فاللهُ قد حرَّم الظُّلمَ علىٰ نفسِه، وجعلَه بيننا مُحرَّمًا، كما في الحديث القُدسيّ: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا**»[1].

ومقتضىٰ قولِ هؤلاءِ أنَّ اللهَ قدَّر الكفرَ والمعاصيَ علىٰ أقوامٍ، ثُمَّ عاقبهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٧)، من حديث أبي ذرّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عليها، فيكون عقابُهُ لهم ظلمًا، وهذا أقبحُ مِمَّا فرُّوا منه.

٢- **القَدريَّة النُّفاة**: الَّذين يقولون: «إنَّ الكفرَ والمعاصيَ مِن أفعالِ العبادِ، وليست بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ»، فهؤلاء:

أوَّلًا: أثبتوا خَالِقَيْن، فجعلُوا الرَّبَّ خالقَ الطَّاعاتِ والإيمان، وجعلُوا العبدَ خالقَ الكفرِ والمعاصي، ولهذا شُبِّهوا بالمجوس[١].

وثانيًا: أنَّهم إذا أثْبتوا أنَّ الكفرَ لَمْ يكن بِقَدَرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ مُقْتَضىٰ قولهم: إنَّه قَدْ وقع في الكون غير ما قَدَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأراده، ويلزم من ذلك أنَّ الله مغلوبٌ.

أمَّا أهلُ السُّنَّة والجماعة فَهُمْ يقولون: إنَّ الخيرَ والشَّرَّ، والطَّاعة والمعصية، والكفرَ والإيمانَ كلّها بِقَدَر اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهي واقعةٌ من العباد بِاخْتِيارِهِمْ وإرادتهم، فَهُمُ الَّذين اخْتارُوا الكفرَ علىٰ الإيمانِ، والمعصيةَ علىٰ الطَّاعَةِ، والضَّلَالَ علىٰ الهدىٰ، ولله عليهم الحُجَّة الدَّامغة، وله فيهم الحكمةُ البالغة، هذه هي عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ وهي العقيدةُ الحَقَّة الَّتي كان عليها أصحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فالخَلْق كلُّهم عبادُ الله؛ ولو عَذَّبهم جميعًا لعَذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، فالعبادُ هُمُ الَّذين فعلوا تلك الأفعالَ، وعَمِلوا تلك الأعمالَ مُختارين لها، فمَنْ فَعَل الطَّاعة أثابه اللهُ، ومَنْ فَعَل المعصيةَ عاقبه الله إنْ شاءَ، وإنْ شاءَ عَفَا عنه، كذلك الإيمان والكفر، مَنْ مات علىٰ الكفر لا بدَّ له مِن العقاب في نارِ جَهنَّم، ومَن مات علىٰ الإسلام لا بدَّ له مِن دخولِ الجنَّة.

---

(١) لأنَّ المجوس يقولون: إنَّ للعالم صانعَين، وزعمُوا أنَّ أحد الصَّانعين قديمٌ، وهو الإلهُ الفاعلُ للخيرات، والآخر شيطانٌ مُحدِثٌ فاعلٌ للشُّرور.

ويَنْبغِي للمسلمِ أَنْ يدعوَ اللهَ دائمًا لنفسِهِ بالتَّثْبيتِ والهدايةِ، ولهذا شَرَع اللهُ قراءةَ الفاتحةِ، وفيها: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٧]، شَرَع قِرَاءَتها في كلِّ ركعةٍ؛ ليكون العبدُ داعيًا لله عَزَّوَجَلَّ أنْ يهديَه إلىٰ صراطِهِ المستقيم، وأنْ يُعِيذَه مِن طُرُق الضَّلالِ، وقَدْ كان النَّبيُّ ﷺ دائمًا يدعو بهذا الدُّعاء: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»(١)؛ فينبغي أنْ ندعوَ به، وأن نستكثرَ منه، وبالله التَّوْفيق.



(١) أخرجه الترمذيُّ (٣٥٢٢) من حديث أمِّ سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٠٩١).

السُّؤال الحادي عشر: ما هُو الشِّرْكُ، وما أقسامُه؟

الجوابُ: الشِّرْكُ نوعان:

١- شركٌ في الرُّبُوبيَّة، وهُو أَنْ يَعتقدَ العَبْدُ أنَّ لله شريكًا في خَلْق بعْضِ المخلوقاتِ، وتَدْبِيرها.

٢- شركٌ في العِبادةِ، وهو قِسمان: شركٌ أكبرُ، وشركٌ أصغرُ.

فالشِّرْكُ الأكبرُ: أنْ يصْرفَ العَبْدُ نوعًا مِن أنْواعِ العِبادةِ لغَير الله، كأَنْ يدْعُوَ غيرَ الله، أو يَرْجوه، أو يخافه، فهذا مُخْرِجٌ مِن الدِّين، وصاحبُهُ مخلَّدٌ في النَّار.

وأمَّا الشِّرْكُ الأَصْغرُ: فالوَسائلُ والطُّرُقُ المُفْضِيةُ إلىٰ الشِّرْك إذا لم تَبلُغ رُتبةَ العِبادة؛ كالحَلِفِ بغيرِ اللهِ، والرِّيَاء، ونَحْو ذَلِكَ.

الشرح:

أقولُ: النَّوْع الأوَّل: شِرْك الرُّبُوبيَّة، وهو قليلٌ بالنِّسْبة إلىٰ شِرْك العبادةِ (شِرْك الأُلُوهيَّة)؛ فالَّذين ينكرون الله، ويزعمون أنَّ الطَّبيعةَ خَلَقَتْهم، وَهُمُ الَّذين يُسمَّون بـ«المُلحدين»، كما هي العقيدة السَّائدة في الاتِّحاد السُّوفيتي[1]، وما تبعه في هذا الاعتقاد من بلدانٍ ودوَلٍ، وغير ذلك.

وكذلك عقيدة بعض الصُّوفيَّة الَّذين يعتقدون أنَّ هناك جماعةً مِن الأولياءِ مُدَرِّكين - علىٰ ما يُسمُّونهم - أو مُتصرِّفين، يَتصرَّفون في الكَون.

سُبحانَ اللهِ العظيم! هؤلاء النَّاس هُمُ الَّذين يُشركونَ في الرُّبُوبيَّة، غير أنَّ الشِّرْك في الرُّبوبيَّة ما كان في الزَّمَن السَّابق إلَّا في فئاتٍ قليلةٍ.

(١) يقع الاتِّحاد السُّوفيتي سابقًا شمال شرق قارة أوراسيا، وتضمُّ (١٥) جمهوريَّة منها ستّ جمهوريَّات، يشكِّل المسلمون أغلب سكَّانها.

ومعظم الَّذين يُنْكرون وُجودَ اللهِ هُمُ الَّذين يعتقدون بِوُجُودِهِ في قرارة أنفسهم؛ كما قال تعالىٰ عن فرعون وقومِهِ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

ويَلْتحق بالشِّرْك في الرُّبُوبيَّة: الشِّرْك في الأسماءِ والصِّفَاتِ، فإنَّ مَنْ أنكر أسماءَ الله وصفاته الَّتي يثبتُ العباد له بها الكمالات اللَّائقة بجلالِهِ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كالجهميَّة والمعتزلة، وأمثالهم.

ويلتحقُ بأولئك أيضًا مَنْ يُؤوِّلون صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ وإنْ كانوا أقلَّ منهم ضررًا، فالأشعريَّة لا يُثْبِتونَ إلَّا سبع صفاتٍ، والبَاقِي يُؤوِّلونها، فهؤلاء يَلْتحقون فيما عدا السَّبْع الصِّفات بالجهميَّة؛ لأنَّهم سَلَبوا سائر الصِّفَات معانيها، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

النَّوْع الثَّاني: الشِّرْك في العبادة:

قال المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «٢ - شركٌ في العبادة، وهو قسمان: شركٌ أكبر، وشركٌ أصغر».

فالشِّرْك الأكبرُ: أن يصرف العبدُ نوعًا من أنواعِ العبادةِ لغير الله، كأَنْ يدعوَ غير الله، أو يرجوه، أو يخافه، أي: خوف العبادة[١]، وكذلك مَنْ تَقرَّب إلىٰ المخلوق يَزْعم أنَّه وليٌّ، وأنَّ له قدرةً علىٰ جَلْب النَّفْع، ودَفْع الضَّرر عن العباد، فيُرِيق له الدَّمَ، ويَذْبح له دون الله، أو يَطُوف بِمَشْهدِهِ وقبرِهِ، ويسأله ما لا يُسأل إلَّا من الله.

وبالجملةِ؛ فمَنْ صَرَف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ - فهو قَدْ أشرك بالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأعطىٰ المخلوق ما لا يَسْتحقُّ، واستحقَّ بذلك الخُرُوجَ من

---

(١) لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الإسلامِ، وحُكِمَ عليه بأنَّه إنْ مات علىٰ تلك الحالة، كان مُخلَّدًا في النَّار.

إلَّا أنَّ الخوفَ ينقسم إلىٰ قسمَين: خوف عبادةٍ، وخوفٌ طبيعيٌّ.

فمَنْ زَعَم أنَّ الوليَّ الفُلانيَّ يعلم مَنْ تكلَّم فيه، وينتقمُ منه، فلذلك يخافُه، فإنَّه في هذه الحالة يُعتبَر مُشركًا شِركًا أكبر مُخرجًا مِن الإسلام.

أمَّا الخوفُ الطَّبيعيُّ؛ كأنْ يخاف الإنسانُ من عدوٍّ أن يضربه أو يقتله، أو يخاف من الأسد أو الذِّئب أو الحيَّة، كلُّ هذا خوفٌ طبيعيٌّ، وهو مباحٌ إلَّا أنَّ الإفراطَ فيه لا ينبغي، وينبغي للمسلم أنْ يستعيذ بالله من الجُبْنِ، وما جرىٰ مجراه.

أمَّا الشِّرْك الأصغر، فيقول الشَّيخ: «فالوسائل، والطُّرُق المُفْضية إلىٰ الشِّرْك إذا لم تبلغ رُتْبة العبادة؛ كالحلفِ بغيرِ اللهِ، والرِّياءِ، ونحو ذلك»:

وأقولُ: إنَّ الشِّرْكَ الأصغرَ يكون منه الرِّياء العارض في العمل، أمَّا الباعثُ علىٰ العمل؛ فإنَّه مِن شركِ المنافقين،وهو مِن الشِّرْكِ الأكبر، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء:١٤٢]، فالَّذي لا يقوم للصَّلاة إلَّا خوفًا من النَّاس، وإذا خلَا ولم يطَّلع عليه أحدٌ إلَّا الله، فإنَّه لا يُصلِّي، فهذا الرِّياء هو الباعثُ علىٰ العمل، وهو شركٌ أكبر مخرجٌ من المِلَّة.

وتَبيَّن لنا أنَّ الرِّياء ينقسمُ إلىٰ قسمَين:

النَّوْع الأوَّل: رياءٌ باعثٌ علىٰ العمل.

النَّوْع الثَّاني: رياءٌ عارضٌ في العمل، فالرِّياءُ الباعثُ علىٰ العمل هو الَّذي سبق لنا أنْ مَثَّلنا له، أمَّا الرِّياء العارض في العمل، فهو أن يكون بنِيَّة العبادة في القيام بهذا العمل لله، لكن حينما رأىٰ رجلًا ينظر إليه، زَيَّنَ صلاتَه مِن أجل ذلك الرَّجل، فهذا عارضٌ في العمل، كذلك أيضًا إذا قام الرَّجُل بكلمةٍ أو محاضرةٍ،

وحلّته نفسه بتحسينها وتمييقها؛ ليثنى عليه، ويقال: إنه عالم، أو ما أشبه ذلك فهذا من العارض في العمل، وهو من الشِّرْك الأصغر، وقد يؤدي إلى إحباط العمل، أو ينقص ثوابه.

ومن الشِّرْكِ الأصغرِ: شركُ الإسنادِ: بأنْ تسندَ النِّعَم إلى غير واهبها وهو الله فيقول: لولا الكلبُ لأتانا اللُّصوص؛ لولا فُلان لحصَل كذا، فينبغي أن يقال: لولا الله ثمّ فُلان لكان كيت وكيت، ولا يجوز أن يقول: لولا فُلان لكان كذا وكذا؛ لأنّ هذا يُعَدُّ من الوسائل المُفضية إلى الشِّرْك.

نسأل الله العافية، وأن يُطهِّر أعمالَنا مِن الرِّياء والسُّمْعة، وأنْ يُوفِّقَنا للإخلاص في كلِّ ما نأتي ونذر، وأنْ يُجنِّبنا كلَّ ما يقدحُ في الأعمال، وبالله التَّوفيق.



السؤال الثاني عشر: ما صفة الإيمان بالله على وجه التفصيل؟

الجواب: إنَّا نُقِرُّ، ونعترفُ بقلوبِنا وألسِنَتِنا: أنَّ اللهَ واجبُ الوُجُودِ، واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ متفردٌ بكلِّ كمالٍ وعظمةٍ وكبرياءَ وجلالٍ.

وأنَّ له غايةَ الكمالِ الَّذي لا يَقدِرُ الخلائقُ أنْ يُحيطوا بشيءٍ من صفاتِهِ.

وأنَّه الأوَّلُ الَّذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخِرُ الَّذي ليس بعدَه شيءٌ، والظَّاهِرُ الَّذي ليسَ فوقَه شيءٌ، والباطنُ الَّذي ليس دونَه شيءٌ.

وأنَّه الأعلى علوَّ الذَّاتِ، وعلوَّ القَدْرِ، وعلوَّ القَهْرِ.

وأنَّه العليمُ بكُلِّ شيءٍ، القديرُ على كلِّ شيءٍ، السَّميعُ لجميعِ الأصواتِ باختلافِ اللُّغاتِ على تَفَنُّنِ الحاجاتِ، البصيرُ بكُلِّ شيءٍ، الحكيمُ في خَلْقِهِ وشَرْعِهِ، الحميدُ في أوصافِهِ وأفعالِهِ، المجيدُ في عظمتِهِ وكبريائِهِ، الرَّحمنُ الرَّحيمُ الَّذي وَسِعَتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، وعمَّ بجُودِهِ وبِرِّهِ ومواهبِهِ كلَّ موجودٍ، المالكُ الملكُ لجميعِ الممالكِ، فله تعالى صفةُ الملكِ، والعالَمُ العُلويُّ والسُّفليُّ كلُّهم مماليكُ، وعبيدٌ لله، وله التَّصرُّفُ المطلقُ.

وهو الحيُّ الَّذي لهُ الحياةُ الكاملةُ المُتضمِّنةُ لجميعِ أوصافِهِ الذَّاتيَّةِ، القيُّومُ الَّذي قامَ بنفسِهِ وبغيرِهِ؛ وهو مُتَّصفٌ لجميعِ صفاتِ الأفعالِ، فَهُو الفعَّالُ لما يريدُ، فما شاءَ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يكُنْ، ونَشْهَدُ أنَّه ربُّنا الخالقُ البارئُ المُصوِّرُ الَّذي أوْجَدَ الكائناتِ، وأتْقَنَ صُنْعَها، وأحْسَنَ نِظَامَها.

وأنَّه اللهُ الَّذي لا إله إلَّا هو، الإلهُ المعبودُ الَّذي لا يَستحِقُّ العِبادَةَ أحدٌ سواه، فلا نَخضَعُ، ولا نذِلُّ، ولا نُنيبُ، ولا نَتوجَّه إلَّا للهِ الواحدِ القهَّارِ؛ العزيزِ الغفَّارِ، فإيَّاه نعبدُ، وإيَّاه نستعينُ، وله نرجُو ونخشى؛ نرجو رحمته ونخشى عَدْلَه

وعذابَه؛ لا ربَّ لنا غيرُه؛ فنسألُه وندعُوه، ولا إلهَ لنا سواهُ نُؤمِّلُه ونَرجُوهُ، هو مولانَا في إصلاحِ دِينِنا ودُنيانَا، وهو نِعْمَ النَّصيرُ الدَّافعُ عنَّا جميعَ السُّوءِ والمكَارِهِ.

الشرح:

قوله: «**إنَّنا نُقِرُّ ونَعترِفُ بِقُلُوبِنَا وألْسِنَتِنَا**»، أي: إقرارًا واعترافًا تتوافقُ عليه القُلُوبُ والألْسُنُ؛ القلوبُ بالتَّصْديقِ له، والإيمانِ به، والألْسُن بالنُّطْقِ بذلك.

قوله: «**أَنَّ اللهَ وَاجِبُ الوُجُودِ**»، أي: بأنَّه هو الإلهُ الحقُّ، وأنَّ وُجُودَه هو الوُجُودُ الحقُّ؛ لأنَّه لا ربَّ لهذه الموجودات سواهُ.

قوله: «**وَاحِدٌ أَحَدٌ**»: هذا فيه الإقرار بِوَحْدانيَّة اللهِ الَّذي تَضمَّنته سورةُ (الإخلاص).

قوله: «**فَرْدٌ صَمَدٌ**». إذا قُلنا: «فردٌ»، فالمراد أنَّه فردٌ في أوصافِه، وهو الموصوفُ بأوصافِ الكمال الَّتي لا يشاركه فيها أحدٌ، أمَّا الصَّمَد فإنَّه يُطْلَق ويُرَادُ به أنَّه المقصود في الحوائج، ويُطْلَق ويُرَاد به أنَّه صمدٌ ليس بأجوف، فشَكْل الإنسِ والجنِّ وسائرِ المخلوقاتِ الأَرْضيَّة أنَّ كلَّ مخلوقٍ منها أجوفُ، يحتاج إلىٰ الرِّزْق، ويحيا عليه، أمَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فهو صمدٌ، بمعنىٰ: أنَّه ليس بأجوف، وبمعنىٰ: أنَّه مقصودٌ بالحوائج.. إلىٰ غير ذلك من المعاني الَّتي تفيد الكمال.

قولُه: «**مُتفَرِّدٌ بكلِّ كمالٍ وعظمةٍ وكبرياء وجلالٍ**»؛ أي: أنَّه منفردٌ بِالْكَمَالاتِ المطلقة، فإنْ وَصَفْناهُ بالعلمِ، فنحنُ نَصِفُهُ بكمالِ العلمِ الكاملِ المطلق فيه الَّذي لا يفوته معلومٌ، وإنْ وصفناه بالقُدرة، فنحن نَصِفُه بكمال القُدرة الَّتي لا يعجزها شيءٌ.

وهكذا قولُه: «**وَأَنَّ له غَايةَ الكمالِ الَّذي لا يقدرُ الخلائقُ أنْ يحيطُوا بشَيءٍ**

مِن صِفَاتِهِ».

قوله: «أنَّه الأوَّل الَّذي ليس قبلَه شَيءٌ»: يجب أن نؤمن بأوَّليَّته كما وَصَف نفسه بذلك، ووَصَفه به رسولُهُ، فقال: «أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ»(١).

أقول: هذا غاية ما يقدر العباد أن يَصفوه، ثُمَّ ليس لهم شأنٌ فيما سوىٰ ذلك، ولا قُدرة عليه؛ لأنَّه لا يعلم أحدٌ شيئًا عن أوَّليَّته، كما أخبرنا رسولُ الله ﷺ.

وأخبرنا هو نفسُهُ - جلَّ وعَلَا - ببقائه إذا فني كلُّ شيءٍ، كما يقول جلَّ من قائل: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وكما يقول جلَّ من قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن: ٢٦، ٢٧].

فَجَميعُ الخَلِيقة تَفْنىٰ إلَّا هو سبحانه حين يَطْوي السَّموات بيمينه، ويطوي الأرضين بشمالِهِ، وكلتا يدي ربِّي يمينٌ، ثمَّ يهزهنَّ، ثمَّ يقولُ: «أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَينَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»(٢).

وفي روايةٍ: «لِمَنِ المُلْكُ اليومَ؟ لِمَنِ المُلْكُ الْيومَ؟ فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ»(٣).

قولُهُ: «وأنَّه العليُّ الأعلىٰ علوُّ الذَّات، وعلوُّ القَدْر، وعلوُّ القَهْر»:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه النَّسائي في «الكُبرىٰ» (٧٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فهو عالٍ بذاتِهِ علىٰ العرشِ، وهو مُطَّلعٌ علىٰ جميعِ خَلْقه؛ محيطٌ بكلِّ ما يصدر منهم.

ثمَّ سائرُ الأوصافِ مُفَسَّرةٌ بما فَسَّرها به مُؤلِّف هذه العقيدة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقَدْ فَسَّر جميع هذه الصِّفات؛ فاسم «العليم» يَتضمَّن صفة العلم.

واسم «القدير» الَّذي يَتضمَّن صفة القُدرة.

واسم «السَّميع» الَّذي يَتضمَّن صفة السَّمْع.

واسم «البصير» الَّذي يَتضمَّن صفة البصر.

واسم «الحكيم» الَّذي يَتضمَّن صفة الحكمة في خَلْقِهِ وشَرْعِه.

واسم «المجيد» الَّذي يَتضمَّن صفة العظمة والكبرياء.

واسم «الرَّحمن الرَّحيم» الَّذي يَتضمَّن صفة الرَّحْمة.

وهكذا الصِّفات الذَّاتيَّة: «القيُّوم» الَّذي قام بنفسه وبغيره، فكلُّ شيءٍ محتاجٌ إليه، وهو لا يحتاج إلىٰ أحدٍ، وأنَّه مُتَّصفٌ بجميع صفات الأفعال، فهو الفَعَّال لما يريد، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقول المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«المالك الملك لجميع الممالك»** الصَّحيح أَنْ يقول: «الملك المالك لجميع الممالك».

وقوله أيضًا: **«وهو مُتَّصفٌ لجميعِ صفاتِ الأفعالِ»** الصَّحيح أن يقول: «وَهُو مُتَّصفٌ بجميع صفات الأفعال»، والله أعلم.

قوله: **«ونَشهَدُ أَنَّه ربُّنا الخالقُ البارئُ المُصوِّرُ الَّذي أَوْجَد الكائناتِ، وأَتقَنَ صُنْعَها، وأَحسَن نظامَها»** أي: نشهد بأنَّه سبحانه هو الَّذي خَلَقنا، وبَرأَنا،

وصَوَّرنا، وخَلَق جميع الكائنات؛ أَوْجدها، وأتقنَ صُنْعها، وأحسنَ نِظَامَها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدة: ٧]، وكما قال سبحانه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

فالله رفع السَّموات، وزيَّن السَّماء الدُّنيا بالمصابيح الَّتي زَيَّنتها، وأجرىٰ الشَّمس والقمر والكواكب في أَفْلاكِهَا، وخلق الأرض فَمَهَّدها للجنِّ والإنسِ، وسائرِ المخلوقاتِ، فكلُّ شيءٍ خَلَقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فأتقنه وَسَوَّاه، كما دَلَّتْ علىٰ ذلك الآيات الَّتي ذكرت عامَّها وخاصَّها.

قولُه: «وَأَنَّه اللهُ الَّذي لا إله إلَّا هُوَ الإلَه المعبُود الَّذي لا يَستَحِقُّ العبادةَ أَحَدٌ سواهُ، فَلَا نَخضع»:

المرادُ بذلك: خضوعُ العبادة، أمَّا الخضوع الَّذي يَنْبني علىٰ القَهْر والخوفِ الطَّبيعيِّ مِمَّنْ لا تستطيعُ مُقَاومته، فهذا لا يكونُ من العبادةِ كما سبق.

قوله: «وَلَا نُنِيبُ»: الإنابة هي الرُّجُوع، أي: لا نرجع ولا نَتوجَّه إلَّا إليه، فهو الإلهُ الحقُّ.

قولُه: «الوَاحِدُ القَهَّار، العَزيزُ الغَفَّار، فإِيَّاهُ نَعْبُدُ، وإِيَّاه نَستعِينُ، ولَهُ نَرْجُو وَنَخْشَىٰ؛ نَرْجُو رَحْمَتَهُ، وَنخْشَىٰ عدْلَه وعذَابَه»: أي: أنَّ المسلمَ يعيش بيْن هذين الأمرين: الخوف من عدلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك بأَنْ يخشىٰ أَنْ يُعاقِبَه بِذُنُوبِهِ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

فهو سبحانه رحيمٌ بعبادِهِ، حليمٌ عنهم، ولكن مَعَ عِصْيانهم يعاقبهم ببعضِ العُقُوباتِ الَّتي تجتاح أو تكاد أن تجتاح خَلْقًا كثيرًا، فهو إِنْ عَاقَبهم فهو بِذُنُوبِهم، وإِنْ عفا عنهم ورحمهم فبفضله، نسأله أنْ يجعلَنا مِمَّنْ يعرفه حقَّ معرفتِهِ، ويعبدُه حَقَّ عبادتِهِ، ونعوذ به من أَمْنِ مَكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قَالَ المؤلِّف: «لَا ربَّ لنا غيرُه فنَسْأَلُه ونَدْعُوهُ، وَلا إلهَ لنَا سواهُ نُؤمِّلُه ونَرجُوهُ، هُوَ مَولَانَا في إِصْلاح دِينِنا ودُنيَانا، وهو نِعْمَ النَّصيرُ الدَّافع عنَّا جميع السُّوءِ والمكاره»، وبالله التَّوْفيق.



السُّؤالُ الثَّالث عشر: ما صفةُ الإيمان بالأنبياء على وجْه التَّفْصيل؟

الجوابُ: عَلَيْنَا أَنْ نُؤمِنَ بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُل الَّذِين ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُمْ وَرِسَالَتُهُمْ عَلَىٰ وجْه الإجْمَالِ والتَّفْصِيلِ.

الشرح:

أقولُ: معنىٰ هذا الجواب: أنَّه يجب علينا أن نعتقد نُبوَّة الأنبياء، ورسالة الرُّسُل الَّذين بَلَغنا عِلمهم عن الله عَزَّوَجَلَّ الَّذين سُمُّوا يجبُ علينا أن نؤمن بهم، وبأسمائهم، ونعرف مقاماتهم، كأولي العزم الخمسة، وهم: (نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومُحمَّدٌ ﷺ)، نؤمن بأنَّهم أفضل الرُّسُل، وأفضلهم الخليلان: إبراهيم، ومُحمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهما.

ونعتقدُ أنَّ الرُّسُل الَّذين ذُكِرُوا كـ: (هود، وصالح، وشعيب، ولوط، وأيُّوب، ويحيىٰ، وزكريا، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب)، كلُّهم رسلٌ بَلَّغوا عن الله رسالاتِهِ، ونُؤمنُ بمَنْ لم يُذْكَر علىٰ الإجمالِ.

وقَدْ جاء في الحديث الَّذي رواه أحمد عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّىٰ عِدَّة الأنْبياء؟ قال: «**مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»[(١)].

وفي لفظٍ لابن حِبَّان في «صحيحه»: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ الأَنْبِياءُ؟ قَالَ: «**مِئَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**ثَلَاثُ مِئَةٍ، وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمدُ في «مسنده» (٥/ ٢٦٥) (٢٢٣٤٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٧٣٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٧٦، ٧٧) (٣٦١).

فنحن نؤمن بأنَّ هناك رُسُلًا لم تقصَّ قصصهم، ورُسُلًا قَدْ قُصَّتْ قِصصُهم؛ نؤمنُ بهؤلاء وهؤلاء، مَنْ عُيِّنوا نؤمن بهم على التَّعْيين، ومَنْ لَمْ يُعيَّنوا نؤمن بأنَّ لله رُسُلًا، واللهُ قَدْ قال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

نعتقد بأنَّ الله قَدْ خصَّهم بِتَوْجيهِهِ وبرسالاتِهِ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

وأنَّ اللهَ جَعَلَهم وسائطَ بَيْنه وبَيْن خَلْقِهِ في تبليغ دينِهِ وشرعِهِ، وأيَّدهم بالآياتِ الدَّالَّة علىٰ صِدْقهم وصِحَّة ما جاؤوا به؛ فإبراهيم جَعَل اللهُ عليه النَّار بردًا وسلامًا(١)، وموسىٰ جَعَل اللهُ له العصا واليد(٢)، وصالحٌ جَعَل اللهُ له النَّاقة(٣)، وعيسىٰ كان يُحيي الموتىٰ بإذن الله، وينفخ في صورة الطَّيْر، فيُصْبِح طيرًا بإذن الله(٤).

ولم نعلم عن البعض الآخر إلَّا أنَّه يجب أن نعتقد أنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أعطاه اللهُ معجزةً تدلُّ علىٰ صِدْقِهِ، وأنَّ الرُّسُل أكملُ الخَلْق علمًا وعملًا، وأَصْدقهم

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٠ - ١٢].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

أَلسِنةً، وأبرَّهم قُلوبًا، وأكْملهم أخلاقًا، وأنَّ الله خَصَّهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحدٌ، وبَرَّأهم من كلِّ خُلُقٍ رذيلٍ، وأنَّهم معصومون في كلِّ ما يُبلِّغونه عن الله.

وهل العِصْمةُ تكون للأنبياء من صِغَرِهِمْ أم أنَّ العصمة تكون لهم بعد إرسالهم؟ (١)

أمَّا مَا يُبلِّغونه عن الله فهم مَعْصُومون فيه، ولا شكَّ.

ونؤمن بأنَّه لا يستقرُّ في خبرهم وتبليغهم إلَّا الحقُّ والصَّوابُ، وقَدْ أخبر الله عَزَّوَجَلَّ نبيَّه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣].

والتَّمنِّي: هو التِّلاوة، فَإنِ اسْتطَاعَ الشَّيطان أنْ يُلقيَ في سَمْع المُبلِّغين شيئًا، مَحَاه الله عَزَّوَجَلَّ وأخرجه، وأثبتَ الصِّدْقَ؛ وأنَّه يجبُ الإيمان بهم كلِّهم، وبكلِّ ما أتوا به من الله، ومَحبَّتهم، وتوقيرهم، وتعظيمهم.

ونؤمن بأنَّ هذه الأُمُورَ واجبةٌ علينا لِنَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ علىٰ أكْمَلِ الوُجُوهِ وأعلاها، فإذا كان يجبُ علينا مَحبَّة الرُّسُل جميعًا، فإنَّ الواجب علينا مَحبَّته - صلوات الله وسلامه عليه - أعظم مِن كلِّ أحدٍ، وقَدْ قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ،

(١) انظر التفصيل لهذه المسألة في كتاب «آيات عتاب المصطفىٰ ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد»، وهي رسالة جامعيَّة للدُّكتور عويد بن عايد المطرفي وفَّقه الله، وخلاصة ما فيها أنَّ الأمَّة أجمعَتْ علىٰ عصمة الأنبياء من الوقوع في الكُفر قبل البعثة، وأنَّهم معصومون بعد البعثة عن سائر الذُّنوب؛ كبائرها وصغائرها، ومِن هذا ما يتعلَّق بإبلاغ الشَّرع وتقريره، وبيان الأحكام عن الله تعالىٰ.

لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فَقَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ واللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عُمَرُ**»(١).

وأنَّه يجب معرفته صلوات الله وسلامه عليه، ومعرفة ما جاء به مِنَ الشَّرْع جملةً وتفصيلًا بحسب الاستطاعة، والإيمان بذلك، والتزامه، والتزام طاعته في كلِّ شيءٍ بتصديق خَبرِهِ، وامتثال أمره، واجتناب نهيه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال جلَّ من قائل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ونؤمنُ بأنَّه خاتمُ النَّبيِّين، لا نبيَّ بعده، قَدْ نَسَختْ شريعتُهُ كلَّ الشَّرائع، وهي باقيةٌ إلىٰ قيام السَّاعة، ولا يتمُّ الإيمانُ به حتَّىٰ يعلم العبدُ أنَّ جميع ما جاء به حقٌّ، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

وأنَّه يستحيل أَنْ يقومَ دليلٌ عقليٌّ أو حِسِّيٌّ أو غيرهما على خلاف ما جاء به الشَّرْع، وهي السُّنَّة الصَّحيحة.

والأُمُورُ الحِسِّيَّة الواقعة تشهد للرَّسُول بالصِّدْق والحقِّ، بل إنَّ في الشَّرْع نفسِهِ أخبارًا تشهدُ بصِدْق الرَّسُولِ، وأنَّ الحقَّ فيما جاء به؛ فمِنْ ذلك: إخبارُهُ عن الفُتُوح(١)، وإخبارُهُ عن الخوارج الَّذين يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيَهم(٢)، وإخبارُهُ عن النَّار الَّتي تخرج من الحجاز تضيءُ لها أعناق الإبل ببُصرىٰ، وقَدْ خرجت تلك النَّار في ضواحي المدينة عام (٦٥٦ هـ)(٣)، وإخبارُهُ بأنَّ أُمَّته ستتبع سُنَنَ مَنْ كان قبلها(٤)، وإخبارُهُ عن تقارب الزَّمَان بالسَّيْر الَّذي حصَل في زمننا هذا، وأصبح مشاهدًا بقوله: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ

---

(١) كقوله ﷺ يوم خيبر: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، أخرجه البخاري (٣٠٠٩) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وكقوله ﷺ لعديِّ بن حاتم رضي الله عنه: «لَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَىٰ»، أخرجه البخاري (٣٥٩٥).

وكقوله ﷺ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ»، أخرجه مسلم (٢٩٠٠) من حديث نافع بن عتبة رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري (٧٥٦٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّىٰ يَعُودَ السَّهْمُ إِلَىٰ فُوقِهِ». والفُوق: موضع الوتر من السَّهم.

(٣) أخرج البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَىٰ». و«بُصرىٰ»: مدينةٌ معروفةٌ بالشَّام، وهي مدينة حوران، وبينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل.

(٤) أخرج البخاري (٧٣٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟».

كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ»[1].

إلىٰ غير ذلك من الأخبار الَّتي أخبر فيها ﷺ عن المُغيَّبات، ووَقعتْ كما قال، ومَنْ قال خلافَ ذلك فهو الكاذبُ المبطلُ الضِّلِّيلُ، وهو مِن جنسِ مَنْ قال الله فيهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وما أعظم تعاليمه ﷺ والعبادات الَّتي علَّمها أُمَّته! إنَّها هي الحقُّ الأبلجُ، والنُّورُ النَّاصعُ، والطَّريقةُ المستقيمةُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٥٣٧) (١٠٩٥٦)، وابن حبّان في «صحيحه» (١٥/ ٢٥٦) (٦٨٤٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٤٤٨).

السُّؤال الرَّابع عشر: كمْ مراتب الإيمان بالقضاء والقَدرِ، وما هي؟

الجوابُ: مراتبُ ذلك أربعةٌ، لا يتمُّ الإيمانُ بالقَدَر إلَّا بتكميلِها:

أوَّلًا: الإيمانُ بأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وأنَّ عِلْمَه محيطٌ بِالْحوادِثِ؛ دَقِيقِهَا وَجَلِيلِها.

ثانيًا: وأنَّه كتَب ذَلِكَ فِي اللَّوْح المحفوظِ.

ثالثًا: وأنَّ جميعَها واقعةٌ بمشِيئتِهِ وقُدرتِهِ، ما شاءَ كانَ، وما لم يشأْ لم يكُن.

رَابعًا: وأنَّه مع ذلك مَكَّن العِبادَ مِن أفعالِهِمْ، فيفعلونَها اخْتِيارًا منهم بِمَشِيئَتِهِمْ وقُدْرتِهِمْ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

الشرح:

أقول: مراتبُ الإيمان بالقضاءِ والقَدَر أربعةٌ:

أوَّلًا: الإيمانُ بأَنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وأنَّ عِلْمَه محيطٌ بالحوادثِ، أي: علم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بكُلِّ الحوادث؛ دَقِيقِها وَجَلِيلِها؛ مُتقدِّمها ومُتأخِّرها، يعلم ذلك علىٰ التَّفْصيل، فكلُّ حادثةٍ يَعْلَمُ متىٰ وُقُوعها وأين وُقُوعها، في أيِّ مكانٍ مِن الأرض، وفي أيِّ وقتٍ مِن الزَّمَن

قَدْ علم كلَّ واحدٍ مِنَّا، بل كلَّ واحدٍ مِن النَّاس إلىٰ نهاية الخليقة: اليوم الَّذي يُولَد فيه، والشَّهر، والعام، والمكان الَّذي يُولَد فيه، وكذلك الأعمال الَّتي سيعملُها، وعَلِمَ في أيِّ زمنٍ ينشأُ، وفي أيِّ بلدٍ يُوجَد أو يُولَد، وعَلِمَ يوم مَنيَّة كلِّ واحدٍ منَّا، وهل يموت بالقتل، أو المرض، أو الموت الطَّبيعيِّ، أو يموتُ حَرْقًا بنارٍ، أو غَرْقًا في ماءٍ، أو تحت الهدم، أو غير ذلك.

كلُّ ذلك قَدْ عَلِمه اللهُ، وهو شاملٌ - أي: علم الله - كلَّ ما يقع في الكون مِن الحوادث، عَلِمَها قبل أن تقع، وقدَّرها وكَتَبها.

والأدلَّة علىٰ ذلك من كتاب الله لا تُحصَر؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢].

المرتبة الثَّانية: أنَّه كتب ذلك العلم وتلك المقادير في اللَّوْح المحفوظ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

وجاءَ في الحديثِ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ: القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[١].

وفي روايةٍ لأحمدَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تعالَىٰ: القَلَمُ. فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ في تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[٢].

فالقلمُ كَتَب المقاديرَ بأمرٍ مِن الله عَزَّوَجَلَّ.

ثالثًا: وأنَّ جميعَها واقعةٌ بمشيئتِهِ وقُدرتِه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكُن، أي: أنَّ جميعَ الحوادثِ واقعةٌ بمشيئتِه وقُدرتِه، لا يقعُ في هذا الكون شيءٌ بغير إرادةِ الله؛ لأنَّه لو وقع ذلك لَلزم منه أن يكون مغلوبًا علىٰ أمرِه، واللهُ غالبٌ وليس مغلوبًا، وقاهرٌ وليس بمقهورٍ، فهو الَّذي خلَق العبادَ، وخلَق أفْعالَهم؛ قال تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال لقومِه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٩٦]،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) من حديث عُبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٩٤).

(٢) أخرجه أحمدُ في «مُسنده» (٥/ ٣١٧) (٢٢٧٥٧) مِن حديثِ عُبادةَ بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (١/ ٤٨ - ٤٩).

وقال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

رابعًا: أنَّه أخرج تلك المقادير إلىٰ التَّنفيذِ بحيث مكَّن العبادَ أن يَفعلوها، وأراد منهم قَدَرًا أن يَفعلوها علىٰ حسَب ما قدَّر، وذلك هو المُعبَّر عنه بالتَّقْدير اليوميِّ؛ لأنَّ المقاديرَ:

أوَّلًا: القَدَر العامُّ (الأزلي أو الكوني) الَّذي يكون في اللَّوْحِ المحفوظِ، والذي قد كتب الله فيه مقادير كلِّ شيءٍ.

ثانيًا: القَدَر العُمُريُّ الَّذي يُكْتَب عند تكوينِ الجنينِ، وهو منقولٌ مِن القَدَرِ العامِّ.

ثالثًا: القَدَر الحوليُّ، وهو يكون في ليلةِ القَدْر مِن كلِّ سَنةٍ.

رابعًا: القَدَر اليوميُّ، وهو إخراجُ تلك المقادير إلىٰ التَّنْفيذ؛ قَدَّر اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنْ تأكل اليوم كذا، وأنْ تمشيَ إلىٰ مكانِ كذا، وهكذا حتَّىٰ تكون النِّهاية بتقدير الموتِ عليك؛ سواءً كان موتًا طبيعيًّا، أو بحادثٍ، أو غير ذلك.

وقَدْ جاء في الحديث كما سبق ذِكْره: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ: القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ**».

وقد ورد أنَّ ابن عباس قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم، خَلَقَهُ مِنْ هَجَا قَبْلَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ، فَتَصَوَّرَ قَلَمًا مِنْ نُورٍ، فَقِيلَ لَهُ: اجْرِ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ. قَالَ: يَا رَبِّ، بِمَاذَا؟ قَالَ: بِمَا يَكُونُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، وَكَّلَ بِالْخَلْقِ حَفَظَةً، يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، فَلَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ عُرِضَتْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَقِيلَ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية: ٢٩]

عَرَضَ بِالْكِتَابَيْنِ فَكَانَا سَوَاءً. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَسْتُمْ عَرَبًا؟ هَلْ تَكُونُ النُّسْخَةُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ؟». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[1]. وبِاللهِ التَّوْفِيقِ.



(١) أخرجه الحاكم في «المُستدرك على الصَّحيحين» (٣٦٩٣)، تفسير سورة (حم) الجاثية (٢/ ٤٤٢)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٧٧).

السُّؤال الخامس عشر: ما حدُّ الإيمان باليوم الآخر، وما الَّذي يدخلُ فيه؟

الجواب: كلُّ ما جاءَ في الكتاب والسُّنَّة مِمَّا يكونُ بعْدَ الموتِ؛ فإنَّه داخلٌ في الإيمانِ باليوم الآخِر؛ كأَحْوالِ القَبرِ والبَرْزَخِ، ونعيمِهِ وعذابِهِ، وأَحْوالِ يوم القِيامَة وما فيها مِن الحساب، والثَّواب والعِقَاب، والصُّحُف والميزان والشَّفاعة، وأحوال الجنَّة والنَّار، وصفاتهما، وصفات أَهْلِهما، وما أعدَّ اللهُ فيهما لأهلهما إجمالاً وتفصيلاً، كلُّ ذلك مِن الإيمَانِ باليَوم الآخِرِ.

الشرح:

وأقول: تعريفُ الإيمانِ باليومِ الآخرِ قَدْ بيَّنه المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ بقولِهِ: «إنَّه كلُّ ما جاء في الكِتابِ والسُّنَّةِ مِمَّا يكونُ بعْدَ الموتِ؛ فإنَّه داخلٌ في الإيمانِ باليومِ الآخِرِ».

قوله: «كأَحْوالِ القَبر»: أي: مِن الإيمانِ بِمُنكرٍ ونكيرٍ وسؤالهما، وإجابة المؤمن الصَّالح، والكافر الفاجر، وما يترتَّب على كلٍّ منهما مِن نعيمٍ للصَّالح، وعذابٍ للكافرِ الفاجرِ، كما وَرَد في الكتاب والسُّنَّة.

قوله: «والبَرزَخ، ونعيمِهِ وعذابِهِ»:

أقولُ: البرزخُ هو الفاصل بيْن شيئين، ومُدَّة بقاء الأموات في القُبُور هذه حالةٌ برْزخيَّةٌ تفصل بيْن الحياتين؛ الحياة الدُّنْيا، والحياة الأُخْرويَّة، والحال فيها لكلٍّ بحَسَبِه، فالأنبياءُ والمرسلون أحوالُهُمْ في البرزخ غيرُ أحوالِ سائرِ النَّاسِ، فقَدْ أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّه لقِيَ بعضَ الرُّسُل ليلةَ أُسْرِيَ به على درجاتهم في السَّمَوات[1].

(١) أخرج البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٢) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ في قصة المعراج: «... وأُتيتُ بدابَّةٍ أبيضَ، دونَ البغلِ وفوقَ الحمارِ: البُراقُ، فانطلقتُ مع جبريلَ حتَّى أتينا السَّماءَ الدُّنيا، قيلَ: مَنْ هذا؟ قالَ جبريلُ، قيلَ: مَنْ معَكَ؟ قالَ: مُحمَّدٌ، قيلَ: وقَدْ أُرسِلَ إليهِ؟ قالَ: نَعَم، قيلَ:

وفي الرُّؤيا الَّتي رآها ورواها البخاريُّ عن سمُرةَ بن جُندُب، وذكر فيها ما ذكر من عذاب العُصاةِ؛ كمَنْ ينامُ عن الصَّلاة، فيُرضخ رأسه بالحجارة، ومَنْ يَكْذب الكِذْبةَ يَتحدَّث بها في الآفاق يُشَرْشَر بها شِدْقُه(١)، وإنَّ الزُّناةَ في مكانٍ ضَيِّقٍ فيه نارٌ مثل التَّنُّور، وآكل الرِّبا يَسْبح في نهرٍ من دمٍ، وأنَّه مرَّ علىٰ إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، ووجد عنده أطفالَ المسلمين الَّذين يموتون دون الحُلُمِ(٢)، وغير ذلك.

=

مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ، وَيَحْيَىٰ فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جبريلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: محمَّد، قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إليه؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، ولَنِعْمَ المجِيء جَاءَ، فَأَتَيتُ عَلَىٰ يُوسُفَ، فَسَلَّمْت عَلَيهِ قَالَ: مَرْحَبًا بكَ مِن أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَينا السَّمَاءَ الرَّابعةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبريلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إليه؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المجيءُ جَاءَ، فَأَتَيتُ عَلَىٰ إِدْرِيسَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بكَ مِنْ أَخٍ وَنَبيٍّ، فَأَتَينا السَّماءَ الخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبريل. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحمَّد. قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إِليهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المجيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَينا عَلَىٰ السَّماءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبريلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: محمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرسِلَ إِلَيهِ، مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المجيءُ جَاءَ، فَأَتَيتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَىٰ، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، هَذَا الغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِه أَفْضَلُ ممَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جبريلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: محمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المجيءُ جَاءَ، فَأَتَيتُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ...».

(١) أي: يقطع بها شدقه.

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه البخاريُّ (٧٠٤٧) عن سمُرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ممَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ

=

=

ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ » قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ - » قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّىٰ يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ». قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ » قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ مِثْلِ التَّنُّورِ - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ» قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ » قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ». قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَىٰ شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ » قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ». قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَىٰ حَوْلَهَا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ » قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَىٰ رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟ » قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ». قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ» قَالَ: «قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا». قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ» قَالَ: «قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ» قَالَ: «وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ المَحْضُ فِي البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ». قَالَ: «فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيْضَاءِ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ،

=

قوله: «وأحوال يوم القيامَةِ...»، إلخ:

أحوالُ يومِ القيامةِ كَمَا أخبر اللهُ عن ذلك من تَزَلْزلِ الأرضِ[(١)]، واشتعالِ البِحَارِ نارًا: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، وبَسِّ الجبال ونَسْفِها[(٢)]، وتَبدُّل الأرض غير الأرض[(٣)]، وطيِّ السَّموات والأرضين[(٤)]، وأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يأخذُ كُلًّا منها بعد طَيِّها، ويهزُّها ويقول: «**أَنَا الملِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ ! أَينَ المُتكبِّرونَ؟ ! ثُمَّ يَطْوِي الأَرضِينَ بشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ، أينَ الجَبَّارُونَ؟ ! أَينَ المُتكبِّرونَ؟ !**»[(٥)].

=

قَالا: أَمَّا الآنَ فَلا، وَأَنْتَ دَاخِلَهُ». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ » قَالَ: «قَالا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَىٰ حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ؛ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَىٰ الفِطْرَةِ». قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ، وَأَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ**».

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: ١].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ [الواقعة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه: ١٠٥]، وبَسُّ الجبال: تفتيتُها.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ونَفْخ إسرافيل في الصُّور لموتِ الأحياء بَعْد نَفْخ الفزعِ، وبعد هاتين النَّفْختَينِ نَفْخ القِيام مِن القُبُور، وانْشِقَاق الأرض عمَّن فيها.

كلُّ هذا مِن الأحوال الَّتي تسبقُ القِيامة، ثمَّ بعد ذلك يقوم النَّاس مِن قُبُورِهم، ويُحْشَرون إلىٰ ربِّهم، يَسْمَعون الدَّاعي فيَتْبعُونَه، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ - ٨].

وأنَّهم يقفون فيه وُقُوفًا طويلًا، تدنو منهم الشَّمْس، ويَعْلُوهم العرقُ حتَّىٰ يلجمَ أحدَهم إلجامًا، وأنَّ المؤمنين بعد طُول القيام يمشي بعضُهم في بعضٍ، ويَطْلبُونَ الشَّفَاعةَ في فصلِ القَضاءِ إلىٰ آدم ثُمَّ نوح، ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسىٰ، ثمَّ عيسىٰ.

فإذا وَصلتْ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قال: «أَنَا لَها»[(١)].

وما يتلو ذلك مِن الحساب، وتَطايُر الصُّحُفِ، وكلٌّ يأخذ كتابه إمَّا بيمينِهِ، وإمَّا بشمالِهِ مِن وراء ظهره، وأنَّ الأعمالَ تُوزَنُ، وأنَّ المؤمنين يُؤْتَونَ نورًا، وفيهم المنافقون، ثمَّ ينطفئ نورُ المنافقين، وهذا من أوَّل العقاب الأُخْرويِّ، وينجو المؤمنون، وهذا أوَّل الثَّواب الأُخْرويِّ، ويمرُّ المؤمنون علىٰ الصِّراط المستقيم، ويُسَاق الكافرون سَوْقًا، فهم يُوزَعُون - والعياذ بالله -؛ بحيث يُحْبَس أوَّلهم علىٰ آخرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصِّلت: ١٩].

وأنَّ الشَّفَاعةَ كائنةٌ بعد ذلك، وما يحصل لأهل الجنَّة في الجنَّة من الثَّواب وأنواعِه، وما يحصل لأهل النَّار في النَّار مِن العقابِ وأصنافِه، وما أعدَّ اللهُ لأهل كلِّ دارٍ فيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه الطَّويل.

نسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يجعلَنا مِن المؤمنين المُثَابِين الَّذين يدخلون الجنَّة بسلامٍ، ويُقَال لهم: لا خوفٌ عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون(١).

ونَعُوذُ بِرَبِّنا من حال أهل الرَّيْبِ والنِّفَاقِ والشِّقاقِ، وما يُلاقونه في آخرتِهِم مِن العذابِ الشَّاقِّ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النَّبأ: ٣٠]، وبالله التَّوْفيق.



(١) قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزُّخرف: ٦٨].

السُّؤالُ السَّادس عشر: ما هو النِّفاقُ، وأقسامُه، وصفتُه؟

الجوابُ: حدُّ النِّفاق: هو إظهارُ الخير، وإبطانُ الشَّرِّ.

وهُو قِسْمَانِ:

١- نِفاقٌ أكبرُ اعْتقَادِيٌّ مُخلَّدٌ صاحبُهُ في النَّار، وذَلِكَ مثلُ مَا أخْبرَ اللهُ بِهِ عَن المنافِقينَ في قولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: مِن المُبْطِنينَ للكُفرِ، المُظْهرِينَ للإسْلَامِ.

٢- نِفاقٌ أَصْغَرُ عَمَليٌّ، مثلُ مَا ذَكَرَهُ النَّبيُّ ﷺ في قَولِهِ: «آيَةُ المنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

فالكُفرُ الأكْبرُ والنِّفاقُ الأكْبرُ لا يَنفَعُ معَهما إيمَانٌ وَلا عَمَلٌ، أمَّا الأصغَرُ مِنهمَا فَقَدْ يَجْتمعُ مَعَ الإيمَانِ، فيكُونُ في العبدِ خيرٌ وشَرٌّ، وأَسْبَابُ ثَوابٍ، وأَسْبَابُ عِقَابٍ.

الشرح:

وأقولُ: النِّفاقُ مأخوذٌ مِن النَّفَق، وهو الحفرُ في الأرضِ.

وحدُّه الشَّرعيُّ: إظهارُ الإسلام، وإبطانُ الكفرِ.

وعلىٰ العُمُوم: إظهارُ الخيرِ، وإبطانُ الشَّرِّ، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين قَدِمَ المدينةَ، كان مَنْ شاءَ أَسْلَم وتابعه، ومَنْ شاءَ بَقِيَ علىٰ دينِه، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو النَّاس، فَمِنْهُمْ مَنْ يدخلُ في الإسلام مُختارًا، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْقىٰ علىٰ ما هو عليه، فلمَّا وَقَعتْ موقعةُ بدرٍ، وعزَّ الإسلامُ وأهلُه، عند ذلك قال المنافقون: إنَّ

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا الأمر قَدْ تَوجَّه[1]، فَتعَالَوْا نُظْهِر لهم الإسلام، ونبطنُ ما نحن عليه.

فأظهرُوا الإسلامَ، أي: أظهرَه أقوامٌ برئاسة عبد الله بن أُبيٍّ، وأبطنُوا في أنفسِهم الكفرَ والتَّكْذيبَ للنَّبيِّ ﷺ وللإسلام، فكان هؤلاء المنافقون مُخْتَفِين في المجتمع المسلم.

ثمَّ إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لمَّا أنزلَ سورة (التَّوْبة) ما زال يقول: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة: ٤٩]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، إلىٰ غير ذلك من الآيات، حتَّىٰ أظهرَ اللهُ كثيرًا من صفاتِهم، وكانت صفاتُهم تبدو حينًا بعد حينٍ؛ مثل ما حصل في موقعة بني المُصطلق الَّتي قال فيها عبد الله بن أُبيٍّ للأوس: «انْصُرُوا أَخَاكُمْ، فواللهِ مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الأَوَّلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ»، وقال: «لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ المدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ»[2].

وفي رواية: «قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللهِ مَا أَعُدُّنَا وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ»[3].

فَسَمِعَهُ زيدُ بن أرقم - وهو غلامٌ - فجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، وأخبَره، فأرسل النَّبيُّ ﷺ إلىٰ عبد الله بن أُبيٍّ يسأله عن مقالتِه هذه، فأنكر، وحلَفَ أنَّه لم يقُل ذلك، فلَامَ الأنصارُ زيدَ بن أرقم، فأنزل اللهُ سورة (المنافقون): ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾... السُّورة بأكملها.

---

(١) أي: صار ذا شأن وقوة.

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٤/ ٣٦٤ شاكر).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢٢/ ٦٦٧).

فأخذ النَّبيُّ ﷺ بِأُذُنِ زيد بن أرقم، وقال: «هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللهُ بِأُذُنِهِ»(١).

وفي روايةٍ: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»(٢).

وفي مرسل الحسن، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأُذُنِ عُمير بن سَعْد، وقَالَ لَهُ: «وَفَتْ أُذُنُكَ يا عُمَيرُ، وَصَدَّقَكَ رَبُّكَ»(٣).

والنِّفاقُ الاعتقاديُّ بأنْ يقولَ الإنسانُ بأنَّه مُسْلِمٌ، ويشهدُ شهادةَ الإسلام، ويُصلِّي مع النَّاس، فإذا خلا ترَك الصَّلاة، وقد وصَف اللهُ المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

هُؤلَاءِ مُخلَّدون في نارِ جَهنَّم؛ بل هُمْ في الدَّرْك الأسفل منها كما أخبر الله(٤).

أمَّا النِّفاقُ الأصغرُ: وهو النِّفاقُ العمليُّ، فهو إظهارُ شيءٍ، وإبطانُ خِلافِه، فالكاذبُ يَزْعم أنَّه صادقٌ، وهو كاذبٌ في باطنِ الأمرِ، والَّذي يَعِدُ ويُخلفُ يزعمُ أنَّه صادقٌ في وَعْدِه وهو بخلاف ذلك، وإذا اؤتمن خان؛ لأنَّه يُظْهِر للنَّاس أنَّه أمينٌ، وهو في الحقيقة خائنٌ، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «آيَةُ المنافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٥). مُتَّفقٌ عليه. وفي روايةٍ: «وَإِذَا عَاهَدَ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٠) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) هذه قصَّة مُختلفة وقعَتْ لعُمير بن سعد مع الجلاس بن سُويد؛ حينما قال الجلاس في غزوة تبوك: إنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَلَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الحَمِيرِ، فَنَزَلَ فِيهِ قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤]، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بأُذُن عُمير فقَالَ: «وَفَتْ أُذُنُكَ يَا عُمَيرُ، وَصَدَّقَكَ رَبُّكَ». أخرجها عبد الرَّزَّاق في «مصنَّفه» (١٠/ ٤٥، ٤٦) برقم (١٨٣٠٣)، و(١٨٣٠٤).

(٤) أي: في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

(٥) سبق تخريجه قريبًا.

غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[١].

فهذه الخصالُ لا تُخرِج من الإسلام، بل يَبْقىٰ صاحبها مسلمًا منافقًا نفاقًا عمليًّا، وصاحبها تحت المشيئة كأصحاب الكبائر، وهذا النِّفاق يُسمَّىٰ النِّفاقَ الأصغرَ أو النِّفَاقَ العمليَّ، وكثيرٌ من المسلمين يَتَّصفُون بهذه الصِّفاتِ الذَّميمةِ، فيكون الواحدُ منهم فيه أسبابُ ثوابٍ، وأسبابُ عقابٍ؛ وهو تحت المشيئة - كما قلنا - كأصحاب الكبائر، وبالله التَّوْفيق.



(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

السُّؤالُ السَّابع عشر: ما هي البدعة، وما أقسامُها؟

الجواب: البدعةُ هي خِلافُ السُّنَّة؛ وهي نوعان:

النَّوع الأوَّل: بدعةُ اعتقادٍ، وهي اعتقادُ خِلاف ما أخبرَ اللهُ بِهِ ورَسُولُه ﷺ؛ وهي المذكورةُ في قولِه: «وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». قَالُوا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[1].

ومَنْ كانَ علىٰ هذا الوصف؛ فهُو صاحبُ سُنَّةٍ محضةٍ، ومَنْ كان من بقيَّة الفِرَق، فهو مُبتدعٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وتتفاوتُ البِدَعُ بحسَب بُعْدها عن السُّنَّة.

والنَّوع الثَّاني: بدعةٌ عَمليَّةٌ؛ وهِيَ التَّعبُّد بغير ما شَرَع اللهُ ورَسُولُهُ، أو تحريمُ ما أحلَّ اللهُ ورَسولُهُ، فمَنْ تعبَّد بغير الشَّرْع أو حرَّم ما لم يُحرِّمه الشَّارعُ، فَهُو مُبتدِعٌ.

الشرح:

وأقول: البدعةُ في اللُّغة: خلاف السُّنَّة[2]. واصطلاحًا أو شرعًا: هي كلُّ اعتقادٍ أو عملٍ لم يكنْ مشروعًا من قِبَل المُشرِّع ﷺ، وقَدْ قَسَّم المُؤلِّفُ البدعَ إلىٰ قسمين:

١- بدعةٌ اعْتِقاديَّةٌ.   ٢ - بدعةٌ عَمليَّةٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولفظه: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

(٢) قال الحميريُّ (ت ٥٧٣هـ) في «شمس العُلوم ودواء كلام العرب مِن الكُلوم» (١/ ٤٥٠): «وسُمِّيَتْ بِدْعَةً؛ لأنَّ قَائلَها ابتدَعَها مِن غير مقالٍ سبقَهُ». اهـ.

والبدعةُ الاعْتِقَاديَّةُ أشدُّ مِن البدعةِ العمَليَّة؛ كالجهميَّة في تَعْطيلِ الأسماءِ والصِّفَاتِ، وبدعة المعتزلة في تعطيل الصِّفات، والقَدَر، واعتقادهم أَنَّ القُرآنَ مَخْلوقٌ، وبدعتهم أيضًا في عدم رؤية الله في الآخرة، وبدعة المرجئة الَّذين يَزْعمون أنَّ صاحب الكبيرة مؤمنٌ كامل الإيمان، وبدعة الرَّافضة أو الشِّيعة الَّذين يغْلون في أهل البيت؛ فَيرْفعُونَهم فوق منزلتهم الَّتي أنزلهم الله عَزَّوَجَلَّ، ويَتْركون سائرَ الصَّحابة، وبدعة الأشعريَّة الَّذين يَتأوَّلون صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ كلُّ هذه بدعٌ اعْتِقَاديَّةٌ، والأمرُ فيها يتفاوت.

فالبعضُ منها موجبٌ للكُفر؛ كمَنِ اعْتقَدَ أنَّ القُرآنَ مخلوقٌ، وبعضُها دون ذلك، وهي تُعْتَبر من البدع المُفسِّقة، وهي تتفاوت في شِدَّتها وبُعْدها عن الحقِّ، وكذلك بدعة التَّصوُّف الَّذي بدأه بعضُ السَّابقين بالزُّهْد في الدُّنيا، وبالغ في ذلك مَنْ بعدهم مُبالغةً كبيرةً قَدْ تصلُ إلىٰ حدِّ الكفر؛ كَاعْتِقَادِ وحدةِ الوُجُود أو الحُلُوليَّة، هذه كلُّها بدعٌ اعتقاديَّةٌ.

أمَّا البدعُ العَمليَّة، فهي تَنقسمُ أيضًا إلىٰ قسمَينِ:

١- بدعةٌ عَمليَّةٌ اخترعت مُنافيةً للشَّرْع؛ كَتَعبُّدِ الصُّوفيَّة بالغِناءِ، ثُمَّ أضافوا إلىٰ ذلك الرَّقْص والطَّقطقة، وما إلىٰ ذلك.

٢- وبدعةٌ إِضَافيَّةٌ: وهي أنْ يكون الشَّيء مَشروعًا في أصلِهِ، فيُضِيفُ هذا المبتدع إلىٰ تلك الشَّرعيَّة صفةً لم يأمُر بها الشَّارع، فالتَّسْبيح - مثلًا - بعد الصَّلاة، والتَّحميد، والتَّكْبير، والتَّهْليل، هذا من السُّنَنِ، وَقَدْ أُضِيفَ إلىٰ ذلك كونها تُقال جَماعيَّةً بنغمةٍ واحدةٍ كما حصل من القوم الَّذين عملوا مثل هذا في

مسجد الكوفة، وأنكر عليهم عبدُ اللهِ بن مسعودٍ[(١)].

وكذلك مَنْ يقول من الحِزْبِيِّين: نصوم اليوم صومًا جماعيًّا، ونفطر عند فلانٍ فطرًا جماعيًّا.

وهكذا يضيف بعضُ النَّاس إلىٰ الشَّيءِ المشروعِ شيئًا غير مشروعٍ؛ استحسانًا من قِبَلِهِ، أو تقليدًا لغيره، كلُّ هذه مِن البدع، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[(٢)]، وفي روايةٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(٣)].

وصاحب البدعة مُسْتدرِكٌ علىٰ الشَّارعِ؛ كأنَّه يقول: إنَّه عَلِمَ شيئًا لَمْ يَعْلمه

---

(١) أخرج الدَّارميُّ (٢١٠) عن أبي موسىٰ رضي الله عنه أنَّه قال لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يا أبا عبد الرَّحمن، إنِّي رأيتُ في المسجد آنفًا أمرًا أنكرتُه، ولم أرَ - والحمدُ لله - إلَّا خيرًا. قال: فما هو؟ فقال: إنْ عشتَ فستراه. قال: رأيتُ في المسجد قومًا حِلَقًا جُلوسًا ينتظرون الصَّلاة في كلِّ حلقةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حصًىٰ، فيقول: كبِّروا مئةً؛ فيكبِّرون مئةً، فيقول: هلِّلوا مئةً؛ فيهلِّلون مئةً، ويقول: سبِّحوا مئةً؛ فيُسبِّحون مئةً، قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئًا انتظار رأيك، أو انتظار أمرك. قال: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لهم أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مضىٰ ومضينا معه حتَّىٰ أتىٰ حلقةً مِن تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قالوا: يا أبا عبد الرَّحمن، حصًىٰ نَعُدُّ به التَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح. قال: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتوافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُه لم تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لم تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابَ ضَلَالَةٍ». قالوا: والله يا أبا عبد الرَّحمن، ما أردنا إلَّا الخيرَ. قال: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ للخَير لَنْ يُصِيبَهُ، إنَّ رسولَ الله ﷺ حَدَّثنا أَنَّ قومًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وايمُ اللهِ، مَا أَدْرِي لعلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنكُم، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ. فقال عمرو بن سلمة: رَأَينَا عامَّةَ أُولئِكَ الحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يومَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الخَوَارِجِ»، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٢٠٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

رسولُ الله ﷺ، وقَدْ قَالَ مَالكُ بنُ أنسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنِ ابْتدَعَ بِدْعَةً، فَقَدِ اتَّهَمَ مُحمَّدًا بالخيانةِ»(١)، والعياذُ بالله.

فيجب الحذرُ من البدع كلِّها؛ صَغِيرِها وكَبِيرِها، اعْتِقادِيِّها وعَمَليِّها، وأنَّ العيش علىٰ السُّنَّة هو أفضل ما يطلبه المرءُ في حياتِهِ؛ ليأمن علىٰ نفسه العذابَ بعد الموتِ.

ملحوظةٌ: يجب أَنْ نعلم أنَّ البدعةَ هي ما أُحْدِثَ في الدِّين باسم الدِّين، أمَّا ما كان مِن أمْر الدُّنيا والأُمُور الحادثة فيها، فهذا لا يدخل في البدع، ولا يكون منها، وبالله التَّوْفيق.



(١) أخرجه ابنُ حزم في «الإحكام» (٦/ ٥٨ شاكر)، بلفظ: «مَنِ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ، لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا». وذكرَه الشَّاطبيُّ في «الاعتصام» (١/ ٦٤ - ٦٥ الهلالي).

السُّؤالُ الثَّامن عشر: ما حُقُوقُ المسلمِينَ عليك؟

الجواب: قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالواجبُ أنْ تَتَّخذَهُم إخْوانًا، تُحبُّ لهم مَا تُحبُّ لنفسِكَ، وتكرهُ لهم مَا تَكرهُ لنفسِكَ، وتَسْعَىٰ بحسَب مَقْدورِك في مَصالِحِهم، وإصلاحِ ذاتِ بَيْنهم، وتأليفِ قُلُوبِهم، واجْتماعِهم علىٰ الحقِّ.

المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلِمُهُ، ولا يخذلُهُ، ولا يَكذبُهُ، ولا يَحقرُهُ، وتقومُ بحقِّ مَنْ له حقٌّ كالوالِدَين، والأقارب، والجيران، والأصحاب، والمعامِلِينَ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ رابطةَ الأُخوَّة الإيمانيَّة رابطةٌ قويَّةٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال في الآية قبلها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فهذه الآياتُ تُبيِّنُ أُخوَّة المؤمنين، بالإضافة إلىٰ آية (الحجرات): ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأُخوَّة الإسلام هي رابطةٌ تربط بَيْن المسلمين من أيِّ جنسٍ كانُوا، وفي أيِّ بلدٍ كانوا، فمَنْ كان منهم علىٰ الدِّين والسُّنَّة، وَجَبتْ له علىٰ إخوانِهِ واجباتُ الأُخوَّة؛ يَعودونَه إذا مَرِضَ، ويَنصرونَه إذا ظُلِم، ويَتَّبعون جنازتَه إذا مات، ويعزُّونه إذا أُصِيب بمصيبةٍ، ويُهنِّئونه إذا حصلَتْ له نِعْمَةٌ، ويُحبُّون له ما يُحبُّون لأنفُسِهم.

وقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا[١]، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا[٢]، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، المسْلِمُ أَخُو المسْلِم، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يَخْذلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا»، وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِه ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المسْلِمَ، كُلُّ المسْلِمِ عَلَىٰ المسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[٣]. فَهَذِهِ حقوقٌ أَوْجَبها اللهُ علىٰ عبادِهِ من بعضهم لبعضٍ.

أمَّا الحُقُوقُ الخَاصَّة كالوالدين، والأقارب، والجيران، والمعاملين؛ فهؤلاء قَدْ وردت في حُقُوقِهم نُصُوصٌ؛ فالوالدان - أي: الأب والأم، والجَدّ والجَدَّة - أوجب الله لهم علىٰ ابنهم أو ابنتهم حقَّ البرِّ، فَقَرنَ حَقَّهما بِحَقِّه، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وحقُّ الوالدين هو أعظمُ حقٍّ بعد حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ في العبادة.

والأقارب لهم علىٰ قَرِيبِهِمْ حقٌّ، قال تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقَدْ جَعَلَ اللهُ بَيْنَ الأقاربِ التَّوارثَ، وقَرَّر في ذلك ما ذكره في سورة (النِّسَاء)، وكلٌّ مِن الوالدين والأقارب يجبُ له علىٰ قَرِيبِهِ النَّفَقة إنْ كان بحاجةٍ إلىٰ ذلك، والجيران لهم حُقُوقٌ علىٰ جيرانهم، وقَدْ جاء في الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»[٤].

---

(١) «تَنَاجَشُوا»: مِن النَّجش، وهو أنْ يزيد في ثمَن السِّلعة، وهو لا يرغب في شِرائها، وإنَّما ليخدع غيره ويَغرّه.

(٢) التَّدابر: المعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يُولي صاحبَه دُبرَه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)، من حديث أبي شريح الخزاعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وحقُّ الجار علىٰ الجار: كفُّ الأذىٰ، والنُّصْرة إذا احتاج إليها، والإقراض إنْ كان الجار عنده سعةٌ، وكذلك الأصحاب كلٌّ له حقٌّ علىٰ صاحبِهِ بالوفاء، وأداء الأمانة، وعدم الخيانة.

والعاملون لهم حقُّ الوفاء إنْ كان قَدْ تعامل معهم الشَّخْص، والْتزَم لهم بأداءِ مالٍ، فيجب عليه الوفاء بذلك، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيُّ الوَاجِدِ ظُلْمٌ، يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ**»(١).

فهذه الحُقُوق يجبُ علىٰ المسلمين أنْ يُؤدُّوها مِن بعضِهم لبعضٍ، ولكن حالة بعض المسلمين تُشْكَىٰ إلىٰ الله، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

اللَّهمَّ وَفِّق المسلمين لما تحبُّ وتَرْضىٰ، وجَنِّبهم الفواحِش والفِتَن، إنَّك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.



(١) أخرجه أبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، من حديث عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ، بدون قوله: «ظُلْمٌ»، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (١٤٣٤).

وقوله ﷺ: «لَيُّ الوَاجِدِ»: أي: مطلُ القادر علىٰ قضاء دَينِه. «يُحِلُّ»: أي: يبيح لصاحب الدّين. «عِرْضَهُ» بأن يذكر مَطلَه وعدم وفائِه. والعِرضُ: هو موضع المدح أو الذَّمِّ مِن الإنسان.

السُّؤالُ التَّاسع عشر: ما هو الواجبُ نحوَ أصحاب النَّبيِّ ﷺ؟

الجواب: مِنْ تَمَامِ الإيمَانِ برَسولِ الله ﷺ، ومَحبَّته: مَحبَّةُ أصحابِهِ بحسَب مَرَاتِبهم مِن الفضلِ والسَّبْق، والاعترافُ بِفَضَائِلهم الَّتي فَاقُوا فيها جميعَ الأُمَّةِ، وأنْ نَدِينَ لله عَزَّوَجَلَّ بِحُبِّهم ونشر فضائِلِهم، ونُمْسِكُ عمَّا شَجَر بينَهم، ونَعتقدُ أنَّهم أَوْلَىٰ الأُمَّة بكُلِّ خَصْلَةٍ حَميدةٍ، وأَسْبقهم إلىٰ كلِّ خَيرٍ، وأَبعَدهم عنْ كُلِّ شَرٍّ، وأنَّهم جَمِيعَهُم عُدُولٌ مَرْضِيُّون.

الشرح:

أقولُ: إنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مُسلمٍ أنْ يَعرفَ حقَّ الصَّحابة - رضوان الله عليهم - بما فَضَّلَهم اللهُ به مِن صُحْبة النَّبيِّ ﷺ، وبما أَثْنَىٰ اللهُ به عليهم في كِتابِهِ في آياتٍ كثيرةٍ حيث يقولُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٨، ٩]، ويقول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ﴾ [الممتحنة: ١]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات

الَّتي أثنىٰ اللهُ فيها علىٰ أصحابِ نبيِّه، وأثبتَ عَدالَتهم، وقرَّر خيريَّتهم علىٰ جَميعِ الأُمَمِ؛ ما عدا الرُّسُل، وقَدْ ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «خَيرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(١)]، أي: أنَّهم يَتسرَّعون في الشَّهادةِ واليمين قَبْلَ أنْ تُطلبَ منهم.

وقَدْ نهىٰ النَّبيُّ ﷺ عن سَبِّ أصحابِهِ، فقالَ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[(٢)].

وقَدْ صَدَر منه هذا القولُ حين حَصَل الخلافُ بَيْن عبد الرَّحْمن بن عوف وخالد بن الوليد، وكان النَّبيُّ ﷺ قَدْ أرسل خالدًا إلىٰ بني جذيمة، فأوقع فيهم السَّيْف، فقالوا: قَدْ صَبَأْنَا، ولم يُحْسِنوا أن يقولوا: قَدْ أسلمنا، فنهاه عبد الرَّحْمن عن قَتْلهم، فأبىٰ إلَّا الاستمرار في قَتْلهم، فقال خالد بن الوليد: ما تَفْخَرون علينا إلَّا بأيَّامٍ سَبقتمونا بها إلىٰ الإسلام، فلمَّا رجعوا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ اشتكىٰ عبدُ الرَّحْمن خالدَ بن الوليد إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال هذا القول الَّذي سَبَق ذِكْرُهُ.

فإذا كان قال هذا القول في حقِّ صحابيٍّ مُتقدِّمٍ مع صحابيٍّ مُتأخِّرٍ، فكيف بِمَنْ لا يكون كذلك؟! بل يَتكلَّم في الصَّحابة، وليس له عُشْر عُشْر المزايا الَّتي جُعِلَتْ للصَّحابة؟!

فالواجبُ علىٰ كُلِّ مُسلمٍ: أَنْ يَعْرِفَ فضلَ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، ويُعْطيَهم حقَّهم من التَّعْظيم والتَّبْجيل والتَّوْقير، ويكفَّ لسانَه عن ذِكْر ما شَجَر بينهم: «**فَهُمْ أَوْلَىٰ الأُمَّةِ بكلِّ خصلةٍ حميدةٍ، وأَسْبَقُهم إلىٰ كلِّ خيرٍ، وأبعدُهم عنْ كُلِّ شرٍّ**». كما قال المُؤلِّف.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وأقول: لعنةُ اللهِ علىٰ الرَّوافض الَّذين يَسبُّون أبا بكرٍ، وعمر، وعُثمان، وسائر الصَّحَابة لعنة الله عليهم، ونسأل الله أن يُخْزيهم، وقَدْ أخزاهم حين أبْقاهُمْ في هذا المعتقد السَّيِّئ الَّذي سينالون به غضبَ اللهِ ومَقْتَه.

إنَّهم أشدُّ سبًّا لفضلاءِ الصَّحَابة؛ كأبي بكرٍ، وعُمَرَ، وعُثمان، وعائشة، وحفصة؛ بل دَيْدنُهم أنَّهم يُسمُّون كِلابَهم وحَمِيرَهم بأفضل الأُمَّة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكرٍ، وعمر، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! ويزعمون أنَّهم يُحبُّون النَّبيَّ ﷺ وأهلَ بيتِه، وَكَذَبُوا، فلو كانوا يُحبُّون النَّبيَّ ﷺ ما قالُوا في أصحابِه تلك الأقوال السَّيِّئة.

وإنَّ الواجب علينا أن نعرفَ فضْل ذوي الفضل منهم؛ فنُقدِّم أبا بكرٍ وعُمرَ وعُثمانَ علىٰ غيرهم، ورَابِعهم الَّذي هو رابع الخلفاء؛ وهو عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ بقيَّة العشرة الَّذين مات النَّبيُّ ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأخبرهم أنَّهم مِن أهل الجنَّة، ثمَّ مَنْ هاجر الهجرتَين: الهجرة إلىٰ الحبشة، والهجرة إلىٰ المدينة، ثُمَّ مَنْ شهد بدرًا، ثُمَّ أصحاب بَيْعة الرّضوان، ثُمَّ مَنْ أسلَم قبل الفتح وقَاتَل، ثُمَّ مَنْ أسلم بعد الفتح وقَاتَل، ثُمَّ صغار الصَّحَابة، هكذا تَرْتِيبُهُم في الفضلِ.

والصَّحَابةُ كلُّهم عدولٌ بتعديل الله إيَّاهم، وبإجماعِ الأُمَّةِ علىٰ ذلك[1]، فإذا جاء الحديثُ عن صحابيٍّ، لَمْ يُسأل عن عدالةِ ذلك الصَّحابيِّ؛ لأنَّ الله قَدْ عَدَّلهم.

نسأل اللهَ أَنْ يجعلنا مِمَّنْ يعرف حقَّ أصحابِ نَبيِّه ﷺ، فيُثْني عليهم باللِّسانِ، وينشر ما لهم من الخِصَالِ الحميدة، وبالله التَّوْفيق.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البرّ (١/ ١٩ الجيل)، و«مقدّمة ابن الصَّلاح» (ص٣٩٨ الكتب العلميَّة)، و«شرح مسلم» للنَّووي (١٥/ ١٥١)، و«جامع التَّحصيل» للعلائيّ (ص٦٨ عالم الكتب)، و«لوامع الأنوار البهيَّة» للسَّفارينيّ (٢/ ٣٧٧ الخافقين).

السُّؤالُ العشرون: ما قولكم في الإمامة؟

الجواب: نعتقدُ أنَّ نَصْبَ الإمامِ فرضُ كفايةٍ؛ فإنَّ الأُمَّة لا تَستغني عنْ إمامٍ يُقِيمُ لها دِينَها وَدُنيَاهَا، ويَدفَعُ عنها عاديةَ المعتدِين، وإقامة الحُدُود علىٰ الجُنَاة، ولا تَتِمُّ إِمَامتُهُ إلَّا بطاعتِهِ بالمعروف في غير معصية الله، والجهادُ ماضٍ مع البرِّ والفاجرِ، ويُعَانُونَ علىٰ الخيرِ، ويُنْصحُونَ عن الشَّرِّ.

الشرح:

أقولُ: إنَّ الإمامةَ من الضَّروريَّاتِ الَّتي لا يَسْتغنِي عنها النَّاسُ، فإنْ لَمْ يكن إمامٌ، حَصَلتِ الفَوْضىٰ، وقال مَنْ شاء ما شاء، وفَعَل مَنْ شاء مَا شاء، ولا يَرْدع السَّفيهَ، ولا يأخذ علىٰ يدِ الظَّالم إلَّا السُّلْطة الشَّرعيَّة، ولقَدْ قال الشَّاعر الجاهليُّ:

لا يَصْلُح النَّاسُ فَوْضَىٰ لَا سَرَاةَ لَهمْ ... وَلا سَراةَ إذا جُهَّالُهمْ سَادُوا[1]

وأنَّ الواجبَ نَصْبُ إمامٍ يُقِيم للنَّاس دينَهم ودنياهُم، فيردعُ السَّفيهَ عن العَبَثِ، ويمنعُ الظَّالم مِن التَّعدِّي، والاستمرار في الظُّلْم، فيأمن النَّاس في ظلِّ هذا الإمام علىٰ دمائهم وأموالهم، فيُؤدُّون فرائضَ الله وهم آمنون؛ يُقِيمون الصَّلاة بالجُمَعِ والجماعاتِ والأعيادِ، وغير ذلك، ويُقِيمُ لهم الحجَّ، ويجاهدُ بهم في سبيل اللهِ، ويَقُودُهم في جهاد الكُفَّار والبُغَاة والمعتدِين، ومِنْ هذا يُقَال: إنَّ الأُمَّة لا تستغني عن إمامٍ يُقِيمُ لها دينَها ودُنياها، ويدفع عنها عاديةَ المعتدِين، ويُقِيم الحدودَ علىٰ الجُناةِ؛ فيجلد الزَّاني البكر، ويُغرِّبُه.

---

(١) من قصيدة للأفوه بن مالك الأودي، انظر: «لباب الآداب» للثعالبي (ص ١١٢).
والمعنىٰ: لا يصلح أنْ يكونَ النَّاسُ بغير أمير، والسَّراة: السَّادة، ولا سادة إذا ساد الجهَّال.

ويَرْجم الزَّاني المحصن إذا ثبت عليه الزِّنا، ويقطع يد السَّارق، ويقتل القاتلَ، ويُقِيمُ الأمرَ بالمعروفِ، والنَّهْي عن المنكر؛ عِلْمًا بأنَّه لا يستطيعُ ذلك إلَّا إذا تَعاوَنَ معه مَنْ تحت يده، فإنْ كان الَّذين تحت يده غير مُتعاونين، لَمْ يتمَّ له شيءٌ مِمَّا قَصَده من جهاد الكُفَّار المعتدين، ومنع العبث والفوضىٰ، وقِتال أهل البغي؛ لأنَّ المقصودَ مِن الإمامةِ هو القيادةُ في هذه الأُمُورِ.

ويَحْسُنُ أنْ يَتوفَّر في الإمام: العدالةُ، والشَّجاعةُ، والحكمةُ، وتقديمُ ما يحبُّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ سواء رَضِيَ النَّاسُ أَمْ سَخِطُوا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ومن هنا نأخذ أنَّ كلَّ ما أمَر اللهُ به ورسولُهُ ففيه الحياةُ والخير، وللكلام في حُقُوقِ الإمامِ علىٰ الرَّعيَّة، والرَّعيَّة علىٰ الإمام موضعٌ غير هذا.

ونحن نعاني من أهل الحِزبيَّاتِ الَّذين يَنْهجُون منهجَ الخوارج في السِّرِّ(١)، نعاني منهم ما اللهُ به عليمٌ، حتَّىٰ إنَّ بعضَهم يُنْكِرُ أنْ يكونَ هناك دولةٌ مُسلمةٌ، أو أنَّ في عُنُقِهِ بيعةً لإمامٍ مسلمٍ.

ومثل هذا يَنْبغي أنْ يُؤخَذ علىٰ يدِهِ، وعلىٰ أيدي مَنْ هُمْ علىٰ شَاكلتِهِ، اللَّهمَّ أصلح وُلَاة أُمُورنا، ووَفِّقهُمْ لما تحبُّ وترضىٰ.

---

(١) يشيرُ الشَّيخُ إلىٰ حزب الإخوان المسلمين، وما انقسم عن هذا الحزب من فكر السُّروريَّة والقطبيَّة وغيرها من الأفكار والجماعات المخالفة للكتاب والسُّنَّة، وما عليه السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم.

ولمزيد من الإيضاح حول ذلك يراجع كتابُ شيخنا النَّجميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المورد العذب الزُّلال فيما انتُقد علىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة مِن العقائد والأعمال»، و«الرَّدّ الشَّرعيّ المنقول علىٰ المتَّصل المجهول»، و«الفتاوىٰ الجليَّة عن المناهج الدَّعويَّة».

وَقَدْ قلتُ في كِتَابي «صيحة الحقِّ»:

وواجِـبٌ نَصْـب إمـامٍ مُسـلمِ ... تَـوفرَّت فيـه شـروطٌ فـاعْلَمِ
كَكَونِـهِ حُـرًّا كَبِيـرًا عَـاقِلًا ... وَذَكَـرًا عَـدْلًا شُـجَاعًا كَـامِلًا
ذَا خِبْـرَةٍ في الحَـرْبِ وَالسَّـلَامِ ... وَعَالمًـا بِشِـرْعَةِ الإِسْـلَامِ
لِكَـي يُقِـيمَ الـدِّينَ للمَعْبُـودِ ... ويَقْمَـعَ الفَسَـادَ بالحـدُودِ
لِكَـي يُشِـيعَ الأَمْـنَ في الـبِلَاد ... وَيَنْشُـرَ الإِسْـلَامَ وَالجِهَـاد



السُّؤال الحادي والعشرون: ما هو الصِّراطُ المستقيمُ، وما صفتُه؟

الجوابُ: الصِّراطُ المسْتَقيمُ: هو العِلْمُ النَّافعُ والعملُ الصَّالح.

والعلمُ النَّافعُ: هو ما جاء به الرَّسُولُ ﷺ مِن الكتاب والسُّنَّة.

والعملُ الصَّالحُ: هو التَّقرُّبُ إلىٰ الله بالاعتقاداتِ الصَّحيحة، وأداءُ الفرائِضِ والنَّوافِلِ، واجتنابُ المَنهيَّات، وهو القيامُ بحُقُوقِ اللهِ، وحُقُوقِ عبادِهِ، ولا يتمُّ ذلك إلَّا بالإخْلَاصِ التَّامِّ لله، والمتَابعةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ والدِّينُ يَدُورُ عَلَىٰ هَذَيْنِ الأَصْلينِ، فمَنْ فَاتَه الإخْلَاصُ، وقَعَ في الشِّرْك، ومَنْ فاتَتْه المتابعةُ، وَقَعَ في البدعِ.

الشرح:

أقول: الصِّراط المستقيم هو الطَّريق الواضح الَّذي تركَنا عليه رسولُ الله ﷺ كما وَصَفه به ربُّه[(١)]، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قَدْ حَثَّنا علىٰ اتِّباع الصِّراطِ المستقيمِ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

السُّبُل: هي طرقٌ شَيْطانيَّةٌ، كلُّ طريقٍ منها عليه شيطانٌ يدعو إليه، وقَدْ مَثَّل النَّبيُّ ﷺ حينما خطَّ خطًّا مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا علىٰ جانبي الخطِّ المستقيم، وقالَ: «هَذَا صِرَاطُ اللهِ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(٢)].

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزخرف: ٤٣]، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٣٥) (٤١٤٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٩٥) (١١١١٠)، من =

وفي روايةٍ: عن أبي شُريحٍ الخُزاعيِّ قَالَ: خَرَج عَلَينا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا، وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟!». قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ سَبَبٌ[1]، طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[2].

فذلك الخطُّ المستقيمُ الَّذي وَضَعه النَّبيُّ ﷺ مثالًا مضروبًا للصِّراطِ المستقيمِ المعنويِّ، وهو الاستقامةُ علىٰ ما جاء في كتاب الله، وفي سُنَّةِ رسولِهِ ﷺ؛ مِن عقائد، وأعمالٍ، وعباداتٍ، تشتمل علىٰ الأعمالِ والأقوالِ، وبذلِ المالِ مِن أجلِ رِضَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ كَأداءِ الزَّكاةِ والجهادِ في سبيل الله بالنَّفْسِ والمالِ، والامتناع عن كلِّ ما نَهىٰ اللهُ عنه مِن الأقوالِ والأعمالِ والعقائدِ.

فمَنِ اسْتقَامَ علىٰ هذا، وعَمِلَ به، فَقَدِ اسْتقَامَ علىٰ الصِّراطِ المستقيمِ، لكن العمل يحتاج إلىٰ علمٍ يُبْنىٰ عليه، ومَنْ عَمِلَ وأجهدَ نَفْسَه بالعبادة بدون عِلْمٍ، وَقَع في الضَّلال؛ كالخوارجِ والصُّوفيَّةِ والشِّيعةِ، وما أشبه ذلك.

وأنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ عبدٍ أَنْ يحرص علىٰ تَعلُّم العلمِ النَّافعِ المأخوذ من كتابِ الله، وسُنَّةِ رسولِهِ علىٰ أيدي العلماء من أهل الحديثِ والأثرِ، واتِّباع المنهج السَّلفيِّ (منهج أهل السُّنَّة والجماعة).

فمَنْ عَبَد اللهَ بغير علمٍ وَقَع في الضَّلال، إمَّا بالزِّيادة أحيانًا والغُلُوِّ، وإمَّا بالتَّقْصير أحيانًا، ولا ينجو العبدُ من هذين الطَّرفَين (الإفراط والتَّفريط، والغلوّ

=

حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٦).

(١) أي: حبل.

(٢) أخرجه ابن حبَّان (١/ ٣٢٩) (١٢٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٧١٣).

والجفاء) إلَّا بالعلمِ النَّافعِ؛ ولذلك فقدْ فسَّر الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الصِّراط المستقيم» بأنَّه: العلمُ النَّافعُ، والعملُ الصَّالحُ، وفسَّر «العلمَ النَّافع» بأنَّه: ما جاء به الرَّسُولُ ﷺ من كتابٍ وسُنَّةٍ، وفسَّر العملَ الصَّالح: بالاعتقاداتِ الصَّحيحة، وأداءِ الفرائضِ والنَّوافلِ، واجتنابِ المَنهيَّاتِ.

وهذا كلامٌ جامعٌ يُكْتَب بماءِ الذَّهَب، وأعاد ذلك كلَّه إلىٰ أمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

ثمَّ قال: «**والدِّينُ يَدُورُ علىٰ هذين الأصلَين، فمَنْ فاتَه الإخلاصُ، وَقَع في الشِّرْكِ، ومَنْ فاتَتْهُ المتابعةُ، وَقَع في البدعِ**»: هذا التَّمثيل جَيِّدٌ في غاية الجودةِ، فالعلمُ النَّافعُ بمنزلةِ الطَّريق، والعملُ الصَّالحُ بمنزلة السَّيْر في ذلك الطَّريق، فمَنْ لَمْ يَعرِفْ الطَّريق، ضلَّ وتاهَ، وَوَقع فيما يَضرُّه، ومَنْ عَرَف الطَّريقَ، ولَمْ يَسِرْ عليها؛ بل تَأرْجَحَ يمنةً ويسرةً، لَمْ يكُن مستقيمًا علىٰ ذلك الطَّريق، والصِّراطُ هو الطَّريقُ الواضحُ الَّذي لا لَبْسَ فيه، ولا اعوجاجَ.

اللَّهمَّ إنَّا نَسألُكَ أنْ تُوفِّقَنا للعلمِ النَّافعِ، والعَملِ الصَّالحِ.

ملحوظةٌ:

الصِّراط في الدُّنيا شيءٌ معنويٌّ؛ وهو متابعةُ ما جاء به الرَّسُول ﷺ، واللهُ يقولُ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٣]، ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ويوم القيامة يكون الصِّراط حِسِّيًا، فيُوضَع الصِّرَاط علىٰ مَتْن جهنَّم؛ أحدُّ من السَّيْف، وأدقُّ من الشَّعر[1]، ولا يَجوزُهُ في ذلك اليوم إلَّا مَنِ اسْتقَامَ في سَيْره

(١) أخرج أحمد في «مسنده» (٦/ ١١٠) (٢٤٨٣٧) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ يَذْكُرُ =

على الكتابِ والسُّنَّةِ.

وَقَدْ وَرَد في مرور العباد على الصِّراط أحاديثُ كثيرةٌ؛ وأنَّ مِنهم مَنْ يكون كَلَمْحِ البصرِ، ومِنْهم مَنْ يكون كَالبَرْقِ، ومِنْهم مَنْ يكون كَالرِّيحِ، ومِنْهم مَنْ يكون كَأَجاوِيدِ الخيل، ومِنهم مَنْ يَسْعىٰ، ومِنْهم مَنْ يُهَرْول، ومِنْهم مَنْ يَمْشي، وأدْنَاهُمْ مَنْ يزحفُ علىٰ بطنِهِ[(١)]، ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عملُهُ لَمْ يُسْرِع به نَسَبُهُ[(٢)].

فعلىٰ قَدْر ما تكون اسْتِقامَتُك علىٰ الحقِّ ومُسَارعتُك في اتِّباعِه، وعدم التَّأرجُحِ في ذلك بقَدْر ما يكون سَيْرُك علىٰ الصِّراطِ يوم القيامةِ، واللهُ لا يظلمُ أحَدًا مِن عِبادِهِ، وباللهِ التَّوْفيق.

=

الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثٍ فَلَا، أَمَّا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّىٰ يَثْقُلَ أَوْ يَخِفَّ فَلَا، وَأَمَّا عِنْدَ تَطَايُرِ الْكُتُبِ، فَإِمَّا أَنْ يُعْطَىٰ بِيَمِينِهِ أَوْ يُعْطَىٰ بِشِمَالِهِ فَلَا، وَحِينَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ، وَيَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ ذَلِكَ الْعُنُقُ: وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، وُكِّلتُ بِثَلَاثَةٍ، وُكِّلتُ بِثَلَاثَةٍ: وُكِّلْتُ بِمَنْ ادَّعَىٰ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَوُكِّلْتُ بِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، قَالَ: فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ وَيَرْمِي بِهِمْ فِي غَمَرَاتٍ، وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمُكَوَّرٌ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجْهِهِ».

(١) أخرج البخاريُّ (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المؤمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخيلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

(٢) جزءٌ مِن حديثٍ أخرجه مسلمٌ (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومعناه: مَن كان عملُه ناقصًا لم يلحقه بمرتبةِ أصحابِ الأعمالِ، فينبغي ألَّا يتَكلَ علىٰ شرفِ النَّسَبِ، وفضيلةِ الآباءِ، ويقصر في العملِ.

السُّؤالُ الثَّاني والعشْرون: ما هي الأوصاف الَّتي يَتميَّز بها المؤمنُ عن الكافرِ والجاحدِ؟

الجوابُ: هذا سُؤالٌ عظيمٌ، بالفرق بَيْن المؤمن وغيره يَتميَّز الحقُّ والباطلُ، وأهلُ السَّعادَةِ مِن أهل الشَّقَاوة، فاعْلَمْ أنَّ المؤمنَ حقًّا؛ هو الَّذي آمنَ باللهِ، وبأسمائِهِ وصفاتِهِ الواردة في الكتابِ والسُّنَّة علىٰ وَجْه الفَهْم لها، والاعْتِرافِ بها، وتَنْزيههِ عمَّا يُنافي ذلِكَ، فامْتَلأَ قَلبُهُ إيمانًا، وعِلْمًا، ويَقِينًا، وطُمَأْنينةً، وتَعلُّقًا باللهِ، فأنابَ إلىٰ اللهِ وحدَه، وتَعبَّد للهِ بالعباداتِ الَّتي شَرَعها علىٰ لسانِ نَبيِّه ﷺ مُخلِصًا للهِ بها؛ راجيًا لثَوابِهِ؛ خائِفًا مِن عِقابِهِ، شاكرًا لله بقَلبِهِ ولِسَانِه وجوارحِه علىٰ نِعَمِ اللهِ، وإحسانِه العَظيم الَّذي يَتقلَّب به في جميعِ السَّاعات لاهجًا بِذِكْرِهِ؛ لا يَرىٰ نِعْمةً أَعظَمَ مِن هذه النِّعْمَة؛ ولا كرامةً أعظم منها؛ يهزأُ بِلذَّاتِ الدُّنيا المَادِّيَّة إذا نُسِبَتْ إلىٰ لَذَّة الإنابةِ إلىٰ اللهِ، والإقبالِ علَيهِ وحدَه.

ومَعَ هذا فَقَدْ أَخَذ نَصِيبًا وافرًا مِن لَذَّات الحياة، وتَمتَّعَ بها لا علىٰ الوجهِ الَّذي يَتمتَّع به الجاحدون أو الغافلُون؛ بل تَمتَّع بها علىٰ وجْهِ الاسْتعانَةِ بها علىٰ القِيَامِ بِحُقُوقِ اللهِ وحُقُوقِ عِبادِه، وبذلكَ الاحتِساب والرَّجَاء تَمَّت بها لَذَّاته، واسْتَرَاحَ قلبُه، واطْمأنَّ، وَلَمْ يَحزَنْ إذا جاءَتْه الأُمُورُ علىٰ خِلافِ ما يُحبُّ، فهذَا قَدْ جَمَعَ اللهُ له بَيْن سَعَادَةِ الدُّنيَا والآخِرةِ.

أمَّا الجاحدُ الغافلُ؛ فهُو علىٰ خِلافِ ذلك، وقَدْ جَحَدَ ربَّه العظيمَ الَّذي قامَتْ البَراهينُ العقليَّة والنَّقليَّة، والعُلُوم الضَّروريَّة والحِسِّيَّة علىٰ وُجُودِهِ وكمالِهِ، فَلَمْ يعبأْ بذلك كلِّه، فَلمَّا انْقطَعَ عن اللهِ اعترافًا وتَعبُّدًا، تَعلَّق بالطَّبيعة فعبَدَها، وصارَ قلبُهُ شبيهًا بقُلُوب البهائمِ السَّائمةِ، ليس له هِمَّةٌ إلَّا التَّمتُّع بالأُمُور

المادِّيَّة، وقلبُهُ دائمًا غير مُطْمئنٍّ؛ بل خائفٌ من فَوَات مَحْبوباتِهِ، وخائفٌ من حُصُول المَكَاره الَّتي تَنْتابُهُ، وليس له مِنَ الإيمانِ ما يُسهِّل عليه المصيبَاتِ، وما يُخفِّف عنه النَّكَبات، وقَدْ حُرِم لَذَّةَ الإيمان، وحلاوة التَّقرُّب إلىٰ الله، وثَمَرَات الإيمان العاجلةِ والآجلةِ، لا يرجُو ثوابًا، ولا يخشَىٰ عِقَابًا، وإنَّما خوفُهُ ورجاؤُهُ مُتعلِّقٌ بِمَطالِبِ النُّفُوس الدُّنيويَّة الخسِيسةِ المادِّيَّة.

الشرح:

أقولُ: هَذِهِ الأوصافُ الَّتي أَوْرَدها المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمُؤمن حيثُ يَتميَّز بها عن غيرِهِ مِن أهل الكُفْر والجُحُود، أو أهل الغَفْلة الَّذين لا تَهمُّهم إلَّا الدُّنيا ولذَّاتها، وما أحسنَ حال المُؤمن الَّذي شارك الآخرين في التَّمتُّع باللَّذَّات المُباحة علىٰ وجهٍ يرضاه الله مِن عباده! حيثُ يقولُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وهو يَكْتسبُ المالَ كما يَكْتسبُهُ الآخرون، ولكنَّه مُقيَّدٌ بالإباحة الواضحة، مُبْتعدًا عن الشُّبَه، ذاكرًا في نفسِهِ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاسُ**»(١)، وقوله ﷺ: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ؛ أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ؛ أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا**

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣)، مِن حديثِ النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»[(١)].

فهو لا يُقدِم على الكَسْبِ إلَّا مِن الوجه الحَلَالِ البيِّن، ويجتنبُ الحرامَ البيِّنَ، ويجتنبُ المُتشابهاتِ، ذلك لأنَّه يسيطر على نفسِه الإيمانُ العميقُ، إنَّ الدُّنيا ما هي إلَّا طريقٌ إلى الآخرة، وأنَّ مَنْ تَزوَّد بالحرام، فلَعلَّه ينقطع عن السَّيْر، أو يتأرجح في سَيْره ويضعف؛ ذلك لأنَّه قَدْ تَزوَّد بالعِلْمِ النَّافعِ الَّذي يَنْبني عليه الإيمانُ باللهِ؛ أي: الإيمانُ بِوُجُودِهِ، والإيمان بأسمائِهِ وصفاتِهِ، والإيمانُ بكمالِ أسمائِهِ، وكمالِ صفاتِهِ، وأنَّه لا يشبهه فيها أحدٌ، فله القُدْرةُ الكاملةُ الَّتي لا يتعاصَى عليها شيءٌ، وله العلمُ الشَّاملُ الَّذي لا يَفُوتُه شيءٌ.

وله الحكمةُ الَّتي يضعُ بها الأشياء في مواضعها، وله الحُجَّةُ على عبادِهِ، وأنَّ كلَّ اسمٍ وصفةٍ من أسمائِهِ وصفاتِهِ فهي كاملةٌ في بابها، لا يشبهُه فيها أحدٌ من خَلْقه، ومِن أجل ذلك يؤمن بأنَّه مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خَلْقه، وعلمُه بكلِّ مكانٍ، وأنَّ كلَّ حركةٍ من الإنسان؛ سواء كانت بالقلبِ أو اللِّسانِ أو الجوارحِ؛ فهو يعلمُها؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

فإذا آمن باللهِ، وكان مراقبًا لله في تَصرُّفاتِهِ، فأخذ من لَذَّات الدُّنيا الحلال مستعينًا بها على طاعة الله، فذلك هو المؤمنُ الَّذي انتفع بإيمانه في الدُّنيا والآخرة، فجمعت له السَّعادتين، فهو مُطمئنٌّ قلبُهُ بذِكْرِ اللهِ، فإذا جاءته بعضُ المُكدِّرات استعلى عليها، واستهانَ بها، وعَلِمَ أنَّ أمد الدُّنيا قصيرٌ، والآخرة خيرٌ لِمَن اتَّقى.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قولُه: «أمَّا الجَاحِدُ الغَافِلُ فَهُوَ عَلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ وَقَدْ جَحَدَ رَبَّهُ العَظِيمَ الَّذِي قَامَتْ البَرَاهِينُ العَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ، وَالعُلُومُ الضَّرُورِيَّةُ، وَالحِسِّيَّةُ عَلَىٰ وُجُودِهِ وَكَمَالِهِ، فَلَمْ يَعْبَأْ بِذَلِكَ كُلِّهِ...». إلخ.

وأقول: إنَّ وَصْفَ المُؤلِّفِ للجاحدِ والغافلِ وَصْفٌ ينطبق علىٰ حالِهِ، أي: علىٰ حالِ الجَاحِدِ والغَافلِ، فمَنْ جَحَد ربَّه، وكَفَر به؛ اسْتَوْلَىٰ عليه الشَّيْطانُ؛ وزَيَّنَ له الدُّنْيا بالأماني، وجَعَل قلبَه غافلًا عنِ الإيمانِ الَّذي يحيا به؛ مُقْبلًا علىٰ الدُّنيا ومَلاذِّها من أيِّ وجهٍ أتته، وبأيِّ طريقٍ وصلتْ إليه؛ لا يُبَالي بعد الوُصُولِ إليها؛ هل وصلَتْ إليه مِن طريقٍ حلالٍ أم حرامٍ؛ قَدْ فَقَد خشيةَ الله، وفَقَد رجاءَه، وفَقَدَ الإيمانَ به، وعَكَف قلبُهُ علىٰ الهوىٰ، والأطماعِ، والشَّهواتِ والشُّبُهاتِ الصَّارفةِ عنِ الإيمانِ، فحُرِم كلَّ خيرٍ، ووقَعَ في كلِّ شرٍّ.

فنسألُ اللهَ أنْ يُحيي قُلُوبنا بالإيمانِ، وأن يَصْرف عنَّا مكائدَ الشَّيْطان، وبالله التَّوْفيق.



قال: «ومِنْ أَوْصَافِ المُؤْمِنِ: التَّوَاضُعُ لِلحَقِّ، وَلِلخَلْقِ، والنَّصِيحَةُ لِعِبادِ اللهِ عَلَىٰ اختِلافِ مَرَاتِبِهِمْ قَولًا وَفِعْلًا وَنِيَّةً، وَالجَاحِدُ: وَصفه بالتَّكَبُّرِ عَلَىٰ الحقِّ، وَعَلَىٰ الخَلْق، والإِعْجَاب بالنَّفْس، لا يَدِينُ بالنَّصِيحَةِ لأَحدٍ.

المُؤمنُ سَلِيمُ القَلْبِ مِنَ الغِشِّ، والغِلِّ، والحِقْدِ؛ يُحِبُّ للمُسْلِمِينَ مَا يحِبُّ لِنَفسِهِ، ويَكْرَه لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لنَفْسِهِ، ويَسْعَىٰ بحَسَبِ وُسْعِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ، ويَتَحَمَّلُ أَذَىٰ الخَلْق ولا يَظْلِمُهُمْ بوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ.

والجاحدُ قلبُهُ يَغْلي بالغلِّ، والحِقْدِ، وَلا يُرِيدُ لأَحَدٍ خَيرًا وَلا نَفْعًا، إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ غَرَضٌ دُنْيَوِيٌّ، وَلا يُبَالي بظُلْمِ الخَلْقِ عِنْدَ قُدْرَتِهِ؛ وَهُوَ أَضْعَفُ شَيءٍ عَنْ تَحَمُّل مَا يُصِيبُهُ مِنْهُمْ.

المؤمِنُ صَدُوقُ اللِّسانِ؛ حَسَنُ المُعَامَلَةِ، وَصْفُهُ: الحِلْمُ، والوَقَارُ، والسَّكِينَةُ، والرَّحْمةُ، والصَّبْرُ، والوفاءُ، وسُهولَةُ الجَانِبِ، وَلِينُ العَرِيكَةِ. والجَاحِدُ وَصْفُهُ: الطَّيْشُ، والقَسْوَةُ، والجَزَعُ، والهَلَعُ، والكَذِبُ، وَعَدَمُ الوَفَاءِ، وَشَرَاسَةُ الأَخْلَاقِ.

المؤمِنُ: لا يَذِلُّ إِلَّا للهِ؛ قَدْ صَانَ قَلْبَه وَوَجْهَهُ عَنْ بَذْلِهِ وَتذلُّلهِ لِغَير رَبِّه. وَصْفُه: العِفَّةُ، والقُوَّةُ، والشَّجَاعَةُ، وَالسَّخَاءُ، وَالمرُوءَةُ، لا يَخْتَارُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبٍ.

أَمَّا الجَاحِدُ: فَعَلَىٰ الضِّدِّ مِنْ ذَلِكَ؛ قَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بالمخْلُوقِينَ خَوفًا مِنْ ضَرَرِهِمْ، وَرَجَاءً لِنَفْعِهِمْ، وَبَذَلَ لهُم مَاءَ وَجْهِهِ، وَلَيْسَ لَهُ عِفَّةٌ، وَلا قُوَّةٌ، وَلا شَجَاعَةٌ إِلَّا فِي أَغْرَاضِهِ السُّفْلِيَّةِ؛ عَادِمِ المُروءةِ والإنسانيَّةِ، لا يُبَالِي بِمَا حَصَلَ لَهُ مِن طَيِّبٍ أَوْ خَبِيثٍ.

المؤمِنُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ السَّعْي فِي فِعْلِ الأَسْبَابِ النَّافِعَةِ، وَالتَّوَكُّل عَلَىٰ اللهِ، وَالثِّقَة بِهِ، وَطَلَبِ العَونِ منْهُ فِي كُلِّ الأُمُورِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فِي عَوْنِه.

وأمَّا الجَاحِدُ: فَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ التَّوَكُّلِ خَبَرٌ، وَلَيْسَ لَهُ نَظَرٌ إِلَّا إِلَىٰ نَفْسِهِ الضَّعِيفَةِ المَهِينَةِ؛ قَدْ وَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّىٰ لِنَفْسِهِ، وَخَذَلَهُ عَنْ إِعَانَتِهِ عَلَىٰ مَطَالِبِهِ؛ فَإِنْ قُدِّرَ لَهُ مَا يُحِبُّ، كَانَ اسْتِدْرَاجًا.

المؤمِنُ إِذَا أَتَتْهُ النِّعَمُ، تَلَقَّاهَا بالشُّكْرِ، وَصَرَفَهَا فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَيَعُودُ عَلَيهِ بِالخَيرِ.

المؤمِنُ إِذَا أَصَابَتْهُ المَصَائِبُ قَابَلَهَا بالصَّبْرِ وَالاحْتِسَابِ، وَارْتِقَابِ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَالطَّمَعِ فِي زَوَالِها، فَيَكُونُ مَا عُوِّضَ مِنَ الخيرِ وَالثَّوابِ أَعْظَمَ مِمَّا فَاتَهُ مِنْ مَحْبُوبٍ، أَوْ حَصَلَ لَهُ مِنْ مَكْرُوبٍ.

وَالجَاحِدُ يَتَلَقَّاهَا بهَلَعٍ وَجَزَعٍ، فَتَزْدَادُ مُصِيبَتُهُ، وَيجتَمِعُ عَلَيهِ أَلَمُ الظَّاهِرِ وأَلَمُ القَلْبِ؛ قَدْ عُدِمَ الصَّبْرِ، وَلَيْسَ لَهُ رَجَاءٌ فِي الأَجْرِ، فَمَا أَشَدَّ حَسْرَتَهُ، وَمَا أَعْظَمَ حُزْنَهُ.

المؤمنُ يَدِينُ لله عَزَّوَجَلَّ بالإيمانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، وَتَعْظِيمِهِمْ، وَتَقْدِيمِ مَحبَّتِهِمْ عَلَىٰ مَحبَّةِ الخَلْقِ كُلِّهِم، وَيَعْتَرِفُ أَنَّ كُلَّ خَيرٍ يَنالُه الخَلْق إِلَىٰ يومِ القِيامَةِ فَعَلَىٰ أَيْدِيهِمْ، وَبِإِرْشَادِهِمْ، وَكُلَّ شَرٍّ وَضَرَرٍ يَنَالُ الخَلْقَ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَتُهُمْ؛ فَهُمْ أَعْظَمُ الخَلْقِ إِحْسَانًا إِلَىٰ الخَلْقِ، وَخُصُوصًا إِمَامُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً للعَالَمينَ، وَبَعَثَهُ لِكُلِّ صَلاحٍ وَإِصْلَاحٍ وَهِدَايَةٍ.

وأَمَّا المُلْحِدُونَ فَبِضِدِّ ذَلِكَ: يُعَظِّمُونَ أَعْدَاءَ الرُّسُلِ، وَيَحترِمُونَ أَقوَالَهمْ، وَيَهْزَؤُونَ كَأَسْلَافِهِمْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَذَلِكَ أَكْبرُ دَلِيلٍ عَلَىٰ سَخَافَةِ عُقُولِهِم، وهُبُوطِ أَخْلاقِهِم إِلىٰ أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

الشرح:

أقول: تأمَّل في هذه الأوصافِ تجدها مُتضادَّةً؛ فالمؤمنُ صفتُهُ التَّواضعُ للحقِّ وللخَلْقِ. والجاحدُ صفتُهُ التَّكبُّر على الحقِّ، وعلىٰ الخَلْقِ، فتجد البَوْن

شاسعًا، والفرق كبيرًا بين مؤمنٍ متواضعٍ، وجاحدٍ متكبّرٍ، المؤمنُ تواضعَ للحقّ وللخَلْقِ؛ لأنّه عَرَفَ ربَّه، وعَرَفَ نفسَه، عَرَفَ ربَّه بالكمال، وعَرَفَ نفسَه بالضَّعْفِ والقُصُورِ، ولَمْ يحمله ادِّعاءُ الكمالِ علىٰ التَّكبُّرِ، مؤمنًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

والجاحدُ: وضِدُّه التَّكبُّرِ علىٰ الحقّ، وعلىٰ الخَلْقِ؛ لأنَّ إمامه إبليس الَّذي اعترض علىٰ رَبِّه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وَامْتَنَعَ من السُّجُودِ افتخارًا بأصلِه.

المؤمنُ يَدِينُ بالنَّصيحة لعباد الله علىٰ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِم قولًا وفعلًا ونِيَّةً.

أمَّا الجاحدُ: فَيَدْفعه الإعجابُ بالنَّفْس إلىٰ التَّكبُّر والتَّغطْرس، ولا يبذلُ النَّصيحة لأحدٍ كائنًا مَنْ كان؛ بل يَدَّعي الكمالَ لنفسِهِ، ويحتقر غيره ويزدريه.

قوله: «**المُؤْمنُ سَلِيمُ القَلْبِ مِنَ الغِشِّ، والغِلِّ، والحِقْدِ؛ يُحِبُّ للمُسْلِمِينَ مَا يحِبُّ لِنَفْسِهِ، ويَكْرَه لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لنَفْسِهِ، ويَسْعَىٰ بحَسَبِ وُسْعِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ، ويَتَحَمَّلُ أَذَىٰ الخَلْق ولا يَظْلِمُهُمْ بوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ**»:

وأقول: هذا وصفٌ للمؤمنِ الكاملِ بسلامة قلبه من الغِشِّ والغلِّ والحقدِ، وهذا لا ينطبق إلَّا علىٰ المؤمنين الكُمَّل، وحتَّىٰ المؤمنين الكُمَّل قَدْ يوجد في قُلُوبهم شيءٌ من الغلِّ والضَّغينةِ، وقَدْ أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين الَّذين يدخلون الجنَّة بأنَّه نَزَع من صُدُورِهم الغلَّ مَعَ كمالِ إيمَانِهِمْ، فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وعلىٰ هذا، فإنَّ حالَ المؤمنِ الكاملِ الإيمان: سلامةُ القلبِ من هذه الخِصَالِ، واتِّصافه بالسَّعْي في نَفْع المؤمنين، وتَحمُّل الأذىٰ منهم، وأنَّه لا

يظلمهم بوجه من الوجوه، نسأل الله أن يجعلنا كذلك.

قوله: «والجاحدُ قلبُهُ يغلي بالغلِّ، والحقدِ، ولا يريدُ لأحدٍ خيرًا ولا نفعًا، إلا إذا كانَ لَهُ في ذلكَ غرضٌ دنيويٌّ، ولا يُبالي بظلم الخلقِ عندَ قُدرتِهِ؛ وهُوَ أضعفُ شيءٍ عَنْ تحمّلِ ما يُصيبُهُ منهُم»:

لقد وصف الشيخ الجاحدَ بعكس صفات المؤمن؛ فهو قلبُه يغلي حقدًا على الغير؛ مليءٌ بالحقدِ والبُغضِ والكراهيةِ، وأنّه لا يريد إيصال خيرٍ إلى أحدٍ، ولا إيجادَ نفعٍ له، ولا يُبالي بظُلْم الخَلْق عند قُدرتِه؛ لأنّه لا يؤمن بجزاءٍ ولا حسابٍ، ولا يخاف وعيدًا، ولا يرهب من عقابٍ؛ لانعدام إيمانِه بهذه الأمُور.

وقوله: «المؤمِنُ صَدُوقُ اللِّسَانِ؛ حَسَنُ المُعَامَلَةِ، وَصْفُهُ: الحِلْمُ، والوَقَارُ، والسَّكِينةُ، والرَّحْمةُ، والصَّبْرُ، والوفاءُ، وسُهولَةُ الجَانِبِ، وَلِينُ العَرِيكَةِ.

والجَاحِدُ وَصْفُهُ: الطَّيْشُ، والقَسْوَةُ، والجَزَعُ، والهَلَعُ، والكَذِبُ، وَعَدَمُ الوَفَاءِ، وَشَرَاسَةُ الأَخْلَاقِ»:

إذًا فهذه الصِّفاتُ متقابلةٌ تَقابُلَ الأَضْدادِ؛ فالحِلْمُ والوقارُ والسَّكينةُ صفة المؤمن. والطَّيْشُ والقسوةُ والجزعُ صفةُ الجاحدِ، والصَّبر والوفاءُ صفةُ المؤمنِ. والهلعُ والكذبُ وعدمُ الوفاءِ صفة الجاحد. وسهولةُ الجانبِ وَلِينُ العَرِيكةِ صفة المؤمن. وشراسةُ الأخلاقِ وضيق النَّفْس صفة الجاحد؛ فهي متقابلةٌ تقابُل أضدادٍ.

الصِّفاتُ الجَيِّدةُ والكريمةُ صفاتُ المؤمنِ، وصفاتُ اللُّؤمِ والقسوةِ والجزعِ صفاتُ الجاحدِ، وباللهِ التَّوفيق.

قوله: «المؤمنُ: لا يَذِلُّ إلّا لله؛ قَدْ صَانَ قَلْبَه وَوَجْهَهُ عَنْ بَذْلِهِ، وَتَذَلُّلِهِ لغَيرِ رَبِّهِ. وَصْفُه: العِفَّةُ وَالقُوَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، والسَّخَاءُ، وَالمرُوءَةُ، لا يختَارُ إلّا كُلَّ طَيِّبٍ»:

وأقولُ: وَصَفَ المُؤلِّف المؤمنَ بأنَّه لا يذلُّ إلَّا لله؛ أي: ذُلّ العبادة، أمَّا الخوفُ الطَّبيعيُّ كَأَنْ يخاف من عدوٍّ صائلٍ[1] أن يصيبه بأذًى، أو يخاف مِن سَبُعٍ، أو كلبٍ عَقُورٍ، هذا ليس مِن ذُلِّ العبادة، ولا مِن خوفِ العبادةِ؛ بل هو خوفٌ مِن شيءٍ حسِّيٍّ.

قولُه: «قَدْ صَانَ قَلْبَه، وَوَجْهَهُ عَنْ بَذْلِهِ، وتذلُّله لِغَير رَبِّهِ»؛ أي: صَانَ قَلْبه أن يَتذلَّل لغير الله تَذلُّل عبادةٍ بحيث يَدَّعي أو يعتقد أنَّ له سلطانًا غَيبيًّا، وأنَّه يقدرُ أَنْ يَضرَّه بما لا يقدرُ عليه إلَّا الله، فهذا لا يحصلُ من المؤمن؛ بل المؤمن لا يكون مؤمنًا إلَّا باعتقادِ تَفرُّد اللهِ عَزَّوَجَلَّ بالضُّرِّ والنَّفْع دون سواه؛ ولهذا فإنَّه وصفَه بالعِفَّة، والقُوَّة، والشَّجَاعة، والسَّخَاء، والمروءة، وأنَّه لا يختار إلَّا كلَّ طَيِّبٍ؛ فهو عفيفٌ عن أَخْذِ المالِ الحرام، أو الوُقُوع في طائلةِ الزِّنا، يَتَّصف بالقُوَّة الَّتي يَمْنع بها نفسَه عمَّا يُغْضِبُ الله عَزَّوَجَلَّ، ويدفعها إلىٰ ما يُرْضِيه، وكذلك يَتَّصف بالشَّجَاعة علىٰ قولِ الحقِّ وإِنْ أغضبَ النَّاسَ، والبُعْدِ عن الكذبِ والرِّياء، ويَتَّصف بالسَّخَاء؛ وهو كونه يبذل ما يوصله إلىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويبلغه إلىٰ رضاه، فتَسْخُو نفسه بالمال والجاه، وما يتبع ذلك من أغراضِ الدُّنْيا إذا رأىٰ أنَّ تلك الأُمُور تَحُولُ بينه وبَيْن مرادِ الله عَزَّوَجَلَّ، أو تُعرقله وتُؤرْجِح سَيْره، فكذلك لا يختار إلَّا كلَّ طَيِّبٍ، ليَتوصَّل به إلىٰ مرضاتِ رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُسْتَشعرًا قول النَّبيِّ ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإِنَّ اللهَ أَمَرَ المؤْمِنِينَ بمَا أَمَرَ بِهِ المرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ

(١) الصِّيال: الاستطالة والوثوب علىٰ الغير بغير حقٍّ.

﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ[1] يَمُدُّ يَدَيهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»[2].

قوله: «أَمَّا الجاحِدُ: فعَلَىٰ الضِّدِّ مِن ذَلِكَ، قَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بالمخلُوقِينَ خَوْفًا مِن ضَرَرِهِمْ، وَرَجَاءً لنفعِهِمْ، وَبذَل لهم مَاءَ وجْهِهِ، وَلَيسَ لَهُ عِفَّةٌ، وَلَا قُوَّةٌ، وَلَا شَجَاعَةٌ إِلَّا فِي أَغْرَاضِهِ السُّفْلِيَّةِ عَدِيمِ المُرُوءةِ الإنسانيَّة؛ لا يُبَالي بما حَصَلَ لَهُ مِنْ طَيِّبٍ أَوْ خَبِيثٍ».

وأقول: أمَّا الجاحد، فإنَّ أَوْصافه علىٰ الضِّدِّ من ذلك؛ فإنَّك تجد قَلْبه مُلطَّخًا بالشُّبُهاتِ والشَّهواتِ، ويتذلَّل لغيرِ ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لذلك فهو يخونُ، ويغدرُ، ويَخُورُ، ويضعفُ عن الاتِّصافِ بالخصالِ الحميدةِ الَّتي يَتَّصفُ بها المؤمنُ من العِفَّةِ، والقُوَّةِ، والشَّجاعةِ، والسَّخاءِ، والمروءةِ، ونعوذ بالله من ضَعْفِ الإيمانِ وتَعلُّق القلبِ بغير الرَّحْمنِ، اللَّهمَّ إنَّا ضعفاء فلا نقدر علىٰ القِيَامِ بِحُقُوقك إلَّا بعونٍ منك؛ فأعنَّا يا ربَّ العالمين.

قوله: «لَيسَ لَهُ عِفَّةٌ، وَلَا قُوَّةٌ، وَلَا شَجَاعَةٌ إِلَّا فِي أغراضِهِ السُّفْلِيَّةِ؛ عَدِيمُ المرُوءَةِ والإِنْسَانِيَّةِ؛ لا يُبَالي بما حصَلَ لهُ مِن طَيِّبٍ أَوْ خَبِيثٍ»:

(١) الأشعث: مَن تغيَّر شعرُه وتلبَّد من قلَّة تعهُّده بالدّهن. والأغبر: مَن عليه الغبار، وهو ما صَغُر من التراب والرماد.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعوذُ باللهِ من هذه الصِّفاتِ، ونسأل الله أن يمنحنا صفات أهل الإيمان والإيقان.

قوله: «المؤمِنُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ السَّعْيِ فِي فِعْلِ الأَسْبَابِ النَّافِعَةِ، والتَّوَكُّل عَلَىٰ اللهِ، والثِّقَة بِهِ، وَطَلَب العَونِ مِنْهُ فِي كُلِّ الأُمُورِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فِي عَوْنِهِ»:

أقول: أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بالسَّعْي في فِعْلِ الأسبابِ النَّافعةِ، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦٠، ٦١]، فَقَدْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإعدادِ القُوَّة الَّتي ترهب العدوَّ، وحثَّ علىٰ التَّوكُّل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأخبر بأنَّه سميعٌ عليمٌ؛ أي: سميعٌ لما يكون منكم، عليمٌ به، فالمؤمنُ مأمورٌ بالجَمْع بَيْن السَّبب المَادِّيِّ، والتَّوكُّل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والاعتماد عليه في نجاح ذلك السَّبَب، ولهذا كان ﷺ يُوصِي أُمَراء السَّرَايا والغُزاة، فيقولُ: «**اغْزُوا باسْم اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللهِ؛ اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**[(١)]»[(٢)].

فَأَمَرهم بالغَزْوِ والقتالِ، ونَهَاهُمْ عن الغُلُولِ والغَدْرِ وقَتْل الضُّعَفاء الَّذين لا يقاتلون؛ لئلَّا تصيبهم مَعرَّة هذه المعاصي، فينالهم من الفشلِ وانتصارِ العدوِّ عليهم ما ينالهم.

---

(١) قوله ﷺ: «**ولا تَغُلُّوا**» مِن الغلول، ومعناه: الخيانة في الغنم، أي: لا تخونوا في الغنيمة. «**وَلَا تَغْدِرُوا**»: أي: ولا تنقضوا العهد. «**وَلَا تُمَثِّلُوا**»: أي: لا تشوِّهوا القتلىٰ بقطع الأنوف والآذان. «**وليدًا**»: أي: صَبيًّا؛ لأنَّه لا يُقاتلُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١)، من حديث بُريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثمَّ ذَكَر الجاحدَ، وأخبر بأنَّه لا يمتُّ إلىٰ التَّوكُّل علىٰ الله بصلةٍ، وليس له اعتمادٌ علىٰ الله، وإنَّما اعتمادُهُ علىٰ نفسِهِ الضَّعيفةِ المهينةِ، فلذلك ولَّاه اللهُ ما تولَّىٰ، فوكَلَه إلىٰ نفسِهِ، وحَرَمه من إعانتِهِ - سبحانه - علىٰ مطالبِهِ؛ فإنْ قدَّر اللهُ له شيئًا مِمَّا يحبُّ، فإنَّما هو استدراجٌ.

قوله: «المؤمِنُ إذَا أَتَتْهُ النِّعَمُ، تَلَقَّاهَا بِالشُّكْرِ، وصَرَفَهَا فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَيَعُودُ عَلَيهِ بالخَيرِ»:

أقولُ: هذه صفةُ المؤمنِ الَّذي يكون مؤمنًا بربِّه، منقادًا لأوامرِهِ؛ مجتنبًا لنواهيه، خائفًا من عقابِهِ؛ لائذًا به، مُتوكِّلًا عليه، فهو إذا أتته النِّعم تلقَّاها بالشُّكر والطَّاعة، وصرَفها فيما ينفعه في أُمُورِ دِينِهِ ودنياه، بعيدًا عن التَّباهي، والسَّرَف، والبَطَر[1]، والمَرَح.

أمَّا غير المؤمن؛ فإنَّه بالعكس من ذلك: يتلقَّىٰ النِّعَم بأشرٍ[2]، وبطرٍ، واشتغالٍ بالنِّعم عن المُنْعم وعن شُكْرِهِ، فيصرفها في أغراضِ نفسِهِ السُّفليَّة؛ وهي مع هذا سريعٌ زوالها، قريبٌ انفصالها، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ ذمَّ أهلَ الأشرِ، والبطرِ، والمرحِ، والفرحِ بالباطل، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦].

فالَّذين يَفْرحون بِمَصائِبِ المؤمنين أتباعِ الرُّسُلِ، ويُحبُّون أنْ يعلوَ الباطلُ علىٰ الحقِّ؛ فإذا ظفرُوا بشيءٍ من أحدِ المؤمنين، فرحوا به ونشروه، وتَباهَوْا، وتكبَّروا بذلك، وزعموا أنَّ ذلك بِقُوَّةِ ذَوَاتِهم؛ هذه حال أهل النِّفاق الَّذين نظراتهم مرتبطةٌ بالأُمُورِ المَادِّيَّة.

---

(١) البطر: الطغيان عند الحق.

(٢) الأشر: هو المرح واللجاج.

فاللهُ قَدْ يَبْتلي المؤمنين أو بعضهم بشيءٍ من الضَّعْف في بعض الحالات أو بعض المواقف؛ ولكنَّ المؤمن لاتِّصالِهِ بربِّه، وتَجدُّد ارتباطِهِ به، وتَوكُّله عليه، قَدْ يكتسبُ بالصَّبْر والتَّقْوىٰ ما يكتسبُ مِن النَّصْر علىٰ عَدُوِّه، فيفرحُ بنصر الله لا لِرِفْعةِ ذاتِهِ، ولكن لِرِفْعةِ دينِهِ، وانتصارِهِ علىٰ الباطلِ وأهلِهِ.

قوله: «المؤْمِنُ إِذَا أَصَابَتْهُ المَصَائِبُ قَابَلَهَا بِالصَّبْرِ والاحْتِسَابِ، وَارْتِقَابِ الأَجْرِ والثَّوَابِ، والطَّمع في زَوَالِها، فَيَكُون مَا عُوِّضَ مِن الخَيرِ والثَّوابِ أَعْظَم مِمَّا فاتَه مِن محْبُوبٍ، أَوْ حَصَلَ لَهُ مِن مَكْرُوبٍ.

والجَاحِدُ يَتَلَقَّاهَا بهَلَعٍ وَجزَعٍ، فَتَزْدَادُ مُصِيبَتُهُ، وَيجْتَمِعُ عَلَيهِ أَلَمُ الظَّاهِرِ وَأَلَمُ القَلْبِ؛ قَدْ عدمَ الصَّبْر، وَلَيْسَ لَهُ رَجَاءٌ في الأَجْر، فَمَا أَشَدَّ حَسْرَتَه! وَمَا أَعْظَم حزنَه!».

وما يقوم به علىٰ تَحمُّلها، فلذلك يزداد حزنُهُ، فما أعظم ما للمؤمنين من الذَّخِيرة والقُوَّة باحتساب الأجر عند الله، والصَّبْر علىٰ المصائب طمعًا في رِفْعة الدَّرجاتِ في الجنَّة، وعُلوِّ المكانة عند الله عَزَّوَجَلَّ. نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهلِ طاعتِهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤْمِنُ يَدِينُ لله عَزَّوَجَلَّ بالإيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُل، وَتَعْظِيمِهِمْ، وَتَقْدِيم مَحَبَّتهم عَلَىٰ مَحبَّة الخَلْق كُلِّهم، وَيَعْترِفُ أَنَّ كُلَّ خَيرٍ يناله الخَلْق إِلىٰ يوم القِيامَة فَعَلَىٰ أَيْدِيهم، وبِإِرْشَادِهِمْ، وَكُلّ شَرٍّ وَضررٍ يَنَالُ الخَلْق فَسَبَبُهُ مُخَالَفَتُهُمْ؛ فَهُمْ أَعْظَمُ الخَلْق إِحْسَانًا إِلَىٰ الخَلْق، وَخُصُوصًا إِمَامُهُمْ وَخَاتمُهُمْ مُحمَّدٌ ﷺ الَّذِي جعَلَه اللهُ رَحْمَةً للعَالَمينَ، وَبَعَثه لِكُلِّ صَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ وَهِدَايَةٍ»:

وهذه الجملة لو عوضت بقوله: «وجعل بعثته سببًا لكلِّ صلاحٍ وإصلاحٍ وهدايةٍ» لَكَانَ أَوْلىٰ.

وأقول: الإيمانُ بالرُّسُلِ هو أحدُ أركانِ الإيمانِ، فلا يكون العبدُ مؤمنًا حتَّىٰ

يعترف بهذا الرُّكْنِ؛ فيؤمن بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، ويعلم أنَّهم خِيرَةُ اللهِ من خَلْقِه، اختارهم لهداية البشريَّة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وإنَّ أعظمَهم أولو العزم الخمسة، وهُمْ: نوحٌ، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومُحمَّدٌ ﷺ مع سائر الرُّسُل الَّذين هم دونهم تجب مَحبَّتهم وتعظيمهم، وتقديمهم في المَحبَّة علىٰ غيرهم من سائر الخَلْق؛ ذلك لأنَّ كلَّ خيرٍ نال البشريةَ فإنَّما نالوه بسبب طَاعَتِهم واتِّباعِهم، وأنَّ كلَّ شرٍّ وَقَع علىٰ البشريَّة، فإنَّما وَقَع عليهم بسبب مَعْصِيتهم ومُخالَفتِهِم.

وقَدْ قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ علينا من ذلك ما قصَّ من الوقائع الَّتي وقعت بالمُكذِّبين الَّذين كذَّبوا الرُّسُل في كلِّ زمانٍ، فلا يَخْفىٰ ما حصل لقومِ نوحٍ من الغرقِ(١)، وقومِ عادٍ من العذابِ بالرِّيح الَّتي أهلكتهم، وحوَّلت بلادَهم إلىٰ جبالٍ من الكُثْبان(٢)، وما حصل لقومِ ثمود من الهلاك بالصَّيْحة(٣)، وما حصل لقومِ لوطٍ من اجْتِياحِ مكانهم، واقْتِلاع مدائنهم ومزارعهم وأرضهم، ثمَّ قلبها من ارتفاعٍ شاهقٍ، ورَمْيهم بالحجارة(٤)، وما حصل لفرعون وقومه من الغرقِ في البحر(٥)، إلىٰ غير ذلك من الأُمُورِ الَّتي حصلت للمُكذِّبين، مع أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نجَّىٰ كلَّ رسولٍ، ومَنْ آمَن به مِن

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون: ٢٧].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٤].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٣، ٣٤].

(٥) قال تعالىٰ: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

قومِهِ، نَجَّاهم مِن الهلاك، وأَوْرَثهم أرض المهلكين وديَّارهم.

والمهمُّ: أنَّ كلَّ خيرٍ حصل للنَّاس فهو بسببِ متابعةِ الرُّسُلِ، وتعظيمهم، والعمل بما أرشدوا إليه، وكلَّ شرٍّ حصل في الخليقة، فسببه الإعراض عمَّا جاء به الرُّسُل، وعدم القيام بذلك، وإنَّ أعظمَ الخَلْق إحسانًا إلىٰ الخَلْق إمام الرُّسُل يوم القيامة، وخاتمهم، والشَّفيع في المقام المحمود، والمُستفتح لباب الجنَّة: مُحمَّدٌ ﷺ، فَقَدْ بَعَثه اللهُ رحمةً للعالمين، وبَعَثه بكلِّ صلاحٍ وإصلاحٍ وهدايةٍ.

قولُه: «**وَأَمَّا المُلْحِدُونَ فَبِضِدِّ ذَلِكَ: يُعَظِّمُونَ أَعْدَاءَ الرُّسُلِ، وَيَحْتَرِمُونَ أَقْوَالَهِمْ، وَيَهْزَؤُونَ كَأَسْلافِهِم بِمَا جَاءَتْ به الرُّسُلُ، وَذَلِكَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَىٰ سَخَافَةِ عُقُولِهِمْ، وهُبُوطِ أَخْلَاقِهِم إِلَىٰ أَسْفَلِ سَافِلِينَ**»:

أقول: إنَّ مَنْ أعرضَ عن دَعْوة الرُّسُل في السَّابق واللَّاحق؛ لابدَّ له من العواقبِ المشينةِ الَّتي حَصلتْ لأسلافِه، فالمُكذِّبون للرُّسُلِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ينالهم من الشَّرِّ ما ينالُهم، وأعداءُ الرُّسُلِ في زمننا لا ينتظرون إلَّا ما حصل لأعداءِ الرُّسُل في الأزمنةِ السَّابقةِ، فَقَدْ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات: ١٧١ - ١٨٢].

وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وأصحابه، ومُتَّبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

الفهرس



